حقوق يجب أن تعرف

الحقوق الإسلامية

فضيلة الشيخ
محمد حسان

حق العباد على الله

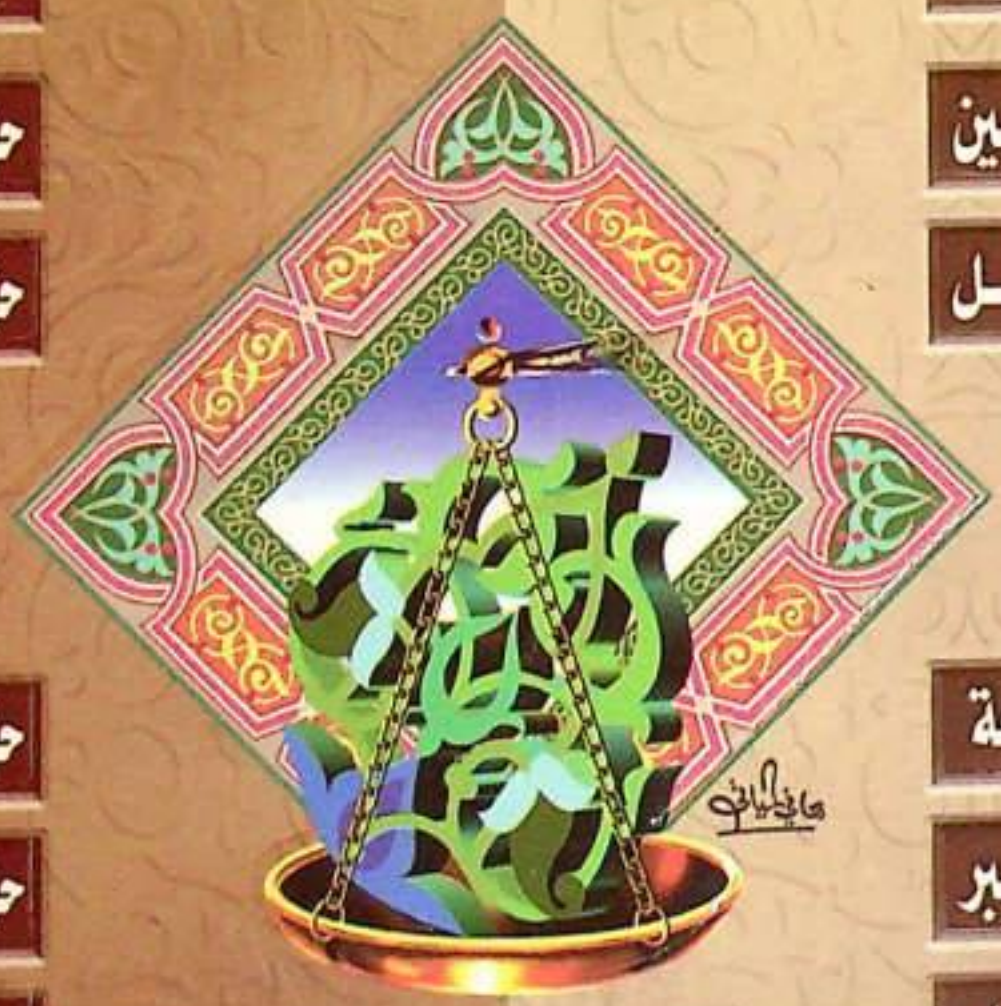
حق الله على العباد

حق المستضعفين

حق القرآن

حق الأمل

حق التعرف على الإسلام



حق الزوجة

حق القدس

حق الصبر

حق الرسول ﷺ

حق الحياء

حق الأخ على أخيه

ومجموعة حقوق أخرى

مكتبة فياض
للتجارة والتوزيع

عنوان کتاب: حقوق یجب ان تعرف الحقوق الاسلامیة

پدیدآور[ان]: حسان، محمد

نام ناشر: مکتبة فیاض

جلد[ها]: 1

نام و نام خانوادگی کاربر: پژوهشگاه مطالعات فقه معاصر

منبع: noorlib.ir کتابخانه دیجیتالی نور

تاریخ دانلود: 1404/7/15

تعداد صفحات دانلود شده: 688

حقوق يجب أن تُعرف

الحقوق الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٦/٢٠٣٥٤

بتاريخ ١٣/ ١١/ ٢٠٠٥

مكتبة
فياض للتجارة والتوزيع

المنصورة: شارع عبد الهادي ـ عزبة عقل

ت: ٢٢٦٧٣٩٨ / ٠٥٠

حقوق يجب أن تُعرف

الحقوق الإسلامية

فضيلة الشيخ
محمد حسان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبة فياض
للتجارة والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب:٧٠، ٧١]

وبعد..

فإن مما يحتاجه المسلم في حياته اليومية ، أن يعرف ما له وما عليه من حقوق ، يجب عليه أن يتبادلها مع أخيه المسلم ، حتى يتكامل المجتمع الإسلامي ويتواصل في ظل منهج الله وسنة رسول الله ﷺ .

ومما يحزن النفس ويدمي الفؤاد : أن ترى هذه الحقوق وقد ضيَّعها كثير من الناس ، واستهان بها البعض الآخر إلا من رحم الله .

حتى رأينا المجتمع المسلم وقد انحسر فيه أداء تلك الحقوق انحسارًا بينًا ،

مما أدى إلى غياب كثير من القيم والأخلاقيات الإسلامية الرفيعة التي أمر الله بها ، وأمر بها رسوله ﷺ .

والخطر كل الخطر أن يستمر المجتمع المسلم على هذا المنوال الذي يشبه الانجراف إلى الهاوية ويمثل الانحراف عن المنهج ؛ ولذلك كان لزامًا على أهل العلم ممن نحسبهم عند الله من العلماء العاملين المخلصين ـ ولا نزكيهم على ربنا عز وجل ـ كان لزامًا عليهم أن يذكّروا الناس بتلك الحقوق التي تحمل القيم السامية والأخلاقيات الرفيعة .

ومما أثلج الصدور وطيَّب النفوس أن يبادر أحد مشايخنا الأفاضل بتفصيل تلك الحقوق وشرحها ، وتقريبها إلى أذهان الناس ، وطلاب العلم عن طريق المحاضرات ألا وهو فضيلة الشيخ / **محمد حسان** جزاه الله خيرًا وأجزل ثوابه .

وهو يتميز بسلامة التعبير ، ورقة العبارة ، وصفاء الأسلوب وسهولته الممتنعة ، وعرضه الأدبي الرائع لتلك الحقوق المهمة ، فقد عمل الشيخ جاهدًا في تلك الحقوق ـ على أن يجمع ما يحتاج المسلم إلى معرفته من الحقوق ـ ومنها على سبيل المثال لا الحصر : «**حق الله ، حق رسول الله ﷺ، حق الأخ على أخيه ، حق الوالدين، حق الزوج، حق الزوجة ... إلى آخر تلك الحقوق القيِّمة** » .

وقد رأت « **مكتبة فياض** » أن تجمع هذه المحاضرات في كتاب ليعم النفع بها .

ويسعد « **دارفياض** » للتجارة والتوزيع أن تقدم هذا الكتاب إلى الأمة الإسلامية ، راجية الله عز وجل أن يحقق هدفه وأن يصيب مرماه ، وأن ينفعنا به والمسلمين أجمعين ... آمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر

حقوق يجب أن تعرف

حق الحياء



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الحياء

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعد .. حق الحياء هو أول هذه السلسلة المباركة

سلسلة «**الحقوق الإسلامية حقوق يجب أن تعرف** » وهي سلسلة منهجية تحدد الدواء من القرآن والسنة لهذا الداء العضال الذي استشرى في جسد الأمة ، ألا وهو : الانفصام النكد بين منهجها المنير وواقعها المؤلم المرير ، فأنا لا أعرف زمانًا قد انحرفت فيه الأمة عن منهج ربها ونبيها كهذا الزمان ، فأردت أن أذكر نفسي وأمتي لعلها أن تسمع من جديد عن الله عز وجل ، ولعلها أن تسمع من جديد عن رسول الله ﷺ ، لعلها أن تحول هذا المنهج المنير في حياتها إلى منهج حياة، وتردد مع الصادقين السابقين الأولين قولتهم الخالدة :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وسوف أحصر هذا الموضوع الرقيق في العناصر التالية :

أولاً : حقيقة الحياء .

ثانياً : حق الحياء .

ثالثاً : فضل الحياء .

رابعاً : في بستان الحياء .

وأخيراً : كيف نحقق الحياء .

أولاً : حقيقة الحياء :

اتفق أهل اللغة تقريبًا على أن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به أو يلام عليه ، وهو خلق كريم يبعث ويدفع صاحبه على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق ، ويدفع صاحبه إلى إعطاء كل ذي حق حقه فالحياء مشتق من الحياة ؛ فعلى قدر حياة القلب يكون الحياء ، فكلما كان الإيمان في القلب تامًّا ، وكلما كان القلب أكثر حياة كان الحياء أتم ، وإذا مات الإيمان في القلب ضاع الحياء ، ومن ضاع حياؤه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة .

والحياء قسمان : حياء جِبلِّي فطري غريزي ، وحياء مكتسب .

القسم الأول هو الحياء الفطري وهو :

ما فطر الله الإنسان عليه كحياء الرجل أو المرأة من كشف العورة أمام الناس ، وكالحياء من الجماع أمام الناس هذا حياء فطري غريزي جبلي فطر الله الناس عليه ، ومن جنس هذا الحياء حياء آدم وحواء لما أكلا من الشجرة المحرمة فبدت عوراتهما أسرعا بالجبلة والفطرة بستر هذه العورة بورق من شجر الجنة قال تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [طه:١٢١] .

ومن هذا الحياء ما ثبت في الصحيحين ، ومسند أحمد ـ واللفظ لأحمد ـ من حديث أشج عبد قيس قال له النبي ﷺ يومًا :

« **إِنَّ فِيكَ خُلَّتَيْنِ** ـ أي خصلتين ـ **يُحِبُّهُمَا الله عَزَّ وَجَلَّ** » .

أي فيك خلتين جبلك الله عليهما يحبهما الله جل وعلا .

فقال : ما هما يا رسول الله ؟ قال المصطفى ﷺ :

« الْـحِلْمُ وَالْـحَيَاءُ » .

فَقَالَ : أَكَانَا فِيَّ قَدِيمًا أَمْ حَدِيثًا ؟

فقال المصطفى : « بَلْ قَدِيمًا » .

فقال هذا الرجل الفقيـه : «الحَمْدُ لله الَّذِي جَبَلَنـي» أي : فطرنـي «عَلَى خُلَّتَيْنِ» أي : خصلتين «يُحِبُّهُمَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » [1] .

هذا هو الحياء الفطري ، ومع ذلك ترى من الناس من انتكست فطـرهم فضيعوا حتى هذا القسم الأول من أقسام الحيـاء ألا وهـو الحيـاء الفطـري الغريزي ، فتراهم الآن على شـواطئ الأنهـار يغتسـلون وهـم عـراة ينظـر بعضهم إلى سوءة بعض ، ينظر الرجل إلى الرجل .

بل وربما يرى نساءً ينظفن الأواني الـتي تخصـهن علـى الشـاطئ الآخـر فينزل الرجل ليغتسل أمام النساء وهـو عـار ، هـذا ضـيع الحيـاء الفطـري الغريزي ، وإن كان ذلك كذلك فأين حيـاؤه المكتسـب الإيمـاني إذا ضـيع أصلاً حياءه الغريزي الفطري ؟

بل نرى النساء يخرجن على الشواطئ وهن عـراة ، بـل وأخـيراً سمعنـا عن شواطئ العراة ، بل وأخيرًا سمعت في بلاد الكفر عما يسمى بالعرض الجماعي ، قلت : ما العرض الجماعي ؟

قالوا : رجل يزني بامرأةٍ في حلقة كبيرة من الناس ينظرون إليهما في هذا الوضع المنحط المزري .

إذا لم تخـــش عاقبـــة الليـــالي ولم تسـتح فافعـل مـا تشـاء

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٨/ ٢٥ ، ٢٦) ، وأحمد (٤/ ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

فـلا والله مـا في العـيش خـير ولا الـدنيا إذا ذهـب الحيـاء

ولذا يقول حبيب رب الأرض والسماء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي مسعود البدري أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« إِنَّ مِمَّـا أَدْرَكَ النَّـاسُ مِـنْ كَـلَامِ النُّبُـوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْـتَحِ فَاصـنَعْ مَـا شِئْتَ » (١) .

انظروا إلى قيمة الحياء !

هذا هو الحياء الفطري ، أما الحياء المكتسب : فهو الحياء الإيماني الذي يحجب ويمنع المؤمن من فعل المعاصي والدنايا والقبائح حياء من الله سبحانه وتعالى ، وهذا الحياء يتولد في القلب من رؤية النعم مع رؤية التقصير في حق المنعم ، فيستحي العبد حينئذ من الله أن يرى نعم الله عليه تتوالى ، وأن يرى تقصيره لا ينقطع في حق سيده ومولاه .

ولذلك لما احتضر الأسود بن يزيد ـ رحمه الله تعالى ـ بكى بكاء المرأة الثكلى فدخل عليه بعض أحبابه وقالوا : ما هذا الجزع؟ لم هذا البكاء؟

فقال الأسود بن يزيد : وما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني ؟! ، ثم نظر إلى السماء وهو على فراش الموت وقال : والله وإن غفر لي ذنوبي لاستحييت منه مما قد صنعت يداي !!.

يـا حسرة العاصـين عنـد معـادهم هـذا وإن قـدموا عـلى الجنـات

لـو لم يكـن إلا الحيـاء مـن الـذي ستر القبيح لكان أعظم الحسرات

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣، ٣٤٨٤) .

ولذلك لما دخل أبو حامد الخلقاني على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله تعالى ـ فقال أبو حامد وهو ينظر إلى الإمام :

مـــــاذا أقـــــول لـــــربي إذا مـــــا قال لي يومًا أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني فما قولي له لما يعاتبني ويقصيني

فنظر له الإمام وقال : أعدها بالله عليك ـ كرر علي هذه الأبيات ـ فكررها عليه أبو حامد ، فدخل الإمام داره وهو يبكي ، وهو يردد الأبيات ويقول :

مـــــاذا أقـــــول لـــــربي إذا مـــــا قال لي يومًا أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني فما قولي له لما يعاتبني ويقصيني

ولما وقف الفضيل بن عياض على جبل عرفات في هذا الموقف الأعظم في هذا اليوم الكريم الأشرف الأكرم رفع رأسه إلى السماء وهو قابض على لحيته وهو يبكي بكاءً مرًّا وهو يقول :

وا سوأتاه منك يا سيدي وإن عفوت ، وا سوأتاه منك يا سيدي وإن عفوت .

إنها معانٍ رقراقة قد لا نرتقي إليها الآن ؛ لأن كثيرًا من المسلمين قد ضيع الحياء الفطري ، فربما لا يؤثر فيه الحديث عن الحياء الإيماني المكتسب ؛ لأنه إن ضيع ما جبل عليه فهو لما يكتسب أضيع ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وا سوأتاه منك يا سيدي وإن عفوت ، هذا هو الحياء المكتسب وهو الحياء الإيماني وهو لا يتحقق إلا بتحقيق الإيمان ، ولا يتولد في القلب إلا

برؤية النعم مع رؤية التقصير في حق المنعم جل جلاله .

هذه حقيقة الحياء بإيجاز شديد فما حق الحياء؟

وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر هذا الموضوع .

ما حق الحياء ؟

والجواب من حبيب رب الأرض والسماء كما في الحديث الذي رواه أحمد والبيهقي والترمذي والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقر الحاكم الذهبي ، وحسن الحديث الألباني من حديث عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**» قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لله ، قَالَ : « **لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحَى مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَحْفَظْ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَلْيَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ** »[1].

انظروا كم فرطنا في حق الحياء قال : « **اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ** » قالوا : إنا نستحي والحمد لله يا رسول الله ، قال : « **لَيْسَ ذَاكَ** » ، ليس الحياء كلمة ترددها الألسنة دخانًا يطير في الهواء ولكن الحياء دين، ولكن الحياء منهج كامل قال : « **وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحَى مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَحْفَظْ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى** » .

احفظ عينك واحفظ أنفك واحفظ أذنك واحفظ لسانك هذا هو الحياء احفظ عينك فلا تنظر بها إلى الحرام ، احفظ أنفك فلا تشم به الحرام يعني

---

(١) **حسن الإسناد** : رواه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٨) ، والبيهقي في الشعب (٧٧٣٠ ، ١٠٥٦١) ، والحاكم (٣/ ٣٢٣) وصححه ووافقه الذهبي .

لا تقترب من النساء لتشم روائح النساء ، احفظ أذنك من سماع الحرام من سماع هذه الأغاني الخليعة الماجنة ، احفظ لسانك من كل قول يسخط الله جل وعلا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] ، قال جل وعلا : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] ، قال المصطفى كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » (١) .

فحق الحياء أن تحمي عينيك من النظر إلى الحرام لا تنظر إلى النساء العاريات ، لا في الشوارع والطرقات ، ولا في المجلات ولا على الشاشات، لا تقضي الليل كله مع الأفلام الجنسية الداعرة أين حياؤك من الله ؟ وأين حياؤك من امرأتك ؟ وأين حياؤك من أولادك ؟ وأين حياؤك من نفسك ؟ وأين حياؤك من ملائكة الله الكرام البررة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

استح من الله ، واستح من ملائكة الله ، واستح من الناس ، واستح من نفسك. يا من قضيت الليل أمام الأفلام الجنسية الوضيعة الداعرة ، يا من جلست على المقهى ، أو على شاطئ النهر وسمعت المؤذن يقول : حي على الصلاة ولم تستح من الله ولا من ملائكته ولا من الناس ولا من نفسك متى ستستحي من الله جل وعلا لتسرع إلى بيته سبحانه وتعالى ، أين

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٨)، ومالك في الموطأ في كتاب الكلام (٢/ ٧٥٢) رقم (٦).

الحياء ؟ وحق الحياء أن تحفظ البطن وما حوى ، لا تدخل البطن الحرام فلقد صار أكل الحرام الآن ميسورًا جدًّا وسهلاً على كثير من الناس لا يعنيه أمن الحلال أم من الحرام، المهم : أن يملأ بطنه المهم أن يملأ جيبه ، المهم أن يملأ رصيده في البنك ، هذا ما استحيا من الله مما حواه البطن ، احفظ فرجك إلا على امرأتك إلا على زوجتك.

يا تابعًا طرق الفساد وهاتكا حرم الرجال فأنت غير مكرم

من يزن في قوم بألفي درهم في قومه يزني بربع الدرهم

إن الزنا دين إذا استقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢،٣] .

انتشر الزنا ، كثر الزنا ، أين الحياء من الله؟ وأين الحياء من ملائكة الله ؟ وأين الحياء من الناس ؟ وأين الحياء من النفس فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ويذكر الموت والبلى .

أيا من يدعي الفهم إلى كم يا أخي الوهم

تتبع الذنب بالذنب وتخطئ الخطأ الجم

أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب

وما في نصحه ريب

أمـا نـادى بـك المـــوت　　أما أسمعـــك الصـوت

أما تخشى مـــن الفوت　　فتحتـــــاط وتهتـــــم

فكم تسير في السهـــو　　وتختـــال مـن الزهـو

وتنفـــض إلى اللهـــو　　كأن المـــوت ما عـــم

كـأني بـــك تنـــحط　　إلى اللحـــد وتنغـــط

وقـد أسـلمك الـرهط　　إلى أضـيق مـــن ســـم

هنـــاك الجســـم ممـدود　　ليستأكلـــه الـــدود

إلى أن ينخـــر العـــود　　ويمسي العظم قـــد رم

فـزود نفســك الخيـــر　　ودع مـا يعقـب الضـير

وهيئ مـــركب السير　　وخف من لجـــة اليم

بـذا أوصـيك يـا صـاح　　وقد بُحتك كمـــن بـاح

فطـوبى لفتـــــى راح　　بـآداب محمـــد يأتـــم

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾

[القيامة:٢٦-٣٠]

وعندها يفتح كتابك ويفتح ملفك وإذا بـه لا صـدق ولا صـلى ولكـن كذب وتولى ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن استحيى من الله حـق الحيـاء

فليذكر الموت والبلى سيتحول كل شيء إلى رميم إلى تراب :

إذا صح منك الود فالكل هين فكل الذي فوق التراب تراب

كل شيء فوق التراب مصيره إلى تراب ، فمن استحيى من الله حق الحياء فليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا .. قال المصطفى كما في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث أنس : « **مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ الله غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ الله فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ** »[(١)] .

هذا هو حق الحياء : من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، من فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء ، هذا بإيجاز شديد جدًا أهم ما يذكر في حق الحياء .

فما هو فضل الحياء ؟ والجواب في عنصرنا الثالث :

فضل الحياء :

أحبتي في الله : يكفي الحياء شرفًا وفضلاً وكرمًا وفخرًا أنه صفة من صفات الله ، فالله سبحانه وتعالى يستحي فلا تعطل الصفة ولا تكيف، فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا ند له ولا كفء له ، ولا شبيه له ، ولا مثيل له ، ولا والد له ، ولا ولد له ، ولا زوج له قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] ، وقال

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٥) وسنده صحيح .

تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] ، فنحن نؤمن بكل أسمائه الحسنى وصفاته العلا من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ؛ لأن كل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك، قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] .

استوى كما أخبر ، وعلى الوجه الذي أراد ، وبالمعنى الذي قال استواء منزهاً عن الحلول والانتقال فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده ، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بقدرته مقهور بجلال قبضته .

دخل حبر من أحبار اليهود على المصطفى كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود فقال الحبر : يا محمد ، إنا نجد مكتوبًا عندنا في التوارة : أن الله تعالى يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والماء والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ويقول : أنا الملك فضحك المصطفى حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر وقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

[الزمر:٦٧]

جل جلال الله يستحي من خلقه ، والخلق لا يستحيون منه إلا من رحم ربي سبحانه ، قال الله جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦] ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

قال المصطفى كما في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨١١) ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٨٦) .

بسند صحيح من حديث سلمان الفارسي قال المصطفى :

« إِنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيمٌ ـ سبحانه حَيِيٌّ كريم ـ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ » [١] .

خيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد ، رحماته تتنزل علينا وذنوبنا ترفع إليه يتحبب إلينا بالنعم وهو الغني عنا ونتبغض إليه بالمعاصي ونحن أحوج شيء إليه ومع ذلك مع كثرة ذنوبنا إذا رفعنا إليه أكف الضراعة غفر الذنب وفرح بتوبة عبده إليه .

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وبت أشكو إلى مولاي ما أجدُ

فقلت يا أملي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها ما لي على حملها صبر ولا جلدُ

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروي كل من يردُ

الله سبحانه وتعالى يستحي من عبده ، إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبة فارغة .

قال ابن القيم : أما حياء الرب من عبده فذاك نوع آخر لا تكيفه العقول ولا تدركه الأفهام فإنه حياء بر وجود وفضل وكرم [٢] .

---

(١) صحيح : رواه أبو داود في الصلاة (١٤٨٨) ، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٥) بلفظ : « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا ـ أَوْ قَالَ : خَائِبَتَيْنِ » .

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦١ ولفظه : « وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر ، لا تدركه الأفهام ، ولا تكيفه العقول ، فإنه حياء كرم ، وبر ، وجود ، وجلال ، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا ، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام » . اهـ .

وقال ابن القيم : وعض على هذا الكلام بالنواجذ قال : ومـن اتصـف بصفة من صفات الله قادته تلك الصفة إلى ربه فأدخلتـه عليـه وقربتـه مـن رحمته فإن الله كريم يحب الكرماء رحيم يحب الرحماء حليم يحـب الحلمـاء ، حَيِيٌّ يحب أهل الحياء ، فيكفي الحياء شرفًا أنه صفة من صفات الله .

ثانيًا : الحياء من الإيمان :

قـال المصـطفى ﷺ كمـا في الصـحيحين مـن حـديث أبـي هريـرة : « **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً** » كما في رواية البخاري .

ورواية مسـلم : « **أَفْضَـلُهَا قَـوْلُ لَا إِلَـهَ إِلَّا الله ، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَـنْ الطَّرِيقِ ، وَالْـحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ** » (١) .

الحياء شعبة من الإيمان ، وفي مستدرك الحاكم بسند صحيح من حـديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

« **قُرِنَ الْإِيمَانُ وَالْـحَيَاءُ جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ** » (٢) .

إذا رفع الإيمان رفع الحياء ، وإذا رفع الحياء رفع الإيمان ، الحياء والإيمان قرنا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر .. وقال ﷺ كما في سـنن الترمـذي والبيهقي ومسند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة قال :

«**الْـحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْـجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْـجَفَاءِ ، وَالْـجَفَاءُ فِي النَّارِ**» (٣) .

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (٩) ، ومسلم في الإيمان (٣٥) .

(٢) رواه الحاكم (١/ ٢٢) وصححه ووافقه الـذهبي ، رواه أبـو نعـيم في الحليـة (٤/ ٢٩٧) وسنده صحيح .

(٣) رواه أحمد (٢/ ٥٠١) ، والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٩) ، وقال : حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الزهد (٤١٨٤) ، والبيهقي في الشعب (٧٧٠٧) .

البذاء : الفاحش من القول والفعل وهو ضد الحياء .. « الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ » أي من البعد والطرد والإعراض .

ثالثًا : من فضائل الحياء :

إنه أبهى حلة وأجمل زينة يتحلى به الرجل ما لم يصده الحياء عن حق وتتحلى به المرأة ؛ لأن الحياء هو طريقها إلى كل حق ، الحياء أجمل ما يتزين به الرجل بشرط ألا يحول هذا الحياء بينه وبين طلب العلم وبين الوصول إلى الحق وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد يقول قائل : أنا أستحي أن آمر بالمعروف ، ليس هذا من الحياء قد يقول قائل : أنا أستحي أن أسأل الشيخ عن مسألة حرجة ليس هذا من الحياء قالت عائشة : رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن حياؤهن من أن يتفقهن في الدين ، اخرج إلى الشوارع والطرقات إلى الجامعات والكليات إلى وسائل المواصلات إلى الحدائق والمتنزهات انظر إلى الصحف والجرائد والمجلات ، انظر إلى الشاشات لتبحث عن الحياء ، سترى إنه قد كفن ودفن منذ أمد بعيد عند الكثيرات نسأل الله الستر والعافية ، ضاع الحياء وقد امتدح الله ابنتي الرجل الصالح اللتين خرجتا من بيت الحياء والستر والعفاف ، اسمع ماذا عبر القرآن حينما جاءت إحداهما لنبي الله موسى تمشي بحياء ، وتتكلم بحياء ؟ اسمع لقول رب الأرض والسماء في أوجز لفظ وأعجز أسلوب وأبلغ عبارة.

قال تعالى : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ .

يا لها من صفة ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص:٢٥] حياء في المشية ، وحياء في الكلمة ، تمشي على استحياء ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص:٢٥] .

وأخيرًا : من فضائل الحياء : أن الحياء خلق الإسلام :

تصور أن يجعل المصطفى الحياء في أعلى مراتب الأخلاق الإسلامية فيقول كما في صحيح سنن ابن ماجه من حديث زيد بن طلحة يقول ﷺ :

«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ »[1] .

هذا بإيجاز في فضل الحياء ، ولندخل إلى بستان الحياء الوارف الظلال الماتع الشذى والأزهار ، لنقف أمام بعض زهرات هذا البستان لنستمتع بأريجها وعبيرها وعطرها .

وهذا هو عنصرنا الرابع:

في بستان الحياء :

لنقف مع حياء السلف ـ رضي الله عنهم ـ وصلى الله وسلم وبارك على معلمهم وأستاذهم ، ومن الجفاء أن أتحدث عن الحياء وأن أضرب الآن المثل العليا للحياء دون أن أبدأ الحديث بمن كان أشد حياءً من العذراء : إنه المصطفى ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ »[2] .

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٥) مرسلا ، ووصله ابن ماجه رقم (٤١٨١، ٤١٨٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٠٦) .

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢) ، وفي الأدب (٦١٠٢ ، ٦١١٩) ، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠) .

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله : كيف تغتسل من الحيض ؟ فعلمها المصطفى ثم قال : « **خُذِي فِرْصَةً** » يعني قطعة من القطن ـ ممسكة ـ يعني ضعي عليها شيئًا من المسك «**فَتَطَهَّرِي بِهَا**» فقالت المرأة : كيف أتطهر بها يا رسول الله ؟

قال : « **سُبْحَانَ الله تَطَهَّرِي** » ووضع المصطفى كمه أو يده على وجهه ليستر وجهه حياء من المرأة ، قالت عائشة الفقيهة : فأخذتها إليّ وفهمتها ما أراده النبي ، فقلت لها : تتبعي بها أثر الدم [1] .صلى الله على المصطفى .

ومن الأنبياء الكرام الذين اشتهروا جدًّا بالحياء في وسط الأنبياء نبي الله موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ اسمع للمصطفى والحديث في الصحيحين قال رسول الله ﷺ :

« **إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام يَغْتَسِلُ وَحْدَه** ـ حيث لا تراه عين بشر ـ **فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ ، وَإِمَّا آفَةٌ ، وَإِنَّ الله أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى ، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا** ـ أي: انطلق ـ **بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ** » ، يعني : انتظر عليك ثيابي والحديث في الصحيحين « **حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ الله وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَالله إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا**

---

(١) رواه البخاري في الحيض (٣١٤) ، ومسلم في الحيض (٣٣٢) .

أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِك قَوْلُهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩] (١) .

وهذا الصديق الأكبر أبو بكر الحيى الكريم الحبيب القريب يقول للصحابة على المنبر : أيها الناس استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت لقضاء حاجتي منذ بايعت رسول الله إلا وأنا مقنع رأسي حياءً من الله ، وهو يقضي الحاجة يستحي من ربه ، وهو يقضي حاجته يستحي من ربه .

وهذا الفاروق عمر الحيى الكريم الذي كان من أشد الناس حياءً من ربه ، فأمام كل لقمة هنية وأمام كل شربة هنية وأمام كل زي يلبسه يستحي من الله ، فهو ينظر إلى نعم الله عليه وينظر إلى تقصيره في حق المنعم فيبكي ويقول : ماذا أنت قائل لربك غدا يا عمر ؟.. يقول الفاروق : من قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه .

وهذا عثمان الحيى الكريم ذوالنورين الذي اختصه الله بصفة الحياء، فلقد بلغ عثمان ـ رضي الله عنه ـ في صفة الحياء الذروة العليا ، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ ـ غطى ساقيه أو فخذيه واعتدل في الجلسة ـ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ . فَقَالَ : « **أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ** » (٢) .

---

(١) رواه البخاري في الغسل (٢٧٨) ، ومسلم في الحيض (٣٣٩) .
(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠١) .

يا خالق عثمان سبحانك يقول المصطفى لعائشة : « أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ ـ أي من عثمان ـ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ » .

وهذا الحيى الكريم عليّ ففي الصحيحين يقول : كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً ـ كان كثير نزول المذي ـ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ لمكان ابنته مني ، وقد يقول بعض الإخوة بأن هذا ينقض ما أصّلت ألا وهو عدم الحياء في طلب العلم ، فعليّ لم يستح أن يسأل ولكنه سأل بطريق غير مباشر لمكانة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ قال : فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ ـ وهذه هي الغاية أن يتعلم العلم في المسألة فقال المصطفى : « فِيهِ الْوُضُوءُ» يعني : لا تغتسل بل توضأ فقط [1] .

وهذا أبو موسى الأشعري كان إذا نام يشد عليه السراويل حتى لا تنكشف عورته وهو نائم . وهذه الحيية الصديقة حبيبة رسول الله عائشة تدبر بالله تقول عائشة : كنت أدخل الحجرة التي دفن فيها رسول الله وأبي، فرسول الله دفن في حجرة عائشة ودفن معه الصديق تقول : كنت أدخل الحجرة وقد وضعت عني ثيابي ـ يعني بتخفف ـ تلبس قميصاً خفيفاً ؛ لأنها في حجرتها في بيتها تقول : كنت أدخل الحجرة وقد وضعت عني ثيابي وأقول : إنما هو زوجي وأبي تقول عائشة : فلما دفن عمر والله ما دخلت الحجرة إلا مشدودة عليّ ثيابي حياءً من عمر بن الخطاب وهو ميت تستحي عائشة من الأموات ، آه من حياء كثير من المسلمات ، تستحي عائشة من الأموات وهذا لا يكون إلا من عائشة وإلا من الرزان إلا من الصديقة بنت الصديق ، إلا من الزهرة المتفتحة التي ترعرعت في

---

(١) رواه البخاري في العلم (١٣٢) ، وفي الوضوء (١٧٨) ، وفي الغسل (٢٦٩) ، ومسلم في الحيض (٣٠٣) .

بستان الإيمان وسقيت بماء الحياء في بيت الصديق ابتداءً ، ثم ازداد نموها وكمل جمالها وجلالها في بيت المصطفى ﷺ .

أيها القارئ الكريم ، لو أخبرت عن أهل الحياء وأطلت التطواف في هذا البستان لطال الأمر ، أسأل الله أن يرزقنا جميعًا الحياء ، ولكن اسمحوا لي في دقيقة واحدة قبل جلسة الاستراحة بعد أن حلَّقت بكم في هذا الأفق الوضيء السامق ، أهبط بكم آسفًا هبوطًا اضطراريًّا لهذا الدرك الدني لنقف على حجم الهوة السحيقة بين حياء السلف وجرأة الخلف ، أين حياء من خرجت بهذا الزي العاري ؟ أين حياء من وضعت الأصباغ على وجهها ؟ أين حياء من خالطت الرجال بجرأة وصلافة ؟ أين حياء من خرجت وجلست أمام التلفاز لتشاهد الرجال والنساء في مواضع فاضحة ؟ أين حياء من سمعت الأذان ولم تصل لله ؟ أين حياء من سمع الأذان ولم يقم لتلبية أمر الله ؟ أين حياء من عق أمه أو ضرب أباه ؟ أين حياء من أعفى اللحية وجلس على المقهى ليشرب الشيشة أو ليدخن السيجارة ؟ أين حياء من ذهب بامرأته وبناته إلى الشواطئ العارية من أجل النزهة ؟ أين حياء من أكل الربا وقد علم حرمة الربا ؟ أين حياء من شرب الخمر وقد علم حرمة الخمر ؟

أين حياء أهل المعاصي وهم يعلمون أن الله يسمع ويرى ؟

لو عددت هذه المشاهد التي تجرح القلوب الحية لانقلب إلينا البصر خاسئًا وهو حسير .

وأخيرًا : كيف نحقق الحياء :

فلقد ذكرت أن الحياء قسمان : فطري غريزي جبلي ، وحياء مكتسب ، وهذا هو الحياء الذي يتولد من النظر إلى نعم الله مع النظر إلى التقصير في

حق المنعم سبحانه وتعالى ، ولو كانت الأخلاق التي أمر الله بها ورسوله صفات لازمة للإنسان كالطول والقصر ولون العين لا يملك الإنسان تغييرها لما أمر الله بها ؛ إذ إن الله لا يأمر إلا بكل مقدور مستطاع قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

من أجل ذلك فإن الحياء الإيماني يحتاج إلى ري ، إلى تعهد ، إلى عناية ، ليزداد الحياء الإيماني من الرب العلي سبحانه وتعالى .

وها هي بعض الوسائل التي تقوي الحياء الإيماني المكتسب في نقاط سريعة :

أولاً : تجديد الإيمان بالله سبحانه وتعالى في القلب ؛ لأن الحياء ثمرة الإيمان والحياء شعبة من الإيمان ، فتجديد الإيمان في ألقلب يقوي الحياء من الرب سبحانه وتعالى ، والإيمان يقوى ويضعف ويزيد وينقص ويقوى بالطاعة ويضعف بالمعصية قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤] .

وقال المصطفى ﷺ كما في مستدرك الحاكم بسند حسن من حديث عبد الله بن عوف :

« إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ ـ أي كما يبلى الثوب ـ فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلوبِكُم » (١) .

وتجديد الإيمان يحتاج إلى طاعة إلى ذكر إلى قراءة قرآن إلى استغفار إلى دعوة إلى أمر بمعروف إلى نهي عن منكر إلى زيارة للمرضى إلى زيارة للأموات في المقابر .

---

(١) حسن الإسناد: رواه الحاكم (١/ ٤) وقال الذهبي : رجاله ثقات .

كل هذه الأعمال تقوي وتجدد الإيمان في القلب .

ثانيًا : المحافظة على الصلوات الخمس من أعظم الوسائل التي تقوي الحياء في القلب من الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

وفي الحديث الذي رواه الطبراني والبزار ورجال البزار رجال الصحيح أنه ﷺ قيل له : يا رسول الله ، إن فلانا يصلي الليل فإذا أصبح يسرق ، فقال المصطفى :

« **سَتَمْنَعُهُ صَلَاتُهُ يَوْمًا** »[(١)] .

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥] . فالمحافظة على الصلاة من أعظم الوسائل التي تكسب الإنسان حياءً من سيده ومولاه .

ثالثًا : الإكثار من النظر دومًا إلى القدوة الطيبة ، والمثل الأعلى في الحياء هل تعرفونه .

إنه المصطفى فأدم النظر إلى سيرته وأقواله وهديه فلقد كان في القمة من الحياء .

رابعًا : مصاحبة الصالحين مصاحبة أنفاس من مات ، ومصاحبة من حضر من الصالحين .

قال أحد السلف : أحيي حياءك بمجالسة من يستحي منه .. يا الله !

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٧) ، والبزار كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٨) عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار عن جابر كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٨) وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، والحديث صحيح .

أحيي حياءك بمجالسة من يستحي منه .

قال قتادة : لو لم يستفد المسلم من أخيه الصالح إلا أن جلوسه معه يمنعه من الوقوع في المعاصي لكان خيراً كثيراً .

فجلوسك مع الصالحين يورثك الحياء لن تسمع من الصالحين كلمة بذاء لن تسمع الفحش من القول ، شتان شتان بين كلام تسمعه في مجلس علم وبين كلام تسمعه في مجلس مخدرات ، شتان شتان بين كلام تسمعه في مجلس علم من العلماء وبين كلام تسمعه من الساقطين في الجلسات الساقطة ، أو بين كلام تسمعه على شاشات التلفاز ، فمصاحبة الصالحين تحيي الحياء في القلب فاحرص على مصاحبة أهل الفضل ممن يجددون حياءك من الله في قلبك .

خامسًا : تحري الصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والحياء من جملة البر .

سادسًا : المراقبة لله سبحانه وتعالى :

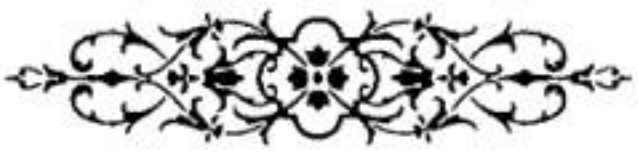
اعلم بأن الله يسمع ويرى لا يغيب عنه شيء فقبل أن تتكلم كن على يقين بأن الله يسمعك فلا تقل إلا الكلمة الطيبة ، قبل أن تنظر اعلم بأن نظر الله إليك أسبق فلا تنظر إلى الحرام .

مر عبد الله بن عمر على راعي أغنام في مكة فقال له : بعنا شاة ؟

فقال له الراعي : إني مملوك لا أملك أن أبيع.فقال له عبد الله بن عمر مختبرًا : قل لصاحب الغنم إن الذئب أكلها وخذ ثمنها . فبكى الراعي والتفت إليه وهو لا يعرفه ، وقال له : إذا كان سيدي لا يراني فأين الله ؟ فبكى عبد الله بن عمر وظل يردد قوله : إذا كان سيدي لا يراني فأين الله ، إذا كان سيدي لا يراني فأين الله ، فسأل عنه فذهب إلى صاحب الأغنام فاشترى الأغنام واشترى العبد وأعتقه لله تعالى وأعطاه الغنم .

سابعاً : البعد عن الفحش من القـول : اجتهـد اتـق الله مـا اسـتطعت ، دَرِّب لسانك على الكلام الطيب وأن يهجر لسانك البـذيء الفـاحش مـن القول ، حتى مع امرأتك فإن كثيرًا من الأزواج لا يتعاملون إلا بلغة السب ولغة القذف ، هذا ليس من الحيـاء ، وبعـد ، فهـذه بعـض الوسـائل الـتي تورثنا الحياء بإيجاز شديد.

والحمد لله رب العالمين



مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



حقوق يجب أن تعرف

حق الصدق



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الصدق

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الصدق** » .

وسوف أركز تركيزًا شديدًا في حصر هذا الموضوع والحق الجليل في العناصر المحددة التالية :

أولاً : فضل الصدق .

ثانيًا : أقسام الصدق .

ثالثًا : علامات الصدق .

رابعًا : ثمرات الصدق .

وأخيرًا : مع الصادقين .

والله أسأل أن يجعلنا جميعًا من الصادقين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : فضل الصدق :

أحبتي في الله ، الصدق هو الطريق الأقوم ، ومن لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ، الصدق هو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه وما واجه باطلاً إلا أَرْدَاه وصرعه ، من صال بالصدق لا ترد صولته ، ومن نطق بالصدق علت على الخصوم كلمته ، وما وقعت البشرية في هذا الضنك والشقاء الذي تحياه الآن بكل أصنافه وألوانه إلا

يوم أن كفن الصدق ودفن ، فإن أزمة العالم اليوم أزمة صدق ، أعلنها بكل صدق : إن أزمة العالم اليوم أزمة صدق .

فأمريكا تدعي كذبًا وهي الدولة العظمى في العالم ، تدعي كذبًا وهي تسفك دماء الأبرياء وتمزق الأشلاء ، تدعي كذبًا أنها تحارب التطرف والإرهاب وهي أصل التطرف والإرهاب في الأرض ، تدعي أنها تعد العدة الآن لشل حركة المسلمين في الطرق أو إن شئت فقل : لإبادتهم من على سطح الأرض ولإزالة هذه الدولة من على الخارطة أو إن شئت فقل : لوضع دولة أخرى بالمقاييس والمواصفات الأمريكية ، وتدعي كذبًا أنها تريد أن تقضي على أسلحة الدمار الشامل في العراق ، في الوقت الذي تعلم فيه راعية السلام الجائرة أن اليهود لا يملكون أسلحة الدمار الشامل البيولوجية الكيماوية فحسب ، بل يملك اليهود أيضاً السلاح النووي إنه الكذب !!.

وتدعي روسيا كذباً أنها تحارب التطرف والإرهاب في الشيشان وهي تبيد المسلمين هنالك ، ويعلن الإرهابي الكبير على رأس روسيا بوتن يقول بأنه سوف يقضي على الإرهاب في الشيشان ؛ ليحول البقية الباقية من الشيشان إلى النصرانية ولم يقل : إلى الشيوعية ؛ لأنه يريد أن يخطب ود العالم الظالم الجائر الذي علت كلمته الآن !! .

واليهود يدعون كذباً أنهم أصحاب حق في فلسطين ، وأن القدس عاصمة أبدية لهم ، بل ومن الكذب المضحك الذي يضحك ضحكاً كالبكاء أن اليهود يعلنون الآن أن لهم حقًا في المدينة المنورة ، بل يعلنون الآن أن اليهود هم بناة الأهرامات في مصر ، ويدعي اليهود كذباً أن المسجد الأقصى بني على ما يسمونه هيكل سليمان ، إنه الكذب !! .

ويدعي الاتحاد الأوربي والحلف الأطلسي أنه تدخل لنصرة المسلمين في

البوسنة كذب كذب حياة كلها كذب في كذب ، الحكام يكذبون على الشعوب ، والشعوب يكذبون على الحكام والأحزاب تكذب على أتباعها ، والأتباع يكذبون على الأحزاب . الزوج يكذب على زوجته ، والزوجة تكذب على زوجها ، الوالد يكذب على أولاده ، والأولاد يكذبون على والدهم ، والأخ يكذب على أخيه ، والأخت تكذب على أختها ، حياة كلها كذب في كذب !! إلا من رحم ربك .

فأنا لا أعلم زمانًا دفن فيه الصدق وكفن كهذا الزمان ، ولا أعلم زماناً انتشر فيه الكذب بهذه الصورة الفجة المؤلمة كهذا الزمان ، لا ترى الآن من الصدق وأهله إلا القلة ، اللهم اجعلنا منها يا رب بمنك وكرمك .

قال الله في هذه القلة المباركة المؤمنة الصادقة : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [ص:٢٤] ، وقال الله جل وعلا في هذه القلة المباركة : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبا:١٣] ، وقال جل وعلا في هذه القلة المباركة : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦] ، فالقلة هي التي تتبع الهدى ، وتأخذ بيدك إلى سبيل الله قال جل وعلا في هذه القلة المباركة : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] ، وقال جل وعلا في هذه القلة المباركة : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود:٤٠] .

كانت أمتنا ـ أيها الأفاضل ـ كانت أعز الأمم وأشرف الأمم وأكرم الأمم حين حولت الصدقَ في الأقوال والأعمال والأحوال إلى منهج حياة يوم رباهم المصطفى على الصدق ، نعم لو عدنا إلى التاريخ والله لرأينا العجب العجاب ، كان حاكم هذه الأمة أصدق حكام الأرض ، وكان عالم

هذه الأمة أصدق علماء الأرض ، وكان تاجر هذه الأمة أصدق تجار الأرض ؛ لأن الصادق الذي لا ينطق عن الهوى قد رباهم على الصدق ، كيف يكذب أحدهم وهو الصادق الذي حرم الكذب في النيات بل وفي خائنة الأعين .

روى النسائي وغيره بسند صحيح أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ جاء بعبد الله بن سعد بن أبي السرح ـ وكان النبي قد أهدر دمه ـ يعني أمر النبي ﷺ أصحابه أن يقتلوا عبد الله بن سعد بن أبي السرح حتى ولو وجدوه متعلقًا بأستار الكعبة ، تصور معي جرم هذا الرجل ؛ ليبيح النبي ﷺ دمه وبهذه الطريقة ، ومع ذلك جاء به عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عثمان الحيي الذي كان يستحي منه رسول الله ﷺ ، عثمان زوج ابنتي رسول الله ﷺ ، عثمان الشيخ الوقور المهيب الذي احتل المكانة السامقة في قلب رسول الله ﷺ حتى قال له النبي ﷺ : «**مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْم ..**» [1] .

ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم !! يأتي عثمان يومًا بعبد الله بن سعد ابن أبي السرح ويفاجأ النبي ﷺ بالرجل أمام عينيه وبين يديه ويقول له عثمان : بايعه يا رسول الله ـ هذا الذي أهدر رسول الله ﷺ دمه ، بايعه يا رسول الله ، فنظر إليه النبي ﷺ ثم أعرض عنه ، بايعه يا رسول الله ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه ، وفي المرة الثالثة مد رسول الله ﷺ يده ـ بأبي هو وأمي وروحي صاحب القلب الكبير وصاحب الخلق العظيم ـ مد النبي ﷺ يده فبايع عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، ثم انصرف الرجل ، فلما انصرف قال النبي ﷺ للصحابة : « **أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى**

(١) حسن : رواه أحمد (٥/ ٦٣) ، والترمذي في المناقب (٣٧٠١) ، وقال : حديث حسن .

هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ » . فَقَالُوا وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ الله مَا فِي نَفْسِكَ هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ يعني هل أشرت إلينا بعينك لنقتله ، اسمع ماذا قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةَ أَعْيُنٍ » (١) .

إلى هذا الحد !! نعم على هذا الصدق ربي الحبيب الصحابة ، جاءه حذيفة بن اليمان ـ والحديث في صحيح مسلم ـ قال حذيفة بن اليمان : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ـ يعني أتريدان أن تلحقا بمحمد ﷺ للقتال معه في غزوة بدر؟ ـ قال حذيفة : فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ ـ وهو يريد فعلاً لكنه قال : لا فالحرب خدعة قال ـ اسمع ماذا قال حذيفة ـ قال حذيفة : فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ـ قال : فانصرفت أنا وأبي حسيل ـ فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فقال النبي ﷺ الصادق لحذيفة ولأبيه : « انْصَرِفَا » يعني لا تشهدا معنا غزوة بدر « انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ » (٢) .

قمة الصدق ، إنهم سطروا أروع لحظات الصدق على جبين الزمان والأيام ، فكان حاكمهم أصدق الحكام ، وكان عالمهم أصدق العلماء ، وكان تاجرهم أصدق التجار ، فسادوا الدنيا في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق !! ولما ارتفع الصدق رويدًا رويدًا ، وانتشر الكذب رويدًا رويدًا، حتى انتشر في بقاع الأرض ونتنت الأرض من رائحة

---

(١) صحيح : رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٨٣) ، وفي الحدود (٤٣٥٩)، والنسائي في تحريم الدم (٧/ ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٢) رواه مسلم في الجهاد (١٧٨٧/ ٩٨) .

الكذب العفنة ذلت الأمة وهانت ، فعالم السوء يكذب على أمته ، والتاجر يكذب على زبائنه ، والمرأة تكذب على الزوج ، والولد يكذب على أبيه ، والوالد يكذب على أولاده ، وانتشر الكذب بصورة فجة مؤلمة وذلت الأمة وهانت ، بل ووقعت البشرية في هذا الضنك والشقاء وهي في أمس الحاجة إلى أن تظلل سماءها من جديد بسحب الصدق البيضاء النقية الصافية . نسأل الله جل وعلا أن يرد البشرية عامة والأمة خاصة إنه ولي ذلك ومولاه .

من أجل ذلك أحبتي في الله حرم الله الكذب وحث على الصدق وأحب الصادقين ولو تتبعت القرآن الكريم لوجدت أن الله ذم الكذب وحرمه في أكثر من (٢٨٠) آية لا أستطيع أن أقف مع جل هذه الآيات بل أقف على بعضها على وجه السرعة ؛ قال الله جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [النحل:١٠٥] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٦٠] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠] ، وقال جل وعلا : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٤،٢٣] ، وقال جل وعلا :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] ، وقال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] فمن أخصب تحير وليس من أخصب تخير !!

وقال الصادق ﷺ كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ : « **عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا** »[(١)] .

اللهم سلم ، سلم ، سلم يا رب العالمين .

أخي الحبيب : اعلم أن الصدق هو المحك الحقيقي بين الإيمان والنفاق ، نعم : المنافق كاذب ، من يكذب في أقواله وأعماله ؛ فليعلم يقيناً أنه من المنافقين بشهادة الصادق الأمين ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه : « **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ..** » أي علامة النفاق ثلاثة : « **إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ** » ـ أول علامة : لا يصدق في الحديث ـ « **وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ** » ـ كذب أيضًا في الوعود ـ « **وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** »[(٢)] ـ كذب أيضًا في تحمل الأمانة .. إنه الكذب .

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٤) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٠٧) .
(٢) رواه البخاري في الإيمان (٣٣) ، وفي الشهادات (٢٦٨٢) ، وفي الوصايا (٢٧٤٩) ، وفي الأدب (٦٠٥٩) ، ومسلم في الإيمان (٥٩/١٠٧) .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ﷺ :

« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » .

وفي لفظ : « إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَر ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » [1] .

وفي الصحيحين من حديث أم كلثوم بنت عقبة ، وستعجبون من عقبة هذا ـ عقبة ابن أبي معيط ـ ذلكم الكافر الكذاب الذي خنق النبي ﷺ يومًا حتى كادت أنفاسه أن تخرج ، والذي وضع الجزور على ظهر البشير النذير وهو ساجد ، يخرج من صلب هذا الرجل امرأة صحابية جليلة مباركة كريمة إنها أم كلثوم بنت عقبة ، تلك المرأة التي أنزل الله عز وجل فيها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة : إنها سورة الممتحنة ، إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ماذا تقول : ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : الرجل يصلح بين الناس إذا اضطر للإصلاح بين الناس فلا بأس إن عرف أن يستعمل التورية فهي أولى .

« مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنْ الْكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ » ، وشتان شتان بين هذا وبين النمام الذي يسعى بالنميمة بين الناس .. « وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ » إن اضطر إلى الكذب في الحرب ؛ ليضلل أعداء الله فلا حرج ، « وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ

---

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٥٩)، وفي الجزية والموادعة (٣١٧٨)، ومسلم في الإيمان (٥٩/ ١٠٦).

زَوْجَهَا » فلا بأس [١] ؛ ليكسب الزوج قلب امرأته ؛ ليستعمل كلمات رقراقة طيبة وإن كانت كلماته تصادف شعوراً يشعر به في قلبه فهذا من باب الرحمة التي جعلها الله خصلة بعد المودة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١] ، فإذا ذبلت وردة المودة أي الحب تبقى الرحمة لتظلل الرحمة سماء البيوت ؛ لتستمر الحياة ، اللهم املأ بيوت المسلمين بالمودة والرحمة أنت ولي ذلك ومولاه .

أيها الأفاضل ، على هذه الأخلاقيات ربى الصادق الذي لا ينطق عن الهوى أصحابه ﷺ فسادوا الدنيا في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً .

ثانياً : على سبيل الإيجاز ، الصدق ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

صدق في الأحوال، أي: في النيات:

وهو استواء الأعمال على الإخلاص : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]

وفي الحديث القدسي الصحيح الذي رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « **قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » [٢] .

وفي لفظ ابن ماجه : « **فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ** » [٣] .

---

(١) رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٢) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٠٥) .
(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٥) .
(٣) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٠٢) وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

فالله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه تبارك وتعالى ، الصدق في الأحوال ـ أي ـ في النيات واستواء الأعمال على الإخلاص

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » [(١)] والله جل وعلا يعلم السر وأخفى .

ثانيًا : **الصدق في الأقوال** :اللهم ارزقنا الصدق في الأحوال والأقوال والأعمال ، الصدق في الأقوال هو : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، الصدق في الأقوال هو أن تقول حقًا :

« كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » والحديث رواه مسلم [(٢)] .

وفي حديث أحمد من حديث النواس بن سمعان بسند حسنه الحافظ العراقي أن الحبيب النبي ﷺ قال : «كَبُرَتْ خِيَانَةً» يعني خيانة كبيرة : « كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ » [(٣)] .

أنت خائن يا من تفعل ذلك تحدث الأخ في حديث فترى الأخ منصتاً إليك ويصدقك وأنت تعلم يقيناً من نفسك أنك تكذب عليه ، اعلم أنك خائن خيانة كبرى « كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ » فالصدق في الأقوال أن تصدق في قولك .

لا يكذب رجل ، الرجل لا يكذب فضلاً عن المؤمن الصادق الذي ذاق حلاوة الإيمان ، الرجل الصادق لا يعرف الكذب في أقواله ؛ لأنه يعتز

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي (١)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٨٩)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧/ ١٥٥) .

(٢) رواه مسلم في المقدمة (٥/ ٥) .

(٣) حسن : رواه أحمد (٤/ ١٨٣) .

برجولته ، فضلًا عن دينه وإيمانه الذي يعصمه من الكذب، فالمؤمن الصادق يعلم يقينًا أنه ما نجا من نجا إلا بالصدق : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧،٨] سواء كان هذا العمل بالقلب أو باللسان أو بالجوارح ، كل شيء مسطر ، وكل صغير وكبير مستقر مسطر في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى .

يجلس الرجل على مقهى من المقاهي ـ مثلاً ـ أو على ناصية طريق من الطرق أو يجلس بين مجموعة من زملائه في العمل وهو يريد أن يثبت لهم أنه خفيف الظل خفيف الدم ، فيكذب على هذا ويهزأ من هذا ويحقر من هذا ، ويقول نكتة على هذا من أجل أن يضحك الآخرين ، وهو كاذب .

قال النبي ﷺ فيه ـ والحديث رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب وهو حديث طويل : أن ملكين جاءا رسول الله ﷺ قَالَا : انْطَلِقْ ، فانطلق النبي معهما ـ هكذا رأى النبي ﷺ في رؤياه قال ﷺ : « فَإِذَا أَنَا رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ... » نائم على قفاه « وَإِذَا بِرَجُلٍ آخَر قَائِمٌ عِنْدَهُ بِكلوبٍ مِنْ حَدِيدٍ » خطاف من حديد ، « وَقَدْ وَضَعَهُ فِي أَحَدْ شِقَّي وَجْهِهِ » كلوب حديد في هذا الجزء يجرجر به هذا الفم إلى قفاه ويجر منخره إلى قفاه ويجر عينه إلى قفاه ، فإذا انتهى من الجانب الأيمن عاد إلى الجانب الآخر بالكلوب يجذب فمه ومنخره وعينه إلى قفاه منظر مفزع مرعب ، فقال النبي ﷺ : « مَا هَذَا ؟ مَا هَذَا ؟ .. » فقال : «إِنَّهُ الرَّجُل يَكْذِبُ يَغْدُو» .. يعني يخرج من بيته في الصباح «فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ» [(١)] .

---

(١) رواه البخاري في التعبير (٧٠٤٧) بنحوه .

هذا عذابه وهذا جزاؤه والكذب في الأقوال معرة امتلأت كل المكاتب الآن بالكذب ، ودنست ونجست أنفاس جل المجالس الآن بالكذب ، ولو قدر الله أن تتغير رائحة الهواء بكلام الكذب ، والله ما طاق أحد منا أن يستنشق نسمة هواء ، والله لا أبالغ والله لا أبالغ ، فلقد انتشر الكذب حتى بين طلاب العلم إلا من رحم الله ففاكهة المجالس الآن الكذب والغيبة والنميمة .

وقد يدعي المرء كذبًا أنه ليس مغتابًا ؛ لأنه يستطيع أن يقول ما قاله في المجلس أمام من اغتابه وهو يزعم بذلك أنه يبرئ نفسه من الكذب ، كذب ، كذب ، وقعت الغيبة يقينًا وحتمًا ، فالغيبة كما قال الصادق : «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ : «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ** » [(١)] . والبهتان هو الظلم العظيم .

الصدق في الأقوال : قال سيد الرجال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ** » [(٢)] . كلمة ... وسأفرد إن شاء الله تعالى حقًا مستقلاً للكلمة ، فإن الأمر خطير .

أما الصدق في الأعمال : هو أن يصدق العبد أقواله بأعماله وأفعاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢،٣] ، فالصدق في الأعمال هو استواء الأعمال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد أن تصدق في

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٩/ ٧٠) .
(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٨) .

قولك وعملك ، أو تصدق عملك بقولك ، أو أن تصدق فعلك بكلمك ، هذا هو الصدق في الأحوال والصدق في الأقوال والصدق في الأعمال ، أسأل الله الكبير المتعال أن يرزقنا الصدق في الأحوال والأقوال والأعمال إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو الكبير المتعال .

ثالثًا : علامات الصدق :

وعلامات الصدق على وجه الإيجاز تتلخص في الآتي : طمأنينة القلب وثباته وسكينته ، فالصادق مطمئن القلب ثابت الإيمان يشعر بسكينة غامرة تملأ عليه أركانه وجوارحه ، نعم : فالصدق طمأنينة والكذب ريبة كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي من حديث الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : حفظت من رسول الله أو سمعت من رسول الله ﷺ أنه قال : « **دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ** »[1] ، فالصادق مطمئن القلب ثابت النفس لا يجزع إن عصفت الفتن بالناس ، فهو ثابت لا تزعزعه الفتن ولا تحركه الأعاصير ، أعاصير الشهوات ، أو الشبهات : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢] ، فالمؤمنون حينما رأوا الأحزاب ما زادهم هذا إلا إيماناً بالله ؛ لأنهم صادقون مصدقون لما قال الله ورسوله ، أما المنافقون لما رأوا الأحزاب قالوا : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:١٢] ، يعدنا رسول الله ﷺ بكنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يخرج

---

(١) رواه البخاري موقوفاً في البيوع ، باب (٣) عن حسان بن أبي سنان ، ووصله الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٨) وقال : حسن صحيح ، وأبو داود الطيالسي (١١٧٨) ، وأحمد (١/ ٢٠٠) ، وعبد الرزاق في المصنف (٤٩٨٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٤) وهو حديث صحيح .

ليتبول ، انظر إلى حال المنافق وحال المؤمن ، فالمؤمن الصادق ثابت القلب مطمئن النفس.

ومن علامات الصدق أن تصدق الأفعال الأقوال كما ذكرت الآن قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢، ٣] ، وقال جل وعلا : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤]

من علامات الصدق : الاستعداد للآخرة ، الصادق في إيمانه يغرس ويزرع ويعمل في الدنيا وقلبه معلق بالآخرة ؛ لأنه يعلم يقيناً أن دنياه مهما طالت فهي قصيرة ، ومهما عظمت فهي حقيرة ؛ لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر؛ ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر .

ومن علامات الصدق : حفظ الوقت ، المؤمن الصادق يعرف شرف زمانه ويعرف قيمة وقته قال الحسن البصري : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي بلسان الحال : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد ، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ، وصدق القائل :

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمري

فكان السلف أحرص الناس بعد الأنبياء على أوقاتهم وأزمانهم .

فمن علامات الصدق : أن تعرف شرف زمانك وقدر وقتك فتستثمر هذا الوقت وهذا الزمان في عمل للدين أو في عمل للدنيا ، لن يرضى الخلق جميعاً عن خالقهم سبحانه وتعالى ، فمنهم من كفر به ، ومنهم من سب الله ، ومنهم من اتهم الله بالبخل ، ومنهم من اتهم الله بالفقر ، ومنهم

من سب الملائكة وجعل الملائكة بناتًا إناثًا ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولم يرض كل الخلق عن سيد الخلق محمد ﷺ فلا ينبغي أن تتطلع إلى شيء لم يكن لله ولم يمنحه الله لرسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا .

ومن علامات الصدق أيضًا : أن تذكر الموت وأن تستعد للقاء الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الموت يأتي بغتة ، فالصادق في كل أحواله وأقواله وأفعاله متذكر للموت لا يغيب عنه لحظة ، ويرن في أذنيه قول الصادق : **«اذكروا هادم اللذات»** .

رابعاً : بإيجاز شديد جدًا : ثمرات الصدق :

أعظم ثمرة يجنيها الصادقون هي رضا رب العالمين (الرضا) ، اللهم ارزقنا الرضا ، اللهم ارض عنا يا رب ، اسمع : قال الله : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة:١١٩] . ثمرة الصدق رضا رب الأرض والسماوات ، فإن رضي الله عنك سعدت بهذا الجوار : ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٤،٥٥] ، الله سبحانه وتعالى يرضى عن الصادقين .

ومن أعظم ثمرات الصدق : أن الله ينجي الصادقين من الكربات والشدائد بصدقهم ، وكلكم يعلم قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ومنهم كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ذلكم الرجل الذي صدق رسول الله ، فنجاه الله بصدقه ، ذهب إلى النبي ﷺ وقال له رسول الله ﷺ : « **مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟!** » أي ألم تكن قد اشتريت الدابة ؛ لتلحق بها معنا إلى غزوة تبوك ؟ فقال كعب بن مالك : « **فَقُلْتُ : بَلَى إِنِّي وَاللهِ**

لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا »، يعني (لولا أنت لخرجت منها كما تخرج الشعرة من العجين) كما يقال .

يقول : « وَلَكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ » ، يعني إن حدثتك اليوم حديثًا أكذب به عليك بكلمات معسولة حتى ترضى عني يقول الرجل : فإنه على يقين بأن الله الذي يعلم السر وأخفى سيخبر رسوله ﷺ بما كان يكنه كعب بن مالك فيسخط الله عليه ، ويسخط عليه رسول الله ﷺ « وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ الله لَا وَالله مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَالله مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ » فقال النبي ﷺ : **« أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ »** .

فأمر النبي ﷺ أن يهجر المجتمع المدني كله ، أن يهجر الثلاثة الذين خلفوا ، انظروا إلى هذا الهجر الجماعي العجيب ، انظروا إلى هذه التربية الفذة الفريدة ، ثلاثة لا يكلمهم مسلم في المدينة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، بل وبعد أربعين ليلة يرسل النبي ﷺ إلى الثلاثة أن يهجروا الزوجات أيضًا ، فلا تكلم زوجة زوجها ويأمر ـ كعب بن مالك فإنه شاب أشب الثلاثة ـ امرأته أن تذهب إلى بيت أهلها خشية أن يكلمها أو تكلمه أو أن يجامعها ، أمر النبي ﷺ ألا يأتي واحدًا منهم امرأته ـ انظروا إلى هذه التربية ، ينطلق كعب بن مالك إلى الصلاة فيسلم على الناس فلا يرد عليه أحد ، يذهب إلى ابن عمه وهو أحب الناس إليه اضطر إلى أن يتسلق جداره ، وهو أحب الناس إليه ؛ ليسلم عليه ويقول له : ألا تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فلا يرد عليه يكررها عليه ثلاثاً ، فيرد عليه :

الله ورسوله أعلم . يا إلهي !! ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ورباهم الله ورباهم المربي الأعظم رسول الله ﷺ ، تربية فريدة في عالم التربية ، وبعد خمسين ليلة ينزل الله براءتهم من السماء ، يقف كعب بن مالك يصلي على سطح داره ، وإذا بصحابي جليل مبارك لما قرأ النبي ﷺ عليهم الآيات الكريمة الجليلة ببراءة الثلاثة هؤلاء ، انطلق هذا الصحابي المحب: يا كعب بن مالك، يا كعب بن مالك، يركب فرسه فسبق الصوت الفرس كما يقول كعب ، فسبق الصوت الفرس لحب هذا الصحابي كعب بن مالك ولفرحه بتوبة الله عليه .

« يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ » قال : فبشره بتوبة الله عليه قال كعب : فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فجلست بين يديه ـ اسمع ماذا يقول كعب ـ قال : فرأيت النبي ﷺ وقد سر ـ سعد ـ قال : وقد كان النبي ﷺ إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر ، وكان النبي ﷺ إذا سر وفرح استنار وجهه كأن وجهه فلقة قمر ـ قطعة قمر ـ فقال الرسول ﷺ : « **أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ** » .

فقال كعب بن مالك الفقيه : قَالَ قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟

قال : « **لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ الله** » .

والله والله ما نجى كعب بن مالك إلا صدقه بشهادة النبي ﷺ : « **أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ** » [1] .

---

(١) الحديث رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨) ، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩/ ٥٣) .

فمن أعظم ثمرات الصدق لمن يظن أن الكذب منجاة ، لا بل الصدق هو طريق النجاة فبفضل الله الصدق يفرج الشدائد والكربات .

ومن أعظم ثمرات الصدق : أن يختم الله بخاتمة الصدق لأهل الصدق ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧] أو لم تسمع مني آنفًا قول الصادق رسول الله ﷺ :

« وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا »

فيختم له بخاتمة الصديقين ويبعث يوم القيامة ويحشر مع الصديقين ويحشر إلى الجنة كذلك مع الصديقين . لا أريد أن أطيل النَّفَس في ثمرات الصدق ؛ لأنني أود أن أقف وقفة ولو سريعة مع الصديقين ، لكن دعونا نقف هذه الوقفة مع هؤلاء الأبرار ، أما المحور الأخير من محاور هذا الموضوع :

وقفة مع الصادقين :

فلنقف وقفة يسيرة مع الصادقين . ومن أعجب ما قرأت وأستهل به هذه الوقفة ما رواه الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط الشيخين وأقر الحاكم الذهبي ، وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد : ورجاله رجال الصحيح ، من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه : بينما راع يرعى غنمه إذ عدى ذئب على شاة من الأغنام ـ هجم ذئب على شاة ـ فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ـ يعني ـ أسرع الراعي ليخلص الشاة من الذئب فأقعى الذئب على ذنبه ـ يعني ـ جلس الذئب على مؤخرته والتفت إلى الراعي وقال الذئب : يا عبد الله ، تأخذ مني رزقاً ساقه الله إلي ؟! فقال

الرجل : يا عجباه يا عجباه !! ذئب يتكلم بكلام الإنسان فرد الذئب عليه فقال : ألا أخبرك بأعجب مني ؟! قال : ما هو ؟! قال : رسول الله بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، فزوى الرجل أغنامه ـ أي جمعهم ـ في مكان ، وعاد إلى النبي ﷺ فأخبره فخرج النبي ﷺ معه ، فأخبر الرجل الناس بما رأى وبما سمع فقال النبي ﷺ :

« صَدَقَ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِ » [(١)] .

وفي رواية الصحيحين ـ هذا لفظ الحاكم في المستدرك ـ في رواية الصحيحين من حديث أبي هريرة : بينما راع يرعى الغنم إذ عدى ذئب على الغنم فأخذ شاة ، فحال الراعي بينه وبينها ، فقال الذئب : فمن لها يوم السبع إذ لا راعي لها غيري ؟

أي إن كنت استطعت أن تخلص الشاة اليوم فمن يخلصها يوم السبع؟

وفي هذا أقوال لأهل العلم ، والذي يميل إليه قلبي وفهمي ، من لها يوم السبع أي في يوم الفتن ؛ إذ لا يرعاها إلا الذئب ، أو يوم لا يرعى الأغنام إلا الذئاب في آخر الزمان يوم تحل البركة على الأرض ، فمن لها يوم السبع إذ لا راعي لها غيري ، فجاء الراعي إلى النبي ﷺ فأخبره ـ اسمع ـ فقال النبي ﷺ : « إِنِّي أُؤْمِنُ بِهَذَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ » . وما ثم أبو بكر وعمر [(٢)] .

يعني الرسول يقول : أنا أصدق هذا أنا أؤمن به (ويصدقه معانا أبو بكر وعمر) وأبو بكر غير موجود وعمر غير موجود ، وهذه منقبة لأبي بكر وعمر إذ يشهد النبي ﷺ لهما بتصديقهما لما يصدقه رسول الله ﷺ : « إِنِّي

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٤٦٧ ، ٤٦٨) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .
(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٨) .

أُؤْمِنُ بِهَذَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ » وما ثم ـ أي ـ لا يوجد أبو بكر وعمر .

وهذا أنس بن النضر رضوان الله عليه ـ كما في الصحيحين ـ لم يشهد بدراً مع رسول الله ﷺ فيقول : أول مشهد مع رسول الله لا أشهده ، والله لئن شهدت مشهداً مع رسول الله لأرين الله ما أصنع ، فشهد أحداً ففعل الأعاجيب .

لقيه سعد بن معاذ وهو ينطلق ويقول له : إلى أين يا أنس ؟

فيقول أنس : واها لريح الجنة !! إني لأجد ريح الجنة دون أحد .

فانطلق أنس فقاتل حتى قتل فما عرفه أحد بعد المعركة ، ما عرفته إلا أخته ببنانه وفيه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم[1]

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب:٢٣] .

كلنا يعلم قصة الصبيين الكريمين ، والحديث في الصحيحين من حديث عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ :

« إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ يَا عَمِّ ، أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ فَقُلْتُ : يَا ابْنَ أَخِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : عَاهَدْتُ اللهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ.

يقول عبد الرحمن بن عوف : فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ قَالَ : فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا ، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدًّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥) ، وفي المغازي (٤٠٤٨) ، ومسلم في الإمارة (١٤٨/١٩٠٣) .

ضَرَبَاهُ »[1] .

صدقا ما عاهدا الله عليه .

وأنا ألمح في هذه الأيام صورة من أروع صور الصدق يسطرها أطفال على أرض فلسطين إنها ملحمة من ملاحم الصدق في زمان الكذب ، أي في زمان انتشر فيه الكذب .

فأنا لا أعيب زماننا ، حاشا لله وكلا ، أرى ملحمة تسطر بالدماء الذكية لا بالأقوال الفارغة ، ولا بالمؤتمرات التي نرى فيها جرذاناً يصافح بعضها بعضا ، ولا بالكلمات الميتة الساكنة كسكون مياه البحر الميت .

ملحمة من ملاحم الصدق تسطر بالدماء ، تزين بالأشلاء ، تلك الملحمة التي أذهلت العالم كله ، شباب في عمر الورد ، شباب في عمر الزهور المتفتحة .

فتيات في عمر الورد وفي عمر الزهور المتفتحة ، بل شيوخ ، رجال أمهات أطفال ، اجتمع هذا الشعب الكريم المبارك ؛ ليسطر هذه الملحمة الرائعة من ملاحم الصدق في زمان انتشر فيه الكذب ، في التصريحات والأقوال والأفعال ؛ ليثبتوا للعالم كله أن محمداً ما مات وما خلف محمد بنات ، بل خلف رجالاً أطهارًا أبرارًا جسدوا الصدق على أرض سطرت بالكذب ودنست بالكذب ، جسدوا الصدق على هذه الرمال الطاهرة ، وعلى هذا الثرى المبارك بدمائهم وهم يرددون مع الصحابي الصادق وأحدهم يقتحم الأهوال ويواجه الطائرات والصواريخ والدبابات ، أحدهم يقتحم بصدره الأهوال يبحث عن الشهادة بصدق عجيب .

أسأل الله أن يجعلهم كذلك عنده من الصادقين وأحدهم يردد قولة

---

(١) رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٤١) ، ومسلم في الجهاد (١٧٥٢/ ٤٢) .

الصحابي الصادق :

غـدًا ألقى الأحبة محمـدًا وصحبه

إنه الصدق والله ، فلو وقفت مهما وقفت عند هذه الملحمة الرائعـة مـن ملاحم الصدق على هـذا الثـرى الطـاهر ، علـى الأرض المباركـة لهـؤلاء الشباب والأطفال ما كفانا مجلدات .





حقوق يجب أن تعرف

حق الصبر



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الصبر

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة ألا وهو «**حق الصبر**» .

وهو حق جليل عظيم كبير ، ما أحوج الأمة الآن إليه في زمن كثرت فيه المحن والابتلاءات .

وسوف أحصر في هذا الموضوع والحق الجليل في العناصر المحددة التالية :

أولاً : حقيقة الصبر ومراتبه .

ثانيا : منزلة الصبر في القرآن والسنة .

ثالثاً : مع الصابرين .

وأخيراً : كيف تحقق الصبر ؟

فإن هذا الموضوع الآن من الخطورة والأهمية بمكان ، والله أسأل أن يجعلنا جميعًا من الصابرين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : حقيقة الصبر ومراتبه :

الصبر لغة : هو الحبس والمنع فهو حبس اللسان عن الشكوى وحبس النفس عن الجزع وحبس الجوارح عن المعاصي .

وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

صبر على المأمور : هو الصبر على الطاعة .

وصبر عن المحظور : أي صبر عن المعصية .

وصبر على المقدور : أي : صبر على ما قدره الله تبارك وتعالى من المحن والمصائب والابتلاءات .

فأقسام الصبر: صبر على المأمور وهو : الصبر على الطاعة وهذا أجل أنواع الصبر ، أن تصبر على طاعة الله جل وعلا ، وأولو العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أعظم صبراً على الطاعة ، من أجل ذلك أمر الله نبينا ﷺ أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فقال الله سبحانه لنبينا ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥] . فالصبر على الطاعة هو أعلى درجات الصبر .

روى البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« قَالَ الله تَعَالَى فِي الحَدِيثُ الْقُدْسِيّ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ » .

هذا هو الصبر على الطاعة ، التقرب إلى الله جل وعلا :

« وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » [(١)] .

فالدرجة الأولى والعالية من درجات الصبر أن تصبر نفسك على طاعة

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤) ، والبيهقي في الزهد (٦٩٠) .

الله جل وعلا .

القسم الثاني : صبر عن المحظور :

أي صبر عن المعصية وهذا هو صبر المحبين هذا هو صبر المحبين لرب العالمين ، فالعبد المحب لله يصبر عن المعصية إجلالاً لسيده ومولاه ؛ لأنه لا يحب أن يراه الله على معصية .

قيل لحاتم الأصم : يا حاتم ، بم حققت التوكل على الله ؟ قال : بأربعة أشياء : علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي ، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به ، وعلمت بأن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله، وعلمت بأن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية . فالمعصية شؤم في الدنيا والآخرة .

روى الإمام الحاكم في مستدركه وابن ماجه في سننه بسند صحيح من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » [1] .

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩) ، والحاكم (٤/ ٥٤٠ ،٥٤١) وصححه ووافقه الذهبي .

هذا شؤم المعصية في الدنيا ، والمعصية سبب الهلاك أيضاً في الآخرة ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٧] .

فالصبر عن المعاصي : هو صبر المحبين الذين يعرفون جلال الله وقدر الله ، فإن زلت أقدامهم في بؤرة معصية ونجست المعصية ثيابهم سرعان ما جذبوا ثيابهم وطهروها بدموع الأوبة والتوبة والندم ، فلقد ذكر الله المتقين في قرآنه وذكر من صفاتهم أنهم ربما يقعون في الفاحشة ، لكن الفارق بين التقي وبين الشقي أن التقي إن زل في المعصية ذكر الرب العلي فاستغفر الله وتاب إليه قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥] ، فالصبر عن المعصية من أجلّ درجات الصبر .

الصبر عن المحظور أي : الصبر عن المعصية .

والقسم الثالث: الصبر على المقدور:

أي على ما قضاه الله وقدره ربك عليك من المحن والمصائب والبلايا

وهذا صبر الصديقين ، فالصبر على البلاء هو المحك العملي الذي يبين حب العبد لربه ، الصبر على البلاء هو المحك العملي الذي يبين حقيقة رضا العبد عن ربه جل وعلا ، والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمانك إلا به كما في الحديث الذي رواه مسلم وغيره من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيه أن جبريل ـ عليه السلام ـ سأل نبينا ﷺ عن الإيمان فقال المصطفى ﷺ :

« الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »[1] .

فالمؤمن يعلم أنه لا يقع شيء في الكون إلا بقدر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] فإن الصبر على البلاء رفع الله عز وجل مكانته ، حتى ولو اشتكى إلى الله سبحانه فالتحقيق: أن الشكوى نوعان : شكوى إلى الله، وشكوى من الله ، الشكوى من الله تنافي الصبر ، أما الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، فلقد ذكر الله يعقوب عليه السلام وذكر قولته الجميلة حينما فقد ابنه يوسف ـ عليه السلام ـ قال يعقوب : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨] ، ومع ذلك فقد شكى يعقوب إلى ربه جل وعلا فقال الله تعالى حكاية عنه : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:٨٦] ، وأثنى الله على أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقال سبحانه في حقه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤] ، ومع ذلك فقد شكا أيوب إلى ربه العزيز الوهاب قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣] ، فالصبر

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨/ ١) .

الجميل على البلاء هو : الصبر الذي لا شكوى معه بهذا التحقيق الذي أصلته، الصبر الذي لا هلع فيه ولا شكوى فيه من الخالق إلى المخلوقين ، فاشك إلى الله لا حرج عليك فإلى من تشكو إن لم تشكو حالك إلى أرحم الراحمين .

بـك أسـتجير ومـن يجـير سـواك فـأجر ضـعيفا يحتمـي بحـماك

إني ضـعيف أسـتعين عـلى قـوي ذنبـي ومعصـيتي بـبعض قـواك

أذنبـت يـا رب وقـادتني ذنـوبي مـا لهـا مـن غـافر إلاك

دنيـاي غرتنـي وعفـوك شـدني مـا حيلتـي في هـذه أو ذاك

لـو أن قلبـي شـك لم يـك مؤمنـا بكـريم عفـوك مـا غـوى وعصـاك

رباه هـا أنـا ذا خُلِّصـت مـن الهـوى واسـتقبل القلـب الخـلي هـداك

رباه ... قلب تائب ناجاك

أتـرده وتـرد صـادق تـوبتي حاشـاك تـرفض تائبـا حاشـاك

فليرض عني النـاس أو فليسـخطوا أنـا لم أعـد أسـعى لغـير رضـاك

الجأ إلى الله واشك حالك إلى الله واطرح قلبك بذل وانكسار بين يدي سيدك ومولاك قال جل وعلا :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

هذه هي حقيقة الصبر فما هي مراتب الصبر بإيجاز شديد ، قال أهل العلم : الصبر له ثلاث مراتب : صبر بالله ، وصبر لله ، وصبر مع الله .

ما حقيقة هذه المراتب ؟

صبر بالله وهذا هو المراد بقول الله لسيدنا رسول الله ﷺ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧] ، فأنت لا تستطيع أن تصبر إلا إذا استعنت بالله ، فصبرك طلب العون والمدد منه سبحانه ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ يعني : لا يستطيع العبد أن يصبر بنفسه إلا إذا وفقه الله لذلك .

أما الصبر لله فهو الصبر الجميل ، اصبر لله لا تجملاً للناس ولا خوفًا منهم ، لا خوفًا من الناس حتى يقول الناس ، جزع فلان ولا تجملا للناس من أجل أن يقولوا : صبر فلان ، بل الصبر الجميل هو الذي تبتغي به وجه الله وجه الرب الجليل سبحانه وتعالى ، هذا هو الصبر لله ، أما الصبر مع الله : هو أن تصبر مع أحكام الله وشرعه وأن تدور مع القرآن والسنة وأن تمتثل الأمر وأن تجتنب النهي وأن تقف عند الحد ، وأنت في غاية الحب لله والرضا عن الله . نسأل الله أن يرزقنا الصبر وأن يجملنا وإياكم به إنه ولي ذلك والقادر عليه ، هذه حقيقة الصبر ومراتبه بإيجاز شديد فتعالوا بنا بعد هذا التأصيل الجميل للصبر لغة واصطلاحاً لنقف على اليسير من القرآن والسنة لنتعرف على منزلة الصبر عند الله وعند رسوله .

وهذا هو عنصرنا الثاني :

منزلة الصبر في القرآن والسنة :

لقد جعل الله الصبر جوادًا لا يكبو .. وحصنا لا يهدم .. وجندًا لا يهزم . أكررها : ومن بركة العلم أن ننسب العلم لأهله فهذا من نفيس كلام ابن القيم لله دره قال : إن الله قد جعل الصبر جوادًا لا يكبو وحصنًا لا يهدم وجندًا لا يهزم ، ولقد بين الله مكانة الصابرين عنده ، تدبر معي فقال

سبحانه في سورة آل عمران : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

أخي هل فكرت في الآية اسمح لي أن أكررها عليك تدبرها ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ دعني أفصل لك كيف يكون حالك لو علمت الآن أن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يحبك ؟ ثم كيف يكون حالك لو علمت أن الفاروق عمر يحبك ، ثم كيف يكون حالك لو علمت أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يحبك ؟ ثم كيف يكون حالك لو علمت أن الصديق أبا بكر يحبك ؟ ثم هل فكرت كيف يكون حالك إذا علمت أن المصطفى يحبك ؟ فهل فكرت كيف يكون حالك إذا علمت أن ملك الملوك يحبك ؟ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

أيها الصابر ، أنت محبوب من الله ، أنت قريب من الله ... الله يحبك يا من صبرت على الطاعة ، الله يحبك يا من صبرت عن المعصية وأنت تشتهيها ، الله يحبك يا من صبرت على البلاء والمحن تدبر معي قول ربك جل جلاله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥] ، الله يأمر حبيبه المصطفى أن يبشر الصابرين قال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥] ، من الصابرون بنص القرآن ؟ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] ، علموا أنهم ملك لله وعلموا أنهم عبيد لله ، وعلموا أن الملك يتصرف في ملكه كيف شاء فصبروا وقالوا : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ ملك له سبحانه فليفعل المالك فيما يملك كيف شاء ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] ، انظر إلى فضل الله عليهم وكرامة الله لهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾

[البقرة:١٥٧] ، أي : ثناء من الله عليهم وقال سعيد بن جبير أي : أمنه لهم من العذاب : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ [البقرة:١٥٧] ، الله يرحمك أيها الصابر ورب الكعبة سيذيقك ربك برد الرحمة يا من صبرت ابتغاء مرضاة الله سيذيقك الله برد الرحمة :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٧] .

قال عمر ـ رضوان الله عليه : نعم العدلان ونعمت العلاوة .

أما العدلان : فهما صلوات من الله ورحمة من الله .

أما العلاوة : وهي التي توضع بين العدلين أي بين كفتي الميزان فهي : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٧] هداية من الله ورحمة من الله وثناء من الله ، لمن صبر لوجه الله سبحانه وتعالى ، لمن صبر على الطاعة ، لمن صبر عن المعصية ، لمن صبر على المحن والمصائب والفتن والابتلاءات وما أكثرها ، فما أكثر المحن التي تتنزل الآن على رؤوس المسلمين في الداخل والخارج على السواء .

اصبر فعاقبة الصبر خير في الدنيا والآخرة بل لا تنال الإمامة في الدين إلا إذا زوجت الصبر باليقين وتحليت بهما ، قال رب العالمين : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] ، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ [الأنبياء:٣٥] ، فالابتلاء بالشر هو مناط الصبر والابتلاء بالخير هو مناط الشكر ، ابتلاء بالشر هو مناط الصبر ، وابتلاء بالخير وهو مناط الشكر ، فالابتلاء بالشر والخير على السواء ، بل قد يكون الابتلاء بالخير أقسى من الابتلاء بالشر ؛ لأن الابتلاء بالخير قد ينسي

صاحبه ، وقد يلهي صاحبه ، فمن ابتلاه الله بالخير والنعم فشكر وتحدث بنعم الله ظاهرًا وباطنًا فهو الموفق .

أما الابتلاء بالشر فقد يصبر صاحبه صبر اضطرار وليس صبر اختيار ، فصبر الاختيار هو صبر الصديقين الأبرار الذين يحبون الله جل جلاله ويعلمون أنهم وإن سجدوا لله حتى يلقوه ، ما استطاع أحدهم أن يوفي ربه حقه تبارك وتعالى ، ثم بين الله جل جلاله كرامة الصابر فقال سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦] ، والمعية هنا هي المعية الخاصة ، معية التأييد والنصر والحفظ واصبروا إن الله مع الصابرين ، الصابر يحبه الله والصابر معه الله .

إن كان الله يحبك فعلى أي شيء تحزن ، وإن كان الله معك فمن أي شيء تخاف؟

إن كان الله يحبك فعلى أي شيء تحزن ؟ مصيبة في المال مصيبة في الأولاد مصيبة في الزرع والضرع ، ما قيمة هذه المصيبة إن وقفت على عظم الجزاء وفضل الثواب إن كان الله يحبك .. تدبر قول الله جل وعلا : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٣،٢٤] ، ثم يبين الله جل وعلا أن أجر الصبر لا يعلمه إلا الله فيقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] ، والآيات كثيرة .

بل ستعجب إذا علمت أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله قال : لقد ذكر الله الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعاً ، لقد ذكر الله الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعًا ، فعند أي المواضع نقف وبأي الآيات نذكر ،

فإذا كانت الحكمة العربية القديمة تقول : من أخصب تخير ، فإني أجدها تنقلب علينا في هذا المقام أراها من أخصب تحير ، فعند أي آيات الصبر نقف ، وعن أي آيات الصبر نتحدث ، وبأي آيات الصبر نذكر ، فاسمع بعد هذه الآيات ما قاله رسول الله حبيب رب الأرض والسماوات ﷺ وهو يبين لنا مكانة الصبر فيقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه :

« عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (١) .

فالمؤمن في السراء والضراء على أجر إن صبر في الضراء وإن شكر في السراء، واسمع لقول حبيب رب الأرض والسماء كما في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وكذا من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » (٢) .

أي فضل هذا ! حتى الشوكة يطهرك الله بها حتى الهم والغم حتى الوجع صداع في رأسك هم في صدرك حزن في قلبك ، أذى تعرضت له في بدنك، أو عرضك ومالك أو امرأتك ، أو ولدك يكفر الله عز وجل بهذا البلاء كله خطاياك .

تدبروا أيها الأفاضل حتى لا يخطئ أحد في حق سيده ومولاه ، فإن الله لا يبغى على أحد ولا يظلم ربك أحدا ، فإذا وقع بك ما تحبه فاحمد الله على

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤) .

(٢) رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١،٥٦٤٢) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٣/ ٥٢) ، والترمذي في الجنائز (٩٦٦)، وأحمد (٣/ ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٨١) .

ذلك ، وإن وقع بك ما تكرهه فاحمد الله على ذلك أيضاً ، واصبر فإن الله عنده حسن الثواب ، كم ستعيش سنوات قليلة في حساب الزمن لا تساوي شيئاً على الإطلاق وينتظرك الثواب الأعظم عند الله سبحانه وتعالى ، يا من ابتليت بأي صورة من صور البلاء فصبرت وأنت في غاية الحب لله ، والرضا عن الله سبحانه وتعالى ، اسمع لقول نبيك ﷺ كما في الحديث الذي رواه البخاري وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟

فَقَالَ: « الْأَنبِيَاءُ ـ الأنبياء أحب الخلق إلى الله أقرب الخلق إلى الله هم أشد الناس بلاء ـ الْأَنبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ » (١).

قال الصادق : « فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » .

فالبلاء يطهرك ، المحن والمصائب يرفعك الله بها إن صبرت على بلاء الله ، وإن صبرت على قضاء الله وقدر الله سبحانه وتعالى .

وفي الصحيحين من حديث أنس وفيه أنه ﷺ قال :

« مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » (٢) .

فالصبر ضياء ، الصبر نور ، الصبر ضياء يضيء لك طريق الحق ، والأحاديث في هذا الباب أيضاً كثيرة ، لكن تعال لنطبق عمليًا ما أصَّلناه

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥) ، والترمذي في الزهد (٢٣٩٨) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣) ، والدارمي (٢٧٨٣) وسنده صحيح .
(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٤٦٩) ، ومسلم في الزكاة (١٠٥٣/ ١٢٤) .

لندخل بستان الصابرين .

وهذا هو عنصرنا الثالث :

مع الصابرين :

أولو العزم من الرسل هم أعظم الناس صبرًا لله سبحانه وتعالى ، نبي الله نوح الذي صبر صبراً تنوء به الجبال ، رجل يصبر على طاعة الله بالبلاغ والدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا ما ملَّ وما كل وما عرف التعب وما ذاق الراحة قال : ﴿ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:٥-١٣] .أي : ما لكم لا توحدون الله حق توحيده ولا تعبدون الله حق عبادته ولا تقدرون الله حق قدره ولا تجلون الله حق جلاله ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٣] صبر عجيب !!

وهذا خليل الرحمن الذي قدم بدنه للنيران وقدم ولده للقربان ، صبر فريد في تاريخ البشرية أن يصبر أب حنون حُرم من الولد سنوات طويلة ورزقه الله الولد على كبر ومع ذلك يؤمر بذبح ولده فيصبر . بالله عليكم فكروا في هذا الذي أقول : أي كلام يستطيع به عالم أديب أن يجسد به صبر إبراهيم وكيف ننسى صبر إسماعيل الذي قال لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا

تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢] .

أرأيـتم قلبـا أبويـا يتقبـل أمـرا يأبـاه
أرأيـتم ابنـا يتلقـى أمـرًا بالـذبح ويرضـاه
ويجيب الابن بلا فزع افعل ما تؤمر أبتاه
لـن أعصي الله أمـرًا مـن يـعصي يومًـا مـولاه
واستل الوالد سكينا واستسلم ابن لرضاه
ألقـاه برفـق لجبـين كـي لا تتلقـى عينـاه
وتهـز الكـون ضرعـاة ودعـاء يقبلـه الله
تـتضرع للـرب الأعـلى أرض وسـماء ومياه
ويجيب الحق ورحمته سبقت في فضل عطاياه
صـدقت الرؤيـا لا تحـزن يـا إبـراهيم فـديناه

أي صبر هذا أي صبر !! أن يصبر والد على ذبح ولده ، وأن يصبر ولد على ذبح والده له ، صبر عجيب والله لو اجتمع علماء الأمة ببلاغتهم وفصاحتهم ما استطاعوا أن يجسدوا هذا الصبر الفذ في تاريخ البشرية من أولها إلى آخرها. ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات:١٠٢-١٠٥] .

وإذا ذكر الصبر فلابد وأن نذكر جبلاً من جبال الصبر ألا وهو نبي الله أيوب جبل فذ من جبال الصبر ، كلما قرأت قصته في قرآن ربنا كاد والله عقلي

أن يطيش ، رجل كريم صابر فقد ماله كله ومات أهله أجمعون لم تبق إلا امرأته وفقد العافية تماماً ، ابتلاه الله في ماله ، ابتلاه الله في أولاده ، ابتلاه الله في بدنه فأقعده المرض في الفراش ، وأود قبل أن أبين صبر نبي الله أيوب أن أحذر فقط سريعاً من هذا الكذب العريض الذي شحنت به الكتب في قصة نبي الله أيوب من جنس هذا التضليل الذي يقول بأنه مرض وامتلأ جسمه بالدود ، وكان إذا وقعت دودة على الأرض أخذها ووضعها في بدنه مرة أخرى ، وانبعثت منه رائحة نتنة كريهة حتى هجره كل الناس !! كذب عريض يستحي العقل الشريف أن يقبله ولا تصدقه الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الله جل في علاه قد نزه أنبياءه ورسله من ابتلاء ينفر القلب ، كذب عريض فنبي الله أيوب ابتلاه الله في أولاده وفي ماله ، وفي بدنه فأقعده المرض في الفراش ، اختلفت الروايات في المدة التي مكث فيها أيوب في البلاء ، ذكر بعض أهل التفسير ، أن امرأة أيوب لما ذهبت إليه لتطلب منه أن يتضرع إلى الله بالدعاء قال لها : لقد عافاني الله سبعين سنة أفلا أصبر لله سبعين سنة .

لكن أصح الأقوال في مدة الابتلاء التي ابتلي بها نبي الله أيوب ما ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه ، وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ، وابن جرير وأبو يعلى الموصلي ، ورواه كذلك البزار وقال الإمام الهيثمي في المجمع : ورجال البزار رجال الصحيح من حديث أنس أن سيدنا رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ أَيُّوب نَبِيُّ الله لَبِثَ فِي بَلَائِه ثَمَانِي عَشْرَة سَنَةً » يا من تجزع وتهلع وهذا نبي كريم قال :«إِنَّ أَيُّوب نَبِيُّ الله لَبِثَ فِي بَلَائِه ثَمَانِي عَشْرَة سَنَةً حَتَّى رَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مِنْ خَواصِّ رِجَالِهِ » هكذا يقول النبي ﷺ : « كَانَا يَغْدوانِ عَلَيْهِ وَيَرُوحَانِ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ يَوْمًا : وَالله لَقَدْ أَذْنَبَ

أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِين .. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةٍ لَمْ يَرْحَمْهُ الله فَيَكْشِفُ مَا بِهِ ... » إلى آخر الحديث [١] .

هنا وهنا فقط خشي أيوب الفتنة ، انظروا إلى أنبياء الله ، فتضرع إلى الله بهذا الدعاء المؤدب الودود المهذب الذي يبين أدب نبي الله مع سيده ومولاه قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣]

﴿ مَسَّنِىَ ﴾ لم يقل : هدني ، لم يقل : أهلكني ، لم يقل : ذبحني ، لم يقل : قتلني ، لم يقل : ما هذا الظلم ؟ ما هذه الشدة ؟ ما هذه القسوة ؟ لكن انظروا إلى الأدب إلى أدب من ذاقت قلوبهم حلاوة الأنس بالله ، إلى أدب من عرفت قلوبهم جلال الله ، إلى أدب من وحدت قلوبهم ربهم جل جلاله ، لقد أنعم الله عليه بقلب امتلأ بالحب لله والرضا عن الله ، وأنعم الله عليه بلسان لم يفتر لحظة في هذه السنوات عن ذكر الله .

وهذه ورب الكعبة هي الحياة فالذاكر لله حي وإن قتلت منه جميع الأعضاء والغافل عن ذكر الله ميت ، وإن تحرك بين الأحياء ، قال حبيب رب الأرض والسماء كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » فأيوب حي وإن حبست أعضاؤه فقلبه شاكر ولسانه ذاكر . اللهم ارزقنا قلباً شاكراً ، ولساناً وجسداً على البلاء صابرًا .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣] الله ، والله ما أحلاه من دعاء ، والله ما أشرفه وما أكرمه من دعاء :

---

(١) صحيح : رواه أبو يعلى (٣٦٠٥) ، والحاكم (٢/ ٥٨١ ، ٥٨٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٦٠) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٠٨) : رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[الأنبياء:٨٣]

انظر إلى الإجابة بفاء الترتيب والتعقيب : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾

[الأنبياء:٨٤]

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن الله رد عليه أولاده بعدد مضاعف . اسمع أمطر الله عليه من السماء جراداً من ذهب ليس مالاً عاديًا ، بل أمطر الله الكريم سبحانه عليه جراداً من ذهب ، وجعل نبي الله أيوب يأخذ من الجراد ويضع في حجره ، يأخذ ويضع في حجره فناداه ربه وقال : يا أيوب ، أما تشبع ؟! فقال أيوب لربه : ومن يشبع يا رب من رحمتك ؟! [(١)] .

إنه الصبر وهذه ثمرته: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الزمر:١٠]

ثم هل من الأدب أن نتحدث عن الصبر وأن ننسى سيد أهل الصبر من الذي صبر كصبر الحبيب المصطفى ﷺ والله لا أحد ، والله لا أحد قال له ربه: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر:٢] فقام ولم يذق طعم الراحة حتى لقي مولاه .

صَبَر صبرًا تنوء بحمله الجبال وضع التراب على رأسه فصبر ، وضعت النجاسة على ظهره فصبر ، خنق حتى كادت أنفاسه أن تخرج فصبر ، طرد من بلده فصبر ، رمي بالحجارة في الطائف فصبر ، كسرت رباعيته في أحد فصبر ، شج وجهه ونزف دمه فصبر ، وقالت له عائشة كما في الصحيحين من حديث

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٠٤، ٤٩٠، ٥١١) وسنده صحيح .

عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت للنبي ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ فقال المصطفى :

« لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ » وأنتم تعلمون ما فعله أهل الطائف بالنبي ، طردوه وسبوه وضربوه بالحجارة ، يقول : « فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ » .

بالله أرجو أن تتدبر هذا الهم الذي حمله النبي في قلبه لدرجة أنه مشي ما يزيد على سبعة كيلو مترات لم يشعر بشيء ولم يستفق من كثرة الهموم في قلبه إلا بسحابة قد أظلته ، فرفع رأسه فرأى في السحابة جبريل ـ عليه السلام ـ يسلم عليه ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، لقد سمع الله قول قومك لك وقد أرسل الله إليه ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، يقول المصطفى :

« فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ » .

والأخشبان : جبلان عظيمان ، يقال للأول : أبو قبيس ، ويقال للثاني : الأحمر، لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت .. ماذا قال سيد الصابرين؟ ماذا قال سيد الصابرين ؟ ماذا قال من لم ينتقم لذاته ولنفسه ؟

والله لو انتقم النبي ﷺ لنفسه لأمر ملك الجبال فحطم ملك الجبال هذه الرؤوس الصلدة ، والجماجم المتعنتة العنيدة ، ولسالت أودية من الدماء يراها أهل مكة بمكة وهي تفيض إليهم من الطائف ، ولكن رسول الله ما خرج ليثأر

لنفسه قط وما انتقم لذاته أبداً .. قال ملك الجبال : لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت فقال الرحمة المهداة :

« بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »[1] .

صبر من رسول الله ، هذا صبر الحبيب ، هذا صبر الحبيب يأتيه خباب ابن الأرت قال : والحديث في البخاري وغيره ويقول :

شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ، أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ :

« قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحدِيدِ مَا دُونَ لحمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ »[2] .

لم يستعجل حبيب الله ، لم يستعجل رسول الله ﷺ أذى فصبر صبرًا تنوء بحمله الجبال الراسيات فسيد الصابرين هو نبينا محمد ﷺ .

أيها الأكارم :

وهذه امرأة سوداء حديثها في الصحيحين عن عطاء بن أبي رباح قال : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١) ، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥/ ١١١) .
(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢) ، وفي مناقب الأنصار (٣٨٥٢) .

السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ الله لِي قَالَ :

« إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ »

فَقَالَتْ : أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ الله لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا [1].

ثم قالت هذه العفيفة :

لكني أتكشف يعني إذا صرعت ظهرت سوءتي وعورتي فادعُ الله لي . يعني لئلا أتكشف فدعا رسول الله لها .

فكانت تصرع ولا يكشف ثوبها استجابة من الله لدعاء الحبيب ﷺ وصبرت وهي مبشرة على التحقيق بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى .

أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم الصبر وأن يجعلنا من أهله .

وأخيراً : كيف نحقق الصبر ؟

والجواب في نقاط سريعة جدًّا :

أولاً : صدق الاستعانة بالله ، فلقد بينت أنك لن تتمكن من الصبر إلا إذا صبرك الله جل وعلا .

ثانياً : التفكر في عظيم الثواب :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] .

فإذا نظرت إلى عظيم الثواب صبرت على الابتلاء لأوقات وسنوات قليلة.

ثالثاً : النظر في نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فإن ابتليت ببلاء فانظر

---

(١) رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٦/ ٥٤) .

إلى نعم الله السابغة عليك ، وإلى فضل الله عليك لتنسى بهذه النعمة ما أنت فيه من بلاء .

رابعاً : فلقد قال رجل من الصالحين لرجل من الصالحين وقع فانقطعت إصبعه ونزف الدم من أصبعه فضحك : (لما أصبعه انكسر ونزل الدم ضحك) .

فبعض أناس يقولوا : (انقطع أصبعك وتضحك) .

فقال له : أخاطبك على قدر عقلك ليس استهزاءً ولا احتقاراً ، وإنما من باب حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

فقال له الرجل الصالح : أتحب أن أجيبك على قدر عقلك ؟

فقال له: نعم .

فقال هذا العبد الصالح :حينما قطعت أصبعه فضحك قال : أنستني حلاوة أجرها مرارة ألمها .

وأخيرًا : لتتعلم كيف كان صبرهم؟

استصحب الصابرين الصالحين من الأحياء ، وأمة الحبيب المصطفى ولَّادة ، أمة خير ، أمة عطاء ، أمة فضل ، لا ينقطع فيها الخير إلى قيام الساعة .



حقوق يجب أن تعرف

حق الأمل



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأمل

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة ألا وهو «**حق الأمل**» .

وسوف أحصر هذا الموضوع المهم في العناصر التالية :

أولاً : الواقع بين اليأس والأمل .

ثانياً : مظاهر اليأس .

ثالثاً : أسباب اليأس .

وأخيراً : ويبقى الأمل بشرط العمل .

هذا ، والله أسأل أن يقر أعيننا بنصرة التوحيد والموحدين وإذلال الشرك والمشركين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : الواقع بين اليأس والأمل :

أرى الآن حالة من اليأس والخذلان والقنوط تجتاح قلوباً قلقة كثيرة بعد ما شاهدناه ورأيناه على أرض العراق في الأيام القليلة الماضية ، ألمح ريحاً عاتية تجتاح قلوباً كثيرة قلقة بعد هذا الواقع النازف الأليم ، ففي أيام الحرب الأولى ارتفعت معنويات المسلمين إلى عنان السماء ، وبين عشية وضحاها نزلت إلى درك سحيق ، ففي الأيام الأول وضع المسلمون العراقيون الهيبة الأمريكية في الوحل والطين والتراب ، ولو صمد

العراقيون في بغداد أسبوعاً واحداً ، لقلنا : إنهم قد حققوا نصراً بكل المقاييس حتى وإن سقطت بغداد ، فشتان شتان بين هذه الأسلحة المروعة التي يستخدمها هؤلاء الظالمون الجبارون الأمريكيون والبريطانيون وبين الأسلحة البدائية التي يقاوم بها هؤلاء الأبطال في الأيام الأول في المدن الأولى قبل بغداد بعد حصار فرض عليهم لسنوات طوال ، فشعر كثير من المسلمين بعد سقوط بغداد بحالة من اليأس بحالة من القنوط تلمحها معي في كل مكان تذهب إليه ، ومع أي إنسان تجلس إليه حتى الدعاء تشعر أنت نفسك الآن أنك أصبحت بعيداً عنه ، شتان ، شتان بين الأيام ، وأنت ترى الناس تتضرع إلى الله بذل وصدق وبين هذه الأيام القليلة الماضية في الأسبوع الماضي ، حين ترى الناس قد انصرفوا عن هذه العبادة العظيمة عن عبادة التذلل والتضرع إلى الله جل وعلا .

صحيح الواقع أليم مر ، فما من مسلم على ظهر الأرض إلا ويشعر بغصة في حلقه ومرارة في فؤاده وألم في صدره ، وكان يود أن يأخذ الله هذه الزمرة الكافرة الجائرة الظالمة ، لكنني أؤكد كما أكدت مراراً ، وأقول : إن لله سنناً ربانية في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل هذه السنن أحداً من الخلق بحال ، مَهما ادَّعى من مقومات الحياة ، ولولا أن خيانة مُرة قد وقعت في الأمة ما رأينا هذا الذي رأينا ، فالخيانة تاريخ أسود طويل ، تاريخ طويل مليء بالأسى والهوان ، فما زال أبناء العلقمي الرافضي الخبيث يحيون بيننا .

العدو الظاهر لك أمره محسوب معلوم لكن الخونة من أهل النفاق ممن لا يخلو منهم زمان ولا مكان هم أشد خطراً وفتكاً بالأمة من أعدائها الظاهرين ، فما زال أبناء الخونة ، ما زال الخونة وأبناء الخونة يحيون في صفوف أبناء هذه الأمة المسكينة ، وصدق فيها قول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى :

« وَسَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا » .

فالواقع أليم ، سفكت الدماء ، ومزقت الأشلاء ، وأبيدت حضارة امتدت بجذورها في أعماق التاريخ لآلاف السنين ، وقد رأيتم جميعاً ما فعله الأمريكيون الهمجيون والبريطانيون لا أقول ما فعلته عصبة من الخونة المتملقة مما ينتسبون لأهل العراق حينما سرقوا هذا التاريخ المجيد ، سرقوه وحرقوه ودمروه ، وهذا يذكرني بما فعله التتار الأول يوم أن حرقوا مكتبة بغداد حرقاً ، إن قلوبهم تحترق لهذا التاريخ المجيد وهذه الحضارة العريقة فسرقوا الكتب من مكتبة بغداد وألقوها في الفرات حتى جعلوا من الكتب لكثرتها وضخامتها جسراً يعبرون عليها ويمشون عليه في الماء .

هذا ما فعله الهمجيون ممن لا يعرفون عمقاً للحضارة ولا عمقاً في قلب التاريخ على مرأى ومسمع منهم ، رأيناهم قد أعطوا الضوء الأخضر بل والأحمر والأسود لهؤلاء الهمج الرعاع ، ليحرقوا قلوب المسلمين على ظهر الأرض بإبادة حضارة عريقة تغلغلت في أعماق التاريخ آلاف السنين .

واقع أليم واقع مر لأن ترى التتار الجدد وعادا الثانية تسقط عاصمة من عواصم الخلافة يوماً ، على مرأى ومسمع من العالم الغربي الخائن ، والعالم الإسلامي الهزيل المهزوم ، هذا الواقع أصاب كثيراً من المسلمين باليأس ، واليأس يا إخوة : هو انقطاع الأمل والرجاء في خروج هذه الأمة من هذا المأزق الحرج الذي تحياه الأمة الآن ، هذا هو اليأس ، اليأس بنص القرآن، حرام ، لا يصح لمؤمن يعرف الله أن ييأس على الإطلاق مهما اشتدت المحن ومهما زاد البلاء ، لا يحل لمسلم يعرف الله بأسماء جلاله ، يعرف الله بصفات كماله أن يتغلغل اليأس والقنوط إلى قلبه ، وأن يشك في قدرة الله وفي عدل الله وفي عظمة الله سبحانه وتعالى ، فاليأس حرام ، قال تعالى

حكاية عن نبي الله يعقوب ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] .

هل ترضى لنفسك أن تكون من هؤلاء اليائسين القانطين من روح الله أي : من فرج الله سبحانه وتعالى بعد اشتداد الكرب والضيق .

قال العلامة الآلوسي في كتابه الماتع « روح المعاني » : ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ [يوسف:٨٧].

أي : لا تقنطوا من رحمة الله ، لا تقنطوا من فرج الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] أي : لعدم علمهم بالله تعالى .

الذي ييأس من روح الله أي: لعدم علمه بالله تعالى وصفاته ، فإن العارف بالله أي : بأسماء الجلال وصفات الكمال لا يقنط أبدًا في حال من الأحوال.

الذي يعرف أسماء الله وصفاته سبحانه لا ييأس أبدا لا يقنط من روح الله ولا من فرج الله ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ [الشرح:٥ ، ٦] .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴾ [الإسراء:٨٣] .

نسأل الله ألا نكون من هذا الصنف الخبيث إذا أنعم الله علينا أعرضنا وتكبرنا وابتعدنا ، وإذا ابتلانا الله سبحانه وتعالى بشيء من الشر ، بشيء من البلاء ؛ لتمييز الصفوف أو تمحيص المؤمنين وإظهار المنافقين للصف

المسلم نشعر باليأس ونمتلئ بالقنوط هذا ليس من أخلاق المؤمنين الصادقين الذين عرفوا الله سبحانه وتعالى وعرفوا رسوله ﷺ : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] .

فاليأس : هو انقطاع الأمل ، والأمل : هو الرجاء كما قال ابن منظور وغيره .

الأمل : هو الرجاء وجمعه آمال فالمؤمن لا ييأس ولا يقنط: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

ومن مظاهر اليأس التي ترونها معي في الأيام القليلة الماضية وما زلنا نراها ونشاهدها إلى هذا اليوم وهذا هو عصرنا التالي وهو من أخطر هذه المظاهر :

سوء الظن بالله :

أقسم بالله أن كثيرا من المسلمين الآن قد أساؤوا الظن بالله جل وعلا يقول أحدهم : أين الله (أين ربنا ؟ فين النصرة) أين العزة ؟ أين الاستخلاف ؟ أين التمكين ؟ ألا يرى الله جل وعلا ما حدث للمسلمين المستضعفين في العراق ، وما يحدث وحدث للمسلمين المستضعفين في فلسطين وفي كل مكان؟ تسرب سوء الظن بالله في قلوب قلقة كثيرة ؛ نظراً لزخم الواقع الضاغط ، نظرا لهذا الواقع النازف الجريح أسأنا الظن ، وشك الكثيرون في قدرة الله وفي حكمته وفي عدله ، بل وتساءل البعض ما هي الحكمة من هذه الفتن بعد الفتن .

الأمة تحتاج إلى تطهير تحتاج إلى تمحيص بعد سنوات طويلة من التغريب

بعد سنوات طويلة من التيه ، والبعد عن الله سبحانه وتعالى ، الأمة وصلت إلى حالة تحتاج فيها إلى ضربات وطرقات قاسية ؛ ليستيقظ النائم ؛ ليفيق الغافل ، طالما ردد كثير من بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا ، ويتزيون بزينا ، طالما رددوا وعزفوا على وتر التمجيد للغرب من سنوات قليلة ، وانظر إلى حكمة الله ورحمته .

من سنوات قليلة كنت ترى العلمانيين ، من سنوات قليلة يقدمون للأمة النموذج الغربي على أنه النموذج الأمثل للحضارة والحرية والديمقراطية والتقدم إلى غير ذلك من الألفاظ الكبيرة الضخمة ، كان يقدم النموذج الغربي على أنه : إكسير الحياة ، إكسير السعادة لأهل الأرض ، شاء الله جل وعلا وهو الحكيم الخبير العليم أن يجلي للمغفلين وللسذج الرعاع ، شاء الله أن يجلي لهم حقيقة الغرب وحقيقة النموذج الغربي ، الذي طالما وارى سوءاته وعوراته بهذه اللافتات البراقة الخادعة المضللة : كالحرية ، كالديمقراطية ، كحرية الرأي إلى آخر هذه الألفاظ الهلامية الضخمة التي سقطت في الوحل والطين ، وفي مستنقع العراق ، وفي مستنقع فلسطين ، ومستنقع الشيشان ، ومستنقع البوسنة ، ومستنقع السودان ، ومستنقع الصومال .

شاء الله أن يرى المسلمون الغرب على حقيقته المجردة ، شاء الله أن نرى الغرب بوجهه الكالح بوجهه الظالم بوجهه الجائر .

قوم يدمرون البيوت ، يبيدون الحضارات ، يسفكون الدماء يمزقون الأشلاء ، وبكل برود يعلن أحدهم أنهم ما جاؤوا إلا لتحرير المستعبدين في الأرض .

وأنا أتساءل هل يولد التحرير من رحم التدمير ؟! إعلام دجال ، إعلام لأبي لمعة الفشار الذي صدع رؤوسنا في الأيام القليلة الماضية لطفل عراقي

قطعت يداه وقطعت رجلاه ، وها هي أمريكا رائدة الرحمة في الأرض ، وأم الإنسانية في التاريخ تجند طائرة أمريكية خاصة لنقل هذا الطفل المسكين ، لتلقي العلاج على نفقة الأمريكيين .

ما شاء الله رحمة إنسانية حب ، إخاء ، مساواة إلى آخر هذه الكلمات الكذابة ، أيها الكذابون من الذي قطع يديه من الذي قطع رجليه وهو طفل مسكين نام على أحلامه :

فأطفالنا على أحلامهم ناموا وعلى لهيب القاذفات أفاقوا

أطفالنا قتلوا في بيوتهم والعالم كله خسة وخيانة ونفاق

طفل مسكين بريء قتلوا أباه وقتلوا أمه وبترت يداه وبترت رجلاه ومع ذلك يتغنى المجرمون بأنهم يحاولون إنقاذه يحاولون أن يضمنوا له الحياة .

دجل ، إعلام الدجال ، إعلام أبي لمعة الفشار الذي يقلب الحقائق ، الذي يزور الحقائق الذي يطمس الحقائق ، وهناك من المسلمين من تنطلي عليه مثل هذه الأراجيف وهذه الخدع التي يكاد القلب ورب الكعبة أن يقفز من الصدر وهو يتابع هذه الأكاذيب ، ومثل هذه الأباطيل !!

أيها الأحبة ، إن أكثر مظاهر اليأس أن نُسيء الظن بالله ، فلا يقع شيء في الكون إلا تحت سمعه وبصره وحكمته ، هل تتصور أن ساقا تبتر أو ذراعا يقطع أو رجلا يقتل أو بيتا يهدم أو امرأة ترمل بعيدا عن سمعه وبصره وحكمته : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

وقال إمامنا ابن القيم : من ظن أن الله جل وعلا لا ينصر دينه ولا

ينصر نبيه ولا ينصر أولياءه ولا يظهر دينه فقد أساء الظن بالله جل وعلا ، فالله جل وعلا قادر على أن يجعل الكون كله عاليه سافله : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١] ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧] ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] .

فسوء الظن بالله مدخل خطير ، أيها المسلم ، إياك أن يتسرب سوء الظن إلى قلبك بعد هذه الأحداث ، وسأبين لك أن التاريخ مليء بالأحداث المروعة المزلزلة المذهلة، ومع ذلك أهلك الله الكافرين والظالمين وأبقى الإسلام وسيبقى الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المظهر الثاني : الاستسلام الكامل لأعداء الله :

صرنا بعد هذه الأزمة وقد ملأ اليأس قلوبنا مستسلمين لأعداء الله من الكافرين الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم ، وهذه صورة ومظهر خطير من مظاهر اليأس الذي يملأ القلوب ، صرنا ننظر الآن إلى أمريكا ـ إلا من رحم ربي ـ على أنها إله يدبر أمر الكون ، وقد شاء الله جل وعلا أن نرى أمريكا في الأيام العشرين الأولى لحرب العراق شاء الله أن نرى أمريكا على حقيقتها . أقسم بالله لولا الخيانة ما حدث ما حدث ، رأيتم بأم أعينكم الجندي الأمريكي حينما يبتعد عن مدرعته ومصفحته وطائرته رأيناه هفية على الأرض لا قيمة له ولا كرامة ، لم يفعل شيئاً ، لكنه يحتمي بهذه الأسلحة المروعة المدمرة يقذف من بعيد ويجري : ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤] .

هل تصدقون الله ؟ ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر:١٤].

هذا حكم الله الذي خلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الملك:١٤]

الاستسلام لماذا نستسلم بهذه الصورة لأعداء الله ؟ هم الآن يهددون بصريح العبارة بضرب سوريا ، والبقية تأتي ثم بعد ذلك لبنان ثم بعد ذلك لن يتركوا دولة عربية ولا إسلامية في المنطقة ، وهم يصرحون الآن بأعلى الصوت بعدما أزالوا البرقع تماماً يصرحون بأنهم يخططون لإعادة رسم المنطقة ، أي : منطقة الشرق الأوسط من جديد فهم سيضعون القواعد العسكرية في العراق ، وضعوا القواعد العسكرية في البحر من جميع النواحي ، وسيضربون سوريا ولبنان ليؤمنوا كل الحدود التي تحيط بالإبنة اللقيطة بالغدة السرطانية الخبيثة التي وضعوها في قلب العالم الإسلامي فوق الثرى الطاهر فوق الأرض المباركة ، ألا وهي دولة اليهود .

والكفر ملة واحدة ، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠] ، ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٠٥] ، ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ

أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨] .

إنه وعد الذي يعلم ما تكنه الصدور ، وما تحمله الأفئدة ، نرى الأمة الآن قد أصيبت بحالة من الاستسلام ، أمام هذه القوة الهمجية الطاغية ، ولو وقفت الأمة ورب الكعبة وأنا لا أهيج العواطف بكلام فارغ على الإطلاق ، لو وقفت الأمة ورب الكعبة وقفة رجل لوضعت هذه الهيبة الأمريكية في الوحل والطين والتراب .

لو أن الأمة قد اتخذت قرارات سياسية فقط في هذه الأزمة فطردت السفير الأمريكي والبريطاني فأوقفت ضخ البترول وقاطعت أمريكا وبريطانيا إعلاميًا قالوا : لن نقبل الأفلام الأمريكية ولا البريطانية ولا و لا ، مقاطعة إعلامية وحرمت الأمة أرضها على القواعد العسكرية وبحارها على السفن الحربية وأجواءها على الطائرات العسكرية ، لو فعلت الأمة ذلك ، قرارات سياسية لوضعت الهيبة الأمريكية في الوحل والطين والتراب ، فلا تظن أن الأمة لا تملك .

الأمة تملك لكنها فقدت أغلى ما تملك ألا وهو الإيمان بالله فتسرب اليأس وملأ القلوب إلا من رحم علام الغيوب، سبحانه وتعالى .

المظهر الثالث بإيجاز شديد : إمكانية التغيير :

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ولو نارا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

ولقد حذر النبي ﷺ الصادق من هذه الحالة المروعة ومن هذا الصنف المهزوم اليائس فقال كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه :

« إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ أَوْ أَهْلَكُهم »[١] .

بالضم والفتح والضم أشهر كما قال النووي : فهو أهلَكُهم أي : فهو أشد الناس هلاكا أو فهو أهلَكَهُم أي : فهو الذي حكم عليهم بالهلاك وهذه حالة نفسية مروعة مزلزلة أصيب بها كثير من المسلمين والمسلمات الآن هلك الناس ، ضاع الدين ، سقطت بغداد يعني : سقطت الأمة يعني سقط الدين خلل ، خلل سقطت بغداد قبل ذلك ، سقطت بغداد قبل ذلك على أيدي التتار كما سأبين ، فأهلك الله التتار وبقيت بغداد وبقيت العراق وبقيت الأمة ، بل وإن شئت فقل وبدقة : بقى الإسلام وسيبقى ، وأهلك الله الظالمين والمجرمين والكافرين ، وعد الله سبحانه وتعالى .

المظهر الرابع بإيجاز : السلبية :

(دعينا حتى تعبنا ، أرح نفسك ـ لا دعاء ولا غيره) ينظر أحدهم الآن ويهز كتفيه ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه ، يضحك ملء فمه ، ينام ملء عينيه، يأكل ملء بطنه ، لا يشعر بحرقة في فؤاده ، ولا بألم في صدره ولا بغصة في حلقه ، يداعب الأولاد وهو لا يفكر في أولاده الذين سفكت دماؤهم في فلسطين والعراق والشيشان وغيرها ما دام يعيش آمنا وقد رزقه الله قوت يومه بل وقوت سنته ويرى أولاده يلعبون بين يديه في راحة وهدوء وسعادة ، أصبح لا يفكر في إخوانه ولا أولاده ولا في واقع أمته .

سلبية تخيم الآن على سماء الأمة ابتلي بها كثير من المسلمين والمسلمات وصرنا لا نرى قلوبا تحترق على هذا الواقع الأليم لتخطط لتفكر ماذا تعمل وأنا أتألم كثيرا أن أرى أحد طلابنا وأحد أحبابنا بعد خطبة كهذه ، أو بعد محاضرة لرجل من العلماء أو الدعاة يأتي بعد ذلك يقول: ماذا أصنع؟

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٣/ ١٣٩) .

(ما دوري وماذا أعمل؟) هذا خلل وإن كنت أقول : إنها خطوة إيجابية على الطريق خطوة أولى لكنها مع ذلك تجسد عمق المأساة ، وكأن المسلم لا يذكر ولا يتذكر أن يعمل لدينه إلا بعد سماعه لمحاضرة أو بعد سماعه لخطبة مع أن العمل للدين وظيفة العمر بكامله يجب عليك أن تفكر لدين الله ، وأن تبذل أقصى ما تملك كما تفكر لأولادك ، كما تفكر لنفسك ، كما تفكر لتجارتك كما تفكر لزيك كما تفكر في دنياك بل أغلى من ذلك ، هذه بعض المظاهر بإيجاز شديد وأستطيع أن أعدد كثيرا من المظاهر ولكنها مجملة ، السؤال ما هي الأسباب ؟ ما هي أسباب اليأس ؟ وهذا هو العنصر الثالث بإيجاز.

أسباب اليأس:

السبب الأول : ضعف الإيمان بالله : الإيمان حصن الأمان ، إذا ضعف الإيمان في القلب صار صاحب هذا القلب فريسة سهلة للهواجس والشياطين والشهوات ، وأصبح ألعوبة للهوى وأصبح ألعوبة للنفس الأمارة بالسوء وأصبح ألعوبة لشياطين الإنس والجن يحركونه يمنى ويسرى، فالإيمان يا إخوة هو الذي حول الصحابة من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة للدول والأمم ، الإيمان الذي أقام به هؤلاء الأطهار للإسلام دولة وسط صحراء تموج بالكفر موجا فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء ، الإيمان هو الذي حول سحرة فرعون من أشقياء إلى أولياء قالوا : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٤٤] .

وبعد أن ذاقت قلوبهم حلاوة الإيمان أعلنوها في وجه الطاغوت مباشرة قالوا لفرعون : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [طه:٧٢] .وفي آية أخرى قالوا : ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ [الشعراء:٥٠] .

لما ذاقت القلوب حلاوة الإيمان فالقلب قبل أن تشرق عليه أنوار الإيمان كالحجرة المظلمة ، فإذا ما دخلت الحجرة لا ترى شيئا فتمد يدك لتصل إلى زر أو مفتاح النور ، فإذا لامس إصبع من أصابعك زر النور وضغطت عليه ضغطة رقيقة حول نور المصباح ظلام الحجرة الدامس إلى نور مشرق ، كذلك القلب إذا لامسته أنوار الإيمان والهداية يشرق فيتحول صاحبه إلى إنسان مختلف تماما ، الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، هذا هو الإيمان الذي تحتاج إليه الأمة ؛ لأنه لما ضعف ضعفت معرفتنا بالله تعالى وبصفات كماله فأصبحنا فريسة للشبهات والشهوات وشياطين الإنس والجن .

أنسيت ربعي بن عامر يوم أن وقف بهذا الإيمان الصلب أمام رستم .. رستم قائد الجيوش الكسروية الكذابة ليعلن له باستعلاء ، وشتان شتان بين استعلاء المؤمنين واستعلاء الكذابين : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩] .

فوقف ربعي باستعلاء الإيمان والمؤمنين ليقول لرستم : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، هذا هو الإيمان الذي حول جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، هذا هو الإيمان الذي حول هؤلاء .

هل كنت تعرف ربعي بن عامر ؟ ما قيمة ربعي في أرض الجزيرة المترامية الأطراف قبل الإيمان ؟ هل كنت تعرف ابن الخطاب هل كنت تعرف أبا بكر ؟ هل كنت تعرف خالد بن الوليد ؟ هل كنت تعرف سعد بن أبي وقاص ؟ هل كنت تعرف سعد بن معاذ ؟ هل كنت تعرف مصعب بن عمير ؟

هل عرفت الأبطال والأطهار من أبناء هذا الجيل القرآني الفريد إلا بعد أن ذاقت قلوبهم حلاوة الإيمان وأشرق نور الإيمان على قلوبهم ، فسطروا على جبين التاريخ وصفحات الأيام والزمان أروع ملاحم البطولة والتضحية والفداء لدين الله سبحانه وتعالى .

فأخطر أسباب اليأس والقنوط ضعف الإيمان ؛ لأننا لا نعرف معه ربنا بأسماء جلاله وصفات جلاله كما يليق به سبحانه وتعالى .

ثانيًا : ترك الجهاد في سبيل الله :

من أخطر أسباب اليأس والذل والخذلان ، ولاحظ أنني دائمًا أكرر في محاضراتي وخطبي ، لاحظ أنني دائماً لا أقدم أبدًا الجهاد في سبيل الله على الإيمان أبدا ، لا يستطيع أحد أن يرفع السيف في ميدان الجهاد ضد أعداء الله إلا إذا حقق الإيمان ابتداء وانتصر هنا في ميدان النفس ، فألجمها بلجام التقوى وجعلها مطية لكل خير وطاعة ، أما من جعلته نفسه مطية للمعاصي والشهوات والشبهات والنزوات فلا يستطيع البتة وإن جُعجع وصرخ بأعلى صوته لا يستطيع أن يرفع السيف في وجه أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا ، فلتحقق الأمة الإيمان لتكون أهلا لرفع راية الجهاد في سبيل الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الصف:١٠ ، ١١] .

مرة أخرى : ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [الصف:١١] .

ترك الجهاد أصاب الأمة بالخذلان بالذل بالهوان ، وقد نجح أعداؤنا

واسمعوها منى أيها الأخيار ، نجح أعداؤنا في أن يبعدوا قضية الأمة عن ساحة الجهاد لتظل القضية متداولة في هيئة الأمم ، وفي مجلس الأمن وفي حلف الناتو وفي أدراج الاتحاد الأوروبي وإلى غير ذلك من هذه المنظمات والهيئات الكاذبة المضللة حتى لا ترفع الأمة راية الجهاد بعد أن تحقق العقيدة بشمولها وكمالها فلا عز لهذه الأمة إلا بالجهاد ، تركت الجهاد أخلدت إلى الوحل والطين ، أمرها ربها أن تخرج :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة:٣٨، ٣٩] .

فلما تركت الأمة الجهاد واثَّاقلت إلى الوحل والطين ذلت وهانت .

قال الصادق كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح من حديث ابن عمر :

« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ـ وهو نوع من أنواع البيوع الربوية المحرمة وقد انتشر الآن بصورة مزرية ـ إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » [(١)] .

السبب الثالث من أسباب اليأس : الجهل بطبيعة الطريق إلى الله سبحانه وتعالى :

كثير من المسلمين يظن أن الطريق إلى الله مفروش بالورود والزهور

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد (٢/ ٨٤) ، وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢) .

والرياحين وأنه سائر مع السائرين يحقق المكاسب المادية والمعنوية ، والله إن حقق المكاسب فهو على الدرب أما إن ابتلي بمحنة أو فتنة نكص على عقبيه وترك السير مع السائرين على هذا الطريق يظن أن الإيمان سهل الحمل سهل المؤنة .

لا ليس الإيمان كلمة باللسان فحسب ، الإيمان حقيقة ذات تكاليف وأمانة ضخمة ذات أعباء .

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣] . إذا لابد أن تعي حقيقة الطريق .

الطريق إلى الله محفوف بالعقبات بالأشواك ، يعوى في كل شبر فيه مجرم من المجرمين وذئب من الذئاب ممن يملكون أحدث أبواق الدعاية ، ليملؤوا بها القلوب بالتثبيط والإرجاف ، ليملؤوا بها القلوب بالهزيمة النفسية الساحقة ، فاعلم طبيعة الطريق حتى لا تنحرف عنه مع أول منعطف من منعطفات المحنة والابتلاء.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

تهوين من قدرات الأمة ، تهوين كبير ، والأمة تملك المال ، لا تستطيع أن تقرأ الفوائد البنكية لأموال المسلمين في بنوك شرقية أو غربية ، لا تستطيع أن تقرأ رقم الفوائد فضلا عن رقم المال الأصلي أموال المسلمين في بنوك الشرق الملحد والغرب الكافر ، رزقها الله المال رزقها النفط الذي

سال عليه لعاب الأمريكيين والبريطانيين ، رزقها الله العمق الاستراتيجي في قلب الأرض ، رزقها الله البحار والأنهار والمحيطات كمنافذ استراتيجية لأنحاء العالم من كل ناحية ، رزقها الله العقول والأدمغة ، فعلماء العراق كانوا مستهدفين وما زالوا بل وعلماء الأمة .

الأمة ليست فقيرة ، الأمة تملك كل مقومات النصر إن حققت الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وأنا أعتقد اعتقادا جازماً وهذا فهمي للسنن النبوية والكونية الربانية أن أهم أسباب النصر هو الإيمان.

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيات [النور:٥٥] .

فمن أهم أسباب النصر : أن تحقق الأمة الإيمان ؛ لأن الله أيها الشباب الأخيار وأيها الآباء الفضلاء لم يتعبد الأمة سبحانه وتعالى إلا بما استطاعت ، لم يفرض على الأمة إلا بما استطاعت .

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

فأنت لست مطالباً أن تصنع من الأسلحة ما وصل إليه الغرب الآن تحتاج إلى مئات السنين لكن مطلوب منك أن تعد ما تقدر عليه عد العدة :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق:٧].

إلى آخر مثل هذه الأدلة ، فلا ينبغي أن تقلل من إمكانيات الأمة وقدراتها وإمكانياتها وطاقاتها ، وأنتم تعلمون أنها استعملت سلاح النفط في حرب العاشر من رمضان للمرة الأولى تغيرت الخارطة تماماً في ساعات قليلة .

السبب الأخير والخطير: التضخيم المستمر والنفخ الدائم في أعداء الله :

تضخيم مستمر حتى تصاب باليأس بالقنوط ، بالإحباط (لا تحاول التفكير) فيظل المسلم واقفاً في مكانه ؛ لأنه مهزوم أمام هذه القوة المدمرة الساحقة لأعداء الله سبحانه وتعالى كما كان التتار ينظرون إلى المسلم في الحرب التترية في بغداد يقول للمسلم : قف مكانك يا مسلم حتى أرجع لآتي بسيفي لأذبحك ، فمن الرعب يظل المسلم في مكانه لا يتحرك تصور حالة اليأس هذه ، فيرجع التتري إلى المسلم في مكانه فيذبحه كما يذبح الرجل شاته ، تضخيم دائم لقوة الأعداء لنصاب بالقنوط واليأس والإحباط ، ثم تنظر نظرة ضيقة للتاريخ وللمكان ؛ فأصيبت بغداد أفلم تصب غيرها وإذا ضيق على المسلمين في بلد سترى المسلمين يعملون لدين الله في بلد آخر وإن منيت الأمة بالهزيمة أو بنكبة فلقد انتصرت في كثير من الأزمات والنكبات والهزائم ، فالتتار منعوا صلاة الجماعة في بغداد أربعين يوما ، وملئت شوارع بغداد بالأشلاء والجماجم (وظل التتار يذبحون في المسلمين أربعين يوما) أربعين يوما متواصلة حتى امتلأت الشوارع بأكوام

اللحم ، أما الجماجم فلا يعرف أحد حصرها ، أكوام اللحم والأشلاء حتى امتلأت بغداد بالنتن والزهم بعدما تغيرت الرائحة فقال الحافظ ابن كثير وغيره من المؤرخين : قتل في بغداد بعد ذلك من أثر انتشار الأوبئة والطاعون أضعاف أضعاف ما قتل على يد التتار ، انتشرت الأوبئة بشكل مروع !!

قال الحافظ ابن كثير : قتلوا مليونين في بغداد ، أين التتار ؟ أين هم ؟ وأبقى الله المسلمين وأبقى الله الإسلام ومنع الصليبيون الصلاة في المسجد الأقصى واحدا وتسعين ساعة ، لا . واحدًا وتسعين يوما ؟ لا . واحدًا وتسعين أسبوعًا ؟ لا . واحدًا وتسعين شهرًا ؟ بل واحدا وتسعين عاما ؟ منعوا الصلاة في المسجد الأقصى (٩١) عاما وأهلك الله الصليبيين القدامى ، وما زال المسجد الأقصى شامخاً يصلي فيه المسلمون اليوم ، وهجم القرامطة على المسلمين في بيت الله الحرام وذبحوهم حول الكعبة وأخذ أبو طاهر القرمطي الخبيث الحجر الأسود من البيت الحرام وظل الحجر الأسود بعيدا عن الكعبة واحدًا وعشرين عامًا ، وأهلك الله القرامطة ورد الله الحجر وبقى المسلمون في هذه اللحظة يطوفون ببيت الله ، فلا ينبغي أن تنظر نظرة ضيقة لتصاب باليأس والقنوط .

وأنا أكرر الآن مثل هذا ؛ لأن الواقع والأزمة التي تحياها الأمة تحتاج الآن من كل العلماء والدعاة لمثل هذا الطرح ؛ لتنزع الهزيمة النفسية واليأس والقنوط من القلوب وأخيراً يبقى الأمل بشرط العمل .

فقال ابن منظور في « لسان العرب » الأمل : هو الرجاء ، فيبقى الأمل ، المؤمن يعيش بهذا الأمل يعيش برجاء لا ينقطع في الله سبحانه وتعالى وفي وعد الله ووعد رسوله ، فالله عز وجل وعده لا يتغير ولا يتخلف .

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح:٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف:٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف:١١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] .

آيات كثيرة وعد الله سبحانه لابد أن تظل معلقا بهذا الوعد الذي لا يتخلف ولن يتخلف ، فلقد أظهر الله دينه لنبيه ﷺ بعدما طرد من مكة عاد إليها بعد سنوات لا تساوي في حساب الزمن شيئا ، وقد أظهر الله الدين وفي أقل من خمسين عاما رفرفت راية الإسلام على معظم بقاع الأرض ، على ثلثي الكرة الأرضية وصل الإسلام إلى روسيا وإلى فرنسا وإلى الصين وإلى بلاد الغرب ، إلى طنجة وصل الإسلام في خمسين عاما إلى ثلثي الأرض بفضل الله ، ثم بفضل هؤلاء الأطهار الأبرار الأخيار ، فوعد الله لا يتخلف والنبي ﷺ يقول : « **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ** ـ أي : هذا الدين ـ **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ**

عَزِيزٍ أَوْ بِذُلٍّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ »[١] .

بل لقد بين لنا نبينا سر المعركة الأخيرة بين الكفر والإيمان فقال كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ » ، (ولو أخبرتك بالحديث من أشهر قليلة ستقول: متى النبي قاله ؟ من ألف وأربعمائة سنة ولم ينزل الروم بالأعماق إلا من أشهر فقط وهم يستعدون لحرب العراق نزل الروم بالأعماق) مع أن النبي قاله من ألف وأربعمائة سنة نزلوا في الأشهر القليلة الماضية .

« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ » .يطالب الروم من الأوروبيين والأمريكيين يطالبون المسلمين بأن يدفعوا إليهم الغربيين الذين أسلموا وانضموا إلى صفوف المسلمين لقتال الكفار والمشركين . « خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَا وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا » ، قال النبي ﷺ : « فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ » أي من المسلمين .. « فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ »[٢] .

وفي رواية مسلم من حديث ابن مسعود : جاء رجل من أهل الكوفة ليس له هجيري إلا : يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة ..

---

(١) إسناده حسن : رواه أحمد (٤/ ١٠٥) .

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٧/ ٣٤) .

وكان ابن مسعود متكئا فجلس ورد بطمأنينة العالم الواثق العارف وقال : لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة ثم أشار بيده نحو الشام .. نحو الشام الجولات المقبلة بالكامل في الشام أشار بيده نحو الشام وقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت : الروم تعني ؟

فالقائل هو يسير بن جابر .. الروم تعني ؟ قال ابن مسعود : نعم وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة ـ اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ـ وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة قال : فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء ـ يعني : يرجع هؤلاء وهؤلاء ـ كل غير غالب وتفنى الشرطة ، حتى إذا كان اليوم الثاني اشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، حتى إذا كان اليوم الثالث اشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة قال : فإذا كان اليوم الرابع جعل الله الدبرة أو الدائرة على الروم ـ اللهم اجعلها عليهم يا رب العالمين ـ جعل الله الدبرة أو الدائرة على الروم فيقتتلون مقتلة عظيمة لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فلا يخلفهم حتى يخر ميتا ، فيتعاد بنو الأب الواحد كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح وأي ميراث يقسم قال : فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ لقد خلفكم الدجال في ذراريكم ، فينفضون ما في أيديهم أي من الغنائم ويبعثون عشرة فوارس طليعة قال الصادق رسول الله ﷺ : « **والله إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ**

خُيُولِهِمْ ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ »[١] .

هذه صورة المعركة الأخيرة حتى لا تقنط ولا تيأس بمجرد أن تُسفك الدماء !! لمن الجنة إذا ؟ لمن مقاعد الجنة المائة ؟ إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله لمن ؟ للمجاهدين في سبيله ، فلمن هذه الدرجات ؟ فالشهداء مصطفون اصطفاهم الله واختارهم ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

الشهيد ليس هينا على الله ولكنه كريم على الله فلتسفك الدماء ولتمزق الأشلاء ، وأسأل الله أن يرزق هؤلاء ، وأن يرزقنا معهم الشهادة في سبيله إنه على كل شيء قدير ، لكن مهما انتفخ الباطل وانتفش ، كأنه غالب فإنه زاهق ، ومهما انزوى الحق وضعف كأنه مغلوب فإنه ظاهر ، أكررها مهما انتفخ الباطل وانتفش كأنه غالب فإنه زاهق ، ومهما انزوى الحق وضعف كأنه مغلوب فإنه ظاهر ، قال الله : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] ، وقال الله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١٨] .

ويبقى العمل فلنرجع إلى الله ، فلنرجع إلى قرآنه ، فلنتب إليه سبحانه فلتتحول حياتنا ، فليتغير نظام حياتنا فلنسقط اللافتات الكاذبة التي اختفى وراءها طيلة السنوات الماضية كثير من المهرجين والمضللين ممن ضيعوا الأمة فلنرجع إليه سبحانه ، ولنبق دائماً على مستوى هذا الدين وعلى مستوى النصرة ، فليعد كل مسلم منا على قدر استطاعته في مجاله في ميدانه الذي هو فيه نريد إعدادًا إيمانيًا إعدادًا علميًا ، إعدادًا سياسيًا ، إعدادًا

---

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٩/ ٣٧) .

عسكريًا ، إعدادًا اقتصاديًا ، إعدادًا فكريًا ، إعدادًا خلقيًا ، إعدادًا سلوكيًا ، إعدادًا تربويًا ، كل واحد منا يقدر على أن يدلي بذلو في جانب من جوانب هذا الإعداد ، فابذل أقصى وأغلى ما تملك لدين الله سبحانه وتعالى لتنال شرف السائرين بصدق على درب سيد النبيين ﷺ ، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨] فكن من أتباعه .

قال ابن القيم : ولا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه النبي على بصيرة .

وأختم بهذا الحديث الرقراق الذي رواه مسلم من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ ـ اللهم اجعلنا من حواريي رسولك ـ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ »[1] .

(١) رواه مسلم في الإيمان رقم (٥٠) .

حقوق يجب أن تعرف

الأخ على أخيه



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأخ على أخيه

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة ، حق كبير من الحقوق التي ضاعت ألا وهو «**حق الأخ على أخيه** ».

وسوف أحصر الموضوع المهم في العناصر التالية :

أولاً : معنى الأخوة وحقيقتها .

ثانياً : حق الأخ على أخيه .

ثالثاً : وسائل تعميق الأخوة .

الأخوة نوعان : أخوة النسب ، أو أخوة الدم ، وأخوة العقيدة ، فأخوك في النسب والدم ابن أمك وأبيك أو أخوك لأمك أو أخوك لأبيك ، هذه هي أخوة النسب والدم ، أما أخوة العقيدة فهي أخوة الدين هي الأخوة في الله ، ولا شك أن أخوة العقيدة أقوى وأمتن من أخوة الدم والنسب ؛ لأن أخوة العقيدة تبنى على أواصر العقيدة التي لا تنفصم عراها ولا تزول ، فالمؤمنون جميعًا إخوة كأنهم روح واحدة في أجساد متفرقة متعددة ، أو كأنهم أغصان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة ، فالأخوة في العقيدة منحة عظيمة يغدقها الله جل وعلا على المؤمنين الأتقياء وشراب طهور يسقيه للمؤمنين الأصفياء .

فلا أخوة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون أخوة صادقة ، فإن وجدت إيمانًا بلا أخوة فاعلم بأنه إيمان ناقص ، وإن وجدت أخوة بلا إيمان فاعلم أنها ليست أخوة ، وإنما هو التقاء مصالح وتبادل منافع ، قال ربنا جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] .

هذه الأخوة في العقيدة ، وهذه الأخوة في الله ، هي العامل الثاني مباشرة بعد العقيدة في تحقيق أكبر نصر عرفته البشرية على طول تاريخها ، فلقد استطاع ﷺ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق ، استطاع أن يقيم دولة من فئات متناثرة وسط صحراء تموج بالكفر والظلم موجًا ، فإذا بناء شامخ لا يطاوله بناء ؛ وذلك يوم أن ربى النبي ﷺ الصحابة على العقيدة بشمولها وكمالها .

لقد ظل المصطفى ﷺ طوال عمره يربي أصحابه على العقيدة . وأصل العقيدة ابتداءً في مكة ، على مدار أعوام عديدة في ثلاثة عشر عامًا كاملة ، استمر ثلاثة عشر عامًا كاملة يربي أصحابه على العقيدة ، فهل يا ترى لما انتقل النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أعرض عن هذه العقيدة وربى أصحابه على أسس وأصول أخرى ؟ كلا .

فإن العقيدة لا ينتقل منها إلى غيرها ؛ بل ينتقل معها إلى غيرها ؛ لأنها الأصل الأول الذي لا ينبغي أبدًا أن يسقط في أي مرحلة من مراحل الحياة .

ثم آخى النبي ﷺ بين أبناء العقيدة الواحدة ، آخى بين المسلمين في مكة وبين المسلمين من الأوس والخزرج في المدينة ، ثم آخى بين المهاجرين والمسلمين من الأنصار ، آخى بينهم في مهرجان حب وإخاء لم ولن تعرف البشرية له مثيلا .

فلقد امتزجت في هذا المهرجان من مهرجانات الحب والإخاء ، امتزجت القلوب قبل أن تمتزج الأرواح ، وتصافحت الأنفس قبل أن تتصافح الأيدي ، وحلّ المهاجرون في قلوب الأنصار قبل أن يحلُّوا في بيوتهم ، واستطاع الأنصار أن يحلوا في دورهم .

وحل المهاجرون في عيون الأنصار قبل أن يحلوا في بيوتهم ، فاستحق الأنصار هذه المكانة العظيمة الراقية التي زكاهم فيها ربهم جل وعلا فقال مخاطبًا إياهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:٩] .

تلك النعمة التي امتن الله بها على النبي وأصحابه فقال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

إن الأخوة في الله هي العامل الثاني مباشرة بعد العقيدة في تحقيق هذا النصر الذي لم ولن تعرف البشرية له مثيلا ، لقد استطاع الجيل القرآني الفريد الذي تربى على العقيدة والذي تعمقت معنى الأخوة في حياتهم ، استطاع هذا الجيل أن يدمدم على العالم القديم بصولجانه وجبروته ، وأن يدك هذا الجيل القرآني الفريد عروش القياصرة وعروش الجبابرة ، واستطاع هذا الجيل بهذه العقيدة وبهذه الأخوة أن ينتقل نقلة كبيرة من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم بالعقيدة والأخوة .

وتدبر هذا المشهد الرقراق من مشاهد الأخوة الذي لا ينبغي أن يمل العلماء والدعاة من طرحه وتكراره ؛ لتصبح العقيدة والأخوة الحقيقية حية في قلوب الأمة ، تدبر هذا المشهد الرقراق :

ففي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال : آخَى رَسُولُ الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري ـ كان النبي ﷺ آخى بين كل مهاجر وأنصاري ، أي : بين رجل من المهاجرين وبين رجل من الأنصار ، فآخى النبي ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وبين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين .

تدبر ماذا قال الأنصاري «سعد» لأخيه المهاجر : « إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ».

بالله هل في لغة البشر يا مسلمون ما نستطيع أن نعبر به عن هذه الأخوة العظيمة ، وعن هذه المعاني الجميلة ؟ « وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا» ، فقال الأخ العفيف عبد الرحمن : « بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ».

فانطلق عبد الرحمن فباع واشترى وعاد إلى النبي ﷺ وعليه وبر صُفرة ـ أي : أثر طيب ، فقال له المصطفى ﷺ : « مَهْيَمْ؟!» أي : ماذا فعلت يا عبد الرحمن ؟ قَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: « مَا سُقْتَ إِلَيْهَا ؟» قَالَ : وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : « أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » [(١)] .

---

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٩) ، وفي مناقب الأنصار (٣٧٨٠، ٣٩٣٧) ، وفي النكاح (٥٠٧٢) .

الشاهد : ذلكم الحوار الرقراق بين سعد وعبد الرحمن : « فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا قَالَ بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ».

لكن أين الأخوة الآن ؟ كم أكرر وأدندن دائمًا على زمان سعد ابن الربيع . يقول الإخوة : رحم الله زمن سعد بن الربيع ، فأين من يعطى الآن عطاء سعد ؟ والجواب : وأين من يتعفف تعفف عبد الرحمن بن عوف ؟

لقد مضى سعد يوم أن مضى عبد الرحمن بن عوف فلقد ذهب رجل من السلف إلى أخيه ؛ ليقول له : أين من ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فقال له : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافًا ، أين من يعطي عطاء سعد ؟ وقبل أن تسأل هذا السؤال فقل : أين من يتعفف تعفف عبد الرحمن بن عوف ؟

انظر إلى هذه المعاني الرقراقة للأخوة ، بالله إن الأمة ما ذلت الآن وما تحولت إلى قصعة مستباحة لأحقر وأذل أمم الأرض إلا يوم أن ذبحت العقيدة في الأمة شر ذبحة ، ويوم أن تحولت الأخوة إلى كلمات باردة كبرود الثلج لم تلفحها حرارة الإيمان بالله جل وعلا .

أصبح المسلم الآن ينظر إلى إخوانه في أنحاء الأرض يذبحون ذبح الخراف ، أصبح المسلم يرى أخاه المسلم في فلسطين يهدم بيته فوق رأسه وينتزع بالقوة رغم أنفه من بيته ، وأولاده يتعلقون به ، ويهدم بيته أمام عينيه، وأصبح الأخ يرى الأخت ينتهك عرضها وتبقر بطنها وينتزع جنينها من أحشائها ، يرى ذلك على شاشات التلفاز وسرعان ما يرجع إلى أهله ، إلى امرأته أو إلى أطفاله ، أو إلى طعامه ؛ ليأكل ملء بطنه ولينام ملء جفنه،

وليشرب ملء فمه ، وليضحك ملء فمه وكأن الأمر لا يعنيه . لماذا ؟ لأن العقيدة قد ذبحت في القلب شر ذبحة ، ولأن الأخوة أصبحت باردة باهتة لم تلفحها حرارة الإيمان بالله جل وعلا .

والله ما ذلت الأمة إلا لهذا ، ضاعت العقيدة ، ذبحت العقيدة ، ذبحت المعاني العظيمة ، ثم ضاعت الأخوة في الأمة ؛ بل على المستوى القريب على مستوى الإخوة الذين يعملون للإسلام على اختلاف جماعاتهم وفصائلهم ترى العداء وترى الصراع ، وترى التشرذم والتهارج والخلاف .

ترى الأخ ينظر إلى أخيه الذي لا ينتمي إلى جماعته التي ينتمي إليها ، ولا يجلس بين يدي شيخه الذي يتلقى العلم على يديه ، أليس هذا الأخ يوحد الله جل وعلا ويتبع رسول الله ﷺ ويقول : قال الله قال رسوله ؟ أين الأخوة ؟! أين المحبة لله وفي الله ؟ .

إنه واقع يؤلم القلب ، إنه يدمي كل غيور ، حتى الإخوة ممن يعملون للإسلام على ساحة الدعوة ضاعت معنى الأخوة بينهم بكل صدق ووضوح ، أصبحت الأخوة بين العاملين للإسلام باردة باهتة ؛ بل ربما يلقى الأخ أخاه على السنة وعلى سمت السنة فيصنفه تصنيفًا لسمته ، فلا يلقي السلام عليه إن رآه يلبس زيًا معينًا صنفه قال : هذا سلفي ، هذا تبليغي ، هذا إخوان ، هذا أنصار سنة ، هذا كذا ، وهذا كذا .

فمن خلال هذا التصنيف يعلم أنه لا ينتمي إلى جماعته التي ينتمي إليها ، فلا يفكر أن يلقي السلام عليه ، وهو موحد لله يصلي معه ، يتجه معه لقبلة واحدة ؛ بل ربما أكون مبالغًا إن قلت : ويحمل معه همًا واحدًا هو: هم نصرة هذا الدين ، لكن العقيدة ذبحت في القلب فضاعت الأخوة .

فثقوا تمام الثقة أن الأخوة لن تتحقق ولن تعود إلى منهج حياة وإلى واقع

عملي بين الإخوة خاصة وبين المسلمين عامة إلا إذا عادت العقيدة ابتداءً، فلقد ربى النبي ﷺ الصحابة على الأخوة بعد أن رباهم على العقيدة ، مستحيل أن ترى أخًا يفهم حق الأخوة وهو مختل العقيدة وهو مشوش الاعتقاد ، فلابد أن تؤصل وتبني العقيدة في القلوب ابتداء ، ثم يربي أصحاب هذه العقيدة الصحيحة الشاملة المتكاملة على معاني الأخوة من جديد .

نعم ، إن الأمة الآن تحتاج إلى أن يتربى كل أفرادها على العقيدة الصافية بشمولها وكمالها وعلى معاني الأخوة في الجيل القرآني الفريد وبين جيل الخلف الذي تخلف عن السلف .

ثانيا : حق الأخ على أخيه :

نقف مع العنصر الثاني من عناصر هذا الحق ألا وهو حق الأخ على أخيه ، قف على هذه الحقوق لترى حجم الفارق ، على الأخوة السحيقة بين أخوة الخلف وأخوة السلف :

أولا : من حق الأخ على أخيه أن يحبه في الله .

ثانيا : ألا يحمل الأخ لأخيه في قلبه حقدًا ولا غلاً ولا حسدًا .

ثالثا : من حق الأخ على أخيه أن يتورع عنه بلسانه .

رابعًا : من حق الأخ على أخيه أن يحسن الظن به .

خامسًا : من حق الأخ على أخيه أن ينصحه إذا رأى منه حاجة إلى النصيحة .

سادسًا : من حق الأخ على أخيه أن ينصر أخاه ظالمًا كان أو مظلومًا .

سابعًا : من حق الأخ على أخيه أن يستره وأن يغفر له إن اعترف بخطئه .

ثامنًا : من حق الأخ على أخيه إن أخطأ في حقه أخيه وجاء إليه يعتذر أن يقبل عذره .

تاسعًا : من حق الأخ على أخيه أن يقضي له حوائجه على قدر استطاعته .

أولا : من حق الأخ على أخيه أن يحبه لله :

لماذا تبغض أخاك المسلم ؟ لماذا يبغض الأخ أخاه؟ فمن أولى حقوق الأخ على أخيه أن يحب الأخ أخاه في الله ولله .

أخ متبع لهدي النبي ﷺ له سمت السنة ، له خلق السنة ، يقول : قال الله قال رسول الله ﷺ ، يتحرى الحلال والحرام على قدر طاقته ، وهو لا ينتمي إلى فصيلك في الدعوة التي تنتمي إليها ، لماذا تبغضه ؟ لماذا لا تحب هذا الأخ المسلم المتبع ؟

قال سفيان الثوري : إن بلغك عن رجل بالمشرق أو بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام وادع الله له ، فإن أهل السنة في الأمة قليل ، من حق أخيك عليك أن تحبه في الله ولله ، وهذا الحب في الله من أوثق عرى الإيمان ، روى أبو داود من حديث أبي أمامة بسند صحيح أن النبي ﷺ قال « **مَنْ أَحَبَّ لله** » ليس من أجل الجماعة ، وليس من أجل الشيخ ، وليس من أجل المنهج ، وليس من أجل الراية ، وليس من أجل الزعامة ، وليس من أجل الصدارة والدنيا الزائلة ، بل : « **مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله** » ليس من أجل أي رابطة أخرى ، لله « **مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ** » [1].

---

(١) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١) وسنده صحيح .

وتدبر لتقف على الحب في الله ، ففي لحظات تقف البشرية كلها على بساط العدل بين يدي الملك ، والشمس فوق الرؤوس وجهنم غاضبة منه لغضب ربها ، فإن الله قد غضب في هذا اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله .

في هذه اللحظات الشمس فوق الرؤوس وجهنم تزمجر وتزفر ، والزحام يكاد يخنق الأنفاس ، وفي هذه اللحظات ينادي رب الناس جل وعلا فيقول :

« أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي »

ما أعظم الحب في الله وما أطيبه وما أحلاه ، والحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة [١] .

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [٢] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى»- ترك قريته وأتى إلى أخ من إخوته ليزوره في الله، اقرأ ماذا قال المصطفى ﷺ - قال : « فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا » أي : أرسل الله لهذا الزائر الكريم ملكًا من الملائكة : « فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟» إلى أين أنت ذاهب ؟ « قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٦/ ٣٧) .
(٢) رواه البخاري في الإيمان (١٦) ، ومسلم في الإيمان (٤٣/ ٦٧) .

عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا » أي : ألك مصلحة من مصالح الدنيا ؟ « قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ » [1] ، ما أتيت إلا لأزوره في الله ، تدبر ماذا قال الملك لهذا الأخ الزائر الكريم : « قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ » أي : لأخبرك : « بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

من أنت ليحبك الله ؟!! تصبح عبدًا محبوبًا لله ، تصبح عبدًا يحبك مولاك ، لو أحبك رجل من أهل الدنيا كوزير أو رئيس أو ملك لتمنيت أن لو علمت الدنيا كلها بأن فلانًا من أهل الدنيا يحبك ، فماذا لو علمت يقينًا أن ملك الملوك يحبك؟ «فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

وفي سنن الترمذي وموطأ مالك بسند صحيح أن أبا إدريس الخولاني قال : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ - وهو فتى صغير -

يقول أبو إدريس : من هذا ؟ فقالوا له : إنه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يقول أبو إدريس : « فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ : وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ لله .

فَقَالَ: آالله؟

فَقُلْتُ: آالله.

فَقَالَ: آالله؟

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٧) .

فَقُلْتُ: آالله .

فَقَالَ: آالله؟

فَقُلْتُ: آالله.

قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ فإِنِّي سمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

« قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » (١) .

واعلم بأنك سوف تبعث وتحشر يوم القيامة مع من تحب ، فنقب في قلبك الآن عمن تحب ؟ هل تحب العلماء والدعاة وأهل الفضل وتحب المسلمين الصادقين ؟ هل تحب لاعبي الكرة ؟ هل تحب الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات؟ من تحب ؟ حدد الجواب وأنت الذي أعلم به من غيرك والله أعلم بجوابك منك ، حدد الجواب ، فستحشر يوم القيامة مع من تحب .

ففي الصحيحين : « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا » قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ـ والمقصود أن تحب الله ورسوله حقيقة ومقالا لا ادعاءً وزعمًا ؟ ـ فقال له المصطفى ﷺ :

« الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» .

---

(١) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٥/ ٢٢٩) ، ومالك في الموطأ في كتاب الشعر (٢/ ٧٢٦، ٧٢٧) رقم (١٦) .

يقول أنس : فو الله ما فرحنا بشيء كفرحنا بقول النبي ﷺ : « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » (١) .

يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه : والله لو قام رجل يعبد الله بين الركن والمقام في بيت الله سبعين سنة لبُعث أو لحشر يوم القيامة مع من أحب .

ويقول عبد الله بن عمر : والله لو قمت الليل لا أرقد ولو صمت النهار لا أفطر ، وأنفقت مالي كله في سبيل الله ، أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله ، وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك كله .

فاعلم أيها الأخ الكريم بأن المرء يحشر مع من يحب ، فأول حق للأخ على أخيه أن يحب الأخ أخاه في الله ولله .

ثانيا : ألا يحمل الأخ لأخيه في قلبه حقدًا ولا غلا ولا حسدًا :

فالمؤمن طاهر النفس زكي القلب ، الحاقد والحاسد معترض على الله ؛ لأنه يعترض على من قسم الأرزاق بين العباد ، إن رزق الله أخًا من إخوانك مالا فلِمَ الحقد ، ولِمَ الحسد ؟

لِمَ لا تتضرع إلى من رزقه أن يرزقك وهو الغني الحميد؟ أتعترض على حكمة الله في تقسيمه الأرزاق بين خلقه وعباده ؟ إن الله قد فضل بعض الناس على بعضهم في الرزق ، والعلم رزق ، والمال رزق ، والخلق رزق ، والصحة رزق ، والزوجة الطيبة رزق ، والأولاد الصالحون رزق ، والوظيفة التي لا تحول بينك وبين طاعة الله رزق ، كل هذا من رزق الله .

فليس الرزق مقصورًا على المال فحسب ، فإن رأيت أخًا من إخوانك قد رزقه الله علمًا أو مالاً أو جاهًا أو زوجة طيبة أو أولادًا صالحين فيجب عليك

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٧١) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٣٩) ..

أن تدعو الله لأخيك أن يحفظ الله عليك النعمة كما أنعم على إخوانك .

واعلم أن الحقد من صفات اليهود ، واعلم أن الحسد من صفات اليهود فهل تحب أيها المسلم أن يحمل قلبك صفة من صفات أخبث أهل الأرض: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩] . فالحسد من صفات اليهود ، والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين :

« لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» (١).

فمن حق الأخ على أخيه أن ينام على فراشه وهو لا يحمل في قلبه غلاً ولا حقدًا ولا حسدًا لأخ من إخوانه ممن يوحدون الله ويشهدون أن محمدًا رسول الله ﷺ .

ثالثًا : من حق الأخ على أخيه أن يتورع عنه بلسانه :

فإن من الكلام ما يذبح ، فقد يتورع الأخ عن أكل اللحم الحلال ، يسأل عن البسطرمة ويسأل عن اللانشون ويسأل عن الذبح هذا أمر جميل ، لكن الذي يؤلم القلب أن ترى هذا التورع أحيانًا في الحلال ولا ترى التورع في أكل لحوم الإخوان في الليل والنهار ، فلا تأكل لحم إخوانك فإن من الكلام ما يذبح .

قد يذبح الأخ أخاه بكلمة قد تدمر أسرة ، بكلمة قد تقوم حرب بين دولتين ، بكلمة يشعل نارها الإعلام الذي لا يرقب في المسلمين إلا ولا ذمة .

كلمة : فإن ترك الألسنة تلقي التهم جزافًا دون بينة أو دليل يترك المجال فسيحًا لكل من يشاء ، أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ثم يمضي آمنًا

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٦) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣) .

مطمئنًا ، فتصبح الجماعة وتمسي فإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة ، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام ، وهذه حالة من القلق والشك والريبة ، لا يمكن أن تطاق بأي حال من الأحوال فما أخطر الكلمة ، فبكلمة تدخل دين الله ، وبكلمة تخرج من دين الله ، وبكلمة تنال رضوان الله ، وبكلمة تنال سخط الله ، وبكلمة يحل لك فرج امرأة ، وبكلمة يحرم عليك فرجها ،كلمة ! ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] .

وفي الصحيحين من حديث أي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » [(١)] .

كلمة ، يجلس على مقهى أو بين إخوانه في الوظيفة ، في المكتب وينتهك عرض أخيه ، يأكل لحم أخيه ، ينهش لحوم العلماء الأصفياء الأتقياء وهذه مصيبة مركبة .

اعلم يا أخي في الله ، وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلني الله وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ، اعلم بأن لحوم العلماء مسمومة ، وأن عادة الله في هتك أستار من تقصى العلماء معلومه ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسلب بلاه الله قبل موته بموت القلب .

احذر أن تأكل لحوم العلماء ، واحذر أن تأكل لحوم إخوانك من المسلمين الأصفياء الصالحين الأتقياء ، فالكلمة خطيرة .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٨) ، ومالك في الموطأ في كتاب الكلام (٢/ ٧٥٢) رقم (٦) .

سُئل النبي عن أفضل المسلمين كما في الصحيحين من حديث أبي موسى : أي المسلمين أفضل يا رسول الله ؟ قال ﷺ :

« مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » (١) .

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (٢).

وفي سنن الترمذي بسند صححه الألباني من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال :

« إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ : اتَّقِ الله فِينَا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» (٣).

وتدبر هذا الحديث الذي لو علمه المؤمن التقي لفكر ورب الكعبة ألف مرة قبل أن ينطق مرة ، الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ وَلَيْسَ بِخَارِجٍ » .

هل تعلمون ما ردغة الخبال ؟

ردغة الخبال هي : « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » (٤) .

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (١١) ، ومسلم في الإيمان (٤٠/ ٦٤) .
(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨ ، ٦٠١٩) ، ومسلم في الإيمان (٤٧) .
(٣) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٣/ ٩٦) ، والترمذي في الزهد (٢٤٠٧) .
(٤) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٢/ ٧٠) ، وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٧) ، وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٤، ٢٢٧٥) .

وتدبر هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والطبراني وصححه الألباني بجموع طرقه من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال :

« الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا : أَدْنَاهَا مِثْلَ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ ، وَمِنْ أَرْبَى الرِّبَا : اسْتِطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقّ » (١) .

فمن حق الأخ على أخيه : ألا يؤذي الأخ أخاه بلسانه بكلمة ، تورع من أخيك ، وادع الله عز وجل له .

رابعًا : من حق الأخ على أخيه أن يحسن الظن به :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

أخوك إن قال قولا أو فعل فعلا فمن حقه عليك أن تحسن الظن به ، وأن تنطلق في الحكم عليه من مظنة حسن الظن : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » (٢) .

فالمؤمن يظن بأخيه المؤمن خيرًا ولا يظن به شرًا ولا سوءً .

ولله در الكرام الأطهار ، يوم أن رأى عمر بن الخطاب أبا بكر يتفقد امرأة ، أو يدخل بيتًا في المدينة في أوقات الليل فتعجب عمر ، ثم دخل هذا البيت أيضًا في الليل لينقب وليبحث لماذا يدخل الصديق هذا البيت؟ فدخل عمر البيت فوجد امرأة عجوزًا لا تقوى على الحركة ولا على أن تخدم نفسها بنفسها ، فقال لها عمر : ماذا يصنع هذا الرجل الذي يدخل

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٦) ، وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٤، ٢٢٧٥) ولفظ الحديث عند الطبراني في الصغير كما في الجامع الصغير (٤٥٠٦) ، وقال السيوطي : حديث صحيح .
(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٦) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣/٢٨) .

عليكم ؟ قالت : والله يا بني ، إنه يأتي ليصلح لنا أمرنا ، وليقضي لنا حوائجنا .

فانطلق عمر وهو يقول : ثكلتك أمك يا عمر ! تبحث عن عورات أبي بكر ؟! قف مع نفسك ولا تبحث عن عورات إخوانك وأحسن الظن بأخيك المسلم .

خامسًا : من حق الأخ على أخيه أن ينصحه إن رأى منه حاجة إلى النصيحة :

من حق الأخ على أخيه أن ينصحه إن رأى منه حاجة إلى النصيحة ، أو إن رآه على خطأ .

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »

قُلْنَا : لِمَنْ ؟

قَالَ: « لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[1] .

فإن رأيت أحد إخوانك على خطأ فانصحه لكن بآداب النصيحة ، بشروط النصيحة ، بالحكمة ، بالرحمة ، بالتواضع.

رأيت أحد الإخوة وأنا في السعودية يريد أن ينصح مسلمًا للدخول إلى المسجد لصلاة العصر ، فتلكأ المسلم حينما صادف زميلاً له في الطريق وتعانقا وتصافحا ووقفا للحديث ، فأراد هذا الأخ أن يذكر هذا المسلم بالدخول إلى المسجد وأن ينصحه بهذه النصيحة الغالية .

ماذا قال له ؟ قال له : صل يا حمار ! فاقتربت منه وقلت : يا أخي ، وهل فرض الله الصلاة على الحمير ؟! هذه ليست نصيحة ، فينبغي إن

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥/ ٩٥) .

رأيت أخاك على خطأ أن تنصحه بأدب وحكمة ورحمة وتواضع : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

سادسًا : من حق الأخ على أخيه أن ينصره ظالمًا كان أو مظلومًا :

من حق الأخ على أخيه أن ينصره ظالمًا كان أو مظلومًا ، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال :

« **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** ».

قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ ﷺ :

« **أَنْ تَكُفَّهُ عَنْ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ** » (١) .

إن رأيت أخاك مظلومًا وكنت قادرًا على نصرته فانصره ، وإن رأيت أخاك ظالمًا فكفه عن الظلم فهذا من نصرته .

سابعًا : من حق الأخ على أخيه أن يستره وأن يغفر له إن اعترف بخطئه :

من حق الأخ على أخيه أن يستره وأن يغفر له إن اعترف بخطئه ، أظن أن هذا الحق من أعظم الحقوق المفقودة الآن بين المسلمين .

فالناس صنفان :

الصنف الأول : صنف مشتهر بالصلاح والدين والخلق ، وهذا ليس ملكًا مقربًا ولا رسولاً مرسلاً قد يزل وقد يخطئ ، وهذا من حقه علينا إن زل أن نستر عليه خطأه .

---

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤) ، وفي الإكراه (٦٩٥٢) .

الصنف الثاني : صنف مشتهر بالفسق ، معلن للمعاصي لا يتورع ولا يستحي أن يقول : إني زنيت بامرأة فلان ، أو ببنت فلان ، ويجلس على المقهى ويقول : لقد أخذت رشوة من فلان ، ويتبجح ويعلن معصيته ، وهذا هو الفاسق الفاجر الذي لو أردت أن تحذر الناس منه فلا غيبة له ، ولا حرمة على من حذر الناس من شره ، أما المستور الصالح المتخلق بأخلاق الإسلام فإن أخطأ فهو بشر ، ليس ملكًا مقربًا ، ولا نبيًّا مرسلاً ، فيجب عليك إن زل أن تستر عليه خطأه ، فإن من الظلم البين إن أخطأ مسلم من الصالحين بيننا أن ننسف فضله وأن ننسى خيره ، من كان بيته من الزجاج فلا يلقي الناس بالحجارة ، فكلنا على خطأ ، وكلنا على تقصير ، أسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

ثامنًا : من حق الأخ على أخيه إن أخطأ في حقه أخيه وجاء إليه معتذرًا أن يقبل عذره :

من حق الأخ على أخيه إن أخطأ في حقه أخيه وجاء إليه معتذرًا أن يقبل عذره وأن يغفر له ، لا تكن متجبرًا متكبرًا إن جاء إليك أخوك فاقبل عذره لا تقل : لا ، لا أقبل عذرًا منك ، أنت بشر معرض للخطأ ، بل مخطئ فإن أخطأ أخوك في حقك وجاء إليك معتذرًا فلا تكن متعنتًا متكبرًا ، بل اغفر لأخيك خطأه .

وما أجمل ما قاله ابن السماك حينما جاء إليه أخوه يومًا ليقول : يا ابن السماك ، موعدنا غدًا نتعاتب .

قال : بل موعدنا غدًا نتغافر .

فلا تؤذ إخوانك دومًا بكثرة العتاب ، أنا أعاتبك : لقد قلت كذا ، وأنا أعاتبك لقد فعلت كذا .

يا أخي ، سبحان الله ، أنت بذلك تجرح إخوانك وتؤذي إخوانك ، بل ما أجمل أن تكون عفوًا عن زلات إخوانك ساترًا لأخطائهم .

يقول النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني من حديث أبي برزة الأسلمي :

« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » (١) .

تاسعًا : من حق الأخ على أخيه أن يقضي له حوائجه على قدر استطاعته :

من حق الأخ على أخيه أن يقضي له حوائجه على قدر استطاعته ، إن طلب منك أخوك شفاعة أو طلب منك أخوك مصلحة فمن حقه عليك أن تقضي له مصلحته وحاجته إن كنت قادرًا على ذلك .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (٢) .

وأود أن أقول للأخ الذي طلب المصلحة أو الحاجة من أخيه أن يتقي الله في أخيه ، وأن يحسن الظن به ، فإن قال له أخوه : سامحني ، والله لا أقدر على قضاء مصلحتك ، فيجب عليه أن يسامحه وأن يحسن الظن به ، لا أن ينطلق بعد ذلك ليأكل لحمه وليأكل عرضه ، لماذا لم يقض لي حاجتي

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٤/ ٤٢١، ٤٢٤) ، والترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢).
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩/ ٣٨) .

وهو قادر .يا أخي أنت لست أدرى منه ؛ بل ما أجمل أن يقضي الأخ لأخيه حاجته ويقول : أخي الكريم ، أريد منك كذا وكذا ، أريد منك أن تتشفع لي عند المسؤول الفلاني ، أو أن تقضي لي هذه المصلحة ، أو أن تمنحني ألف جنيه ـ مثلا ـ ثم يقول أخي الكريم : هذه حاجتي إليك ، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك ، فإن الأمور تجري بمقادير الله .

هذه هي معاني الأخوة الرقراقة ، وهذه هي حقوق الأخوة التي ضاعت الآن بعد أن ذبحت العقيدة شر ذبحة ، ما أحوج الأمة إلى هذه المعاني وإلى هذه الكلمات ، والله أسأل أن يردنا إلى هذا الحق ردًا جميلا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثالثا : وسائل تعميق الأخوة :

كيف يعمق الأخ روابط الأخوة بينه وبين أخيه في نقاط سريعة :

أولا: أن يخبر الأخ أخاه أنه يحبه في الله .

ثانيا : أن تلقى أخاك بوجه منبسط .

ثالثا : أن يسرع الأخ ويبادر بمصافحة أخيه .

رابعًا : أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب .

خامسًا : أن يشارك الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح .

سادسًا : « تهادوا تحابوا » .

أولا : أن يخبر الأخ أخاه أنه يحبه في الله :

إن أحببت أحد إخوانك فقل : أشهد الله أني أحبك في الله ، هذه تفتح

لك قلبه ، وتقوي أواصر الأخوة بينك وبين أخيك ، وهذا امتثال منك لهدي الحبيب المصطفى ﷺ كما في سنن أبي داود بسند صحيح من حديث المقدام بن معدي كرب أنه ﷺ قال :

« إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » (١) .

وفي سنن أبي داود من حديث أنس بسند صحيح : إِذْ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ :

« هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَلِكَ؟ » قَالَ: لَا .فَقَالَ : « قُمْ فَأَعْلِمْهُ » .قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي الله . قَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ (٢) .

وامتثالا مني لهذا الهدي النبوي : فإني أشهد الله أني أحبكم جميعًا في الله ، وأسأل الله أن يجمعني بكم مع المتحابين بجلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

ثانيا : أن تلقى أخاك بوجه منبسط :

من وسائل تعميق الأخوة أن يلقى الأخ أخاه بوجه منبسط ، لا تلقاه بوجه عابس ، وإن سلم عليك تعرض بوجهك ، وليس من السنة ولا الأدب إن مدَّ إليك يده ليصافحك فتصافحه وأنت تنظر في اتجاه آخر ؛ بل انظر إلى وجهه بوجه منبسط .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ » (٣) .

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٤/ ١٣٠) ، وأبو داود في الأدب (٥١٢٤) .
(٢) صحيح : رواه أبو داود في الأدب (٥١٢٥) .
(٣) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٦/ ١٤٤) .

هذا من المعروف لو لم تبذل شيئًا من المال ، لو لقيت إخوانك بوجه منبسط فهذا معروف .

ثالثا : أن يسرع الأخ ويبادر بمصافحة أخيه :

ولا تصافح أخاك مصافحة باردة بأطراف الأصابع ؛ بل اشدد على يد أخيك بحب ، لا أقول بغلظة وإنما بحب ورحمة ، وتدبر هذا الحديث الذي لو لم تخرج الأمة من هذا الموضوع إلا به لكفى .

ففي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا » (١) .

والله إنه لفضل مغبون من حرم منه ، ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا .

رابعًا : أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب :

من وسائل تعميق الأخوة أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب ، إن وجدت في قلبك شيئًا من أخ من إخوانك ، إني أنصحك : ما عليك إلا أن ترفع أكف الضراعة إلى الله ، وأن تدعو لهذا الأخ وستجد في قلبك حلاوة ولذة وانشراحًا وحبًّا لهذا الأخ ما كنت أبدًا ترى له طعمًا قبل هذه الدعوات ، فبكل دعوة ستدعو بها لأخيك ستذوق حلاوتها وطعمها ؛ لأن الذي سيؤمن على دعائك ملك كريم من ملائكة رب العالمين ليقول لك الملك : ولك بمثل ، وإن قلت : اللهم اغفر لأخي ، سيقول الملك : ولك بمثل ، ودعوة الملك أعظم وأقرب إلى الله من دعوتك أنت لأخيك ؛ لأنك

---

(١) إسناده حسن : رواه أحمد (٤/ ٢٨٩، ٣٠٣) ، وأبو داود في الأدب (٥٢١٢) ، والترمذي في الاستئذان (٢٧٢٧) ، وابن ماجه في الأدب (٣٧٠٣) .

صاحب المعاصي ، والملك دعاؤه مستجاب وتأمينه مستجاب ، إن قلت : اللهم استر أخي ، يقول الملك : ولك بمثل .

يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء : « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ** » (١) .

خامسًا أن يشارك الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح :

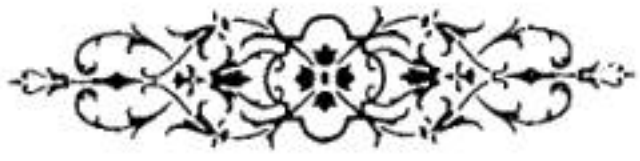
من وسائل تعميق الأخوة أن يشارك الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح لابد أن يرى الأخ أخاه بجواره ، في حزن ليقف ليواسيه ، في فرح يهنؤه ليسعده بكلمة طيبة أو بهدية قليلة .

سادسًا : « تهادوا تحابوا » :

ففي الحديث الذي رواه أبو يعلى والطبراني بسند حسنه الألباني من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال : « **تَهَادُوا تَحَابُّوا** » (٢) .

فالهدية تفتح القلب للمحبة والمودة ، فقدم هدية لأخيك في عرس ولده أو في فرح من أفراحه ولو كانت الهدية قليلة ، فإن الهدية تفتح القلب بالمحبة والمودة والرحمة .

هذه بعض وسائل تعميق الأخوة بعد أن تعرفنا على حقوق الأخوة ، فتحقيقها وسيلة من وسائل تعميق الأخوة ، والحمد لله رب العالمين .



---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٢/ ٨٦) .

(٢) إسناده حسن : رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٠٧) ، وأبو يعلى (٦١٢٢) ، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٦٩) عن أبي هريرة .

حقوق يجب أن تعرف

حق التقوى



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق التقوى

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق التقوى** » .

وحق التقوى حق كبير جليل ومع ذلك فهو حق عزيز غريب لغربة أهله وقلتهم ، وأنا ما أبرئ نفسي ، فأنا لا أتعرض لهذا الحق من منطلق الشعور بالأهلية ، إنما من منطلق الشعور بالمسؤولية ، وهذا ما تؤصله وتقرره القاعدة الأصولية : إن عدم الماء تيمم بالتراب ، والله أسأل أن يجعل سرنا أحسن من علانيتنا ، وأن يجعل باطننا أحسن من ظاهرنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أيها الأحبة : سوف أحصر هذا الحق الكبير الجليل على العناصر التالية :

أولاً : التقوى لغة وشرعًا .

ثانياً : حق التقوى .

ثالثاً : صفات المتقين .

وأخيراً : ثمرات التقوى .

فأعيروني قلوبكم جيدًا فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان والله أسأل أن يجعلنا جميعًا من المتقين.

أولاً : التقوى لغة وشرعاً :

أيها الأحبة : التقوى هي الاسم من اتقى والمصدر الاتقاء ، وكلاهما مأخوذ من مادة « وقى » والوقاية : هي حفظ الشيء مما يضره ويؤذيه ، فأصل التقوى

أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية ، فتقوى العبد لربه سبحانه وتعالى أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه وقاية تحفظه وتمنعه وهذا هو المعنى الشرعي للتقوى .

فلقد سأل سائل أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا أبا هريرة ، ما التقوى ؟

فقال أبو هريرة: هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ يعني هل مشيت على طريق فيه شوك؟

قال : نعم .

قال : فماذا صنعت ؟

قال السائل : كنت إذا رأيت الشوك عدلت عنه وابتعدت عنه ، فقال أبو هريرة : ذاك التقوى فأخذ ابن المعتز هذا الجواب البليغ وصاغه في هذه الصياغة المعبرة ، فقال :

خَلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش بأرض الشوك تحذر ما ترى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وعرفها علي ـ رضي الله عنه ـ فقال : التقوى هي العمل بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وعرفها طلق بن حبيب فقال : التقوى هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وعرفها عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: ليس تقوى الله بصيام

النهار، وقيام الليل والتخليط بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير .

وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه : ينادى يوم القيامة ويقال : أين المتقون فيقومون في كنف الرحمن ؟والكنف في اللغة ـ لا تأويلاً لصفة لسنا ممن يأول الصفات ـ الكنف في اللغة: هو الستر والرحمة ينادى يوم القيامة ويقال : أين المتقون؟ فيقومون في كنف الرحمن ، لا يحتجب عنهم ولا يستتر ، فقيل له : فمن المتقون ؟ فقال معاذ ـ رضي الله عنه : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة .

أيها الإخوة : لا أريد أن أطيل في تعريفات التقوى فبالجملة : هي الغاية من الخلق فالغاية من خلق الخلق هي العبادة قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] ، والغاية من العبادة هي التقوى قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١] . فالغاية من العبادة هي التقوى والغاية من خلق الخلق هي العبادة ، ومن هنا فإن التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين من خلقه وهي وصية النبي ﷺ لجميع أمته وهي وصية السلف لبعضهم البعض قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:١٣١] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

التقوى هي وصية النبي ﷺ لجميع أمته ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه

الترمذي وغيره من حديث العرباض بن سارية قال : وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ قُلْنَا أَوْ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، فقال النبي ﷺ :

« أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله ... » [(١)] إلى آخر وصيته الخالدة .

وفي سنن الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ أوصى معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ فقال :

« يَا مُعَاذ ، اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » [(٢)] .

وفي مسند أحمد بسند حسن من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، أوصني فقال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ » .

وفي لفظ : « عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ » [(٣)] .

فالتقوى وصية النبي ﷺ لجميع أمته ، والتقوى وصية السلف الصالح بعضهم لبعض ، كان أحدهم إذا أوصى أخاه أوصاه بتقوى الله فهي وصية الصديق ـ رضي الله عنه ـ للأمة كان يوصي الأمة في خطبه ، ويقول : أما بعد ... فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، ولما عهد بالخلافة لعمر بن

---

(١) صحيح الإسناد : رواه الترمذي في العلم (٢٦٧٦) وقال : حسن صحيح ، وأبو داود في السنن (٤٦٠٧) ، وابن ماجه في المقدمة (٤٣ ، ٤٤) ، وأحمد (٤/ ١٢٦ ، ١٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٢٠ ، ١٠/ ١١٥) .

(٢) إسناده حسن: رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٨٧) ، وقال : حسن ، وأحمد (٥/ ٢٣٦).

(٣) صحيح الإسناد: رواه أحمد (٣/ ٨٢) ، وأبو يعلى (٩٩٦) ، والطبراني في الصغير (٢/ ٦٦) .

الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دعاه فأوصاه وقال : اتق الله يا عمر ، وهي وصية عمر لولده عبد الله بن عمر كتب إليه يوماً فقال : أما بعد ... فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده ، فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك .

وهي وصية عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى : فلقد أوصى أخًا من إخوانه يومًا فقال : أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير ، وإن العاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين ، وأنا أتضرع إلى الله أن يجعلني وإياكم من الواعظين العاملين بها ، إنه على كل شيء قدير .

وأوصى ابن السماك ذلكم الواعظ الزاهد العابد أخاً من إخوانه يوماً فقال : أما بعد أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك ، أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك ، أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك ، فاجعل الله من بالك في كل حالك ، من ليلك ونهارك ، فإنك بعينه سبحانه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ، ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك والسلام .

هذه وصية السلف فهي وصية الله للخلق ووصية النبي للأمة ، ووصية السلف لبعضهم البعض ، هذه هي التقوى لغة وشرعاً ، فما حق التقوى ؟

والجواب : في عنصرنا الثاني من عناصر الموضوع :

حق التقوى :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

قال بعض أهل التفسير : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ومن يقوى على ذلك ؟ يعني من يقوى على حق التقوى ؟ فنزل قول الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

قال ابن عباس : والآية الأولى ليست منسوخة كما ذكر بعض أهل العلم : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ليست منسوخة ولكن المعنى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٢]

قال ابن عباس : أي جاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، وقوموا لله بالقسط ، ولو على أنفسكم وأبنائكم ، فالمعنى اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم ، وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه : اتقوا الله حق تقاته أي : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، فالتقوى هي طاعة الله عز وجل ، وامتثال أمره واجتناب نهيه ، والوقوف عند حده والبعد عن معصيته .

فمن حق التقوى : أن يطاع فلا يعصى ، فشؤم المعصية في الدنيا والآخرة عظيم فما الذي طرد إبليس من رحمة الله ، وما الذي أهلك فرعون وملأه ، وما الذي أهلك قوم عاد ، وما الذي أهلك قوم ثمود ، وما الذي أهلك قارون ، وما الذي أهلك الجبابرة في كل زمان ومكان ؟ إنها المعصية ، قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ

كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

[طه:١٢٣-١٢٧]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه والحاكم بسند صححه الألباني من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » (١) .

شؤم المعصية : فمن حق التقوى أن يطاع فلا يعصى ، ومن رحمة الله أن التقي قد يذل في المعصية ، لكنه لا يصر عليها ، وإن ذكر بالله تذكر ، واستغفر الله عز وجل ، فلا تخرجه هذه المعصية إن تاب منها من بستان المتقين ، وهذا من فضل الله رب العالمين على أمة سيد المرسلين ﷺ .

ومن حق التقوى : أن يذكر فلا ينسى سبحانه وتعالى ، فلا يذكر الله إلا مؤمن تقي ، ولا يغفل عن ذكر الله إلا جاحد شقي ، فالذاكر لله حي ، وإن حبست منه الأعضاء ، والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء .

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩) ، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وصححه، ووافقه الذهبي .

ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » (١) .

والذاكر في معية الله : ففي الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » (٢) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والبيهقي والحاكم من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

«لَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ » .

قَالُوا : بَلَى.

قَالَ : « ذِكْرُ الله تَعَالَى» (٣) .

فمن حق التقوى : أن يذكر الله ، والغافل عن ذكر الله جل وعلا فاسق شقي

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٠/ ٢١٢) .
(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥) .
(٣) صحيح الإسناد: رواه أحمد (٥/ ١٩٥ ، ٢٣٩) ، والترمذي في الدعوات (٣٣٧٧) ، ومالك في الموطأ في القرآن (١/ ١٨٥) رقم (٢٤)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٠) ، والحاكم (١/ ٤٩٦) والبيهقي في الشعب (٥١٩) .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٨، ١٩] .

ومن حق التقوى : أن يشكر فلا يكفر ، فبأي نعم الله تكفر وبأي نعم الله تجحد قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [إبراهيم:٣٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم:٧] ، فالشكر هو الحافظ ، والجالب ، هو الحافظ للنعم الحالية ، والجالب للنعم المستقبلية ، والشكر له ثلاثة أركان :

الأول : الاعتراف بنعم الله باطنًا .

والثاني : التحدث بنعم الله ظاهرًا .

والركن الثالث : الاستعانة بالنعمة على طاعة المنعم ، هذه أركان الشكر ، الاعتراف بنعم الله باطناً ، التحدث بنعم الله ظاهراً ، الاستعانة بالنعمة على طاعة المنعم ، هذه أركان الشكر ، فحق التقوى أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، هذا باختصار ما يقال في حق التقوى.

بعد ما تعرفنا على التقوى لغة وشرعًا وبعد ما تعرفنا على حق التقوى بإيجاز ، تعالوا بنا لنتعرف على صفات المتقين في عنصرنا الثالث من عناصر هذا الموضوع الطيب :

صفات المتقين :

أسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه ، لقد ذكر الله تعالى المتقين وعدد صفاتهم الجليلة في كثير من آيات القرآن وسوره ، ولا أستطيع البتة أن

أستقصي كل هذه الصفات في هذا المقام ، فلقد وردت لفظة التقوى بتصاريفها المختلفة في القرآن الكريم ما يقرب من (٢٥٨) مرة فلا أستطيع أن أستقصي كل صفات المتقين ، ولكن على عجل تعالوا بنا ؛ لنقف على أهم هذه الصفات من خلال آيات رب الأرض والسماوات قال الله جل وعلا :

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة:١-٥] هذه بعض صفات المتقين ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَۖ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧] هذه بعض صفات المتقين ، وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥] هذه بعض صفات المتقين ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن

تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] .

إذا كانت الحكمة العربية تقول : من أخصب تخير أي من وجد الأرض الخصبة تخير المكان الذي سيرعى فيه ، أو الذي سيضع أغنامه ترعى فيه من أخصب تخير ، أنا أجد هذه الحكمة الآن ، وأنا أتحدث عن صفات المتقين تنقلب عليَّ ، فأنا لا أراها من أخصب تخير ، وإنما أراها من أخصب تحير !!

فعن أي صفات المتقين أتحدث ، وعند أي صفاتهم أتوقف ، هل أتحدث عن صفة إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ؟ أم أتحدث عن صفة إيمانهم بالغيب ؟ أم أتحدث عن صفتهم لإنفاق المال على حبه ؟ أم أتحدث عن إنفاقهم في السراء والضراء ؟ أم أتحدث عن كظمهم للغيظ ؟ أم أتحدث عن توبتهم وعدم إصرارهم على الذنوب والمعاصي؟ أم أتحدث عن إقامتهم للصلاة وإيتائهم الزكاة وحجهم لبيت الله ؟ أم أتحدث عن تعظيمهم لشعائر الله ؟ ألم أقل لكم من أخصب تحير ، فكل هذه الصفات والله الذي لا إله غيره تحتاج كل صفة إلى موضوع مستقل ، فصفات المتقين كثيرة وكل صفة تحتاج إلى وقفة طويلة ، ولندع الآيات الكريمة المباركة لتعمل عملها في القلوب التقية والعقول النقية على قدر توفيق وفتح رب البرية .

وفي عجالة نكمل التطواف في هذا البستان الوارف الظلال الماتع والعبير والأزهار والجمال ، بعد ما حلقت أرواحنا في هذا الأفق الوضيء السامق مع التقوى ، ومع المتقين تعالوا بنا لنكمل التطواف لهذا البستان الكريم ؛ لنجني بعد هذه الرحلة الماتعة الثمار ؛ لنجني التقوى ؛ لنجني الثمار اليانعة الهنية التي أعدها للمتقين رب البرية جل جلاله .

وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر هذا الموضوع الطيب :

ثمرات التقوى :

نتعرض لها هنا على عجل لأننا لن نتمكن من قطف كل هذه الثمار ؛ لأنها كثيرة وعظيمة ، ولنقتطف أعظمها وأجلها ، وإن كنت أدين لربي بأن الثمرات كلها عظيمة وجليلة .

على عجل : أعظم ثمرات التقوى : معية الله للمتقين . قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٩٤] .

معية الله نوعان : معية خاصة ومعية عامة ، أما المعية العامة فهي معية العلم الشامل والإرادة والإحاطة لا يعزب عن معيته شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة:٧] أي: في أي مكان كانوا ، كان معهم سبحانه بعلمه ، بسمعه ببصره ، بقدرته ، بإرادته ، بإحاطته ، لا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء .

فإذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

أمسك أعرابي أعرابية في الصحراء وأراد أن يفعل بها الفاحشة ، فذكرته بالله جل وعلا بأسلوب بديع ، وقالت : اذهب انظر هل نام الناس في الخيام ؟ هل يرانا من أحد؟ فذهب لينظر أحوال الناس في الخيام فعاد إليها ؛ ليقول لها : أبشري فقد نام الناس جميعاً ثم قال مداعباً : لا يرانا أحد لا يرانا إلا الكواكب فنظرت إليه باكية وهي تقول : فأين مكوكبها ؟ .. أين الله ، فالمعية العامة معية العلم الشامل .

أما المعية الخاصة فهي معية الله للمتقين ومعية الله للمحسنين ومعية الله للمؤمنين والموحدين ، وهي معية الحفظ والتأييد والنصر والعون والمدد ، ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ ﴾ [طه:٤٢-٤٥] ، يقول موسى وهارون : ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٥،٤٦] .هذه معية الحفظ ، معية النصر والتأييد .

قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لحبيبه ومصطفاه : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، وهما في الغار فقال المختار ﷺ لصديقه وصاحبه قال :

« يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟! لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا » [(١)] .

هذه هي المعية الخاصة معية الحفظ والنصر والمدد والتأييد والرعاية والعناية ، هذه المعية لا يحصلها إلا المتقون إلا المحسنون إلا الموحدون إن الله مع المتقين .

أيها التقي ، لا تحزن ، ثم أبشر ثم أبشر ، فإن الله معك وإن كان الله معك فمعك الهادي الذي لا يضل ومعك الحارس الذي لا ينام ، ومعك القوي الذي لا يقهر ، ومعك الغني الذي لا يفتقر ، ومعك العزيز الذي لا يذل ، معك الله ، ويا لها من معية جليلة كريمة ، لو عرف المتقون بل المؤمنون قدرها . أسأل الله أن يرزقنا معيته الخاصة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الثمرة الثانية من ثمرات التقوى : حب الله للمتقين : هل سمعتم : حب الله

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١) .

للمتقين قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:٧٦] .

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب ليرتعد وإن الكلمات كلها لتتوارى خجلاً وحياء أمام هذه الثمرة ألا وهي ثمرة حب الله للمتقين .

أيها المسلمون أيها المحبون ، إن حب الله لعبد من عباده أمر لا يتصوره ولا يدركه إلا من عرف الله بجلاله وعظمته ، إن حب الله لعبد من عباده أمر لا يتصوره ولا يدركه إلا من عرف الله بجلاله وعظمته .

لو قلت لك : بأن فلاناً من الناس ، لو قلت لك بأن الوزير الفلاني أو أن الأمير الفلاني أو أن الملك الفلاني أو أن الرئيس الفلاني يحبك ، وقد صرح بذلك في مجلسه الخاص بل على شاشات التلفاز كيف يكون حالك ؟! والله لن يعرف النوم لعينيك طريقاً كيف يكون حالك إذا قلت بأن الملك الفلاني يحبك ؟ فكيف يكون حالك إذا قلت لك : إن ملك الملوك يحبك ؟ والله يحب المتقين .

إن حب الله لعبد من عباده أمر لا يتصوره ولا يدركه إلا من عرف الله بجلاله وعظمته وقدرته ممن قدروا الله حق قدره ، وإن حب العبد أيضاً لربه نعمة من الله لهذا العبد لا يدرك حلاوتها إلا من ذاقها ، وشتان شتان بين الأقوال والأحوال والأعمال ، فمن نقل إليه الطعم ليس بالضرورة أن يتذوق الطعم ، لو نقلت إليك الآن طعم ثمرة فأنت لا يمكن بحال أن تتذوق هذا الطعم بمجرد نقلي إليك طعم الثمرة فشتان شتان بين الأقوال والأحوال والأعمال ، فالله سبحانه وتعالى معهم .

فأيها التقي لا تخف ، لا تحزن ، أيها التقي ممن تخاف إن كنت قد أصَّلت لك بأن الله معك ؟ أيها التقي ، على أي شيء تحزن إن كنت قد أصَّلت لك بأن

الله يحبك ؟ فكيف تحزن والله يحبك؟ فكيف تخاف والله معك ؟ ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٣٥] .

الثمرة الثالثة : بإيجاز شديد البركات من السماء والأرض على أهل التقوى : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] ، فلو حققنا التقوى فتح الله علينا من بركات السماء والأرض ، لقد مضى زمان على أهل التقوى كانوا يرون في حبة القمح التي لا تكاد الآن تراها بالعين المجردة ، كانت حبة القمح بمقدار نواة التمرة ، حبة القمح كانت بمقدار نواة التمرة في زمن أذن الله فيه لبركات السماء والأرض أن تخرج : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

الثمرة الرابعة : الفرقان بين الحق والباطل : ويا لها ـ والله ـ من ثمرة جميلة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:٢٩] .

فالتقوى توقظ القلوب النائمة وتحيي القلوب الميتة وتستجيش في القلب دوافع الحيطة والحذر ، التقوى تجعل لصاحبها نوراً وفرقاناً يستطيع بهذا النور والفرقان أن يتبين سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين ، فالحجة يا إخوة وإن كانت دامغة ، الحجة وإن كانت بليغة ، وقد تكون الحجة بالغة ولكن الهوى الذي يحجب رؤية الحق لا تدفعه الحجة بل تدفعه التقوى . إن حركت التقوى القلوب لعلام الغيوب ، قد تُذَكِّرُ بالله ، وتذكر برسول الله تقول : قال الله ، تقول : قال رسول الله ، ولكن الذي يسمع عن الله وعن رسوله يحجب الهوى

قلبه عن هذا الحق وعن هذه الأدلة فالحجة تُكسب ولكنها لا تقنع أصحابَ الهوى ؛ لأن الهوى لا يزول عن القلوب بالحجة وإن كانت بليغة ، بل يذهب الهوى التقوى إن حركت التقوى القلوب لعلام الغيوب تبارك وتعالى فأنت تقول : قال الله قال رسول الله ، فتسمع من يرد عليك بالإنكار والاستهزاء وبالابتعاد أن هذه الأدلة لم تعد صالحة للقرن العشرين وللقرن الحادي والعشرين ؛ لأن الهوى هو إلهه الذي يعبده قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:٢٣] .

إن قلت : قال الله قال رسوله ... همزوك همز المنكر المتغال
أو قلت : قال الصحابة والأولى ... تبعٌ لهم في القول والأعمال
أو قلت : قال الشافعي وأحمد ... وأبو حنيفة والإمام الغزالي
صدوا عن وحي الإله ودينه ... واحتالوا على حرام الله بالإحلال
يا أمة لعبت بدين نبيها ... كتلاعب الصبيان في الأوحال
حاشا رسولُ الله يحكم بالهوى ... تلك حكومة الضلال

فالهوى يحجب القلوب عن رؤية الحق يحجب القلوب عن رؤية سبيل المؤمنين وعن رؤية سبيل المجرمين ، فإن اتقيت الله رب العالمين جعل الله لك التقوى فرقاناً ؛ لتستبين به الحق من الباطل ، والبدعة من السنة ، والحرام من الحلال ، لتستبين به سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين .

اللهم اجعل لنا فرقاناً ، فما أحوج الأمة في هذه الأيام لهذا الفرقان ؟ في أيام الغبش ، الغبش العقائدي ، الغبش الفكري ، الغبش السلوكي ، فإن كثيراً من المسلمين الآن يعيشون في حالة غبش لا يعرفون الولاء ولا يعرفون البراء ، فترى المسلم يحب أعداء الله ، بل وترى المسلم ينصر أعداء الله ، بل وترى

المسلم ينتقض من إخوانه الموحدين لمجرد أن موحداً أو موحدة قد زل زلة أو أخطأ خطأ ، أو ارتكب معصية فنرى المسلم في هذه الحالة ـ إلا من رحم ربك جل وعلا ـ يقدس أعداء الله من المجرمين الظالمين، وينتقض أولياء الله من الموحدين المؤمنين الصادقين فمن المسلمين الآن من يوالي اليهود والنصارى عليهم لعائن الله المتتالية في كل زمان ومكان والله جل وعلا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال:٢٩] ، فهذه الموالاة لأعداء الله إن دلت فإنما تدل عمليًا على أن القلوب لم تذق طعم التقوى ، لأنها لم تعظم شعائر الله وقال الله جل في علاه : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢] .

الثمرة الخامسة : من ثمرات التقوى كشف الهم والرزق بغير حساب : يا لها من ثمرة يانعة قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢ ،٣] ، يا من تبحثون عن الرزق هذه هي المقدمة هذه هي الأسباب حققوا التقوى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢،٣] .

كثير من الناس إن رأى مؤمنًا صادقًا رزقه الله وقد وسع عليه يعجب ويقول : من أين له هذا ؟ وإن رأى كافرًا جاحدًا عاصيًا قد وسع الله عليه لا يعجب ولا ينكر عليه هذا ، مع أن الأصل أن يرزق الله المتقين من غير أن يحتسبوا ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢ ،٣] ، والله ثم والله ، لو حققت التقوى لأتتك الدنيا تحت قدميك وهي راغمة ؛ لأن الذي يملك الدنيا والآخرة هو الله الذي وعد المتقين بالرزق

من غير حساب ؛ وبدون حساب قال المصطفى كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه بسند حسن من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه :

« مَنْ جَعَلَ هُمُومَهُ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ ـ أي: الآخرة ـ كَفَاهُ الله سَائِرَ هُمُومَهُ وَمَنْ تَعِبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَال الدّنْيَا لَمْ يُبَالِ الله بِهِ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا » (١) .

وفي سنن الترمذي بسند صحيح من حديث أنس قال ﷺ :

« مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ الله غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ الله فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ » (٢) .

ومن جميل ما قرأت وقد ذكرت به قبل ذلك ولكن المقام يقتضي ذلك أن حاتم الأصم ـ هذا الرجل النقي التقي ـ أراد أن يحج بيت الله الحرام فجمع أولاده وقال لهم : قد عزمت على أن أحج بيت الله فقالوا له : ومن يطعمنا ومن يتولى شؤوننا ويرعانا ؟ فقالت له ابنة تقية من بناته : يا أبت اذهب لحج بيت الله ، واطمأن فإنك لست برازق ، وبعد أيام انقضى الطعام في البيت ، ودخلت الأم مع أولادها ؛ لتعنف هذه البنت التقية النقية ، وخلت البنت بنفسها ورفعت حاجتها إلى ربها الذي قال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢، ٣] .

وقالت البنت التقية : إلهي وسيدي ومولاي عودت القوم فضلك ، فلا تحرمنا من فضلك ، ولا تخزني بين أهلي وقدر الرزاق وعد المتقين بالرزق ، أن

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٥٧) ، ورواه أبو نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك من حديث ابن عمر عن محمد بن المنكدر مرسلا ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٩) .

(٢) صحيح الإسناد: رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٥) .

يكون أمير البلدة في التو واللحظة يتفقد أحوال الرعية ، وأمام بيت حاتم شعر الأمير بظمأ كاد أن يقتله فقال لجندي معه من جنود الشرطة : أدركني بكوب من الماء ، فأسرع الجندي إلى أقرب باب إلى باب حاتم الأصم ، وطلب كوبًا من الماء للأمير ، فلما علم أهل البيت أن الكوب للأمير أحضروا كوباً نظيفاً وماءً باردًا ـ وأود أن أعلم شبابنا أن هذا ليس من التملق والنفاق في شيء ، وإنما هو من باب أنزلوا الناس منازلهم ـ فلما شرب الأمير الماء ووضع الله له اللذة في هذا الكوب سأل : بيت من هذا ؟

قالوا : بيت حاتم الأصم قال الأمير : الرجل الصالح ؟

قالوا : نعم .

قال الأمير : الحمد لله الذي سقانا من بيوت الصالحين أين هو ؟

قالوا : ذهب لحج بيت الله .

قال الأمير : إذن وجب علينا أن نكافئ أهل بيته في غيبته ، وكانت العملة من الذهب ، كان مالهم ذهباً فرمى بكيس مملوء ذهباً في بيت حاتم الأصم ، ولكن الرزاق الذي وعد المتقين أن يرزقهم بغير حساب أراد المزيد لهذه الأسرة التقية ، فالتفت الأمير إلى الشرطة معه وقال لهم : من أحبني فليصنع صنيعي فألقى كل جندي بما معه من المال مجاملة لأميره ، أو حبًّا له ، وامتلأ بيت حاتم بالذهب ، فدخلت البنت التقية النقية تبكي فدخلت عليها أمها وأخواتها وقالوا لها : لم البكاء وقد أصبحنا من أغنى الناس؟!

فقالت لهم البنت التقية النقية : لقد نظر إلينا مخلوق نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

[الطلاق:٢، ٣] ، والله سيجعل لك مخرجاً أقسم بالله سيرزقك من حيث لا تحتسب لكن حقق التقوى ، حقق التقوى ، أيها المسلم ، وكن على يقين بأن الذي يرزق الكفار هو العزيز الغفار ، أفيرزق ربك الكفار وينسى أن يرزق المتقين الذين وحدوا العزيز الغفار ؟! ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:٢، ٣] .

الثمرة السادسة : من ثمرات التقوى على عجل هي: القبول للأعمال : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

الثمرة السابعة من ثمرات التقوى هي : العلم : يا من تطلبون العلم حققوا التقوى سيعلمكم الله ألم تقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

لأن وعاء العلم القلب ، فإن حققت التقوى ونقيت القلب ، وطهرت القلب ونفضت هذا الدعاء يعلمك رب الأرض والسماء ، فالعلم فضل ، ولا يؤتاه إلا من حقق التقوى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

الثمرة الثامنة : ويا لها من ثمرة والله من تقوى الله : تيسير الأمور :

يا من تعسرت بين أيديكم الأمور حققوا التقوى سيسر الله لكم كل أمر عسير، اقرأ قول الملك القدير : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾

[الطلاق:٤، ٥]

أيها التقي ، اعلم يقيناً بأن الله سييسر لك أمرك ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [الطلاق:٤،٥] .

فالمتقون ييسر الله لهم الأمور ويا لها من نعمة عظيمة ألا يجد الإنسان في أمور دينه ودنياه عنتاً ولا مشقة بل يرى أمور الدنيا ميسرة ، ويرى أمور الآخرة ميسرة ، إن أراد أن يحضر درس علم وفق لذلك ويسر ، وإذا أراد أن يقوم الليل يسر له ذلك ، وإذا أراد أن يتصدق ييسر له ذلك ، وإذا أراد أمراً من أمور الدنيا وجده ميسراً .

يا لها من نعمة إنها ثمرة التقوى لله عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [الطلاق:٤،٥] .

أيها التقي لا تحزن فإن الله ييسر لك أمرك وكيف لا ، وهو الذي يدبر أمر الكون كله لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك ، هذه بعض ثمرات المتقين في الدنيا ، فما بعض ثمرات المتقين في الآخرة ؟

الآخرة كلها للمتقين ، الآخرة كلها للمتقين ، نعم بإيجاز بليغ : الآخرة كلها للمتقين ، قال تعالى : ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٣٥] .

نعم : من أول لحظة يخرج فيها المتقون من القبور حفاة عراة يكرمهم الله جل وعلا فلا يحشرون على الأقدام تحت هذه الشمس المحرقة ، وفي هذا العرق المغرق في موقف يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام ، ومعٌ كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها في وقت يمشي فيه الرجال أمام النساء والنساء أمام الرجال ،

وهم عراة يحفظ الله المتقين ويكرم الله المتقين فإذا خرجوا من القبور هيأ الله لهم ركائب من ركائب الجنة ؛ ليركبوها قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم:٨٥] .

قال أهل التفسير : أي ركبانًا يركبون على ركائب الجنة أعدها الله للمتقين ، حتى لا يحشرون مع أهل الموقف على الأقدام ، فإذا وصلوا إلى أرض الموقف ، ونزل الخوف والفزع بالناس ، لم يفزع المتقون ، ولم يخف المتقون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان:٥١] .

فإن وصلوا إلى الصراط فهم أهل النجاة قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧١،٧٢] .

فإن وصلوا إلى منازلهم في الجنات استقبلتهم ملائكة رب الأرض والسموات بالسلام والتحية والبشريات قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر:٧٣ ،٧٤] .

ثم تتجلى كرامة الله للمتقين في هذا الجوار عند العزيز الغفار : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥] .

حقوق يجب أن تعرف

حق الأجيال

في التعرف على اليهود



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأجيال في التعرف على اليهود

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الأجيال في التعرف على اليهود** » .

وحق الأجيال في التعرف على اليهود حق كبير جليل أراه الآن من حقوق الساعة ، وربما أشعر بالخيانة إذا لم أوضحه الآن في هذا الظرف الحرج الذي تمر به الأمة وسوف أركز في هذا الموضوع المهم على العناصر الآتية :

أولاً : حقيقة اليهود .

ثانيًا : لماذا انتصر اليهود ؟

ثالثًا : وسيهزم اليهود .

أولاً : حقيقة اليهود :

اليهود منذ البداية أيها المسلمون هم نسل الأسباط الاثني عشر ليوسف وإخوته ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ نزحوا إلى مصرنا هذه إلى بلدنا مصر بدعوة من نبي الله يوسف واستقر بها بنوَ إسرائيل ـ وإسرائيل هو نبي الله يعقوب ـ واستقر بمصر بنو إسرائيل وتواصى الأسباط فيما بينهم ألا يندمجوا مع الشعب المصري حتى يبقى لكل سبط نسله المتميز

المعروف ، فنبذ المصريون بني إسرائيل منذ اللحظات الأولى لما شعر به المصريون من كبر واستعلاء من قبلهم ، وازدادت العداوة يوماً بعد يوم بين المصريين وبين بني إسرائيل ونسلهم المتكاثر المتميز ، حتى سام بني إسرائيل فرعون مصر سوء العذاب إلى أن بعث الله عز وجل نبيه موسى إلى فرعون في مصر هذه بقوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه:٢٤، النازعات:١٧] ، فوجد بنو إسرائيل في موسى حبل النجاة فآمنوا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعل الله أن ينجيهم من فرعون وملئه ، فنجاهم الله من فرعون الذي سامهم سوء العذاب ، فاستحيا نساءهم وذبح صغارهم بل وشق الله لبني إسرائيل طريقاً في البحر يبساً ونجاهم جميعًا وأهلك فرعون وملأه .

قال تعالى في سياق الامتنان بهذه النعمة العظيمة على بني إسرائيل قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

[البقرة:٤٩، ٥٠]

وكان من الواجب على نسل بني إسرائيل أن يعبدوا الله عز وجل وأن يزدادوا طاعة له ولنبيه موسى ، ولكنهم عاندوا بعد أن أنزل الله عليهم المن والسلوى وأكرمهم غاية الإكرام ذهب نبي الله موسى لمناجاة ومناداة ربه جل جلاله ، فأخذ بنو إسرائيل عجلاً ذهبيًّا فعبدوه من دون الرب العلي ، فقال لهم نبي الله هارون :

﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾

قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٩٠، ٩١] .

فلما رجع نبي الله موسى قالوا : ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥] .

ومع ذلك بعثهم الله جل وعلا من بعد موتهم مرة أخرى لعلهم يذكرون الله ويتوبون إليه ، ولكنهم ازدادوا كفرًا وعنادًا وطغيانًا ، فلما سألهم نبي الله موسى أن يدخلوا معه الأرض المقدسة وقال :

﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٢١] .

فأبى بنو إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة ، وزعموا أن فيها قوماً جبارين لا يقدرون على قتالهم ثم قالوا لنبي الله موسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة:٢٤] .

ثم تاب الله عز وجل عليهم بعد ما عاقبهم بالتيه في الأرض أربعين سنة ودخلوا الأرض المقدسة مرة أخرى ، ولكنهم ازدادوا عناداً وطغياناً وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم ، وسأل نبي الله موسى ربه أن يقبضه إلى جوار الأرض المقدسة بعد ما تعب من معالجة بني إسرائيل ، فاستجاب الله لنبيه موسى فقبضه الله عز وجل إلى جوار الأرض المقدسة بمقدار رمية حجر ، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، وفيه يقول نبينا المصطفى ﷺ : « **فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ** ـ أي : لو كنت هنالك ـ **لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ** »[1] .

---

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٣٣٩) ، ومسلم في الفضائل (٢٣٧٢/١٥٧) .

ثم توالت عليهم الأنبياء والمرسلون فكذبوا فريقًا من الأنبياء وقتلوا فريقًا آخر ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة:٨٧، ٨٨] أي : غلفت في أغلفة الكفر بعد أغلفة الكبر والعناد : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:٨٨] .

ثم أرسل الله إليهم نبيه عيسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وكان من المنتظر أن يصحح اليهود خطأهم وأن يوحدوا ربهم وأن يطيعوا رسولهم الذي أرسله الله جل وعلا ، ولكنهم ازدادوا عنادًا ، فاتهموا عيسى ابن مريم منذ اللحظات الأولى بأنه ولد زنا ، بل وخططوا لقتل نبي الله عيسى، بل أعلنوا ذلك بكل الوقاحة والسفاهة ، قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء:١٥٧] .

بل سجلوا افتراءاتهم الخبيثة الحقيرة على نبي الله عيسى ، سجلوها في كتابهم الفاجر الجنسي الفاضح الموسوم بالتلمود ، وأكتفي بذكر فقرة واحدة من فقرات هذا التلمود الخبيث تقول بالحرف الواحد : يسوع النصارى ـ يعني عيسى يسوع النصارى ـ موجود في لجات الجحيم ، بل بين الزفت والقطران والنار وإن أمه مريم قد أتت به من الزنا .

وهكذا سلط الله عليهم من يمزقهم شر ممزق، فسلط عليهم الرومان فمزقهم الرومانيون وشتتوهم في الأرض شراذم متبعثرة كتبعثر الفئران ، وكانت مدينة الحبيب المصطفى ﷺ ممن ابتليت بشرذمة من هذه الشراذم ،

فسكن اليهود مدينة المصطفى ﷺ بل وراحوا يفخرون على الأوس والخزرج بأنهم ينتظرون نبي آخر الزمان ، ذلك النبي الذي بشرت به التوراة يعرفون صفته ويعرفون أرض مبعثه ويعرفون أرض هجرته ، وراحوا يمتنون على الأوس والخزرج ، فإنهم سيؤمنون بهذا النبي ليعيد لهم مجد داود وملكه، فلما بعث الله نبينا محمدًا ﷺ من العرب وليس من اليهود ، ناصب اليهود رسول الله ﷺ العداء من اللحظة الأولى فمن أول لحظة هاجر فيها الرسول من مكة إلى المدينة ، وانطلق إليه عبد الله بن سلام حبر من أحبار اليهود الأعظم أي : عالم اليهود الكبير يقول عبد الله بن سلام : فلما نظرت إلى وجه النبي ﷺ عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ . فقلت : إني سائلك عن شيء لا يعرفه إلا نبي فقال المصطفى ﷺ : « سَلْ؟ » .

فقال عبد الله بن سلام : مَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا ـ نزل عليّ الآن ـ قَالَ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ ، وَأَمَّا الشَّبَه إِذَا عَلَا مَاءَ الرَّجُل مَاءَ الْمَرْأَة أَذْكَرَا بِإِذْنِ الله ، وَإِذَا عَلَا مَاءَ الْمَرْأَة مَاءَ الرَّجُل آنَثَا بِإِذْن الله » .

وفي لفظ : « فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ » ، فقال عبد الله بن سلام : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّكَ رَسُولُ الله .

قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ ـ أهل ظلم ينكرون الحقائق ـ

فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ـ فجمع النبي بطون اليهود وقال لهم : « أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟ » قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا.

فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول الله ﷺ فقال : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ . فرد اليهود المجرمون على لسان وقلب رجل واحد في حق عبد الله بن سلام قالوا : سَفِيهُنَا وَابْنُ سِفِيهُنَا وَجَاهِلُنَا وَابْنُ جَاهِلُنَا (١) .

هذه طبيعة اليهود منذ اللحظات الأولى لم يتغيروا ولم تتغير ، فهذه جبلّة اليهود التي لم تفارقهم ولن تفارقهم إلا إذا تخلت الأفاعي عن سمومها وتخلت الحمير عن نهيقها ، وتخلت الثعالب عن مكرها حينئذ قد يتخلى اليهود عن نقض العهود ، وهذا محال فجبلتهم نقض العهود ، وعلى الكذب والتضليل والتزييف والإفساد في الأرض عالجهم الأنبياء والرسل أشد المعالجة ، ولكنهم في كل مرة يزدادون عناداً وكبراً وكفراً وطغياناً ، فاستحقوا اللعنة من الله عز وجل وقال سبحانه :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة:١٣] .

أي : لا تزال اليهود على خيانة بعد خيانة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ففي هذه اللحظة ناصب اليهود العداء لرسول الله ﷺ والإسلام ، ولكن النبي ﷺ قد نصره الله تبارك وتعالى على المشركين في غزوة بدر الكبرى نصرًا مؤزرًا فانطلق إلى اليهود فجمعهم في سوق بني قينقاع ، وقال

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٢٩) ، وفي مناقب الأنصار (٣٩٣٨) ، وفي التفسير (٤٤٨٠) .

لهم حينما أثاروا فتنة حقيرة للتقليل من شأن النصر الإسلامي ، وراحوا يؤلّبون المشركين في مكة للثأر من محمد وأصحابه ، انطلق إليهم رسول الله ﷺ ، وقال لهم :

« يَا مَعْشَرَ الْيَهُود ، أَسْلِمُوا فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي النَّبِي الَّذِي قَدْ بَشَّرَتْ بِهِ التَّوْرَاة قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا » والحديث رواه أبو داود بسند حسنه الحافظ ابن حجر.

فرد اليهود بكبر وعنجهية واستعلاء وقالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت أقوامًا أغمارًا لا يعرفون القتال ، فإنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن القوم وإنك لم تلق مثلنا [1] فتركهم رسول الله ﷺ ثم حاصرهم في شوال في السنة الثانية من الهجرة خمس عشرة ليلة ، حتى أخزاهم الله وأجلاهم رسول الله وغنم المسلمون أموالهم ثم طردوهم خارج الجزيرة إلى أذرعات الشام .

وفي السنة الرابعة من الهجرة تآمر يهود بني النضير على البشير النذير ﷺ يوم أن ذهب إليهم رسول الله ليسألهم أن يساهموا معه في دية ، وكان بينه وبينهم عهد وميثاق فقالوا : نعم نحن نساهم معك في ذلك يا محمد ، ثم جلسوا أو أجلسوا النبي إلى جوار جدار بيت لرجل منهم ثم خلا بعضهم ببعض ، وقالوا : لن تجدوا الرجل في مثل هذه الحالة ، فمن يقوم منكم لسطح هذه الدار ليلقي بصخرة على رأسه ليريحنا فانبعث أشقاهم : عمرو بن جحاش وصعد إلى السطح ليلقي بصخرة على رأس المصطفى ﷺ ولكن هيهات ، فلقد وعده ربه بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة:٦٧]

---

(١) إسناده حسن : رواه أبو داود في الإمارة (٣٠٠١) .

فأخبر الله نبيه المصطفى بهذه المؤامرة الحقيرة الدنيئة فقام المصطفى ﷺ مسرعًا وأخبر أصحابه بهذا المخطط الغادر الآثم فانطلق الصحابة مع رسول الله ﷺ وحاصروا يهود بني النضير حصارًا طويلاً حتى أخزاهم الله عز وجل وغنم المسلمون أموالهم وأجلاهم رسول الله ﷺ وأصحابه وفيهم نزلت سورة الحشر بأسرها وفيها يقول ربنا جل وعلا :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٢-٤] .

وفي السنة الخامسة : انظروا إلى المؤامرات لعب يهود بني قريظة دوراً من أخطر الأدوار وأحقر الأدوار ، فلقد حاصر المشركون من الأحزاب المدينة من كل ناحية ، وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، يوم سمع المصطفى وأصحابه أن يهود بني قريظة داخل المدينة قد نقضوا العهد مع رسول الله .

تصور معي المشركون يحاصرون المدينة من كل ناحية وترك النبي اليهود داخل المدينة وترك معهم النساء والأطفال فبينه وبين اليهود عهد وميثاق ، ولكن اليهود في الوقت الحرج بعدما ألَّبوا قبائل المشركين للانتقام من محمد وأصحابه وعَدُوهُمْ بأن يساعدوهم وأن يقفوا معهم في أصعب الأوقات ، وبالفعل نقض اليهود العهود مع المصطفى ﷺ وشكلوا تحديًا خطيرًا داخل المدينة لاسيما وقد خرج رسول الله ﷺ مع كل أصحابه لصد هذا الحصار

الرهيب من المشركين حول المدينة وتركوا الأطفال والأموال بداخلها وهنا قال المنافقون : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا حتى قام المصطفى يتضرع إلى الله :

« اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ » .

والحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى [1] فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ فأرسل الله جنداً من عنده : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] ، فأرسل الله الريح ، فاقتلعت الريح خيام المشركين وكفأت الريح قدورهم ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، فانطلقوا وتبعثروا في أرض الجزيرة كتبعثر الفئران ، ونصر الله عبده ، وأعز الله جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، هزم الأحزاب وحده جل جلاله بالريح فقط ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

متى ستعرف الأمة ربها ؟

متى ستعرف الأمة أن الأمريكان والروس والأوربيين لا يُعْجِزون رب العالمين ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] ، ولكن الأمة لا تستحق الآن أن تتدخل لها هذه الأسباب والسنن الربانية لنصرتها ؛ لأنها تخلت عن منهج رب البرية ومنهج سيد البشرية ﷺ .

وإن لله سنناً ربانية في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي هذه السنن أحدا من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة .

استجاب الله دعاء نبيه وهزم الأحزاب وحده ، وبمجرد أن دخل النبي

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٩٣٣ ، ٢٩٦٥ ، ٢٩٦٦) ، وفي المغازي (٤١١٥) ، وفي الدعوات (٦٣٩٢) ، وفي التوحيد (٧٤٨٩) ، ومسلم في الجهاد (١٧٤٢) .

بيته بعدما طرد الله الأحزاب وتبعثروا كما ذكرت ؛ وإذ بالمصطفى ﷺ يرى جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل إليه وهو يلبس لباس الحرب ، ويقول جبريل للمصطفى : أو قد وضعت سلاحك فإن الملائكة لم تضع أسلحتها ، فقم انهض بمن معك إلى يهود بني قريظة ـ أي : الذين نقضوا العهد داخل المدينة ـ فإني سائر أمامك .

يقول جبريل للمصطفى : فإني سائر أمامك لأقذف الرعب في قلوبهم ولأزلزل حصونهم . والحديث في الصحيحين [١] ، فأرسل المصطفى من ينادي من كان طائعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، فانطلق الأطهار مع نبينا المختار ﷺ وحاصر المصطفى يهود بني قريظة حصارًا طويلاً لمناعة حصونهم وقوتها ، ثم نزل يهود بني قريظة على حكم سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فإذا حكم سعد ابن معاذ الذي جيء به ـ وهو سيد الأنصار الذي سأل ربه أن يحييه حتى يشهد نهاية بني قريظة فاستجاب الله ـ عز وجل ـ له وجيء به فقالوا : رضينا بحكم سعد بن معاذ ، فحكم سعد بن معاذ بقتل الرجال وسبي الذرية وتقسيم الأموال ، فقال له سيد الرجال ﷺ :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ حُكْمَ الله مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ » .

وأجلى الله يهود بني قريظة .

وفي السنة السابعة : لعب يهود خيبر دوراً في منتهى القذارة والحقارة ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ مع أصحابه وحاصروهم حصاراً طويلاً جداً ، فكانت حصون خيبر أمنع الحصون في المدينة كلها وطال الحصار ، وفي يوم من الأيام قال النبي المختار :

« لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ويُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْه»

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨١٣) ، وفي المغازي (٤١١٨، ٤١٢٢) ، ومسلم في الجهاد (١٧٦٩/ ٦٥) .

أي : يفتح على يديه حصون خيبر .

من هذا البطل الذي يحب الله ورسوله ؟ وهذه مسألة عادية ، ولكن انظر : « **وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** » حتى تطلع كل الصحابة للإمارة والقيادة في هذا اليوم قال عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه : والله ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، والله ما تطلعت إلى الإمارة إلا يومها رجاء أن أعطاها .

رجا عمر أن يعطيه رسول الله ﷺ الراية في هذا اليوم ، وفي اليوم التالي وقفت الجيوش ونادى رسول الله ﷺ على القائد الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، والذي سيفتح الله على يديه حصون خيبر المنيعة ، فسأل المصطفى ﷺ وقال : « **فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب؟**» . يا لها من كرامة ومنقبة لعلي ؛ أراها أعظم كراماته ـ فقالوا : لم يأت اليوم لم يحضر اليوم للقتال قال : « **أَرْسِلُوا إِلَيْهِ** » . قالوا : يا رسول الله ، إنه يشكو وجعاً في عينيه . فقال رسول الله ﷺ : « **فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ** » . فأرسلوا إليه ، فمسح النبي ﷺ فدعا له فبرئ ، وكأن لم يكن بهما وجع . الحديث في الصحيحين .

ثم أعطاه الراية فقال : عَلَامَ أُقَاتِلَهُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قال : « **حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** »[1] .

فانطلق عليّ وسرعان ما فتح عليه الرب العلي، ويومها هتف الحبيب النبي : « **الله أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ . الله أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ. إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ** » .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٤٢) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٥ ، ٢٤٠٦) .

أسأل الله أن يعجل بهذا اليوم الذي يهتف فيه الموحدون : الله أكبر خربت دولة يهود ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم:٢٠] .

ولم ينته اليهود المجرمون عند هذا الحد بل دسوا السم في شاة للمصطفى ﷺ في خيبر ؛ ليقتلوا رسول الله ﷺ بالسم ، ولكن الله نجاه ، ولم ينته العنكبوت اليهودي من نسج خيوطه وحبك مؤامراته الحقيرة التي بلغت أوجها في العصر الحديث في إفراز هذه الغدة السرطانية الخبيثة في قلب العالم الإسلامي فوق الثرى الطاهر، فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ في الأرض المقدسة المباركة التي باركها الله وقدسها وأدخلها رسول الله ﷺ في مقدسات المسلمين ليلة الإسراء ، قال سبحانه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[الإسراء:١] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأنبياء:٧١]

وقال تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة:٢١] .

وضع المجرمون اليهود هذا المولود اللقيط على هذه الأرض الطاهرة ، فوق هذه الأرض المباركة ، وذلك بعد نجاحهم في إسقاط الخلافة ، وأرجو من شبابنا وأجيالنا أن يتعرفوا على هذا التاريخ وحقائقه ؛ لأن التاريخ الذي يدرس لأبنائنا وبناتنا في الجامعات مزور ومحرف في كثير من جزئياته ؛ لأكون منصفاً عادلاً ، زور التاريخ في معظم مراحله ونقل التاريخ المزور هذا لأبنائنا وبناتنا ، وما زال يدرس لهم في الجامعات والمرحلة الثانوية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نجح اليهود في إسقاط الخلافة بعد القضاء على السلطان البطل السلطان العثماني عبد الحميد ـ طيب الله ثراه ـ هذا البطل الذي شوه تاريخه وزور ؛ لأنه أبى أن يسلم لليهود شبراً واحداً في أرض فلسطين ، ذهب إليه اليهودي الماسوني « قره سو » وقال له : إنني مندوب إلى جلالتكم عن الجمعية الماسونية لأرجو جلالتكم أن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينتكم الخاصة ـ انتبه إلى أسلوب اليهود في كل زمان ومكان الذي لا يتغير ـ إنني مندوب إلى جلالتكم عن الجمعية الماسونية لأرجو جلالتكم أن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينتكم الخاصة ، ومائة مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة على أن تمنحوا لنا بعض الامتيازات في دولة فلسطين .

فالتفت السلطان إلى الجلساء في مجلسه وقال : أو ما كنتم تعرفون ما يريده هذا الخنزير ؟ ثم التفت إليه وقال : اخرج أيها السافل فخرج ، ولكن اليهود لا يعرفون اليأس ، فعاد السلطان في المرة الثانية مؤسس الصهيونية الأول « تيودور هرتزل » بصحبة الحاخام اليهودي الكبير « موسى ليفي » فلما دخلا على السلطان وعرضا عليه أن يبيع لهم أرض فلسطين بأي ثمن فقال السلطان كلاماً عجيباً ، قال لمؤسس الصهيونية الأول تيودور هرتزل قال : إن الأرض قد امتلكها شعبي ورواها بدمه وهي لا تباع إلا بنفس الثمن ، فخرج « تيودور هرتزل » فقال السلطان : انصحوا الدكتور «هرتزل » ألا يتخذ خطوات جدية في هذا السبيل فإن الأرض ليست ملكي وإنما هي ملك شعبي ، وقد رواها بدمه ثم قال : فإن مزقت إمبراطوريتي يوماً ، فإن اليهود يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا أي ثمن ، ثم قال: إنني لا أوافق أن تبتر فلسطين من إمبراطوريتي ، إنني لا أوافق ، إن عمل المبضع في بدني أهون عليّ من أرى فلسطين تبتر في إمبراطوريتي ثم قال أيضًا : أنا لا أوافق على أن تشرح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ، ولكن اليهود لم

ييأسوا ، فأرادوا أن يزيحوا هذه الصخرة من طريقهم ، واستطاعوا عن طريق إثارة النعرات القومية ، وهذا مكمن خطير لابد من الالتفات إليه ، فالنعرات القومية هي التي شتتت الأمة في العصر الحديث ، فإن الأمة الآن أصبحت غثاء من النفايات البشرية تعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدول أو كدويلات متناثرة متصارعة تفصل بينها حدود جغرافية مصطنعة ونعرات قومية جاهلية ، وترفرف على سمائها رايات القومية الوطنية ، وتحكم الأمة قوانين الغرب العلمانية ، وتدور بالأمة الدوامات السياسية ، فلا تملك الأمة نفسها عن الدوران بل ولا تختار لنفسها حتى المكان الذي ستدور فيه ذلت بعد عزة وجهلت بعد علم ، وضعفت بعد قوة ؛ لما شتت العدو شمل الأمة بإثارة هذه النعرات .

انظر إلى واقع الدول الإسلامية الآن ، انظر إلى مسمار الحدود القذر العفن بين كل دولتين ، ترى صراعًا رهيبًا بين كل دولتين على الحدود ، ثم انظر إلى النعرات التي مزقت شمل أفغانستان ، فاستطاع اليهود من خلال هذا السلوك أن ينفذوا إلى جمعية الاتحاد والترقي بتلك الجمعية الماسونية اليهودية بعدما لمعوا « كمال أتاتورك » الذي مثل رأس الأفعى اليهودية للقضاء على الخلافة الإسلامية فعزل السلطان عبد الحميد، وتولى « كمال أتاتورك » المجرم الخائن الذي سقطت الخلافة في عهده ، وراح ليلغي أي أثر للإسلام حتى أنه ألغى الأذان باللغة العربية ، وألزم العلماء أن يخلعوا العمائم من على رؤوسهم وأن يلبسوا القبعة اليهودية إلى هذا الحد ، وزال ظل الخلافة وظهر الوعد المشؤوم « وعد بلفور » عام ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين ، وفي عام ٤٨ حركة خيانية مفضوحة بمساعدة الشرق الملحد والغرب الكافر والأنظمة العربية الضالعة في الخيانة ، ستطاع اليهود أن يستولوا على ما يزيد على ٧٨٪ من هذه الأراضي

المقدسة المباركة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والسؤال المرير الآن حتى لا أطيل : لماذا انتصر اليهود ؟ . وهذا هو عنصرنا الثاني .

لماذا انتصر اليهود ؟

والجواب في كلمات قليلة ـ حتى لا ينسى شبابنا وطلأبنا وأبناؤنا هذا الجواب ـ كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال:٥٣] .

والأمة غيرت وبدلت وانحرفت عن منهج ربها وعن سنة نبيها ﷺ ، فاستسلمت لهذه المؤامرة الحقيرة الخطيرة التي حبكت تعليميًا وإعلاميًا وسلوكيًا وخلقيًا ، حبكت المؤامرة على الأمة حبكاً رهيباً في جانب التعليم ، في جانب الإعلام ، في جانب التربية ، في جانب الأسر في جانب الأخلاق والسلوكيات ، حبكت المؤامرة حبكًا رهيبًا فهزمت عسكريًا واقتصاديًا ونفسيًا بل وعقائديًا بل وتعبديًا بل وأخلاقيًا وسلوكيًا وابتعدت الأمة كثيرًا عن النبع الصافي عن أصل عزها ومعين شرفها عن منهج ربها ومنهج نبيها ﷺ .

ففي مجال التعليم والإعلام والأخلاق انحرفت الأمة ، فلقد علمنا القائمون على الأمة بعد زوال الخلافة ، علموا الأجيال بل وأرضعوا الأجيال الهزيمة وقبول الهزيمة ، علمونا وشوهوا عقيدة التوحيد شوهت عقيدة التوحيد ، شوه مفهوم الولاء والبراء ، شوه مفهوم لا إله إلا الله زور التاريخ الإسلامي ، علمونا منذ البداية حب جبران ونيتشه السوبر مان سارتر ، وديبوفوار علمونا نحب كل الوجوديات في الأرض ، علمونا

فلسفة الشك منذ الصغر ، أنا أشك إذًا أنا موجود ، علمونا أن الحملة الفرنسية كانت فتحاً لمصر ، ولم يخبرونا أن نابليون غزا مصر بجيوشه ودخل الأزهر بخيوله ليمزق قلوب العلماء المسلمين ، علمونا أن ماجلان هو عبقري كل أوان وزمان ، ولم يخبرونا أنه هو الذي أضرم في المسلمين النيران ، علمونا أن العلمانية هي الصراط المستقيم ومن أعرض عنها فإن له معيشة ضنكاً ، شوهوا مفاهيم التوحيد ومفاهيم السنة . ذلكم المسلسل الذي يشبه تماماً المسلسل « دالاس » لكن الفارق بين مسلسل خروج المسلمين من الأرض المسلمة وبين مسلسل «دالاس» أن الرأي العام العالمي لم يتعاطف مع مسلسل خروج المسلمين من الأرض ، ذلكم المسلسل الخطير الذي بدأ في الأندلس دمروه، والفلبين وطاشقند وتركستان وجنوب السودان إلى آخر هذه الأرض، وانتهاءً بالبوسنة والشيشان ثم فلسطين ؛ لأن المسلسل القذر من تصميم وتنفيذ وإخراج اليهود ، ووزع ألحانه الخطيرة الفاتيكان ، علمونا الرضا عن هذا المسلسل ، وأصبح الخروج من الأرض أمراً عادياً لا يحرك المشاعر ولا يحرق الأفئدة والقلوب .

فالأمة أيها المسلمون غيرت حتى لا يصطدم شبابنا مع آيات القرآن إن نظر إلى الواقع ، فشبابنا يسأل كما أكرر دائمًا : أين النصرة أين العزة ؟ أين الاستخلاف ؟ أين التمكين ؟ ألا يسمع الله آهات المعذبين في فلسطين ؟ ألا يرى الله دماءهم التي تنزف وأشلاءهم التي تمزق . الله يسمع ويرى ، ولكن الله لا يعجل بعجلة أحد ، إن لله سننًا ربانية في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي هذه السنن أحداً من الخلق بحال ، أين المؤمنون؟

أين العصبة المؤمنة التي حققت في الأرض منهج الله جل وعلا لتكون أهلاً لقوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] ، لتكون أهلاً لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] لتكون أهلاً

لقوله : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥] .

لابد من فهم هذه السنن : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤] ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١] ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]

فلماذا انتصر اليهود ؛ لأنهم جعلوا أحلامهم في عزائمهم ، فأول بروتوكول من بروتوكولات جبناء صهيون يقول : الحق مع القوة ، ولو قرأت البروتوكولات لوجدت اليهود قد نفذوا هذه البروتوكولات الخبيثة تنفيذاً حرفيًا ، ولست مبالغًا في ذلك ؛ لأنهم جعلوا أحلامهم في عزائمهم وراحوا وهم قلة ليحولوا هذه الأحلام إلى واقع ، ولكن الأمة حملت أحلامها في كلامها ، في كلامها الفارغ الذي لا يقدم ولا يؤخر ، في المانشيتات الحمراء العريضة ، حملت الأمة أحلامها في هذه الجعجعات التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، وفي هذه المؤتمرات التي لا تحرك ساكناً على أرض الواقع .

وأكرر قول جحا الذي صنع يومًا ساقية على النهر لتأخذ الماء من النهر ولترد نفس الماء إلى نفس النهر ، فقالوا له : عجباً لك يا جحا ؛ ماذا تصنع

أيها العاقل ، تصنع ساقية على النهر لتأخذ الماء من النهر ولترد نفس الماء إلى نفس النهر ؟ فقال جحا : يكفيني نعيرها ، يكفيني نعيرها .

مانشيتات وخطب رنانة لا تغير من الواقع شيئًا إلا القليل ومؤتمرات لا تحرك ساكناً في دنيا الناس ؛ لأننا نعيش الآن زماناً لا يحترم إلا الأقوياء لا يحترم عالمنا الضعفاء ، بل يحترم الأقوياء يحترم الأغنياء كما قال الإرهابي الكبير «مناحم بيجن» : إننا نحارب إذاً نحن موجودون .

هؤلاء هم اليهود يا شباب، هؤلاء هم اليهود، أيها الآباء لابد من معرفة هذه الحفنة العفنة من بني البشر من إخوان القردة والخنازير الذين كفروا بالملك القدير وقتلوا الأنبياء بل وقالوا : إن الله بخيل وقالوا : إن الله فقير ، تصوروا قالوا : إن الله بخيل وقالوا : إن الله فقير .

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾ [آل عمران:١٨١] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:٦٤]

وقالوا : عزير ابن الله فاستحقوا اللعنة والمسخ قردة ، أرجو أن تتصوروا أيها المسلمون شعباً يمسخه الله قردة وخنازير ، أرجو أن تتصوروا الجرم الذي ارتكبه هؤلاء ليمسخهم الله أرحم الراحمين قردة وخنازير ما هو الجرم الذي استحقوا به هذا العذاب تصوره أنت : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٦٥ ، ٦٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ

وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٦٠]

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨،٧٩]، وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة:١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠١] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ ﴾ [المائدة:٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩] ، وقال

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:١١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

هل تريدون أدلة أوضح من كلام الله ؟ هذا قرآن ربنا يتلى وما زال يتلى يبين الله حقيقة اليهود فمتى ستصدق الأمة ربها؟ ما زال اليهود يطحنون المسلمين في فلسطين طحنًا إلى هذه اللحظة وإني لألمح تخاذلاً وألمح رضا بهذا الواقع بين كثير ممن تحمسوا في أول هذا الشهر الماضي أرى تخاذلاً وأرى رضا بهذا الواقع المر الأليم .

ولو أقسمت فإني صادق إن شاء الله تعالى إن قلت : والله إن كثيرًا من المسلمين والمسلمات الآن قد بخلوا حتى بالدعاء لإخواننا وأخواتنا في فلسطين وربما لا نتضرع إلى الله إلا إن ذكرنا ، وزالت قدسية هذه الأرض في حس الكثيرين وأصبح البعض الآخر ينظر إلى القضية الفلسطينية على أنها قضية شعب لا على أنها قضية أمة ، على أنها قضية قومية أو وطنية ولم ينظر إليها على أنها قضية عقدية إسلامية .

وسأفرد موضوعًا مستقلاً لهذه الجزئية الخطيرة بإذن الله تعالى والتي سأعنون لها بعنوان «شبهات يهودية وردود إسلامية» لأزيل هذا الغبش ؛ الذي لمحته في الأيام الماضية في سفرتي الماضية لمحت بعض الغبش ؛ لأن بعض المسلمين ينظر إلى بعض الشبهات اليهودية نظرة شك ونظرة ريبة ، فمنهم من تأثر ومنهم من اقتنع ، ومنهم من نظر إلى القضية على أنها قضية شعب ما دورنا نحن ؟

وما قيمة قولنا وعملنا نحن ؟

هذه قضية لا تشغلنا لا من قريب ولا من بعيد ؛ لأنها ليست على أرضنا ولا

في بلدنا وهذه هزيمة أخرى خطيرة .

هذا هو الواقع أيها الأحبة ومع ذلك أقول : سيهزم اليهود بإذن العزيز الحميد ونتعرف على هذا العنصر الثالث والأخير.

بموعود الله تبارك وتعالى ، وبموعود الصادق رسول الله ﷺ ستكون الجولة الأخيرة للإسلام والمسلمين على اليهود المجرمين ، وأنا أكرر هذا من باب إزالة اليأس والقنوط في قلوب المستسلمين للإرجاف الخطير الذي يعزف على أوتاره المرجفون من العلمانيين في بلاد المسلمين تقليداً أعمى للمرجفين من المشركين في الشرق الملحد والغرب الكافر ، أقول : إن الجولة المقبلة لدين المصطفى ﷺ .

وقد قال ربنا جل وعلا في شأن اليهود :

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران:١١١]

وقال ﷺ كما في صحيح مسلم :

« إِنَّ اللهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ ـ لن يقول الحجر والشجر : يا مصري يا سوداني يا عربي , إنما يا مسلم يا عبد الله ـ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (١٩/٢٨٨٩) .

الْيَهُودِ »[1].

وأقول بأن اليهود يقومون بحملة واسعة لزراعة شجر الغرقد ؛ لأنهم يصدقون المصطفى ﷺ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦] .

وإن الواقع الآن لمن المبشرات أيضاً فإن اليهود مع هذه الترسانة الرهيبة من الأسلحة هم الذين يبحثون الآن عن حل للمشكلة .

لأن الانتفاضة والمقاومة المباركة قد تحولت في أرض القدس تحولاً نوعيًا ، فهناك الآن تبادل لطلقات الرصاص ، وهذا لم يحدث في تاريخ الانتفاضة من قبل .

بدأ جنرالات اليهود يصرخون من حرب استنزاف حقيقية هذا تحول نوعي خطير ، بدأ جنرالات اليهود يصرخون : إننا في حرب استنزاف حقيقية بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

وهم الآن يتمنون أن لو جالسهم الفلسطينيون مرة أخرى على مائدة المفاوضات للقضاء على هذه المقاومة المباركة التي طالت نيرانها الجنود والمستوطنات .

الواقع الآن مع هذا النزيف الذي يملأ الأرض ومع هذه الأشلاء الممزقة يبشر بخير وأكرر :

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور:١١] .

لابد أن تروى شجرة الإسلام بالدماء ، وإلا فلن تزهر أبدًا ولن تثمر

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢٢/ ٨٢) .

أبدًا وما اشتد عودها وقويت أغصانها وتدلت ثمارها ، إلا يوم أن رواها الأطهار بدمائهم الزكية والطاهرة .

وهو ما نشهده الآن على أرض الواقع في فلسطين هنالك ، قد علموا يقيناً أن قضيتهم لن تحل في أمريكا ولا في البيت الأبيض ولا في البيت الأسود ، وإنما ستحل على أرض الواقع برفع راية الجهاد في سبيل الله .

أسأل الله أن ينصرهم نصرًا مؤزرًا .

ولا أنسى أن أذكر الإخوة بالحق الذي عليهم أن يقفوا اليوم وقفة لله عز وجل ، وأسأل الله أن يجعل المال في أيدينا جميعًا لا في قلوبنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



حقوق يجب أن تعرف

حق اليتيم



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق اليتيم

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق اليتيم** » .

وحق اليتيم حق جليل كبير عظيم وسوف أحصر هذا الموضوع الرقراق في العناصر التالية :

أولاً : من هو اليتيم ؟

ثانيًا : ولتكن البداية مع اليتيم الذي كان يتمه تشريفاً لكل يتيم .

ثالثًا : مكانة اليتيم في القرآن والسنة .

رابعًا : وهل ننسى يتامى فلسطين ؟

خامسًا : يتم رغم وجود الوالدين .

سادسًا وأخيرًا : كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك ؟

أولاً : من هو اليتيم ؟

قال ابن منظور في لسان العرب : اليتيم في الناس : من فقد أباه ، واليتيم في الحيوانات والطيور من فقد أمه ، وهذه لطيفة لغوية لها مغزى قل من يتنبه إليها ، فأصل اليتم في اللغة : الغفلة ، وبه سمي اليتيم يتيماً ؛ لأنه يُتغافل عن بره بعد موت أبيه ، وأصل اليتيم في اللغة أيضاً : الانفراد في كل شيء مفرد لا نظير له ولا مثيل له يقال له : يتيم ، تقول : درة يتيمة

أي : درة مفردة لا نظير لها ولا مثيل .

ثانيًا : بإيجاز : ولتكن البداية ـ **بعد هذا التأصيل اللغوي السريع مع : « اليتيم الذي كان يتمه تشريفًا لكل يتيم »** وهذا هو عنصرنا الثاني .

فلقد شاء الله جل وعلا ولا زاد لمشيئته أن ينشأ المصطفى يتيمًا، مات أبوه وأمه تحمله جنيناً في أحشائها على الراجح من أقوال المؤرخين ، ومنهم من قال : بل مات أبوه عبد الله قبل مولد المصطفى بشهرين ، فكفله جده عبد المطلب الذي تعلق بالمصطفى تعلقاً شديداً ، وكان عبد المطلب صاحب مكانة كبيرة في قومه فكان أولاده يفرشون له فراشه إلى جوار الكعبة ولا يجرؤ أحدهم أن يجلس على هذا الفراش إلا إذا خرج عبد المطلب ، فكان إذا جلس عبد المطلب على فراشه جاء المصطفى وهو طفل صغير ليجري على هذا الفراش ليجلس إلى جوار جده فيحاول أولاد عبد المطلب أن يمنعوه فيأبى عليهم عبد المطلب ويقربه ويجلسه في حجره ﷺ ، ثم مات جده عبد المطلب وهو في الثامنة من عمره بعدما فارق أمه وهو في السادسة من عمره فكفله عمه أبو طالب فخصه بمزيد من التقدير والرعاية والعناية ، وأحاطه بالحماية حتى مات أبو طالب قبل هجرة المصطفى بثلاث سنوات على الراجح من أقوال أهل التاريخ والسير ، شاء الله سبحانه أن ينشأ المصطفى ﷺ يتيماً فقد أباه ثم فقد أمه ثم فقد جده ، وليس هذا من قبيل المصادفة العمياء ، فلا يوجد شيء في كون الله إلا بقدر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] ، شاء الله أن ينشأ المصطفى يتيماً ليتولاه الله وحده بالعناية والرعاية حتى لا ينشأ المصطفى يقول : أبي أبي وإنما يقول : ربي ربي . نشأ المصطفى ﷺ يتيماً ليتولاه ربه وحده بالرعاية ـ انتبه ـ ومن تولاه الله برعايته أحسن الله بدايته ، وأكرم الله نهايته ،

وزاد الله بين البداية والنهاية كرامته ، فما ظنك إن كان المتولى بالرعاية هو الحبيب المصطفى ﷺ .

فوالله ، ثم والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً هي أكرم عليه من نفس محمد ، وإنه لمكتوب عند الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمجندل في طينته ـ أي : وآدم في طينته ـ ورسول الله مكتوب عند الله خاتم النبيين ، فكيف إذا كان المتولى بالعناية والرعاية من الله المدبر لأمر الكون كله هو حبيب الله المصطفى ﷺ .

فوالله ما أحب الله مخلوقًا كما أحب رسولنا وحبيبنا ﷺ فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء ، واصطفى من الأنبياء الرسل ، واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة : نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا ، واصطفى من أولي العزم الخمسة : الخليلين والحبيبين إبراهيم ، ومحمدا ، ثم اصطفى محمدا فكرمه على جميع خلقه فرفع ذكره ، وشرح صدره ، وأعلى قدره ، ووضع وزره ، وزكاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه :﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم:٢] .

وزكاه في بصره فقال سبحانه :﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧] .

وزكاه في صدره فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح:١] .

وزكاه في ذكره فقال سبحانه :﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] .

وزكاه في طهره فقال سبحانه : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح:٢] .

وزكاه في علمه فقال سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٤، ٥] .

وزكاه في حلمه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]

وزكاه كله فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

أغـــر عليـــه للنبـــوة خـــاتمٌ مـــن نـــور يلـــوح ويشـــهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـق لـه مـن اسـمه ليجلـه فذو العرش محمود وهـذا محمد

ما خاطب الله المصطفى وناداه باسمه قط ، تدبروا مكانة الرسول عند الله وتعرفوا على محبة الله لحبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ ما نادى الله على نبي إلا باسمه المجرد إلا المصطفى :

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] .

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [هود:٤٨] .

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٤٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات:١٠٤، ١٠٥] .

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص:٣٠] .

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص:٢٦] .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾ [مريم:٧] .

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم:١٢] .

﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ [هود:٨١] .

أما المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فنادى عليه بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [المائدة:٤١]

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [المزمل:١، ٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدثر:١-٧]

ثم مَنَّ عليه جل وعلا وأقسم بالضحى والليل إذا سجى أنه ما ودع حبيبه المصطفى وما هجره وما قلى ، فتدبر معي قول ربنا جل في علاه :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى:١-٥] .

تدبر معي : ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى:٦-١١] .

لقد ولدت يتيمًا فآواك الله جل وعلا وأحاطك بعنايته ورعايته : ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ

فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:٦-١١] .

ووجدك تائها تبحث عن الحق والحقيقة في بيئة جاحدة بين نفوس شاردة في هاجرة محرقة قاحلة فهدى الله قلبك للإيمان : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢] ، ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى:٨] .

كنت فقيرًا فأغنى الله نفسك بالقناعة والرضا ثم من عليك بالرزق الحلال الطيب الواسع ، وبعد هذا التكريم يأتي هذا التوجيه الرباني إلى الحبيب النبي ﷺ : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:٩-١١] ، من هذا المنطلق تتضح لنا مكانة اليتيم في القرآن وفي سنة النبي الذي ولد يتيماً فكان يتمه تشريفًا لكل يتيم .

وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر الموضوع :

مكانة اليتيم في القرآن والسنة :

من أعظم الآيات التي يكرم الله فيها اليتامى هذه الآية الكريمة التي يربط الله عز وجل فيها بين الأمر بتوحيده وعباده بين الأمر بالإحسان إلى اليتامى يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦] ، يأمر الله بتوحيده وعبادته :

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦] ، وبعد ذلك يأمر بالإحسان إلى الوالدين ثم ذوي القربى ثم اليتامى إنها مكانة عظيمة أن يربط الله بين الأمر بعبادته وبين الأمر بالإحسان إلى اليتيم وستعجبون إذا علمتم أن الأمر بالإحسان إلى اليتامى ليس خاصًا بأمة المصطفى ، وإنما أمر الله بالإحسان إلى اليتيم جميع الأمم السابقة بل وجعل الإحسان إلى اليتامى ميثاقاً جامعاً من المواثيق التي أخذها على بني إسرائيل ـ تدبر قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة:٨٣] ، ومن هذا المنطلق يأمر الله جل وعلا أولياء اليتامى أن يتقوا الله في أموال اليتامى ، وألا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن ، وحذرهم من تبديدها وتبديلها بالخبيث ، أو المتاجرة بها في الحرام ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء:٢] كان إثماً عظيماً وظلماً بينا.

بل وأوجب الله في آية فذة واحدة جامعة أوجب على ولي اليتامى ألا يسرف في الإنفاق من أموالهم وإذا بلغ اليتامى الرشد وسن النكاح وصاروا قادرين على تدبير شؤونهم والمحافظة على أموالهم أوجب الله على ولي اليتامى أن يردوا أموالهم إليهم كاملة غير منقوصة ، وأوجب الله على ولي اليتامى إن كان غنيًا ألا يأكل من مال اليتيم فإن كان فقيراً أكل

بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير ، وأوجب الله على ولي اليتامى بألا يسارع بأكل أموال اليتامى قبل أن يكبر أصحابها ليأخذوا حقهم وأوجب الله على ولي اليتيم أن يرد إليهم أموالهم وأن يشهد على ذلك إبراءً لذمته ودرءاً للشبهة عنه .

ورأى المالكية والشافعية : أن الأمر بالإشهاد عند رد المال للوجوب ولو أن الأحناف قد رأوه للندب وإن ظاهر كل الآيات أن الأمر للوجوب إذ لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب ، فتدبروا كل هذه المعاني التي ذكرت في آية واحدة في آية فذة جامعة بأوجز لفظ وأعجز أسلوب يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٦] .

يا لها من خاتمة جليلة وكفى بالله حسيبا إن استطعت في المجلس الحسبي أن تُزوِّر ، إن استطعت عن طريق المحاماة أن تحرف ، فكن على يقين بأن الذي يطلع على قولك وعملك ونيتك هو الذي يعلم السر وأخفى وكفى بالله حسيبا ، يا لها من خاتمة : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٨٨ ، ٨٩] ، ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

ومن ثم يأتي هذا التحذير الرهيب والوعيد الشديد لمن يأكلون أموال اليتامى ، تدبر معي قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠] ، مشهد مرعب مشهد النار وهي تتأجج في البطون : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب المصطفى كانوا وقّافين عند كلام الله كان القرآن يتنزل على رسول الله فيتلوا الرسول القرآن عليهم فترتجف القلوب .

لما نزلت الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ .

فانطلق كل ولي لليتامى فعزل طعامه عن طعام اليتامى وعزل شرابه عن شراب اليتامى ، فكان الطعام يقدم لليتيم حتى يشبع فإن تبقى شيء من طعام اليتيم لا تمتد إليه حتى يأكله اليتيم مرة أخرى أو يفسد فشق ذلك على أصحاب المصطفى فذهبوا إلى رسول الله فأخبروه فرفع الله الحرج والعنت وأنزل على حبيبه قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٠]

تدبر القرآن ! انظر كيف طهر القرآن هذه القلوب ورفعها إلى هذا الأفق السامق : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٠] ، ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ في الطعام والشراب لا

حرج في ذلك بغير ظلم ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ ـ أي : لضيق عليكم ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أيها القارئ الكريم ، هذه بعض آيات القرآن التي تبين مكانة اليتيم ويأتي اليتيم الذي كان يتمه تشريفاً لكل يتيم ليكرم اليتامى ، ففي السنة الشريفة المطهرة في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن المصطفى ﷺ قال : « **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ** » وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى [(١)] .

هل تدبرت هذا الحديث ، ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة علي في الجنة ؟ ثم ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة عمر في الجنة ؟ ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة عثمان في الجنة ؟ ثم ماذا لو علمت يا أخي الحبيب بأن منزلتك ستكون في منزلة صديق الأمة في الجنة ؟ ثم ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في الجنة مع الحبيب المصطفى ، هل فكرت فيها ؟ اسمع الحديث مرة أخرى وتدبر يقول الحبيب : « **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ** » وأشار بالسبابة والوسطى . انظروا إلى تقارب السبابة والوسطى هذه منزلة كافل اليتيم في الجنة مع المصطفى ﷺ ، وفي لفظ مسلم : « **كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ** » .. أو حتى لو كان اليتيم أجنبيًا عنك : « **كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ** » وأشار المصطفى ﷺ بالسبابة والوسطى .

بل وتدبروا هذا الحديث الذي رواه أبو يعلى بسند قال فيه الحافظ ابن حجر : إسناده لا بأس به من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

---

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٣٠٤) ، وفي الأدب (٦٠٠٥) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٣/ ٤٢) .

« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ ... »[١] .

أول من يحرك باب الجنة هو نبينا ﷺ فالجنة محرمة على كل أحد حتى يدخلها المصطفى يوم القيامة ، بل ولا تدخل أمة من الأمم الجنة قبل أمة المصطفى ﷺ يقول الحبيب ﷺ :

« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِي .. » يرى الحبيب امرأة تسابقه لتدخل معه الجنة في منزلته العالية يقول المصطفى : « فَأَقُولُ لَهَا : مَا لَكِ مَنْ أَنْتِ ؟ .. فَتَقُولُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي » ، أنا امرأة قعدت على أيتام لي .. امرأة ربت يتامى ، مات زوجها وهي في ريعان الصبا والشباب فأبت إلا أن تفرغ نفسها لتربية أولادها تربية ترضي الرب سبحانه ، هذه هي منزلتها تركت كل لذة واستعلت على كل شهوة ورفضت الخطاب وتفرغت لتربية أولادها اليتامى هذه هي منزلتها مع الحبيب ﷺ :

« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِي ـ تسابقني ـ فَأَقُولُ لَهَا : مَا لَكِ مَنْ أَنْتِ ؟ .. فَتَقُولُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي »[٢] .

وفي سنن النسائي بإسناد جيد من حديث أبي شريح بن خويلد بن عمر الخزاعي أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ » .

أحرج أي أحرم على من ضيع حق اليتيم وأكل مالهما ، « إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ

---

(١) إسناده حسن : رواه أبو يعلى (٦٦٢١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٦) : رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان .
(٢) هو نفس الحديث السابق .

الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ »[١] .

وأخيرًا أختم بهذا الحديث الرقراق وهو في أعلى درجات الصحة ، الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن المصطفى ﷺ قال :

« السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ...»[٢].

الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل . هذه طائفة نبوية كريمة تبين مكانة اليتيم في سنة الحبيب ﷺ ، وبعد هذا أسأل هذا السؤال هل ينسى ،سلم صادق في هذا الوقت الحرج يتامى فلسطين ؟

وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر اللقاء :

هل ننسى يتامى فلسطين ؟

أيها المسلم ، أيتها المسلمة ، تصور أخي الفاضل ، تصور أنك تجلس مع أولادك على مائدة الطعام وبدون مقدمات سقط صاروخ على البيت فحول البيت إلى ركام ، ثم توفى الوالد وتمزقت أشلاؤه وسالت دماؤه وقتلت الأم وتمزقت أشلاؤها وسالت دماؤها ، وربما قتل بعض الأطفال وبقي طفل أو طفلان ، بقي طفل ليرى هذا المشهد المروع رأى بيتاً يسقط ويرى والدا يمزق ، ويرى أما تقتل ، ويرى إخوانه تتمزق أشلاؤهم لتتطاير هنا وهنالك فيصرخ هذا اليتيم ، وتنقل صرخته على مرأى ومسمع من

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٣٩) ، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٨) ، وفي الزوائد : المعنى أحرج عن هذا الإثم بمعنى أن يضيع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً، قال النووي: وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(٢) رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٣) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٢/ ٤١) .

العالم الخائن ، والعالم الإسلامي الهزيل المهزوم ، لكن من يسمع صرخته بل وربما نراه على شاشات التلفاز فينظر أحدنا إلى هذا المشهد المروع ثم يقوم بعد ذلك يهز كتفيه ، وكأن الأمر لا يعنيه ، وكأن هذا الطفل الذي فقد بيته وفقد والديه ليس منه في شيء وتصرخ هذه اليتيمة الصغيرة على أرض فلسطين تصرخ بأعلى صوتها وتنادي على ألف مليون وتقول :

أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يراق
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يراق
عرضي يدنس أين شيمتكم أما فيكم أبيّ قلبه خفاق ؟
أرضي تدنس أين شيمتكم أما فيكم أبيّ قلبه خفاق ؟

تصرخ اليتيمة على أرض فلسطين وتقول :

أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يراق

بنتاه بنتاه بنتاه

أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تساق
أودت قومية مشؤومة وصار بها نحو الضياع رفاق
إذا كنت تريدينها فسينتهي نفق ويأتي بعده أنفاق
فمدي إلى الرحمن أكف تضرعك فسوف يرفع شأنك الخلاق

لا تيأسي بنتاه ـ لا تيأسي بنتاه

فمدي إلى الرحمن أكف تضرعك فسوف يرفع شأنك الخلاق

لا تيأسي بنتاه لا تيأسي بنتاه لا تيأسي أختاه لا تيأسي

لا تيأسي فأمام قدرة ربنا تتضاءل الأنساب والأعراق

أطفالنا ناموا على أحلامهم وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
لا تيأسي فأمام قدرة ربنا تتضاءل الأنساب والأعراق
أطفالنا ناموا على أحلامهم وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
أطفالنا قتلوا على فراشهم والعالم كله خسة ونفاق

أين النظام العالمي أما له أثر ؟ ألم تنعق به الأبواق
أين السلام العالمي لقد بدا كذبُ السلام وزاغت الأحداق
يا مجلس الخوف .. يا مجلس الخوف يا مجلس الخوف عذراً
يا مجلس الخوف الذي في ظله كسر الأمان ، وضيع الميثاق
أو ما يحركك الذي يجري لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفاق
يعفى عن اليهود الذين طغوا وتجبروا ويفرد بالعقاب العراق
وحشية يقف الخيال أمامها متضائلاً وتمجها الأذواق

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم:٤٢-٥٢].

اللهم زلزل الأرض من تحت أقدام اليهود ، اللهم اخسف بهم الأرض يا غفور يا ودود ، اللهم املأ بيوتهم وقلوبهم نارا ، اللهم يتم أولادهم ، ورمل نساءهم ، واقذف الرعب في قلوبهم ، اللهم عليك بأمريكا الخائنة ، وعليك بكل من خان فلسطين من الغرب الملحد والشرق الكافر ، وفي بلاد المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، وتول أمرنا، واغفر ذنبنا ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وارفع مقتك وغضبك عنا يا أرحم الراحمين .

يجب عليك أيها المسلم ألا تنسى أولادك في فلسطين طرفة عين ، فليحترق قلبك وإن كنت لا تقدر أن تقدم شيئًا فليحترق قلبك ، فلتبك ، أما أن نحمل قلوبا باردة وأعينًا جامدة فماذا نبذل ؟ لقد بخلت الأمة بالدعاء ، من منا يدعو لأولادنا في فلسطين في كل صلاة ؟ من؟ والله إنه لأمر مخزٍ والله إنه لأمر فاضح ، والله قد تخلى كثير من أفراد الأمة حتى عن الدعاء ، لقد تخلى كثير من نساء الأمة حتى عن الدعاء ، فصار المسلم لا يعيش إلا لشهواته ونزواته ، وصارت المسلمة لا تعيش إلا لشهواتها ونزواتها ، ونسى الكل إلا من رحم ربك أطفالنا في فلسطين .

فليحترق قلبك ولتبك عينك فلتقم الليل لله جل وعلا ؛ لترفع بين يديه أكف الضراعة أن يحفظهم بحفظه ، ولا تستهن بالدعاء ، فإن الدعاء سهام

الليل وقد رأيتم بأعينكم بيتاً يخسف به الأرض بدون أسباب وبدون مقدمات ، وأنا أقسم بالله بأنها دعوة مستجابة من صالح من المسلمين ، وأنا أقسم بالله إنها دعوة مستجابة من مسلمة صالحة من الصالحات . لا تستهينوا بالدعاء وإن قلوبنا تحترق وإن عيوننا تبكي وإننا نبذل ما نقدر عليه من المال ، صلى الله وسلم على المصطفى كما قال في الصحيحين :

« إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » شَاركوكم الأجر. قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ: « وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ » [1] .

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر نكابده ومن أقام على عذر كمن راحا

رابعاً : يتم رغم وجود الوالدين :

نعم ! لقد صرحت بأن ابن منظور ذكر أن أصل اليتم في اللغة هو الانفراد، فقد يشعر كثير من أولادنا باليتم التربوي ورغم وجود الوالدين ؛ لأن الوالدين قد انشغلا عن الأولاد ؛ لأن الوالد انشغل بتجارته ربما يعذر الوالد المسكين الذي انشغل بالعمل ؛ ليوفر لأولاده لقمة العيش الكريمة ، لكنه والله لا يعذر إن وجد عنده رمقا من الوقت فعاد إلى بيته ليقتل هذا الوقت الرمق مثلاً بالجلوس أمام التلفاز ؛ لينشغل بهذا الوقت القليل أيضاً عن أولاده وتزداد المصيبة إذا انشغلت الأم هي الأخرى بالوظيفة خرجت إلى الوظيفة بغير حاجة ولا ضرورة .

فالزوج قادر بفضل الله على أن يطعمها ، وعلى أن يكرمها حتى ولو

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨٣٩) وفي المغازي (٤٤٢٣) ، ومسلم في الإمارة (١٩١١) .

كان بأمر يسير، لكنها أصرت على الخروج من البيت إلى الوظيفة تارة ، وإلى الجري إلى الأسواق تارة أخرى ، وللزيارات ثالثة وتركت الأولاد ، فجلس الأولاد أمام التلفاز ليقتات الأولاد قوتهم التربوي من التلفاز والذي يقوم بالتوجيه التربوي في الإعلام لا يرقب في المسلمين ديناً ولا ذمة ، شتان شتان بين ما يقدم لأولادنا في التلفاز وبين شرعنا الإسلامي ، فهؤلاء لا علاقة لهم بإسلام لا بقرآن ولا بسنة ، انظر إلى الخريطة الإعلامية من البرامج التي تقدم لأولادنا على شاشة التلفاز ، أفلام تعزف على وتر الجنس والدعارة والجريمة والفهلوة ، مسرحيات فاسدة هابطة ، تمثيليات طويلة مملة ساقطة ، برامج تعزف على وتر التمجيد للممثلين والممثلات واللاعبين واللاعبات والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات ، برامج تسيء إلى النقاب وتتهم اللحية وتثير الشبهات لا على الفرعيات بل على الثوابت والكليات ، فيقتات أولادنا هذا القوت العفن عبر وسائل الإعلام ، ثم زاد الطين بلة هذا الدش الخبيث الذي ينقل إلى بيوت المسلمين أفلام الزنا ، وصار كثير من المسلمين يقيمون الليل كله مع أفلام الزنا ومناظر الدعارة حتى ملأ الفقر البيوت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أو يخرج الأولاد ليقتاتوا قوتهم اليومي في الشوارع والطرقات عبر صحبة السوء فيرجع الوالد المسكين ؛ ليرى ولده في بيت زنا أو شقة دعارة أو ليرى ولده قد أدمن البانجو والمخدرات ، اللهم احفظ لنا أولادنا بحفظك ، اللهم رَبِّ لنا أولادنا يا كريم .

وكذا انشغل الوالد ، وظن الوالد المسكين أن الوظيفة أنه في البيت ممثل لوزارة المالية ، كم تحتاج الأم من أموال يدفع ، كم يحتاج الولد من أموال يمنح وفقط ، وظنت الأم هي الأخرى أنها ما هي إلا مصدر للوضع

فحسب ، فقدت أمومتها يوم أن تخلت عن وظيفتها التربوية ، وفقد الوالد أبوته يوم أن تخلى عن وظيفته التربوية ، وشعر الأولاد بيتم تربوي حقيقي في كثير من البيوت .

فليس اليتيم من انتهى أبواه وخلفاه في هم الحياة ذليلا
إن اليتيم هو الذي ترى له أُمًّا تخلت أو أَباً مشغولا

يتم رغم وجود الوالدين .

قال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[(١)] .

وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »[(٢)] .

وأخيرًا : أطرح هذا السؤال المهم :

---

(١) رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣) ، وفي الاستقراض (٢٤٠٩) ، وفي العتق (٢٥٥٤،٢٥٥٨) ، والوصايا (٢٧٥١) ، وفي النكاح (٥١٨٨،٥٢٠٠) ، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩/ ٢٠) .
(٢) رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٠ ،٧١٥١) ، ومسلم في الإيمان (١٤٢/ ٢٢٧) ، وفي الإمارة (١٤٢/ ٢١) .

كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك ؟

سؤال قد يبدو غريبًا للوهلة الأولى ، لكن ستزول الغرابة فورًا بعد ترتيلي لقول الله عز وجل وعلا : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء:٩] ، هذا هو الجواب : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ .

حقق التقوى ليحفظ الله لك أولادك بعد موتك ، هذا وعد ربي قل قولاً سديداً ؛ ليتول الله أولادك بالرعاية والعناية بعد موتك ، دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت فقال مسلمة وهو ابن عم عمر : يا أمير المؤمنين ، ألا توصي لأولادك بشيء من المال ، فلقد تركت أولادك فقراء ؟ فقال عمر بن عبد العزيز ـ طيب الله ثراه : يا مسلمة ، وهل أملك شيئاً من المال لأوصي به لأولادي أم تريد أن أمنحهم من مال المسلمين ما ليس لهم ؟! لا يكون ذلك ، فإنهم أحد رجلين : إما أن يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين ، وإما أن يكونوا غير ذلك ولا أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله ، وأسأل أنا عنه بين يدي الله .

ثم قال عمر : أدخلوا أولادي عليَّ فدخلوا عليه وهو على فراش الموت فنظر إليهم وبكى وقال : يا بني ، إن أباكم قد خير بين أمرين : بين أن يترككم أغنياء ويدخل النار ، وبين أن يترككم فقراء ويدخل الجنة ولقد اختار أبوكم الجنة إن شاء الله ، وإما أن تكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين ، وإما أن تكونوا غير صالحين فلا أدع لكم ما تستعينون به على معصية الله ، وأسأل أنا عنه بين يدي الله اخرجوا عني فخرجوا عنه وظل يردد قول الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣] ، حتى توفاه الله جل وعلا ، والله ما مضى وقت كبير وقد جاء ولد من أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل الصدقة على بعير ؛ ليتصدق بها على الفقراء والمساكين ، وقد تركهم عمر لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً ، إنه وعد الله سبحانه ولا تعارض بين أن تحقق التقوى لولدك وبين أن تكدح وتسعى وأن تترك لهم مالاً ، لا تعارض بين هذا وذاك .

ففي صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ لما دخل عليه ؛ ليزوره في مرض الموت قال له سعد : يَا رَسُولَ الله ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ :« لَا » قُلْتُ : فَالشَّطْرُ قَالَ: « لَا » قُلْتُ : الثُّلُثُ قَالَ : « فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ » ثم قال ﷺ : « إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً ـ أي فقراء ـ يَتَكَفَّفُونَ النَّاس »[1] . فلا حرج فهذا من التوكل على الله .

فالتوكل على الله أن تأخذ بالأسباب وأن تعلق قلبك بمسبب الأسباب تبارك وتعالى .

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥) ، وفي النفقات (٥٣٥٤) ، ومسلم في الوصية (١٦٢٨/ ٥) .

حقوق يجب أن تعرف

حق القدس



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق القدس

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق القدس** » .

وحق القدس في هذا الظرف العصيب وهذا الوقت الحرج من الأهمية بمكان ، فإن الداعية الصادق ـ أسأل الله أن نكون منهم ـ لا تكون موضوعاته وأطروحاته في واد ، وتكون أمته الجريحة المسكينة بأحداثها المؤلمة المفجعة في واد آخر ، وسوف أحصر هذا الموضوع الجريح النازف في العناصر المحددة التالية :

أولاً : اليهود إخوان القردة والخنازير وزمرة الشيطان .

ثانياً : متى يفيق النائمون ؟

ثالثاً : مقومات النصر .

وأخيراً : سيهزم اليهود .

والله أسأل أن يهزم اليهود وأن ينصر المسلمين في فلسطين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : اليهود إخوان القردة والخنازير وزمرة الشيطان :

أيها المسلمون ، والله الذي لا إله غيره لولا أن الله قد أخذ على أهل العلم العهود والمواثيق أن يبينوا ويتكلموا ما تكلمنا ، فقد مضى زمن

الكلام وقد ولى زمن التنظير ، ولا مجال مطلقاً للجهود الدبلوماسية بعد ما نطقت الدبابة والبندقية على أيدي أرذل وأنجس وأحقر أهل الأرض من إخوان القردة والخنازير ، لا مجال للكلام مطلقًا ، لولا أن الله قد أخذ على أهل العلم العهد والميثاق أن يبينوا والله ما بيّنا ، والله ما تكلمنا عن هذه الصور المؤلمة التي تحرق فؤاد كل مسلم حي ، وهذا إن كنا لا زلنا نحمل في الصدور أفئدة ، وهذا إن كنا لا زلنا نحمل في الصدور قلوباً ما كفنت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

طاردتني كما طاردت كل مسلم صادق هذه الصور المؤلمة التي تحرق القلب ، صورة هذا الطفل المسكين الذي لا ذنب له ولا جريرة ، إلا أنه ولد فوق الثرى الطاهر والأرض المباركة ، فوق مسرى الحبيب محمد ﷺ وقام اليهود المجرمون الأنذال الذين لا يعرفون رحمة ولا يعرفون شفقة ، حتى بعد ما احتمى الطفل في أبيه راح يرفع خائفًا من هؤلاء المجرمين ، وراح الوالد المسكين يرفع يده مسلماً مستسلماً ولكن هيهات ... هيهات ... هيهات ... أن يعرف اليهود الرحمة ، اللهم إلا إذا دخل الجمل في سم الخياط فأطلقوا الرصاص على رأس هذا الطفل المسكين فأردوه قتيلاً ، وإن شئت قلت : فقد قتلوا أباه إن لم يمته الرصاص لقد قتلوه ، فقد قتلوا أباه إن لم يمته الرصاص ، تصور أن يموت ولدك بين يديك بهذه الصورة التي تحرق الأفئدة . والله نظرت إلى أطفالي بالأمس القريب نظرت إليهم ، وتخيلت أن قاذفة من قاذفات العدو قد سقطت على بيتي ، وأنا مع أهلي وأولادي ، فتمزقت أشلاء أطفالي بين عيني وبين يديّ ، والله عبثاً حاولت النوم فأنّى للقلوب التي تعرف حقيقة الإيمان ، هذه القلوب التي ذاقت حلاوة الولاء والبراء أن تعرف طعم النوم ، وطعم المصائب ، أن تعرف طعمًا للراحة .

والله لولا أن المصطفى ﷺ أكل في المصائب ما أكلنا ، إنها المصيبة والمأساة وصورة الطائرات والدبابات والصواريخ والمدفعية تدك بيوت الفلسطينيين العزّل الذين لا يملكون إلا إيماناً بالله جل وعلا ثم الحجارة ثم الحجارة ، وطاردتني صورة امرأة عجوز يتساقط بيتها من فوق رأسها وهي تنظر إلى سقف البيت يتحطم ولا تملك أن تفعل شيئاً على الإطلاق . وطاردتني صورة الأقصى الجريح وهو يئن ويستجير وهو يصرخ في المسلمين وا إسلاماه .. وا إسلاماه ... وا إسلاماه لكن من يجيب ؟ من يجيب ؟ القدس يصرخ ، انتابتني حالة نفسية عجيبة ، حالة نفسية مؤلمة لكن من يجيب ؟ كنت أصرخ ولكن الصرخة في صحراء مقفرة ، في صحراء مهلكة :

عبثاً دعوت وصحت يا أحرار ... عبثاً لأن قلوبنا أحجار
عبثاً لأن عيوننا مملوءة ... بالوهم تظلم عندها الأنوار
عبثاً لأن شؤوننا يا قومنا ... في الغرب يفتل حبلها وتدار
ولأننا خشب جامدة فلا ... ندري ماذا يصنع المنشار
أما سقوط الأقصى فحالة ... مألوفة تجري بها الأقدار
هذي شؤون القدس ليس لنا ... بها شأن وما للمسلمين خيار
يا ويحكم يا مسلمون قلوبكم ... ماتت فليست بالخطوب تثار
أنكرتم الفعل الشنيع بقولكم ... شكراً لكم لن ينفع الإنكار
شكراً على تنظيم مؤتمراتكم ... وعلى القرار يصاغ منه قرار
وعلى تعاطفكم فتلك مزية ... فيكم تصاغ لمدحها الأشعار
يا ويحكم يا مسلمون نساؤكم ... في القدس يسألن عنكم والدموع غزار
هذي تساق إلى سراديب الهوى ... سوقا وتلك يقودها الجزار

لـو أن سـائحة مـن الغـرب اشتكت ... في أرضـــكم لتحـــرك الإعصـــار
أمـا الصـغار فـلا تسـل عـن حـالهم ... مـــرَض وخـــوف قاتـــل وحصـــار
واليهـــود يـــذبحون ويقتلـــون ... ومـا لُهـم نـاصر ودمـع عيـونهم مـدرار
يـا ويحكـم يـا مسـلمون تنسـون أن ... الضـعف في وجـه العـدو مذلـة وصـغار
هـذي هـي القـدس يحـرق ثوبهـا ... عمـــداً ويهتـــك عرضـــها الأشرار
تبكـي وأنـتم تشربـون دموعهـا ... وعـــن الحقـــائق زاغـــت الأبصـــار
وهـذا هـو الأقصى يطحنـه الأسـى ... وجمـــوعكم يـــا مســـلمون عـــار
مليـــاركم لا خـــير فيـــه كـــأنما ... كتبـــت وراء الواحـــد الأصـــفار
مـــا جـــرأ اليهـــود إلا صـــمتكم ... ولكـــم يـــذل بصـــوته المغـــوار
خابـــت سياســـة أمـــة غاياتهـــا ... تحقيـــق مـــا يـــرضى بـــه الكفـــار
يا قدس أرسل دمع العين مدرارا ... عميـق الحـزن وثقـب النـزف أنهـار
يـا قـدس تـاه الأهـل والأحبـاب ... وعـــوت بـــأرض الأنبيـــاء كـــلاب
قدساه أرض النور دنسها الدجى ... والحـــق ضـــاع وتاهـــت الأنســـاب
قـادت قـرود الإفـك قافلـة الهـدى ... وسِـــجى بوجـــه النـــائمين ذبـــاب
ليكـود ، قـاد عصـابة يعلـو بهـا ... بالقـــدس مكـــر محـــدق وحـــراب
طعنـوا بهـا الشرفـاء طعـن مذلـة ... فسـوى بقـدس المعجـزات خـراب
والقبـة العظمـى تسـيل دماؤهـا ... والقـدس يبكـي واشـتكى المحـراب
وبـــدا اليهـــود بأرضـــنا وكـــأنهم ... أصـــحاب أرض مالهـــا أصـــحاب
وضاعت فلسطين الجريحة واعتلى ... أقصى المســـاجد بالســـواد ثيـــاب

قدساه قدساه ...قدساه أين الفاتحون؟

أين عمر بن الخطاب ؟ أين أبو عبيدة بن الجراح ؟ أين صلاح الدين ؟ أين نور الدين محمود ؟ أين قطز ؟

قدساه .. أين الفاتحون وعزهم أين الجهاد الحق والألباب

ماذا أصاب المسلمين فهل ترى يجدي لديهم بالخطوب عتاب

اليهود هم اليهود كررنا ذلك حتى بحت أصواتنا ، لكن الأمة لا تريد أبدًا أن تصدق رب الأرض والسماوات ، متى وفّى اليهود بعهد على مدى التاريخ ؟ قلت : نقض اليهود العهود مع الأنبياء ، ومع رب الأرض والسماء .

وأسأل بمرارة : هل نقض اليهود العهود مع الأنبياء ، ومع رب الأرض والسماء ثم يفي اليوم اليهود بالعهد للحكام والزعماء ؟ ها هو رابين قد أعلنها صريحة مدوية : لقد ماتت عملية السلام ، قلنا ذلك مرارا قبل ذلك فلم يصدقنا أحد .

فحال أمتنا حال عجيبة وهي لعمر الله بائسة كئيبة

يحتاجها الطوفان طوفان المؤامرة الرهيبة

ويخطط المتآمرون كي يغرقونها في المصيبة

سيحفرون لهم قبوراً ضمن خطتهم رحيبة

قالوا : السلام .. قالوا : السلام

قالوا : السلام .. قلت : يعود الأهل للأرض السليبة

ويلبس الأقصى غدا أثوابها قشيبة

فـإذا سـلامهم هـو التنـازل عـــن القـــدس الحبيبـــة

فبـــئس ســـــلامهم إذاً وبـــئس الخطـــط المريبـــة

فالمســـــــجد الأقصى في الـــــدماء لـــــه ضريبـــــة

فالمســـــــجد الأقصى في الـــــدماء لـــــه ضريبـــــة

فالمســـــــجد الأقصى في الـــــدماء لـــــه ضريبـــــة

قال ربنا وهو الذي خلق اليهود ، وهو وحده الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قال جل وعلا: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة:١٠٠] ، وقال جل وعلا : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة:١٣] أي على خيانة بعد خيانة ، هذا كلام ربنا جل وعلا ، ولا أريد أن أقف مع آيات القرآن ، فالآيات كثيرة قال جل جلاله : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٦٠] ، قال جل وعلا : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨ ، ٧٩] . ها هو القرآن الكريم يقرأ ويتلى في الليل والنهار ولكن

من يصدق كلام العزيز الغفار ، من يصدق كلام النبي المختار ﷺ .

اليهود قوم بهت وقوم خيانة متخصصون في نقض العهود ، والله الذي لا إله إلا غيره لن تأتي وزارة في إسرائيل تحترم عهوداً أبرمت في أوسلو أو في مدريد ، أو كامب ديفيد الأولى أو المليون ، لن تكون هناك وزارة أو حزب عمل أو حزب ليكود يحترم عهدًا ، أو ميثاقًا فهذه جبلّة اليهود وطبيعة اليهود ، منذ أول لحظة هاجر فيها المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة ، وقام عبد الله بن سلام حَبر اليهود الكبير فنظر إلى وجه النبي ﷺ ، فعرف أنه ليس بوجه كذاب فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال للرسول ﷺ : يا رسول الله ، اليهود قوم بهت ، أهل ظلم ينكرون الحقائق فاكتم عنهم خبر إسلامي وسلهم عني ، فجمع النبي بطون اليهود وقال لهم : « مَا تَقُولُونَ فِي عَبْدُ الله بْنُ سَلَام ؟ » قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وابن حبرنا . فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول السلام ﷺ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ . فردّ اليهود الكلاب المجرمون على لسان وقلب رجل واحد في حق عبد الله بن سلام قالوا : سفيهنا وجاهلنا وابن جاهلنا [1] .

هذه طبيعة اليهود منذ اللحظات الأولى لم يتغيروا ولن يتغيروا ، فمتى يفيق النائمون ؟! . فهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانيا : متى يفيق النائمون ؟

ليعلم الكل أن أمريكا ليست شريكًا نزيهًا في عملية السلام ، كلا وألف كلا ، الكفر ملة واحدة ، لا يمكن أبدًا أن تنصر أمريكا قضية من قضايا الأمة لا يمكن أبدًا لهيئة الأمم المتحدة أن تنصر قضية من قضايا الأمة ... لا

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٣٨) ، وفي التفسير (٤٤٨٠) .

يمكن أبدًا أن يتدخل حلف الناتو . لنصرة الأقلية المستضعفة من العزّل في فلسطين من أجل سواد عيون الأمة ، ولا تنخدعوا بتدخل حلف الناتو في كسوفا ؛ لأنهم لم ولن يتدخلوا إلا لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية ، هذا أمر لا ينبغي أن يجهله الآن كل مسلم أو مسلمة على وجه الأرض ، الكفر لا ينصر توحيدًا ، الكفر لا ينصر إسلاماً ، الكفر ملة واحدة الكفر ملة واحدة ، إنهم يشاهدون على شاشات التلفاز كل ليلة ما يحدث لإخواننا وأخواتنا في فلسطين لكن :

أين النظام العالمي أما له أثر ؟ ألم تنعق به الأبواق
أين السلام العالمي لقد بدا كذبُ السلام وزاغت الأحداق
يا مجلس الأمن .. يا مجلس الأمن عذراً ، يا مجلس الخوف
يا مجلس الخوف الذي في ظله كسر الأمان ، وضيع الميثاق
أو ما يحركك الذي يجري لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفاق
وحشية يقف الخيال أمامها متضائلاً وتمجها الأذواق

هذا هو الغرب ، يا من خُدعتم بالغرب طيلة السنين الماضية ، هذا هو الغرب أيها المرجفون ، يا من تعزفون على وتر التقديس والتمجيد للغرب في كل المناسبات .

قالوا لنا الغرب قلت: صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا
لكنه خاو من الإيمان لا يرعى ضعيفاً أو يسر حزينا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمي بسهم المغريات لدينا

الغرب مقبرة العدالة ، الغرب مقبرة العدالة

الغـــرب مقـــبرة العدالـــة ، كلـــما رفعت يدًا أبدي لها السكينا
الغـــربُ يكفـــر بالســـلام وإنـــما بســـلامة الموهـــوم يســـتهوينا
الغـربُ يحمـل خنجـراً ورصاصـة فعـلام يحمـل قومنـا زيتونـا
كفـــر وإســـلام فـــأنى يلتقـــي هـــذا بـــذلك أيهـــا اللاهونـــا
أنـــا لا ألـــوم الغـــرب في تخطيطـــه ولكـــن ألـــوم المســـلم المفتونـــا
وألـــوم أمتنـــا التـــي رحلـــت عـــلى درب الخضـــوع ترافـــق التنينـــا
وألـــوم فينـــا نخـــوةً لم تنـــتفض إلا نتضربنـــا عـــلى أيـــدينا

يا مجلس الأمن ، يا مجلس الخوف شكرًا .. شكرًا

شـكرًا لقـد أبـديت وجـه حضـارة غربيـة لـبس القنـاع سـنينا
شـكرًا لقـد نبهـت غافـل قومنـا وجعلت شك الواهمين يقينا
يـا مجلـس الأمـن انتظـر إسـلامنا سيريك ميـزان الهـدى ويرينـا
إن كنت في شك فسل فرعون عـن غرقٍ وسل عن خَسْفِهِ قارونا

متى يفيق النائمون ؟ متى يفيق النائمون ؟

شهداؤنا بين المقابر يهمسون .

والله إنا قادمون ، والله إنا عائدون ، والله إنا راجعون .

شهداؤنا خرجوا من الأكفان .. واصطفوا صفوفاً ثم راحوا يصرخون ..

عار عليكم أيها المستسلمون .

وطنٌ وأمة تنساق قطعانًا .. وأنتم نائمون .

شهداؤنا قاموا وزاروا المسجد الأقصى .

وطافوا في رحاب القدس واقتحموا السجون .

في كل شبر من ثرى الوطن المكبل ينبتون .

في كل ركن من ربوع الأمة الثكلى أراهم يخرجون ..

شهداؤنا وسط المجازر يهتفون الله أكبر إنا عائدون.

شهداؤنا يتقدمون .. أصواتهم تعلو على أسوار فلسطين الحزينة ..

في الشوارع في المفارق يهدرون ..

إني أراهم في الظلام يحاربون ..

رغم انكسار الضوء في الوطن المكبل بالمهانة والمجون .

شهداؤنا وسط المجازر يهتفون .

والله إنا عائدون .. والله إنا عائدون .. والله إنا عائدون ..

أكفاننا ستضيء يوماً في رحاب القدس ... سوف تعود تقتحم الحصون .

شهداؤنا في كل شبر يصرخون .. يا أيها المتنطعون ..

كيف ارتضيتم أن ينام الذئب في وسط القطيع وتأمنون .

وطن بعرض الكون يعرض في المزاد .

وطعمة الجرذان في الوطن الجريح يتاجرون .

أحياؤنا الموتى على الشاشات في صخب النهاية يسكرون .

من أجهض الوطن العريق وكبل الأحلام في كل العيون .

يا أيها المتشرذمون .. والله إنا قادمون .

شهداؤنا في كل شبر في البلاد يزمجرون .

جاؤوا صفوفًا يسألون .

يا أيها الأحياء ماذا تفعلون؟

في كل يوم كالقطيع على المذابح تصلبون .

تتسربون على جناح الليل سرًا .. للذئاب تهرولون .

وأمام أمريكا تقام صلاتكم فتسبحون .

وتطوف أعينكم بها وفوق ربوعها الخضراء يبكي الساجدون .

صور على الشاشات جرذان .. تصافح بعضها .

والناس من ألم الفجيعة يضحكون ..

تباع أوطان وتسقط أمة .

تباع أوطان وتسقط أمة .. ورؤوسكم تحت النعال وتركنون ..

تسلم القدس العريقة للذئاب ويسكر المتآمرون ..

شهداؤنا في كل شبر يصرخون .

القدس تسبح في الدماء .. وفوقها الطاغوت يهدر في جنون ..

القدس تسألكم أليس لها حق عليكم ؟

القدس تسألكم أليس لها حق عليكم ؟ .. أين فر الرافضون ؟

أين غاب البائعون ؟ أين راح الهاربون الصامتون الغافلون الكاذبون ؟ ..

صمتوا جميعاً والرصاص الآن يخترق العيون ..

وإذا سألت سمعتهم يتصايحون ..

هذا الزمان زمانهم في كل شيء في الورى يتحكمون ..

لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص .. فإنكم في كل موقف خاسرون ..

لن يترك الطوفان شيئًا كلكم في اليم يوما غارقون ..

تجرون خلف الموت .. والنخاس يجري خلفكم ..

وغدًا بأسواق النخاسة تعرضون ..

لن يرحم التاريخ يوماً من يفرق أو يخون ..

لن يرحم التاريخ يوماً من يفرق أو يخون ..

لن يرحم التاريخ يوماً من يفرق أو يخون ..

كهاننا يترنحون .. فوق الكراسي هائمون ..

في نشوة السلطان والطغيان راحوا يسكرون ..

وشعوبنا ارتاحت ونامت في غيابات السجون ..

نام الجميع وكلهم يتثاءبون ..

فمتى يفيق النائمون ؟ .. متى يفيق النائمون ؟ .. متى يفيق النائمون ؟

متى يفيق النائمون ؟ .. متى يفيق النائمون ؟ ..

متى تعلم الأمة قول ربها : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠] ، متى ستسمع الأمة لقول ربها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ

ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:١١٨] ، متى ستتدبر الأمة قول ربها : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة:٨٢] ، متى ستسمع الأمر من ربها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة:١] .

الكفر ملة واحدة ، متى سترجع الأمة إلى ربها سبحانه وتعالى وإلى نبيها ﷺ لتحقق المنهج ، منهج الله في الأرض ، لتحقق نصر الله ، فالأمة تملك مقومات النصر ، نعم فالأمة تملك الآن مقومات النصر .

ثالثا : مقومات النصر :

وأعظم مقوم تملكه أمة التوحيد هي عقيدة لا إله إلا الله ، قد صرخ أبطالنا المصريون في حرب العاشر من رمضان بلفظة التوحيد : الله أكبر لا إله إلا الله ، فرأينا أسطورة العدو الذي لا يقهر تتهاوى إلى ركام في ساعات قليلة ، فمتى عرفت الأمة ربها ورددت : لا إله إلا الله وكبر وعظم في صدرها جلال الله وقالت : الله أكبر نصرها ربها تبارك وتعالى ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، العقيدة التي حولت سحرة فرعون إلى موحدين في التو واللحظة واسترخصوا واستعذبوا كل بلاء ، العقيدة التي تملأ القلوب بالثقة في رب الأرض والسماء ، العقيدة التي تجعل كل فرد في الأمة ينظر إلى أمم الكفر على أنها هباء .. أنا لست درويشًا أهرف بما لا أعرف .. أعلم يقيناً قوة أعدائنا ، وأعلم يقينًا أن أمريكا من وراء اليهود ، فإسرائيل غدة سرطانية في قلب العالم الإسلامي

غرسها أعداء الإسلام ، وغرستها أمم الكفر في قلب الوطن العربي ، وإن شئت فقل : إن إسرائيل حاملة طائرات ودبابات وصواريخ يسكن على ظهرها ما يزيد على خمسة ملايين لأمريكا بمثابة اليد الطولى التي هي قريبة من روسيا من ناحية ، ومن أوربا من ناحية ، ومن قلب العالم الإسلامي من ناحية ثالثة ومن آبار النفط والموارد المعدنية من ناحية رابعة ، ومن ناحية خامسة فهي عمق استراتيجي يمتد عبر ثلاث قارات ، فهذه الدولة لا يمكن لأمريكا أن تتخلى عنها أبداً ؛ لأنها تمثل اليد الطولى لأمريكا في المنطقة في قلب العالم الإسلامي والعربي ، ومن ثم ستظل أمريكا وراء اليهود حتى تفيق الأمة وترجع إلى العزيز الحميد .. وتأخذ بما تملك من أسباب النصر ومن مقومات النصر ، وهي كثيرة.

أقسم بالله إن الأمة الآن قادرة على أن تجعل أمريكا في الغد تركع .. يا إخوة أنا أعي كل ما أقول تمامًا . أقول : بالعقيدة ، وبكلمة سواء يتخذها قادة العرب برجولة وصدق وقوة ، فلم يعد هناك مكان للاختلافات والنزاعات والتفاهات ، لم يعد هناك وقت للضياع لو اتخذوها وأعلنوها لله تعالى لتغيرت الموازين ، لو اتخذت الأمة قرارًا بإسقاط التعامل بالدولار الأمريكي ، لا أقول في الاقتصاد كله بل أقول في مبيعات البترول فقط والله لانهارت أمريكا في التو واللحظة .

بمجرد هذه النكسة ارتفعت أسعار البترول في البورصة العالمية فهددتها هذه الأسعار اقتصادياً حتى اضطرت أمريكا أن تسحب من احتياطاتها من البترول ، والآن ارتفعت أسعار البترول في هذا الموضع الحرج فتستطيع الأمة بقرار كما استطاعت في حرب العاشر من رمضان بقرار البترول أن تغير الدفة ، تستطيع الأمة أن تفعل شيئًا بل وتستطيع أن تفعل شيئًا كبيرًا جدًا ، فالأمة تملك العُدد والعَداد وتملك العمق الاستراتيجي ، وتملك

العقول الموهوبة التي لا تقل عن عقول الغرب ، بل إن عقول الأمة في الغرب تبدع ، ليست فقيرة وليست جاهلة وليست ضعيفة ، ولكنها مهزومة نفسيًا فيجب على الأمة أن تصحح عقيدتها في الله عز وجل ، تلك العقيدة هي التي ستخرج الأمة من مستنقع الهزيمة النفسية الهائلة ، تلك العقيدة التي جعلت أصحاب المصطفى يتحولون من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم ، تلك العقيدة التي انتقلوا بها فسيطروا على العالم القديم بصولجانه وجبروته ، واستطاعوا بهذه العقيدة الصحيحة الصافية أن يقيموا للإسلام دولة وسط صحراء تموج بالكفر ، فإذا هي بناء شامخ ، تلك العقيدة التي جعلت طلحة بن عبيد الله يقف أمام المصطفى ﷺ ، وهو يحمي الرسول بصدره وهو يقول : نحرى دون نحرك يا رسول الله ، تلك العقيدة التي جعلت عمير بن الحمام يسمع كلام النبي ﷺ :

« قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » ، فيقول عمير : بَخٍ بَخٍ!! فيقول له المصطفى ﷺ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ » ، قَالَ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، فقال المصطفى ﷺ : « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا »[1] . ويذهب ويتلقى الموت في سبيل الله .

تلك العقيدة التي جعلت أصحاب النبي ﷺ يضحون بكل نفيس في نصرة دين الله ، العقيدة التي ستحرك القلوب والجوارح في سبيل الله ، وأنا أدين لله تبارك وتعالى أن طريق النصر الآن بتصحيح العقيدة ورفع راية الجهاد في سبيل الله ، والله الذي لا إله غيره إذا أعلن الآن قرار حي على الجهاد من خلال أي حاكم من حكام العرب والمسلمين .. حي على الجهاد .. حي على الجهاد .. والله لخرج ملايين الشباب والشيوخ بل

(١) رواه البخاري في الإمارة (١٩٠١/ ١٤٥) .

والنساء ، بل والله لخرج أطفالنا وصبياننا ، والله لخرجوا بلا سلاح ؛ ليسدوا كل واحد منهم بصدره فوهة مدافع اليهود ؛ ليرزقه الله الشهادة في سبيله ، وليعلّموا أنجس خلق الأرض أن محمداً ما مات وما خلف بنات ، بل خلف أطهاراً أبراراً تتحرق قلوبهم شوقاً للشهادة في سبيل الله ، والله الذي لا إله غيره لم يبق الآن لهذه القضية إلا الجهاد ، فليفطن إليها الحكام والزعماء ، وإن هذه الأمة قد مرضت وقد اعترضتها فترة من الركود الطويل لكنها ما ماتت ولن تموت بموعود الله وبموعود الصادق رسول الله ﷺ ، وصدق الصادق إذ يقول في مسند أحمد بسند صحيح من حديث ابن عمر :

« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » (١) .

وفي الصحيح أنه ﷺ قال :

« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْض » (٢) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أنه ﷺ قال :

« مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

فقال أبو سعيد : أعدها عليه يا رسول الله ، فأعادها عليه ثم قال :

« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا

---

(١) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٢/ ٨٤) ، وأبو داود (٣٤٦٢) .
(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٣) .

بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »[1] .

وأمريكا وهيئة الأمم ، وحلف الأطلنطي ، ومجلس الأمن كل هذه الهيئات والمنظمات لا تريد أبداً أن تصبغ هذه القضية بالصبغة الإسلامية ، لا تريد أبداً للقضية أن تخرج عن إطار القومية والوطنية والعروبة ، وإنما يعلمون أن القضية إذا صبغت بالصبغة الإسلامية ورفعت راية الجهاد لحولت وقلبت الموازين لماذا ؟ لأن اليهود يحاربوننا عن عقيدة أعلنها أول رئيس وزراء بعدما اعترفت الدول العظمى بإسرائيل ، قال بالحرف : قد لا يكون لنا الحق في فلسطين من منظور سياسي أو قانوني ولكن فلسطين حق لنا من منظور ديننا ، فهي أرض الميعاد التي وعدنا الله إياها من النيل إلى الفرات ، ثم قال : لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل ، ولا معنى لقيام دولة إسرائيل على غير أرض الميعاد ، وترجم هذه العقيدة كلها رؤساء وزرائهم بدءا ببنغوريون إلى باراك لقد أصدر نتنياهو أربعة عشر قرارًا استيطانيًا في فترة حكمه ، وكان من آخرها هذا القرار الذي صدر للاستيطان في منطقة جبل أبو غنيم ؛ ليؤكد بذلك التفوق السكني في القدس الشرقية .

ولن تعود القدس مهما جلسوا للمؤتمرات واتخاذ القرارات إلا إذا صححت الأمة عقيدتها ، ورفعت راية الجهاد في سبيل الله ، فلم يعد هناك وقت للتنظير ، ولا للكلام وليرى الحكام من هذه الأمة ما تقر به عيونهم إن صححوا العقيدة ورفعوا راية الجهاد في سبيل الله ، هذا ما أدين به لربي في هذا الظرف الحرج ، وأسأل الله جل وعلا أن يهزم اليهود وأن يخلص إخواننا المستضعفين العزل من شرهم وكيدهم وأن يحرك قلوب حكام

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٤/١١٦) .

العرب لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك ومولاه .

وأخيرًا : سيهزم اليهود :

لا أقول ذلك رجماً بالغيب ، ولا من ضغط الواقع المرير ، ولا من باب الأحلام الوردية الجاهلة ، ولا من باب الجهل بالواقع الذي تعيشه أمتنا ونحياه الآن بكل مآسيه .. كلا .. وإنما أقول ذلك من منطلق الحقائق الربانية والنبوية فهو كلام ربنا وكلام نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

تدبروا معي هذه الآية التي قرأتموها جميعًا وسمعتموها جميعًا ، لكن قلَّ من انتبه إليها ووقف معها ؛ ليتدبرها ألا وهي قول الله في سورة آل عمران في حق اليهود : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران:١١١] .

هل تصدقون الله رب العالمين ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر:١٤] .

هذا كلام الخالق الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف:١٦٧] .

وقال جل وعلا : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾

[الإسراء:١٠٤]

وها هم اليهود يأتون ألفافًا من كل بقاع الأرض ؛ ليتحقق وعد الله في

آية الإسراء : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:٤-٧] .

تدبر معي : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ [الإسراء:٧] اللهم عجّل بهذه البشارة : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧] .

تدبر معي هذه الآيات ؛ لتقف على هذه البشارة العظيمة ، فالحق وإن انزوى كأنه مغلوب فإنه ظاهر والباطل وإن انتفش كأنه غالب فإنه زاهق : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] ،

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١٨] .

تدبر معي قول رب العالمين : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ [الإسراء:٤،٥] أي جاء وقت المرة الأولى ؛ لتدمير ما شيد اليهود : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ [الإسراء:٤] أي بعث الله على اليهود عبادًا له ؛ ليسوموا اليهود سوء العذاب .

اختلف المفسرون في كتب التفسير فقد قرأت ما يزيد على عشرين تفسيرًا في هذه الآيات ، فوجدت أن جُلّ المفسرين قد فسر هذه الآيات بأن الذي سلط علٰى اليهود هم البابليون أو الرومان أو بختنصر أو نبوخذ نصر ، فتدبرت الآيات مرارًا وتكرارًا ووقفت مع بعض أهل العلم من المحققين الذين قالوا بأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ [الإسراء:٥] ، فالعبودية إن نسبت لله لا تكون أبدًا إلا للموحدين ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء:١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن:١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة:٢٣]

إذًا العبودية إذا نسبت لله تعالى وكانت خالصة فهي من المؤمنين الصادقين .. والبابليون وثنيون والرومانيون وثنيون وبختنصر وثني ليس بمسلم فكيف يقال بأن هؤلاء تطبق عليهم الآية ، كلاّ كلاّ ، إذًا من هم عباد الله الذين سلطهم على اليهود أول مرة ؟

إنهم أصحاب المصطفى ﷺ .. نعم إنهم أصحاب المصطفى فهم الذين طردوا اليهود من بني النضير ومن بني قينقاع ومن خيبر ومن بني قريظة وأخرجوهم من المدينة ، ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ يوم نزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ؛ ليتسلم مفاتيح بيت المقدس بيده ، وليكتب لليهود ولأهل بيت المقدس العهدة العمرية المعروفة ؛ ليكتب لأهل بيت المقدس

من أهل إيليا العهدة العمرية المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل قبل ذلك .

إذًا أصحاب النبي ﷺ هم الذين دخلوا المسجد أول مرة ؛ ولذلك تدبر معي قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ [الإسراء:٥ ،٦] أي على هؤلاء العباد الذين انتصروا عليكم ، وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا أي على أبناء أصحاب النبي من الموحدين والمؤمنين : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦] أي أمدهم الله بأموال وها نحن نرى : ﴿ وَبَنِينَ ﴾ وها نحن نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون ، ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦] ، والنفير : هو نفير الحرب وها أنتم ترون اليهود يمتلكون إلى الآن مائتي قنبلة نووية وتمد اليهود أمريكا بالسلاح ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ ، ثم قال لهم ربهم سبحانه : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:٧] .

تدبر: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ أي المرة الثانية والأخيرة ﴿ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ أي ليسوء وجوهكم عباد الله من الموحدين والمؤمنين ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء:٧] اللهم عجّل بهذه المرة يا أرحم الراحمين : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء:٧] .

وها هو نبينا الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في مسند أحمد وغيره بسند صحيح أنه وضع يوماً يده على رأس أبي حوالة الأسدي ـ رضي الله عنه ـ ثم قال النبي ﷺ لأبي حوالة :

« يَا ابْنَ حوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْـمُقَدَّسَةِ » . تدبر وأنا أسأل وأقول : هل تنزل الخلافة الأرض المقدسة والقدس عاصمة أبدية للصهاينة ؟! رغم أنف المرجفين والموتورين « يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْـمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالأُمُورُ الْعِظَامُ وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ » (١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْـمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْـمُسْلِمُونَ » (٢) .

وعد الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، وأنا أرى فيما أراه الآن من حرب بكل معنى الكلمة من اليهود للعزل والمدنيين في فلسطين أرى في هذه الحرب خيراً كثيراً لا أراها في ذاتها ، بل أرى فيها خيراً أراها إن شاء الله تعالى القشة التي ستقصم ظهر البعير .

فأنا لم أر منذ الاحتلال إلى يومنا هذا هذه الحرقة على القدس وعلى فلسطين بين أبناء الشارع الإسلامي والعرب ، في كل مكان بل بين المسلمين في العالم أجمع كما رأينا في هذه الأيام ، أرى أن الشعوب بدأت تضغط على حكامها ولو بصورة خفيفة لكنها بداية أرجو الله أن يجعل منها

---

(١) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٥/ ٢٨٨) .

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢٢/ ٨٢) .

النهاية لليهود ، إنه على كل شيء قدير .

فأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا يوجد شر محض أبداً بل يحمل في ثناياه ما لا نعرفه من الخير قال تعالى :

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦] .

فتقدم الأمة من أجل القدس خمسة ملايين ، عشرة ملايين ورب الكعبة ، إننا لمستعدون الآن أن نخرج بدون سلاح وما أحلاها من كلمات ، تلك الكلمات التي يرسل بها إمام من أئمة المجاهدين من العلماء لعابد من الزهاد والعباد ، إنها كلمات عبد الله بن المبارك لأخيه عابد الحرمين الفضيل بن عياض يرسل بها ابن المبارك من ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف لأخيه في مكة ليقول له :

يا عبد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك الغبار الأطيب
من كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ولقد آتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار وتلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

فليمت من إخواننا من يقدر الله له هذا الشرف فهي شهادة إن شاء الله ، أسأل الله أن يتقبلهم جميعًا عنده في الشهداء فإما عيش بكرامة وإما شهادة في سبيل الله ، فالكل سيموت ، تعددت الأسباب والموت واحد ، فما

أحوج الأمة الآن إلى أن تعي واجبها في هذا الظرف الحرج .

أيها المسلم ، لا تنسى إخوانك أقول بالدعاء وذلك أضعف الإيمان ، أقول بالمال إن استطعت ، ثم ربّ نفسك وربّ ولدك الآن على روح الجهاد ، إن المعركة قادمة إي وربي إن المعركة مع اليهود قادمة ، إن المعركة مع اليهود قادمة ، فهيئ نفسك وربّ ولدك وربّ امرأتك ، وربّ بناتك وربّ أولادك .

أتعجّب حين رأى بعض الناس معاوية بن أبي سفيان ، وهو طفل صغير يلعب ويرون عليه ملامح الذكاء وأمه تنظر إليه بإعجاب فقال الحاضرون : لو شب سيسود قومه فقالت أمه : ثكلته إن لم يسد إلا قومه .. ثكلته إن لم يسد إلا قومه .. تريد أن يسود العالم كله ، تريد أن يسود الدنيا كلها فلماذا لا نربي أولادنا وأنفسنا على هذه العقيدة ؛ ولنبذل أقصى ما في طوقنا فالله يعلم قدراتنا وإمكانياتنا ويعلم ضعفنا ويعلم واقعنا ...

والله لو سأل الله أحدُنا الشهادة بصدق ، لبلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ، قال المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم :

« مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» .

حقوق يجب أن تعرف

حقّ الفهم



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الفهم

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الفهم** » .

وحق الفهم حق جليل عظيم قد يبدو غريبًا للوهلة الأولى وأنا أعلن عنه ، لكن تتجلى الغربة إن شاء الله جل وعلا ، وسوف أحصر هذا الحق الجليل في العناصر التالية :

أولا : ففهمناها سليمان .

ثانياً : فهم السنة النبوية .

- **ثالثاً :** فهم السنن الإلهية .

وأخيراً : فهم الواقع .

والله أسأل أن يفهمنا وأن يعلمنا وأن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وعز الموحدين وذل الشرك والمشركين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : ففهمناها سليمان :

نعمة الفهم عن الله جل وعلا نعمة عظيمة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١] ، قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا

مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٨،٧٩] .

اعتدت غنم لأقوام على حرث أقوام آخرين وكان هذا الحرث ـ كما قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما كان هذا البستان ـ مزروعاً بالعنب ، فلما اعتدت الغنم ليلاً على هذا البستان وأفسدته وأكلت ثماره وأحالت خضرته إلى يابسة ، اشتكى أصحاب الحرث لنبي الله داود ، فقضى نبي الله داود بالغنم كلها لأصحاب الحرث ؛ وعاد أصحاب الغنم بدون غنم ؛ بل عادوا يجرون كلاب الغنم من خلفهم وهم يتألمون ، فلما مر أصحاب الغنم على نبي الله سليمان قال : ما الذي قضى به بينكما نبي الله داود فأخبروه ، فقال نبي الله سليمان : لو كان الأمر إليّ لحكمت بينكم بغير ذلك ، فلما علم نبي الله داود بقول سليمان أرسل إليه وقال : اقض بينهما يا سليمان ، فسليمان ولده وما أعظم أن يجلس الوالد يومًا ليجلس ولده بين يديه قاضيًا موفقًا فقال : اقض بينهما فقال نبي الله : لو كان الأمر إليّ لقضيت بالغنم لأصحاب البستان ينتفعون بألبانها وأولادها ، وقضيت على أصحاب الغنم أن يثمروا البستان وأن يعيدوا زراعته حتى يعود إلى حالته الأولى التي كان عليها ليلة اعتدى الغنم عليه ، فإذا عاد البستان إلى حالته الأولى رد أصحاب البستان الغنم إلى أصحابها وأخذ أصحاب البستان بستانهم كما كان . قال جلا وعلا : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾

[الأنبياء:٧٩]

نعمة الفهم نعمة عظيمة ، مع أن الله قد قضى بأنه أتى داود وسليمان حكمًا وعلمًا ، ولكن الوصول إلى الدليل ليس منتهى العلم بل لابد من الفهم للدليل بمراتبه ومناطاته حتى لا تستشهد بالدليل في غير موضعه أو حتى لا تستشهد بالدليل في مناطه ، فنعمة الفهم من الله ففهمناها سليمان

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وفي الصحيحين ومسند أحمد وسنن النسائي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن امرأتين اعتدى ذئب على ولديهما ، فأخذ الذئب أحد الولدين لما أخذ الذئب ابن المرأة الكبرى بكت ولم تجد بدًا من أخذ الطفل الآخر للمرأة الصغرى فتحاكمتا إلى نبي الله داود ، فلما رأى نبي الله داود هلع وفزع المرأة الأولى وربما كانت أقوى بالحجة من الصغرى ربما والعلم عند الله جل وعلا ، فقضى نبي الله داود بالولد لهذه المرأة الكبرى ، فانصرفت الصغرى تبكي بكاءً حارًا ، فلما مرت المرأتان على نبي الله سليمان قال : ما الذي قضى به بينكما نبي الله داود ؟ فلما علم قال : لو كان الأمر إليَّ لقضيت بغير هذا ، قيل : اقض بينهما فقال نبي الله سليمان : ائتوني بسكين .. قال : لأشق هذا الولد نصفين لتأخذ كل امرأة نصفًا، فقالت الصغرى : لا لا ، يرحمك الله هو ولدها . فقال : هو ابنك فقضى به للصغرى [1] ؛ لأن رحمة وحنانًا حركوا نبي الله سليمان في قلب المرأة حينما أمر بسكين ليذبحه فبما قالت : لا لا أريد ذبحه ؛ لأنها تريد له الحياة حتى ولو كان مع امرأة أخرى فهو أمام عينيها وبين يديها لكنه لو شق نصفين لهلك وقتل ، فعلم نبي الله سليمان بفهم علَّمه له ربه جل وعلا أن هذا الابن لهذه المرأة الصغرى فقضى به لها . نعمة الفهم أيها الأفاضل نعمة عظيمة أردت أن أقدم بهذه المقدمة لأقول لحضراتكم : إن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديماً وحديثًا .

قال ابن القيم لله دره : وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع هل أوقعهم فيما وقعوا فيه إلا سوء

---

(١) البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٧) ، وفي الفرائض (٦٧٦٩) ، ومسلم في الأقضية (١٧٢٠/ ٢٠) ، وأحمد (٢/ ٣٤٠) ، والنسائي في آداب القضاة (٨/ ٢٣٥،٢٣٤) .

الفهم عن الله ورسوله؟ لذا نرى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ يترجم في صحيح البخاري في كتاب العلم بابًا بعنوان : باب الفهم في العلم ، ويصدِّر هذا الباب بحديث معاوية أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » [(١)] .

أي يفهمه كما قال الحافظ ابن حجر .

روى أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه وأبو داود وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : خرجنا في سرية فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا : لا ما دمت تقدر على الماء فاغتسل فمات .. قال : فلما رجعنا وأخبر بذلك رسول الله ﷺ قال :

« قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَال » [(٢)] ،

حكم النبي ﷺ عليهم بالجهل واتهمهم بالقتل مع أنهم أفتوه بدليل صحيح، لكنهم لم يفهموا الدليل ولم يحققوا مناط الدليل فقال : « **قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَال** » .

مشكلة المشاكل أننا لا نفهم مراد الله ومراد رسول الله ﷺ لماذا ؟ لأن الأمة قد غيبت القرآن والسنة من الساحة .

ثانيا : فهم القرآن والسنة النبوية :

أنا لا أريد أن أخرج عن واقع الأمة المرير ، فكلنا يرى الأحداث المؤلمة وترون أن اليهود قد امتنوا على الأمة كلها بالإفراج عن رئيس الدولة

---

(١) رواه البخاري في العلم (٧١) .

(٢) حسن بشواهده : رواه أحمد (١/ ٣٧٠) ، وأبو داود في الطهارة (٣٣٦، ٣٣٧)، وابن ماجه في الطهارة (٥٧٢) .

الفلسطينية ، بل ويتغنى العالم كله بالديمقراطية اليهودية وبأن السفاح الشاروني حمامة من حمائم السلام في عصرنا وزماننا كما قال الإرهابي الكبير بوش : شارون رجل سلام ، أما عرفات وأما المسلمون في فلسطين وغير فلسطين فهم الإرهابيون .

مشكلة المشاكل أن القرآن غيب عن الساحة ، وأن السنة أبعدت عن الساحة ، وصرنا نتعامل مع قضايانا ومع أعدائنا من منطلق عقولنا ، وربما تكون هذه العقول سقيمة صار القوم وعلى رأسهم الزعماء الذين لا يعرفون شيئا عن مراد الله ولا عن مراد رسول الله ﷺ ولا يفهمون القرآن والسنة ، صاروا بذلك لا يفهمون حقيقة الواقع الذي يتعاملون معه وصاروا بذلك لا يفهمون حقيقة العدو الذي يتعاملون معه ، فلو عاد القوم إلى كتاب الله ولو عادت الأمة إلى كلام الصادق رسول الله ﷺ لوجدوا أن الداء مشخص بدقة وفي الوقت ذاته وجدوا الدواء واضحا غاية الوضوح .

فالقرآن الكريم بين أيدينا ما زال يُقرأ في الليل والنهار ، ولكن فهل من مدكر ، القرآن الكريم ما أنزله الله إلا ليعالج واقعنا ، لكن القرآن غيب الآن عن الواقع ، لكن القرآن غيب الآن عن المشكلة برمتها ، فصرنا نتعامل بعيدا عن أرض صلبة وسماء مظللة بأنوار الحق والهدى ، فتخبطنا وانحرفنا وابتعدنا وصرنا فريسة لكلاب الأرض هنا وهناك وصرنا قصعة مستباحة لأحقر أمم الأرض هنا وهناك ، لماذا لا ترجع الأمة الآن إلى القرآن لتفهم عن الله مراده ؟! لماذا لا ترجع الأمة الآن إلى الحبيب المصطفى لتفهم عن الرسول مراده ؟!

قال الله جل وعلا في شأن اليهود : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ

عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٥٦] ، انتهت القضية بآية ، انتهت القضية كلها بآية من كتاب الله: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ ، انتهت القضية تماماً ؛ إذ لا معاهدات مع اليهود ، فاليهود لا يعرفون العهد ولا يعرفون وفاء بوعد بنص القرآن ، هذا كلام الله الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هذا كلام من خلق اليهود ويعلم طبائع المجرمين الكلاب . هذا كلام الله جل جلاله : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٥٦] ، وقال الله جل وعلا : ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ [المائدة:١٣] .

أي : لا تزال تشهد من اليهود خيانة بعد خيانة بعد خيانة ، لابد أن تستقر هذه العقيدة لابد أن نفهم قرآننا ، لابد أن نعلم أن الله لم ينزل قرآنه إلا لتصح به القلوب والعقول والضمائر والأخلاق :

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾

[طه:١-٣]

إن هذه الحياة البشرية كلها من خلق الله ، ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من عند الله ، ولن تفتح ولن تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يقوم لها من عند الله على يد رسول الله ﷺ .

هذا هو حل القضية ورب الكعبة ، لو عرفت طبيعة من تعادي ، لو عرفت طبيعة من تبايع، لو عرفت طبيعة من توالي ، لو عرفت طبيعة من تحاور ، لو عرفت طبيعة من تعاهد ، لو عرفت طبيعة من تجلس معهم على

مائدة المفاوضات لاختصرت الطريق ، لكن الأمة وزعماءها لم يفهموا عن الله مراده ، ولم يفهموا عن الصادق رسول الله ﷺ مراده ، ولقد غيبوا عن الساحة كلام الله وكلام الصادق رسول الله ﷺ ومن والاه ، والذي يدمي القلب ويحرق الفؤاد أن القوم ينطلقون في معاملاتهم لنا من خلال عقيدتهم المزورة المحرفة ، يقول الإرهابي الكبير نتنياهو قبل باراك يقول بالحرف الواحد : الحرب بيننا وبين الفلسطينيين حرب عقيدة ، نتنياهو يعلن ذلك حرب عقيدة ، وقبله صرح بها الإرهابي الكبير مناحم بيجن قال : إننا نحارب إذن نحن موجودون فإننا نعيش عالمًا لا يحتاج إلا الأقوياء ، وقبله صرح بذلك الإرهابي الكبير الأول ابن جريون يوم أعلن في اليوم الأول الذي أعلن فيه دولة بني صهيون قال : قد لا يكون لنا الحق في فلسطين من منظور سياسي أو قانوني ، لكن فلسطين حق لنا من منظور ديني عقدي فهي أرض الميعاد فهو وعد الله الذي وعدنا به من النيل إلى الفرات ، فاليهود لا يعرفون سلاما ، اليهود لا يعرفون وفاء ، لقد بحت أصواتنا بهذا التأصيل ، بهذا الكلام الرباني والنبوي من يسمع اعرف عدوك ، من رحمة الله بك أن الله قد بين لك ما في صدر عدوك ولا ينبئك عن اليهود مثل خبير ، فلقد أخرج ما في صدور القوم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:١١٨] .

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩].

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة:٢١٧] .

الله جل وعلا هو الذي يقول حتى متى يا رب حتى سيستمر قتال القوم لنا حتى نكفر بربنا حينئذ يتوقف القتال ، فالقوم لا يريدون منا أرضًا وفقط والله لو تخلينا عن مقدساتنا وعن أعراضنا وعن ترابنا وعن أوطاننا ما رضي عنا القوم حتى نكفر بربنا ، وحتى نتبع ملتهم هل تصدقون كلام الله قال الله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة:٢١٧] ، قال الله : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة ١٢٠] . حسمت القضية تمامًا ، لكن أعداءنا يعلمون تمامًا أن هذا الخطر الحقيقي متمثل في هذا القرآن وفي محمد بن عبد الله ﷺ فحرص أعداؤنا كل الحرص طيلة السنوات الماضية أن تظل الساحة مغيبة أن يظل القرآن والسنة بعيدين عن الساحة، وأن يغيب عن الساحة كلام الله وكلام رسوله ﷺ ؛ لأن القرآن والسنة لو ظللت الساحة بهما لتغير الميزان لرفعت راية أخرى ألا وهي راية الجهاد في سبيل الله ، لرفعت راية أخرى ألا وهي راية الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، لرفعت راية البراء من الشرك والمشركين ، فالقوم يحرصون أن يظل القرآن بعيدا عن الساحة وأن يظل محمد ﷺ بعيداً عن الساحة عن ساحة النزال والميدان ، وتظل الأمة في حالة غبش عقدي تعبدي فكري منهجي وحالة الغبش هذه لا تنصر لله دينا ، فهذه طبيعة

القوم من كلام ربنا جل وعلا ، فاليهود لا يعرفون وفاء للعهود ؛ لأنهم نقضوا العهود مع الله ومع الرسل والأنبياء : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:٨٧،٨٨] أي : غلفت في أغلفة الكفر ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

اليهود نقضوا العهود مع الرسل بل مع رب الأرض والسماء ، والسؤال المرير الذي طرحته مرارا وتكرارا وسأطرحه ولن أمل من طرحه ، السؤال المرير : هل ينقض اليهود العهود مع الرسل والأنبياء بل مع رب الأرض والسماء ، ثم يفي اليهود اليوم بالعهود للحكام والزعماء ؟ نعم قد يسير ذلك إذا تخلت الكلاب عن نباحها ، وتخلت الحمير عن نهيقها ، وتخلت الأفاعي عن سمها ، وتخلت الثعالب عن مكرها، ستفي اليهود بالعهود إذا استخرجت من النار يوما ماء عذباً زلالا ، قد يفي اليهود بالعهود يوما إذا جنينا من الشوك يومًا وردًا ، وإن استخرجنا من المرحاض طيبًا ، وإذا رأينا بأم أعيننا الجمل والفيل يدخلان من سم الخياط . هذه طبيعة القوم .

فنحن في حاجة إلى فهم القرآن والسنة ، فالقرآن الذي حول العرب من رعاة للغنم إلى سادة للدول والأمم هو الذي يتلى بين أيدينا الآن لم تحذف منه آية ، لم تحذف منه كلمة ، ولم يبدل فيه حرف ، الذي حدث أننا هجرناه :

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾

[الفرقان:٣٠]

والهجر للقرآن أنواع : هجر السماع ، وهجر التلاوة ، وهجر التدبر ،

وهجر العمل بالقرآن ، وهجر التداوي بالقرآن . التداوي بالقرآن فالفاتحة هي الواقية الراقية الشافية إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها النبي ﷺ ابتعدت الأمة عن القرآن فلم تفهم عن الله مراده ، وراحت تتعامل مع العدو من منظومة سياسية إذا عرضت على كتاب رب البرية لاصطدمت معها اصطداما مباشرا ، هذه المنظومة السياسية تصطدم مع آيات رب البرية اصطداما مباشراً ، ولن تفلح الأمة مع هذه المنظومات السياسية الغربية والشرقية فلن تفلح الأمة إلا إذا عادت إلى قرآن رب البرية جل جلاله وإلى كلام سيد البشرية ﷺ ، الحبيب المحبوب ﷺ شخَّص الداء وطالما ذكرت أحاديث النبي ﷺ في واقع الأمة قال :

« لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»

قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟

قَالَ: « فَمَنْ؟ » [1] .

والحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد هذا الاتباع حذو القذة بالقذة هذا الاتباع أصاب الأمة بالوهن والخذلان والخسارة.

«يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»

قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟

قَالَ : « أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ ».

قَالَ : قُلْنَا : وَمَا الْوَهْنُ ؟

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠) ، ومسلم في العلم (٦/٢٦٦٩) .

قَالَ: « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ».

والحديث رواه أبو داود وغيره بسند صحيح من حديث ثوبان [١] .

وهذا الوهن انظر إلى هذه المنهجية وهذا التأصيل الاتباع لليهود والنصارى بهذه الصورة المؤلمة أصاب الأمة بالخذلان والوهن ، كان هذا الوهن سبباً رئيسياً في ترك الأمة الجهاد في سبيل الله ؛ لأنها خلدت إلى الوحل والطين . روى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ » وهو نوع من البيوع الربوية المحرمة « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » [٢] .

انظر إلى هذا التأصيل النبوي انحراف عن المنهج ، اتباع للقوم لليهود والنصارى أصابه الله بالوهن ؛ لأن الأمة حينئذ ستخلد إلى الوحل والطين ، ما أحوج الأمة الآن إلى أن تراجع قرآن ربها وإلى أن تراجع كلام نبيها الصادق ﷺ .

فأنا أدين لله جل جلاله أنه لا حل لهذه الأزمة إلا من كلام الله جل جلاله وإلا من كلام رسول الله ﷺ ، والذي يؤلم القلب إلى هذه اللحظة أننا لا نسمع بين الحلول التي تطرح لهذه القضية ، لا نسمع آية لرب البرية ولا نسمع حديثا لسيد البشرية ﷺ ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الأمة ستظل تدور في هذه الحلقة المفرغة إلى أن يأذن الله تبارك وتعالى بالقائد الرباني الذي يقود الصفوة من هذه الأمة ، إلى حيث أراد الله تبارك

(١) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٥/ ٢٧٨) ، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧) .
(٢) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٢/ ٨٤) ، وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢) .

وتعالى من شرع وحكم كوني قدري بالنصر . في نهاية المطاف أسأل الله أن يعجل به .

ثالثًا : فهم السنن الإلهية :

شبابنا متعجل بل والأمة كلها متعجلة نتعجل النصر دون أن نقدم أسبابه ، نتعجل النصر دون أن نفهم شروطه ، فوقعنا في هذا الخلل الذي نراه الآن على ساحة الواقع ، الله تبارك وتعالى يأمر نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

جاء خباب بن الأرت وحديثه في البخاري حينما اشتد عليه الإيذاء والعذاب وهو يقول : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنصر الله لنا ، فقعد النبي وقد احمر وجهه وهو يقول :

« قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ » ثم قال : « وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ ـ أي هذا الدين ـ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » [(١)] .

طبيعة في البشر خلق الإنسان عجولا فكلنا نتعجل النصر الآن ، لكن هل فهمنا سنن الله الإلهية في الكون ، وعلمنا أن لله سننا في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي تلك السنن أحدًا من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة ، هل فهمنا شروط النصر وأسبابه ؟ هل قدمنا لله تعالى لنكون أهلا لنصرته فإن للنصر شروطاً وأسبابًا ؟

---

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٤٣) .

هل تلك الأمة فهمت عن الله مراده ، وفهمت عن رسول الله مراده ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠] ، هل نصرنا الله ؟ كيف ننصر الله؟

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ ننصر الله وعض على هذا الجواب بالنواجذ ، ننصر الله بامتثال أوامره واجتناب مناهيه والوقوف عند حدوده واتباع شرع نبيه ، هذا هو النصر لله ، فهل امتثلت الأمة أمر ربها ؟

هل اجتنبت الأمة النهي ؟ هل وقفت الأمة عند النهي ؟ هل وقفت الأمة عند الحدود ؟ هل حكمت الأمة شريعة رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة ؟

انظر إلى حكام الأمة ، انظر إلى إعلامها ، انظر إلى اقتصادها الربوي ، انظر إلى شواطئها العارية من كل ذرة ومن كل ثوب من أثواب الحياء ، لا سيما وقد دخل الصيف علينا بحرارته انظر إلى أخلاق المسلمين في الجملة إلا من رحم ربك ، سترى الخيانة ، سترى الكذب ، سترى عدم الوفاء ، سترى عدم الصدق إلى آخر هذه الأمراض التي يعرفها الجميع ، فهل نصرت الأمة ربها لتكون أهلا لنصرة ربها جل وعلا: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠] ، امتثالاً للأمر اجتنابًا للنهي وقوفًا عند الحد تطبيقًا لشرع نبي الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

[النور:٥٥] إيمان وعمل صالح وإفراد لله وحده بالعبادة من أعظم شروط النصر: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥] . بلا منازع ولا شريك: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣] .

هل حققت الأمة الإيمان ؟!

فالإيمان ليس كلمة ترددها الألسنة فحسب ، ولكن إيمان حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة عظمى ذات أعباء قولا باللسان وتصديقًا بالجنان وعملا بالجوارح والأركان ، هذه هي حقيقة الإيمان ، هذا الإيمان الذي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والزلات هل حققت الأمة الإيمان ، وعملت الأمة صالحا وأفردت ربها جل وعلا وحده بالعبادة بلا منازع أو شريك لتستحق الاستخلاف والتمكين ؟

الشرط الثالث: قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] .

هل أعدت الأمة ؟ هل استعدت ؟ هل استعدت لحرب قادمة؟ ورب الكعبة إنها قادمة كما قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ لا لحرب بل لحروب قادمة .

والذي يؤلم القلب أن أهل الكتاب يتحدثون الآن عن هذه المعارك ، عن

هذه المعركة الكبرى والتي يسمونها عندهم هرمجدون ، ولقد بينت أن اللفظة ليست من كلام نبينا ﷺ لكن النبي أخبرنا بحروب مقبلة بين هذه الأمة وبين أعدائها ، هل أعدت الأمة القوة في حدود قدراتها وإمكانياتها ؟ واطلع عليها ربها . هل بذلت الأمة أقصى ما تملك لدين الله من إعداد ومن قوة ؟ والقوة هنا جاءت بصيغة النكرة التي تفيد الشمول والعموم قوة إيمانية قوة اقتصادية قوة علمية قوة ثقافية إلى آخر أنواع هذه القوة مأمورة الآن ، والأمة تتمثل في الأفراد بالإعداد فللنصر شروط وللنصر أسباب ، والله تبارك وتعالى لا يؤخر النصر إلا لحكم عديدة ، من بين هذه الحكم : أن تقطع الأمة كل العلائق والروابط بغير الله ، يا لها من حكم أن تقطع الأمة كل العلائق والروابط بغير الله ، فما زالت الأمة مع هذه الأحداث الدامية تثق في أمريكا وفي أوربا ، وها نحن قد رأينا حقيقة الغرب وحقيقة مجلس الأمن وهيئة الأمم وحقيقة الأوروبيين ، حتى اللجنة التي شكلوها لتقصي الحقائق ، وهل غابت الحقائق يا ظلمة ؟ هل ما زالت الحقائق مغيبة ؟ ومع ذلك قبلنا على مضض لترى المذابح الجماعية في مخيم جنين ، وشكل اللجنة الأمريكيون بطريقتهم الخاصة ومع ذلك قال شارون : لا لا للجنة بل ووضع شروطا واشترط من يحضر من أعضاء اللجنة ، ولا يحق للجنة أن تضع تقريرًا نهائيًا لتدين فيه إسرائيل ، وإسرائيل لها الحق في تقديم الأشخاص الذين يتحدثون مع أعضاء اللجنة وتحاورهم أفراد اللجنة إلى آخر هذه الشروط ، وبعد كل هذه الشروط ولتمضي الأيام مسرعة لتغيب معها الحقيقة التي لن تغيب عن عقل ولب يفهم عن الله ورسوله ، ومع ذلك قال : لا وأعلن رئيس هيئة الأمم بأسا وحزنا لأعضاء مجلس الأمن أنه قد حل لجنة تقصي الحقائق أنه لا يثق في أن إسرائيل

ستتعاون مع أعضاء هذه اللجنة ، ما شاء الله ، وما زالت هيئة الأمم برئيسها تفاوض العراق إلى الأمس ليصل هؤلاء المفتشون لتصل هذه اللجنة إلى العراق مرة أخرى بعد سنوات طويلة لتقصي الحقائق .

ألم يكن له أثر ؟ ألم تنعق الأبواق .

أين النظام العالمي أما له أثر ؟ ألم تنعق به الأبواق

إن السلام العالمي قد بدا كذب السلام وزاغت الأحداق

يا مجلس الخوف الذي في ظله كسر الإيمان ، وضيع الميثاق

أو ما يحركك الذي يجري لنا أو ما يثيرك جرحنا الدفاق

وحشية يقف الخيال أمامها متضائلاً وتمجها الأذواق

قالوا لنا الغرب قلت: صناعة وسياحة ومظاهر تغرينا

لكنه خاو من الإيمان لا يرعى ضعيفاً أو يسر حزينا

الغرب مقبرة المبادئ لم يزل يرمي بسهم المغريات لدينا

الغرب مقبرة العدالة ، الغرب مقبرة العدالة

الغرب مقبرة العدالة ، كلما رفعت يدا أبدي لها السكينا

الغربُ يكفر بالسلام وإنما بسلامة الموهوم يستهوينا

الغربُ يحمل خنجراً ورصاصة فعلام يحمل قومنا زيتونا

كفر وإسلام فأنى يلتقي هذا بذلك أيها اللاهونا

أنـــا لا ألـــوم الغـــرب في تخطيطـــه ولكـــن ألـــوم المســـلم المفتونـــا

وألـــوم أمتنـــا التـــي رحلـــت عـــلى درب الخضـــوع ترافـــق التنينـــا

وألـــوم فينـــا نخـــوةً لم تنـــتفض إلا لتضربنـــا عـــلى أيـــدينا

يا مجلس الأمن ، يا مجلس الخوف شكرًا .. شكرًا

شـكرًا لقـد أبـديت وجـه حضـارة غربيـــة لـــبس القنـــاع ســـنينا

شـــكرًا لقـــد نبهـــت غافـــل قومنـــا وجعلـت شـك الـواهمين يقينـا

يـــا مجلـــس الأمـــن انتظـــر إســـلامنا ســـيريك ميـزان الهـدى ويرينـا

إن كنت في شـك فسـل فرعـون عـن غرقٍ وسـل عـن خَسْـفِهِ قارونـا

لقد اجتمع مجلس الأمن بالأمس سبع ساعات من أجل لجنة تقصي الحقائق في دولة الصهاينة ، وفشل مجلس الأمن في أن تستقبل اليهود لجنة تقصي الحقائق بشروط اليهود فشل مجلس الأمن .

يـا مجلـس الخـوف الـذي في ظلـه كسر الأمـــن ، وضـــيع الميثـــاق

أو مـا يحركـك الـذي يجـري لنـا أو مـــا يثـــيرك جرحنـــا الـــدفاق

وحشـــية يقـــف الخيـــال أمامهـــا متضـــــائلاً وتمجهـــــا الأذواق

شـكرًا لقـد أبـرزت وجـه حضـارة غربيـــة لبســـت القنـــاع ســـنينا

يا مجلس الأمن قـد غـدا في جسـمنا مـــرض خفـــي يشـــبه الطاعونـــا

يـا مجلـس الأمـن انتظـر إسـلامنا ســـيريك ســـلام الهـــدى قارونـــا

أسأل الله أن يعجل بنهاية هذه الهيئات والمنظمات الظالمة إنه ولـي ذلـك والقادر عليه .

لابد وحتما أن تفي الأمة بهذه الشروط ، وأن تقف الأمة علـى أسـباب النصر حتى لا تدور في حلقة مفرغة أكثر مـن ذلـك ، فـإن الوقـت يمضـي سريعاً وإن الدماء تسفك كل يوم وإن الأشـلاء تتنـاثر هنـا وهنـاك ، ومـع ذلك ما زالت الأمة بعيدة عن الفهم عن مراد الله وعن الفهم لمـراد رسـول الله .أسأل الله جل في علاه أن يرد الأمة لقرآنه وللسنة ولفهم السنن الإلهية ردًا جميلاً ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأخيرًا: فهم الواقع :

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم الماتع إعلام الموقعين : لا يجوز للعالم أو المفتي في أي مسألة من المسائل إلا بعلمين الأول : فهـم الواقـع ، الثاني : فهم الواجب في الواقع أي فهم هذا الدليل الشـرعي الـذي يصـلح هذا الواقع فلابد من فهم واقعنا لابد أن يفهم شبابنا الواقـع المريـر الأليـم الذي نحياه ، فأنا لا أعلم زماناً من يوم أن بعث الحبيـب المصـطفى ﷺ قـد ذلت فيه الأمة وهانت كهذا الزمان ، حتى ولا في عهد التتـار حتـى ولا في الحروب الصليبية ، حتى ولا في حروب الردة حتى بعد أن زال ظل الخلافة نعم لماذا ؟ لأن الأمة في ظل هذه المحن والفـتن الماضـية كانـت تمتلـك جـل مقومات النصر لابد من فهم الواقع .

كانت الأمة في كل هذه الأزمات الماضية بدءا مـن أزمـة الـردة ، كانـت الأمة في كل هذه الأزمات التتارية الغاشمـة والحـروب الصـليبية الطاحنـة وحروب القرامطة البغاة ، بل وحتـى إن زال ظـل الخلافـة إلى هـذا اليـوم كانت الأمة تمتلك جل مقومات هـذا النصـر ، كانـت شـريعة الله سـائدة ،

وكان الحكم لله ، وكانت الأمة تمتلك من الإيمان بالله والثقة فيه سرعان ما تلملم صفوفها وتضمد جراحها ، وينطلق العلماء مع الأمراء والحكام ليجيشوا طاقات الأمة لترفع راية الجهاد في سبيل الله ، ليرى أعداء الله فوق أي أرض وتحت أي سماء يرى أعداء الله رجالا يحرصون على الموت كحرص الأعداء على الحياة ، فسرعان ما تنقلب الموازين ولو طالت فترة الأزمة ، لكن الأمة الآن انحرفت عقديًا فكريًا وتعبديًا وأخلاقيًا وسلوكيًا وتربويًا ابتعدت كثيرًا ، فهذا واقع أليم لابد أن نفهم واقعنا وأن نعلم أن الأمة لن تحرر الأقصى ولن تحرر المقدسات ، ولن تصل مرة أخرى إلى مكانتها وسيادتها بالمؤتمرات الكلامية ولا حتى بالخطب المنبرية الحماسية ، اللهم إذا حولت الأمة هذا الكلام عن الله وعن رسول الله إلى منهج حياة لن تحرر الأمة أقصاها ولا مقدساتها ، ولن تطهر عرضها إلا إذا عادت إلى الله تبارك وتعالى ورددت قولة الصادقين الأولين : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٥]

فمنذ متى والأمة تتظاهر تخرج في مظاهرات وتحرق الأعلام والماكيتات ، والأذى يؤلم القلب إنك حتى ترى في هذه المظاهرات التي تخرج فيها يخرج فيها بعض الأفراد ليعبروا عن غضبهم الدفين ، تجد فيها هرجاً ومرجا وإخلالاً وإفساداً ، فرق كبير من أن تعبر في مثل هذه المسيرات بالضوابط وبين أن تعلم يقينا بأن هذا هو طريق النصر وطريق الخلاص ، أرجو من إخواننا أن يدققوا حتى لا يسيء أحد فهم مرادي ، فرق كبير بين أن تعبر عن غضبك بصورة منضبطة وبين أن تعتقد أن هذا السبيل هو سبيل النصر

لا ربما يصرخ شاب من شبابنا المتعجل كما ذكرت ويقول : أتريد بذلك أن تظل الأمة سنوات أخرى طويلة من أجل أن تربي على القرآن والسنة ، وأن ترجع إلى منهج النبي ﷺ حتى يدمر العدو الأخضر واليابس ؟!

وهنا أؤصل قضية الجهاد وأقول : الجهاد نوعان : جهاد طلب وجهاد كفاية ، جهاد طلب وجهاد دفع . أما جهاد الطلب فلابد فيه من إعداد لابد فيه من تربية ، لابد فيه من أن ترجع الأمة إلى هذه الشروط ، ولن تحقق الأمة نصرا في هذا الميدان إلا بهذه الضوابط وهذه الشروط ، أما جهاد الدفع فهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة هذا بالإجماع إذا داهم عدو كاليهود ـ مثلا ـ أرضًا من أراضي المسلمين ، كأرض فلسطين صار جهاد الدفع فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، في أرض فلسطين لدفع هذا العدو الظالم ، كل بحسب قدرته واستطاعته ، ويحرم حينئذ على طلبة العلم أن يجلسوا ويتعلموا دون أن يخرجوا لساحة الجهاد في سبيل الله جل وعلا ، لابد من هذا التأصيل لابد من فهم هذا الواقع .

أيها المسلمون ، هيا لنصلح واقعنا لنغيره ، ابدأ بنفسك ، عد الآن إلى بيتك وعاهد ربك على التغيير هل تغير بيتك من يوم هذه الأحداث ؟

هل تغير البيت ؟

هل أصبح البيت قرآنيًا ؟

هل صار البيت محمديًا ؟

هل تغير البيت مع هذه الأزمة ؟

فأنا أدين لله بأن هذه الأزمة يربي بها الله هذه الأمة ليميز الله بها الخبيث من الطيب حتى لا يبقى على الصف إلا من ينصر القائد الرباني الذي سيبعثه الرب العلي ، فلابد أن نصلح واقعنا وأن نغير بيوتنا ، وأن يبدأ كل أحد بنفسه ، هل جعلت لنفسك وردا يوميًا مع القرآن ؟

هل ربيت امرأتك وولدك وبناتك على عقيدة الولاء والبراء ؟

هل غرست فيهم بغض اليهود ؟

هل ربيت أولادك من جديد تربية على القرآن والسنة ؟

وهل تضرعت لله أن يخرج من هذا البيت من يرفع راية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ؟

لابد من أن نغير من واقعنا بالعودة إلى ربنا بالعودة إلى نبينا ﷺ لتكون الأمة بعد ذلك مهيأة لنصرة الله للعز والاستخلاف والتمكين ، لابد من هذا الفهم عن الله وعن رسول الله ، لابد من فهم السنن الإلهية ، لابد من فهم واقعنا حتى ننطلق لهذه المؤتمرات التي تحاك لنا في الليل والنهار بنور واضح بين كلام الله ، من كلام رسول الله لنجتث جرثومة الداء من جسد الأمة بيد بيضاء نقية .





حقوق يجب أن تعرف

حق الرسول صلى الله عليه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الرسول ﷺ

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الرسول ﷺ** » .

وسوف أركز في حقوق المصطفى ﷺ على الحقوق التالية :

الحق الأول : الإيمان به ﷺ .

الحق الثاني : طاعته فيما أمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر .

الحق الثالث : تصديقه في كل ما أخبر .

الحق الرابع : تعظيمه وتوقيره والأدب معه في حياته وبعد مماته .

الحق الخامس : محبته أكثر من النفس والمال والولد .

الحق السادس : الدفاع عن سنته وتبليغ دعوته ورسالته .

الحق السابع : الصلاة والسلام عليه ﷺ وسؤال الله له الوسيلة .

الحق الأول : الإيمان به ﷺ :

إن أعظم حق للمصطفى ﷺ على كل من آمن به ، أو إن شئت فقل : على كل عاقل منصف على وجه هذه الأرض أن يؤمن بالحبيب المصطفى ﷺ ، فإن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء وهو الإمام الأعظم الذي إن وجد في عصر من العصور لوجب على كل من يسمع به ، ولو كان نبيًا من

الأنبياء أن يأتي لحبيبنا المصطفى ﷺ ليؤمن به . فالإيمان بالحبيب المصطفى ﷺ هو حد الإسلام وشرط الإيمان قال الله جل وعلا :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (١) .

لأن من آمن بالله وكفر بالمصطفى ﷺ فقد كفر بالله جل وعلا ، ومن آمن بنبي الله موسى أو بنبي الله عيسى وكفر بنبينا فقد كفر ؛ لأن من كفر بنبي واحد من الأنبياء فقد كفر بجميع الأنبياء والمرسلين .

تدبر معي ، من المعلوم أن قوم نوح ما كذبوا إلا نوحاً ـ عليه السلام ـ ومع ذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى تكذيبهم لنوح وحده تكذيباً لجميع الأنبياء بعد نوح ـ عليه السلام ـ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥] مع أنه لم يرسل إليهم إلا نوحاً عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥] ، ومن المعلوم أن قوم لوط ما كذبوا إلا لوطاً وحده ـ عليه السلام ـ فبالرغم من ذلك قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٥٣/ ٢٤٠) .

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٦٠] ، وما كذب قوم عاد إلا هودا ـ عليه السلام ـ ومع ذلك قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٢٣] وما كذبت ثمود إلا صالحًا ـ عليه السلام ـ ومع ذلك قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٤١] .

وقد بين ربنا هذا الحكم الحاسم في آية واضحة من آيات سورة «النساء» فقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء:١٥٠، ١٥١] .

فأعظم حق للمصطفى ﷺ أن يؤمن به كل إنسان على ظهر الأرض سمع به ؛ لأنه من رحمة الله أن الله لا يعذب إلا من أقيمت عليه الحجة ، وقد بلغه أمر الرسالة والدعوة قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥٠] .

الحق الثاني : طاعته فيما أمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر :

تدبر معي .. أيها المحب للحبيب فأرجو أن يعي هذا الكلام كل من يدعي حب النبي المصطفي ﷺ وكل من يدعي الإيمان بالنبي ﷺ ، فإن الإيمان برسول الله ليس مجرد كلمة نرددها على الألسنة ، وإن الحب للنبي ليس مجرد قصيدة جميلة نتغنى بها في ربيع [1] من كل عام من الأعوام .

---

(١) اي في شهر ربيع .

بل إن الإيمان بالنبي له تكاليف ، بل إن حب النبي ﷺ أمانة ثقيلة لها أعباء ، الإيمان بالنبي ، ثم طاعة النبي ، فيما أمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر ، وقد جمع الله هذين الأصلين في آية جامعة من آيات سورة الحشر ، فقال جل وعلا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧] .

فطاعة النبي ﷺ طاعة للرب العلي ومعصية النبي ﷺ معصية للرب العلي قال جل وعلا : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة:٩٢] ، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦] ، فطاعة النبي طاعة لله ومعصية النبي معصية لله .

ومن أجمل ما قرأت في هذا الباب من أحاديث رسول الله ﷺ : ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** » كل الأمة المحمدية تدخل الجنة إلا من رفض أن يدخل الجنة ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ فقال الحبيب ﷺ :

« **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** » (١) .

وفي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) .

قال جابر : « جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الْمَأْدُبَةِ ، فَقَالُوا : أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ الله ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى الله وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ» أو فرق واللغتان صحيحتان ـ أي : دخل الجنة واستمتع بنعيمها ، ومن عصى المصطفى لن يدخل الجنة ولن يستمتع بنعيمها ، وكرامة الله لأهلها فمن أطاع النبي فقد أطاع الرب العلي ، ومن عصى النبي فقد عصى الرب العلي ، فطاعة النبي طاعة لله ومعصية النبي معصية لله ، وهذان الأصلان العظيمان هما المحك الحقيقي العملي لصدق الإيمان بالحبيب النبي ﷺ .

أيها المؤمن الصادق المحب : اعلم أن شعار المحبين الصادقين للنبي الأمين هو السمع والطاعة ، فهم يستمعون أمره ويجتنبون نهيه ويقفون عند حده ؛ امتثالاً عمليًّا لقول الله جل وعلا وقالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وبين الله صفة المؤمنين المحبين للنبي ﷺ فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥١، ٥٢] .

أما المنافقون الدجالون الكذابون الذين لا يجيدون إلا الرقص والطبل والزمر والغناء مع تضييعهم للأمر والنهي النبوي ، مع انحرافهم عن الهدي المصطفوي ، فقد فضح الله أمرهم في قرآنه ، وذكر علامة عملية على نفاق قلوبهم ، ألا وهي أنهم يسمعون الأمر النبوي ، والنهي النبوي ويقفون على الحد النبوي المصطفوي فيعرضون عنه ويصدون عنه ، قال جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦٠ ، ٦١] .

علامة عملية لإظهار أهل النفاق في الأرض ، يقال لهم : هذا كلام الله وهذا شرع الحبيب رسول الله فيعرضون عن الشرع المحكم المطهر ، وينطلقون إلى شرع الشرق الملحد وإلى شرع الغرب الداعر الكافر ، ومن يهديهم سوى شرع الله المحكم وشرع رسول الله المطهر ؟! لكنهم يصدون ويعرضون : لماذا ؟ لأن القلوب مليئة بالنفاق ولو تفننت الألسنة ورددت حب رسول الله ﷺ ، فقديما انطلق رأس النفاق ؛ ليعلن بملء فمه وأعلى صوته : أنه يحب الله ورسوله ومع ذلك فهو في الدرك الأسفل من النار ، قال جل وعلا : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ قالوا قولا باهتاً ، قولاً كاذباً : ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١] .

فشعار المؤمن بالنبي ﷺ السمع بلا تردد والطاعة بلا انحراف ، وشعار المنافقين العملي : السمع مع الصد والإعراض عن شرع الحبيب النبي ﷺ فهذه علامة عملية على نفاق أهل النفاق في الدنيا ، نسأل الله أن يطهرنا من النفاق صغيره وكبيره إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الحق الثالث: تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به عن ربه جل وعلا :

فالحق الثالث من حقوق النبي المصطفى ﷺ تصديق النبي في كل ما أخبر به عن ربه جل وعلا ، وذلك لأن النبي ﷺ يخبر عن رب العزة : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:١-٥] فرسول الله ﷺ في كل ما يخبره عن رب العزة صادق ، صادق ، بل ستعجبون ، أن صدق النبي ﷺ أقر به الكافر قبل المسلم ، فلقد لقب المشركون في مكة رسول الله ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين ، هذا هو لقب النبي عند المشركين ، كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، فرسول الله ﷺ في كل ما أخبر عن رب العزة صادق ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ، ولقد شهد الله جل وعلا بصدق نبيه ويا لها من شهادة ! ولقد بين الله أن نبيه لو زاد في الوحي أو نقص منه أو جاء بشيء من عند نفسه في دين الله لعجل الله له العقوبة في الدنيا .

اسمع ماذا قال ربنا : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧] ، يقول ربنا جل وعلا : لو زاد النبي في الوحي أو نقص أو جاء بشيء من عند نفسه لعجل الله له العقوبة في الدنيا : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا

مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧] ، بل قد اعترف أبو جهل بصدق المصطفى ﷺ فقال للحبيب : إنا لا نكذبك بل نكذب ما جئت به من عند الله ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣] .

ومن أدق الأحاديث في هذا الباب ما رواه أحمد والحاكم بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه : كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا : إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: « **اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ** » (١) .

لقد وضعت النبوة أمام اختبارات دقيقة حرجة ، وتبين في كل الاختبارات صدق المصطفى ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، تعلمون أن النبي ﷺ قد أخبر أن أبا لهب سيصلى نارا ذات لهب : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد] . إخبار نبوي عن الرب العلي جل وعلا .

إذا قام أبو لهب يوما وأعلن ولو بالكذب : أنه قد آمن بالله وبالمصطفى لوضعت النبوة في مأزق حرج .

فالرسول ﷺ قد بلغ عن ربه : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد:٣] ثم

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٩٢،١٦٢) ، وأبو داود في العلم (٣٦٤٦) ، والدارمي (٤٨٤) وسنده صحيح.

يخرج أبو لهب ويقول : ها أنا ذا أؤمن بمحمد ، ومع ذلك يقول عني محمد : أنني سأصلى نارا ذات لهب ، لو فعل ذلك أبو لهب ولو بالكذب لوضعت النبوة في مأزق حرج وحرج بالغ شديد ولكن الرسول لا ينطق عن الهوى ، فكما قال ربنا وبلغ نبينا مات أبو لهب علٰى الكفر ، ولم يفكر لحظة من لحظات حياته في التوحيد والإيمان بالله ؛ لنعلم أن الرسول ﷺ لا يتكلم في دين الله إلا بوحي معصوم من عند الله جل وعلا . والرسول ﷺ الذي بلغ عما مضى وقع بالكمال والتمام على الوجه الذي أخبر به هو ، هو الذي أخبرنا عن الغيبيات التي لم تقع بعد والذي أخبر عما مضى وقع ، هو الذي أخبر بما سيقع وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، وسيقع كل ما أخبر به المصطفى ﷺ بمثل ما حدث به ؛ لأنه هو الذي لا ينطق عن الهوى .

ففي صحيح البخاري قال المصطفى :

« إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ الله »[1] .

هذا الصادق الأمين الذي أخبر بذلك ووقع تماماً هو هو بأبي وأمي ، هو الذي قال ـ تدبر ما قال ، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال المصطفى ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا » ـ وأرجو أن تركز معي في قولة النبي ﷺ : لم أرهما وسأبين لك أن ما لم يره النبي ﷺ وحدث به وقع بمثل ما أخبر به الصادق المصدوق : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ » أي كذيل البقرة ـ يضربون بها الناس، هؤلاء بشهادة الصادق من أهل النار إن لم يتوبوا إلى العزيز

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٩) ، وفي الأيمان والنذور (٦٦٣٠) .

الغفار « يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ » والصنف الثاني : « وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» [1] . هل رأى النبي ﷺ الكاسيات العاريات ؟ لا .. وها نحن نرى هذا الوصف النبوي الدقيق في أيامنا كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ : « نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ » بمعنى أن المرأة كاسية ولكنها عارية؛ لأنها إما أن تلبس المرأة ثوبًا ضيقًا يظهر مفاتن جسدها كأنها عارية ، بل تكون المرأة أشد فتنة من العارية ، وإما أن تلبس المرأة ثوبا خفيفاً شفافاً يظهر ثيابها الداخلية فتظهر المرأة وكأنها عارية . « مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ » مائلات في مشيتهن يلبسن الأحذية العالية فتتمختر المرأة وتضرب الأرض برجلها وتتمايل وتتكسر في مشيتها ، فتميل قلوب الرجال ممن ينظرون إليها . « رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ » والسنام : هو الذي على ظهر البعير أي : على ظهر الجمل ، والجمل في أرض الجزيرة كان من أغلى ما يمتلكه العربي ، فإذا مال السنام ؛ لأنه أصبح سناما فارغًا يصبح الجمل مهملاً عند صاحبه ، يصبح الجمل أو البعير ضعيفًا ، فالمرأة تسرح شعرها بطريقة معينة يرتفع الشعر فوق الرأس كما يرتفع السنام فوق ظهر البعير .

انظر إلى وصف البشير النذير ﷺ : « رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ » هؤلاء « لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ـ أي الجنة ـ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » .

وتصديق النبي في كل ما أخبر . وأنا أقسم لكم بالله غير حانث أن الأمة

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨/ ١٢٥) .

إلا من رحم ربك لم تعد تصدق المصطفى ﷺ ، أقسم بالله غير حانث وأنا أعي كل كلمة أقولها : إن الأمة الآن إلا من رحم ربك كذبت المصطفى ﷺ .

وإن أعظم دليل : أن النبي قد جاء الأمة بشرع قد قال لها : هذا هو حبل النجاة ، هذا هو طريق السعادة لك في الدنيا وفي الآخرة ما دامت متمسكة به ، « **تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** » ولن يتفرق حتى يردوا على الحوض ، فكذبت الأمة نبيها وهجرت قرآن ربها ونحت سنة نبيها وضيعت القرآن والسنة ، وحكمت الأعراض والأموال والدماء والفرج قانون الشرق الملحد ، وقانون الغرب الكافر ، وكذبت نبيها حتى لو رددت بألسنتها أنها تصدق المصطفى ﷺ ، فإن الواقع والحال يكذب ما تدعيه الأمة وما تزعمه . أين قرآن ربنا في الأمة ؟ وأين شرع نبينا في الأمة ؟ ضيع القرآن وضيعت السنة ، ومع ذلك تدعي الأمة إلا من رحم ربك من أفراد أنها صدقت المصطفى وعلمت أن طريق النجاة والسعادة في امتثالها لأمر ربها وأمر نبيها ﷺ .

ما أحوجنا إلى الصدق مع الله ، وما أحوجنا إلى الصدق مع رسول الله ﷺ وما أحوجنا إلى الصدق مع الناس ، وما أحوجنا إلى الصدق مع النفس ، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصادقين .

الحق الرابع : توقيره وتعظيمه والتأدب معه في حياته وبعد مماته :

والحق الرابع من حقوق النبي ﷺ : توقيره وتعظيمه والتأدب معه في حياته وبعد مماته . هل سمعت أخي الحبيب .. من حق النبي علينا أن نوقره ونعظمه وأن نبجله ، وأن نحترمه وأن نتأدب معه في حياته وبعد مماته .

قلت لكم في اللقاء الماضي : إنه لا يعرف قدر النبي ﷺ إلا الرب العلي ،

وذكرت أن الله جل وعلا لم يخاطب المصطفى باسمه مجرداً أبدا .

أرجو أن تتصوروا معي مكانة نبينا عند ربنا ما من نبي إلا ونادى عليه الله باسمه مجردًا : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] .

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [هود:٤٨] .

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات:١٠٤، ١٠٥] .

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص:٣٠] .

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص:٢٦] .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾ [مريم:٧] .

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم:١٢] .

﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ [هود:٨١] .

إلا المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلما أراد أن ينادي عليه قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة:٦٧] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة:٤١] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل:١، ٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر :١ ،٢] .

ولما ذكر الله اسم النبي ، ذكر اسمه مقترنا بوصف النبوة والرسالة ، فقال جل وعلا : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾

[الأحزاب:٤٠]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾

[آل عمران:١٤٤]

هذه مكانة النبي عند الله ، ولما علم الله مكانة نبيه أنزل من فوق سبع سماوات قرآناً ؛ ليعلم الله الصحابة والمؤمنين ومن بعدهم ، كيف يوقرون ويعظمون ويخاطبون ويكلمون حبيبه المصطفى ﷺ فقال جل وعلا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

[الحجرات:٢]

انظر إلى قدر النبي ﷺ عند الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات:١] أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة كما قال ابن عباس : وقال مجاهد : أي لا تفتاتوا على رسول الله حتى يقضي الله على لسانه قال القرطبي : أي لا تقدموا قولاً ولا فعلا على قول الله وعلى قول وفعل رسول الله ﷺ . تدبر ، فمن قدم قوله أو فعله على قول وفعل رسول الله فإنما قدمه على الله عز وجل ؛ لأن النبي لا يأمر إلا بما أمر به من عند الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ

وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات :١] .

تأدبوا مع النبي ، وقروه وعظموه ، بجلوه ، لا تقدموا قولكم ولا فعلكم على قول الحبيب محمد ولا على فعل الحبيب محمد ، لا تقدموا مسألة الفكر البشري على فكر وتشريع الحبيب النبي ، لا تقدموا شرع مهازيل البشر على شرع سيد البشر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:١ ،٢] .

من رفع صوته على صوت النبي حبط عمله ، من رفع صوته على صوت النبي حبط عمله ، فإذا كان مجرد رفع الصوت على النبي يحبط العمل ، فكيف بمن قدم قوانينه الوضعية الفاجرة على شرع المصطفى ﷺ ؟ وكيف بمن قدم قوله على قول النبي ﷺ ؟ كيف بمن قدم عمله على عمل النبي ؟ بل كيف بمن اتهم شرعِ النبي بالجمود وبالرجعية والتخلف والتأخر ؟

إننا نعيش زمانًا تطاول فيه العلمانيون الكلاب المجرمون على شرع الحبيب محمد ﷺ ، الشرع المحكم الطاهر ، فمنهم من رمى الشرع المطهر بالجمود والرجعية والتخلف والتأخر وعدم قدرة الشريعة المحكمة على عدم مسايرة المدنية في القرن العشرين ، أو مسايرة مدنية القرن الواحد والعشرين ، وهذا كفر باتفاق أهل العلم مهما ادعى الإسلام والإيمان قال جل وعلا : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات:٢]

لماذا ؟ حتى لا تحبط أعمالكم .

هل تعلمون أن هذه الآية قد نزلت في حق الخيرين الكبيرين الجليلين أبي بكر وعمر ، يا إلهي رحماك .. رحماك .. آيات تهدد بإحباط العمل، لمن؟! لأبي بكر وعمر للرجلين الكبيرين العظيمين في الأمة أبي بكر وعمر ، لماذا ؟

روى البخاري أن وفد بني تميم لما أقبل على النبي ﷺ قال أبو بكر - رضي الله عنه: أمّر عليهم القعقاع بن معبد يا رسول الله ، أمّر عليهم - أي : اجعل أميرا عليهم القعقاع بن معبد ، فقال عمر : بل أمّر عليهم الأقرع بن حابس يا رسول الله ، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي يا عمر ، فقال عمر : والله ما أردت خلافك يا أبا بكر ، هذا هو الحوار الذي دار بكماله وتمامه .

هل ترون في هذا الحوار سوء أدب مع رسول الله ﷺ ؟ لا والله .. لكن لمجرد أن صوت أبي بكر وعمر ارتفع قليلاً في حضرة النبي المصطفى ﷺ فنزل القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] (١) .

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨٤٧) .

روى البخاري أن عمر بن الخطاب لما نزلت الآية ، كان المصطفى لا يكلم عمر بعد نزول الآية حتى يستفهمه [١] أي حتى يقول له النبي ﷺ : ماذا تقول يا عمر؟ ارفع صوتك يا عمر ، يا عمر لا أسمع صوتك يا عمر ـ إنه الأدب مع الحبيب محمد ﷺ .

وروى الحاكم موصولا بسند صحيح أن أبا بكر لما نزلت الآية قال للمصطفى : « آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي يَا رَسُولَ الله أَلَّا أُكَلِّمُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا كَأَخِي السِّرَارُ» [٢].

أي كالذي يقول لأخيه سرا من الأسرار ـ وأنتم تعلمون أن الذي يقول للأخ سرًا يهمس في أذنه حتى لا يسمع السر ، انظروا إلى أدب الصحابة مع المصطفى ﷺ .

بل لقد بلغ التعظيم والتوقير والأدب من الصحابة مع الحبيب مبلغاً عجيبا لو أتيتم بأبلغ أهل الأرض ؛ ليجسد لكم التوقير والأدب لعجز . تدبر معي حديثا واحدًا ؛ لتقف على حجم التعظيم والتوقير والأدب ، لقد سكت الصحابة عن جواب رسول الله ﷺ فيما يعلمونه يقينا خشية أن يكون جوابهم على الرسول ﷺ فيه سوء أدب معه .

ففي الصحيحين : سألهم النبي ﷺ في خطبة الوداع : « **أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟**» هل يشك واحد منا أن الصحابة يجهلون اليوم « **أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟** » إنهم يحجون ويعلمون يقينا أنه يوم النحر ، إنه يوم الأضحى ومع ذلك اسمع ماذا قال الصحابة ، قالوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فقال المصطفى ﷺ : « **فَقَالَ أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ** » قالوا : بَلَى، فقال الحبيب : « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟** » قالوا : الله وَرَسُولُهُ

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨٤٥) .

(٢) صحيح : رواه الحاكم (٢/ ٤٦٢) وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

أَعْلَمُ . قال : « أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ » قالوا : بَلَى. قال : « فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ » قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : « أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحرَام؟ » قالوا : بَلَى. قال الحبيب : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا »[1] .

انظر إلى الأدب مع الحبيب ﷺ ، وهذا الأدب إخوتي الكرام ليس قاصرا على حياة المصطفى ، لا ، بل هو أدب ممتد في حياته وبعد مماته .

ومن أرق ما قرأت في هذا الباب الجميل ما رواه البخاري عن السائب بن يزيد قال : كنت واقفا في المسجد النبوي يوما فحصبني رجل ـ أي رماني بحصاة صغيرة ـ لأن مسجد النبي ﷺ لم يكن مفروشا بالسجاد وإنما كان مفروشاً بالحصى ، يقول : رماني رجل بحصاة فالتفتُّ فإذا هو عمر بن الخطاب فنادى عليّ فذهبت إليه ، يقول : فأشار إليّ على رجلين في المسجد النبوي أمام قبر المصطفى ﷺ فأشار إليّ عمر وقال : آتني بهذين الرجلين فجئته بهما ، فلما وقفا أمام عمر قال لهما رضوان الله عليه : من أين أنتما ؟ قالا : من الطائف قال عمر : والله لو كنتما من أهل هذه البلد لأوجعتكما ضربًا أترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله[2] ؟!!

انظر إلى هذا الأدب : ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟! فالتعظيم والتوقير والأدب مع المصطفى ﷺ حق من أعظم حقوقه علينا .

ولله در إمام الهجرة مالك بن أنس ، كان الإمام مالك إذا أراد أن يحدث الناس في مجلس العلم بحديث رسول الله ﷺ توضأ ومشط لحيته ـ سرح اللحية ـ وتطيب ـ وضع الطيب ـ ولبس عمامته وجلس على كرسي

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٦)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩).
(٢) رواه البخاري في الصلاة (٤٧٠) .

مرتفع بهيبة ووقار ، وحدِّث الناس بحديث رسول الله ﷺ .

وقال بعض أهل العلم : ولا ينبغي لمسلم أن يرفع صوته في مجالس العلماء تعظيماً للنبي ﷺ ؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، فإذا جلست بين يدي عالم من العلماء يقول لك : قال الله قال رسول الله ﷺ ، لابد أن تجلس بهيبة وسكينة ووقار وألا ترفع صوتك في مجلس العلم ، فتوقيرك لمجلس العلم ولحديث المصطفى ﷺ توقير منك للمصطفى ﷺ .

الحق الخامس : محبة النبي ﷺ أكثر من المال والولد والنفس :

الحق الخامس من حقوق المصطفى ﷺ : محبة النبي أكثر من المال والولد ، بل والنفس التي نحملها بين جنوبنا ، كل الناس يدعي حب النبي ﷺ ، لكن من يدَّعي حبَّ النبي ولم يفد من هديه فسفاهة وهراء :

والحب أول شرطه وفروضه إن كان صادقًا طاعة ووفاء

محبة النبي ﷺ شجرة كريمة إن استقرت في القلب أثمرت كل أنواع الاتباع والاقتداء للمحبوب ﷺ بل ولا يكتمل إيمانك إلا إذا فاق حبك المصطفى ﷺ حبك لوالدك وولدك والناس أجمعين ، بل ونفسك التي بين جنبيك أيها المحب الكريم .

ففي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [(١)] .

وفي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى

(١) رواه البخاري في الإيمان (١٦) ، ومسلم في الإيمان (٤٣/ ٦٧) .

أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[١] .

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن عمر قال للنبي ﷺ : لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي .

فقال المصطفى :

« لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » .

فقال عمر : فَإِنَّهُ الْآنَ وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

فقال المصطفى ﷺ : « الْآنَ يَا عُمَرُ»[٢] .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ في كلامه النفيس الذي قل أن تقف عليه في موطن آخر لعالم آخر قال : حب الإنسان لنفسه طبع ، وحب الإنسان لغيره اختيار بتوسط الأسباب ، ولم يرد النبي ﷺ من عمر حب الطبع ؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جبلت عليه ، وإنما أراد النبي ﷺ من عمر حب الاختيار ، فلما وصل عمر إلى الاختيار أي إلى توسط الأسباب ، وفهم أن النبي ﷺ كان سبب نجاته من النار قال : وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي يَا رَسُولَ الله ، قال المصطفى ﷺ :

« الْآنَ يَا عُمَرُ» .

لو توقفت مع حب الصحابة للنبي لطاشت عقولنا ولعلمنا يقينا أن البون شاسع وأن الفرق كبير بين حب الصحابة للمصطفى ، وبين حبنا لنبينا ﷺ ، أكتفى بحديث واحد رواه الطبراني والضياء المقدسي وأبو نعيم بسند حسن من حديث عائشة أن رجلاً جاء يوما للمصطفى ﷺ قال :

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (١٥) ، ومسلم في الإيمان (٤٤/ ٧٠) .
(٢) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٣٢) .

يَا رَسُولَ الله ، وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ وَلَدِي وَأَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي فَأَذْكُرَكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِي لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ الْيَوْمَ مَوْتِي وَمَوْتُكَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَاكَ ، فسكت المصطفى ﷺ ، سؤال جميل ولم يلبث النبي إلا قليلاً حتى نزل جبريل ولا زال الرجل جالسًا في حضرة النبي ﷺ فنزل جبريل يقول الرب العلي :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء ٦٩، ٧٠] (١) .

الحق السادس : الدفاع عن سنته وتبليغ دعوته ورسالته :

الحق السادس من حقوق المصطفى ﷺ : الدفاع عن سنته وتبليغ دعوته ورسالته حريّ لكل من يحب المصطفى ﷺ في هذا الزمان أن ينصر السنة وأن يقمع البدعة في زمان انتشرت فيه البدعة وهجرت فيه السنة ، أصبحت السنة غريبة أصبحت سنة النبي ﷺ غريبة ، وأصبحت البدعة منتشرة فحريّ لكل محب للنبي ﷺ أن ينصر سنته وأن يذب عنها ، وأن يقمع البدع وأن يحذر الناس منها : لأننا قد ابتلينا بصنف أحمق ادعى عدم حجية السنة ، وعدم وجوب الأخذ بالسنة ، وزعم أن القرآن وحده يكفي بدعوى أن السنة فيها الضعيف والموضوع وهذه خبيثة تهدم الدين كله ، تضيع القرآن قبل السنة ؛ لأنه لا غنى مطلقًا للقرآن عن السنة كما قال الإمام ابن القيم طيب الله ثراه : إن السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه : أن

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط كما في مجمع الزوائد (٧/ ٧)، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه .

وإما أن تكون السنةُ موضحة ومفسرة وشارحة ، لما أُجمل في القرآن ، وإما أن تكون السنة محرمة أو موجبة لما سكت، عنه القرآن ، ففي الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني من حديث المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال :

« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ» (١) .

قال المصطفى : إن ما حرم رسول الله كما حرم الله ألم يقل الله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠] ، ألم يقل الله : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر :٧] .

فحرىّ بكل محب للنبي ﷺ أن ينصر سنة النبي ﷺ ، وأن يقمع البدع ، وأن يحذر الناس منها في زمان هجرت فيه السنة وأصبحت السنن غريبة ، في زمان انتشرت فيه البدع ونشرت بكل قوة وسبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتبليغ رسالة النبي ﷺ وتبليغ دعوته من أعظم حقوق النبي علينا .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

[يوسف:١٠٨]

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٤/ ١٣٠ ، ١٣١) ، وأبو داود في السنة (٤٦٠٤) ، وابن ماجه في المقدمة (١٢) ، وسنده صحيح .

قال الإمام ابن القيم : لا يكون الرجل من أتباع النبي ﷺ حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه النبي ﷺ على بصيرة .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر أنه ﷺ قال :

« **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** » (١) .

وأنا أسألك أخي الحبيب وأسألك أختى الفاضلة وأسأل المسلمين جميعاً كم نحفظ من الآيات ؟ وكم نحفظ من الأحاديث ؟ فهل امتثلنا أمر النبي ﷺ فبلغنا ما حفظناه عن الله وما حفظناه عن رسول الله ﷺ ، هذه علامة من علامات الحب الصادق : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** » .

فهل بلغت عن الله وعن رسول الله ﷺ ؟

الحق السابع : الصلاة والسلام عليه ﷺ وسؤال الله له الوسيلة:

وأختم بهذا الحق الأخير من حقوق المصطفى ﷺ ألا وهو كثرة الصلاة والسلام على النبي ﷺ وسؤال الله له الوسيلة .

ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه ﷺ قال :

« **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا** » (٢) .

أكثر من الصلاة على الحبيب ، فمن حقه علينا أن نصلي عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب :٥٦] .

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١) .
(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٠٨/ ٧٠) .

اللهم صل وسلم وبارك على حبيبنا ونبينا محمد ﷺ .

وفي الحديث الذي رواه أحمد ، من حديث أوس بن أوس ، أن النبي ﷺ قال :

« إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » .

انتبه .. فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ أي : وقد بليت ، أي : وقد بلى جسدك في القبر .

فقال المصطفى ﷺ :

« إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنبِيَاءِ » [1] .

إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، ثم سل الله الوسيلة للمصطفى ﷺ ، ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال :

« لَوْ سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ يُؤَذِّنْ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولْ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو ، فَمَنْ سَأَلَ الله لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » [2] .

هذه بعض حقوق المصطفى ﷺ علينا فلتنظر كل نفس أين هي من

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٨) ، وأبو داود في الصلاة (١٠٤٧) ، والنسائي في الجمعة (٣/ ٩١ ، ٩٢) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٨٥) ، والحاكم (١/ ٢٧٨) وصححه ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٣٨٤) .

الإيمان والحب الصادق ، فلينظر كل مسلم أين هو من الإيمان بالمصطفى والحب الصادق ، واعرض نفسك على هذه الحقوق ، فإن كنت ممن حققتها فاسجد لله شكرا ، وسل الله أن يزيدك توقيرًا لحبيبك المصطفى ﷺ ، وإن كانت الأخرى فابحث من جديد عن دليل وبرهان على صدق حبك ودعواك فإن الله جل وعلا لما ادعى قوم المحبة ابتلاهم بآية المحبة فأنزل قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٣١] .





حقوق يجب أن تعرف

حقّ الأمانة



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأمانة

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الأمانة** » .

وحق الأمانة حق كبير جليل وسوف أحصر هذا الحق الجليل في محورين اثنين :

الأول : من صور الأمانة .

الثاني : من صور الخيانة .

والله أسأل أن يجعلني وإياكم من أهل الأمانة وأن يجنبنا الخيانة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : من صور الأمانة :

أحبتي في الله : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢] .

لابد من البداية أن نؤصل هذا المعتقد الصحيح السليم ألا وهو ما قاله الإمام العلامة القرآني الشنقيطي في أضواء البيان قال : والعرض أي عرض الأمانة على السماوات والأرض ، قال : والعرض والإباء

والإشفاق كل حق وليس على سبيل المجاز كما قال بعض المفسرين ، فلقد خلق الله للسماوات والأرض والجبال إدراكاً لا نعلمه نحن أدركت من خلاله هذه الأمانة الثقيلة التي عرضت عليها ، فخافت وخشيت عواقب حملها فأبت ـ لا اعتراضا ولا تكبرا ـ إنما من باب الخوف من الله من عواقب حمل هذه الأمانة .

قال الشنقيطي : والدليل على هذا في القرآن كثير قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨] ، وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤]

لقد أدركت السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة الثقيل وحق الأمانة ، فأشفقت من حمل هذا الحمل فأبت إشفاقاً وخوفا ، وتقدم الإنسان الضعيف الحول ، القصير الأجل لحمل هذه الأمانة الثقيلة فمن أداها على مراد الله ورسوله فهو الأمين ومن خانها فهو الظلوم الجهول .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما : والأمانة في الآية هي الفرائض التي افترضها الله على عباده : قال أبو العالية : والأمانة في الآية هي ما أمروا به وما نهوا عنه .

قال الحسن : والأمانة في الآية هي الدين فالدين كله أمانة وهذا أرجح الأقوال لأهل التفسير : الأمانة هي الدين كله فدين الله تبارك وتعالى كله

أمانة فمن أداها فهو الأمين ، ومن خانها فهو الظلوم الجهول ، فالصلاة أمانة والصيام أمانة والزكاة أمانة والحج أمانة مع القدرة والاستطاعة ، فمن أدى هذه الفرائض على مراد الله وعلى سنة رسول الله ﷺ فهو أمين وإلا فهو ظلوم جهول خائن .

والجوارح أمانة : عينك وسمعك ويدك وفرجك وجوارحك كلها أمانة قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] .

فستسأل عن هذه الأمانات هل أديت حقها أم ضيعت هذا الحق ، هل أديت حق هذه الأمانة ؟

أم أنك قد وقعت فعلا في الخيانة ولم توظف هذه الجوارح لطاعة الله تبارك وتعالى ؟ بل وظفتها في الليل والنهار لمعصية الله ، نظرت بعينك إلى الحرام ، واستمعت بأذنك إلى الحرام ، وسخرت لسانك في الحرام ، ووظفت فرجك في الحرام ، ووظفت رجليك وجوارحك كلها في الحرام ، فلم تمتثل لله أمرا ولم تجتنب لله نهيا ، ولم تقف لله عند حد .

والعلم أمانة : إن أديت هذه الأمانة بأمانة كان الناس في خير وعلى هدى ، فإن خان أهل هذه الأمانة وزوروا بهذا العلم الفتاوى الباطلة لذوي السلطان ولم يتقوا الرحيم الرحمن ، ولم يوظفوا هذا العلم لرد الأمة إلى الحق ردا جميلاً ، فقد ضيعت هذه الأمانة وخان أهلها هذه الأمانة .

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال عن الله :

« إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ

بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا » .

وفي لفظ : « فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »[١] .

فمن أفتى بغير علم فهو خائن للأمانة ، ومن لم يؤد أمانة العلم فهو خائن للأمانة، ومن لم يعمل بعلمه فهو خائن للأمانة .

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ـ أي أمعاؤه ـ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ المنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنْ المنْكَرِ وَآتِيهِ »[٢] .

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، واجعل سرنا أحسن من علانيتنا ، وباطننا أحسن من ظاهرنا ، فورب الكعبة أذكر بهذا الحديث وما ذكرت به مرة إلا وتذكرت قول القائل يرن في أذني :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس والطبيب عليل

فأسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجعل سرنا أحسن من علانيتنا ، وباطننا أحسن من ظاهرنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

فإن القول وإن خالف العمل بذرت بذور النفاق في القلوب.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢ ، ٣] .

---

(١) رواه البخاري في العلم (١٠٠) ، ومسلم في العلم (٢٦٧٣) .
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٧) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٩) .

قال جل وعلا :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤] .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي وغيرهم في سند صححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، أن النبي ﷺ قال :

« **مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ** »[1] . فهو خائن للأمانة .

والمال أمانة : روى الترمذي وأحمد بسند صححه شيخنا الألباني من حديث أبي كبشة الأنماري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« **ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ** » ـ وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم ـ « **ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ** ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ **وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا** » . اللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك . « **عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ** » . انظر إلى هؤلاء الأمناء « **فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ** » أي في المال « **حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ** » أي عند الله جل وعلا « **وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ** » أي من أعمال

---

(١) صحيح الإسناد : رواه الترمذي في العلم (٢٦٥٤) ، وابن حبان (٧٧ـ إحسان) و(٩٠ـ موارد) ، والبيهقي في الشعب (١٧٧١، ١٧٧٢) .

البر والخير والهدى قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى : « **فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ** » ، وهؤلاء هم الخونة الذين ضيعوا الأمانة ، « **وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ** » لسافرت إلى بانكوك ، ومنها إلى مدريد ، ومنها إلى تل أبيب ، ومنها إلى أماكن اللهو والفسق والمعاصي ، قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى : « **فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ** »[1] .

فالمال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وأمانة عندك أيها المسلم ، إن أديت حق هذه الأمانة ، إن جمعت من الحلال وأديت في هذه الأمانة حق الكبير المتعال فأنت أمين ، أما إن جمعت من الحرام وأكلت من الحرام ، ولم تؤد حق الرحيم الرحمن ، فأنت خائن لهذه الأمانة ، واعلم بأنك لن تأخذ من مالك جنيها واحدا إلى قبرك :

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما في الأرض لا يكفيها

هي القناعة فالزمها تكن ملكًا ... لو لم تكن لك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

نام هارون الرشيد على فراش الموت ، وأنتم تعلمون أن هارون كان يحج في سبيل الله عاما ويغزو في سبيل الله عاما ، وليس كما قدمه إعلامنا الخبيث الذي لا يرقب في مسلم إلاً ولا ذمة ، كان هارون يراقب السحابة

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٣١) ، والترمذي في الزهد (٢٣٢٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني .

في كبد السماء ويخاطبها قائلاً : أيتها السحابة في أي مكان شئت ، فأمطري فسوف يحمل إليَّ خراجك إن شاء الله . انظروا إلى سعة الـمُلك وعظمة السلطان ، ومع ذلك نام هذا العملاق على فراش الموت فبكى وقال : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة:٢٨، ٢٩] .

ثم قال : أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه ، فحملوا هارون إلى القبر فنظر إليه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال :

يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه .

فالمال أمانة والدين أمانة .

روى البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى الله عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ الله » [(١)] .

فكم من خائن لهذه الأمة أخذ منك الدين وأعطيت الرجل المال بنفس راضية سمحة كريمة ، فإذا رآك بعد ذلك تهرب منك في كل شارع ـ أنا لا أعيب على غير القادر على السداد ، وإنما أعيب على من يملك السداد بالفعل لكنه يتملص من هنا ويتهرب من هنالك ، هذا خائن لهذه الأمانة ـ فيجب على كل مدين أن يؤدي الدين الذي عليه وإلا فليحذر وليعلم يقينا أنه وإن كان من أهل الصلاح والفلاح ثم توفاه الله جلا وعلا ، فإن روحه ستظل محبوسة على باب الجنة حتى يؤدى عنه دينه ، فالدين أمانة .

ومن أجمل وأرق ما قرأت في هذا الباب ما رواه البخاري ـ تعليقا ـ

---

(١) رواه البخاري ـ تعليقاً في الزكاة باب : لا صدقة إلا عن ظهر غنى، وفي الاستقراض (٢٣٨٧).

بصيغة الجزم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ : « أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ـ فقال له الرجل أي الدائن أي الذي سيمنحه المال: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ ، قَالَ : كَفَى بِالله شَهِيدًا ، قَالَ : ائْتِنِي بِكَفِيلٍ ، قَالَ : كَفَى بِالله كَفِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَقْدِمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي كَانَ أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا وَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مَعَهَا إِلَى صَاحِبِهَا ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي اسْتَلَفْتُ مِنْ فُلَانٍ أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ : كَفَى بِالله كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ : كَفَى بِالله شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَإِنِّي قَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا وَإِنِّي اسْتَوْدَعْتُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ يَنْظُرُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا يَجِيءُ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ فَأَتَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ : وَالله مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ ، قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ هَذَا الَّذِي جِئْتُ فِيهِ ، قَالَ: فَإِنَّ الله قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ رَاشِدًا [1] .

---

(١) انظر : صحيح البخاري في الكفالة (٢٢٩١) .

إنها الأمانة من الدائن والأمانة من المدين ، ليس لآحاد الناس من ضعاف اليقين من أمثالي ، فقد يذهب سفيه الآن إلى البحر ويقول : اللهم أوصل هذا المال إلى فلان ، الله جل وعلا قادر على ذلك ، لكن الأمر يحتاج إلى يقين منك يوازي يقين هذا الرجل . أسأل الله أن يرزقنا اليقين إنه ولي ذلك والقادر عليه فالدين أمانة .

والسر أمانة : يجلس الأخ مع إخوانه ويبوح بما في صدره من هموم ، مهموم ! فيخرج ما في صدره لبعض إخوانه ، وبعد ساعات قليلة يفاجأ باتصال من هنا أو من مجلس هناك بأن كلامه مع الزيادة الموفورة قد خرج ، خيانة ، خيانة عفنة ، إنما المجالس بالأمانة والله الذي لا إله غيره لا يعرف الآن قدر هذه الأمانة إلا قلة : اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين .

مرض عضال أن يفشي الأخ سر أخيه وتزداد المصيبة ، إن أفشى الزوج سر زوجته أو أفشت الزوجة سر زوجها ويكاد القلب أن ينخلع لما أقرأه من بعض إخواننا وطلابنا حينما يقول لي أحدهم : والله الذي لا إله غيره أسمع المرأة الموظفة في المكتب بصوت مرتفع تتحدث عن ما كان بينها وبين زوجها على الفراش ، ويجلس الرجل على المقهى بطريقة عنجهية ؛ ليذكر ما كان بينه وبين امرأته على الفراش ، هؤلاء الناس من أشر الخلق عند الله ، قال رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري :

« إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (١) .

لا يجوز للمسلمة أن تفشي سر زوجها لأمها ولا لأختها اللهم إلا للضرورة القصوى ، إن كانت تريد النصح أو إن فعلت ذلك لعالم من

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٧/ ١٢٣) .

العلماء تريد الفتوى ، أما فيما عدا ذلك لا يجوز أبداً للرجل أن يهتك سر امرأته ، ولا يجوز للمرأة أن تهتك سر زوجها .

ومن ألطف ما قرأت أن رجلاً من الصالحين ابتلي بزوجة سيئة فأغضبته وآلمته مرارًا وتكرارًا ، فذهب إليه بعض الأفاضل فقالوا له : طلقها ما الذي يريبك منها ؟ أي ما الذي يغضبك منها ؟ فقال هذا الرجل : العاقلُ لا يهتكُ سِترَ بيته ، ثم طلقها فذهبوا إليه مرة أخرى فقالوا : لقد طلقتها الحمد لله ، ما الذي كان يريبك منها ؟ فقال الرجل : ما لي ولامرأة غيري !! هؤلاء هم أهل الأمانة .

والزوجة أمانة : روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله الطويل وفيه : أن رسول الله ﷺ قال :

« **اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ** »[(١)] .

فالمرأة عندك أمانة ، ورسول الله ﷺ يقول كما في صحيح مسلم : « **إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ** »[(٢)] .

فقد يقسو الزوج على زوجته وهي ضعيفة ، وقد يتفنن في سبها وإيذائها وهي ضعيفة ، وربما يكون ذلك لأتفه الأسباب هذا نوع من أنواع الخيانة .

والكلمة أمانة : ولا يعي كثير من الكتاب والمفكرين والأدباء والصحفيين قدر هذه الأمانة، فالكلمة أمانة ثقيلة ، كم من أرحام قطعت بسبب الكلمة ، وكم من أناس قد زج بهم في غياهب السجون بسبب كلمة ،

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨/ ١٤٧) .

(٢) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) ، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٨) .

وكم من أسرة سعيدة انهار بناؤها بسبب كلمة ، وكم من شريف قد قتل بسبب كلمة .

إن ترك الألسنة تلقى التهم جزافًا دون بينة أو دليل ، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ، ثم يمضي وهو آمن مطمئن بعد قوله الخبيث ، وتصبح الجماعة المسلمة وتمسي ، وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة ، وكل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام ، وهذه حالة من القلق والشك والريبة لا يمكن أن تطاق بأي حال من الأحوال ، إذا أردت أن تقف على خطر الكلمة في سنة سيد الرجال وقبل ذلك كلام الله سبحانه فتدبر معي فقط هذه الآية قال تعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] .

وقال رسول الله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[1] .

فتحت راية الإبداع الفكري سب الله ورسوله ، وتحت لافتة الضرار التي تسمى بالحرية الشخصية خرجوا عن دين سيد البشرية ، وتحت لافتة الضرار الكلامية الخبيثة التي تسمى بالإبداع نقضوا ثوابت وأصول هذا الدين ، فالكلمة خطيرة ، فالكلمة أمانة ، فاتق الله وكن على يقين بأن لسانك ربما يدخلك جهنم إن لم تنتبه فبكلمة تهوي إلى النار ، وبكلمة تنال

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٨)، ومالك في الموطأ في كتاب الكلام (٢/ ٧٥٢) رقم (٦).

رضوان العزيز الغفار .

فبكل أسف قد لا يتورع كثير من المسلمين عن الحلال يسأل عن اللحم ويسأل عن الطعام ويسأل عن الشراب وهو حلال وهذا ورع مشكور بلا شك ، لكنه يكون ورعًا باردًا باهتًا خبيثًا إن تورعت به عن الحلال ، ثم في نفس المجلس لم تتورع عن أكل الحرام بالفرى في أعراض الأحياء والأموات ، يكون حينئذ ورعك في الحالة الأولى بارداً باهتاً لا قيمة له ، وتزداد الكارثة إذا كان النهش في لحوم العلماء الفحول الكبار .

ورحم الله الحافظ ابن عساكر إذ يقول : اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني الله وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته : اعلم بأن لحوم العلماء مسمومة ، وأن عادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب .

والأولاد أمانة : وقد خان كثير من الوالدين هذه الأمانة حتى شعر كثير من الأولاد في بيوت المسلمين باليتم التربوي القاتل ، ظن الوالد أن وظيفته في البيت أنه ممثل لوزارة المالية يمنح الزوجة كل شهر ما تريد من النفقة فحسب ، وترك الأولاد وربما يرد على مسكين ويقول : سامحك الله أنت تعلم الظروف الاقتصادية الطاحنة التي تضطر الوالد أن يبحث عن عمل بعد عمل بعد عمل ؛ ليوفر لأولاده لقمة العيش الطيبة وحياة كريمة . أنا لا أعيب على هذا ولكن أعيب على أنه إن وجد شيئاً أو رمقا من الوقت بعد العمل فعاد إلى بيته ؛ ليقتل هذا الوقت بالجلوس أمام التلفاز مضيعاً لأولاده .

وأنا أقول دومًا عن جلوس الوالد مع أولاده ولو كان صامتًا لا يتكلم فيه من عمق التربية ، فكيف إن تكلم فتذكر بالله وذكر برسول الله ﷺ

وأتى على ابنته وضرب على كتفها برفق وحنان وتودد فسألها عن صديقاتها ، وتودد إلى ولده وسأله عن أصدقائه وأصحابه ، وتفرس في قَصَّةِ شعر ولده ودقق النظر في زيه ؛ ليتعرف من خلال هذه النظرة السريعة العابرة على خلق ولده ومسار ابنته فمن ضيع هذه الأمانة ـ وما أكثر هؤلاء ـ فهو خائن .

ثم تزداد الكارثة حينما تخون الأم هي الأخرى هذه الأمانة فتخرج إلى الوظيفة وهي ليست في حاجة إلى الوظيفة ، وتخرج إلى الأسواق وهي ليست في حاجة لقتل الأوقات بهذا الشكل ، وتخرج من بيت صديقتها إلى بيت أختها إلى بيت أمها ، إنها قد ضيعت الأولاد في البيت ، فانطلق الأولاد ليبحثوا عن قوتهم التربوي عبر وسائل الإعلام القذرة التي تؤصل الرذيلة ، وتقتلع الفضيلة من أعماق القلوب ، راح الأولاد ليبحثوا عن قوتهم التربوي مع وسائل الإعلام تارة ، وفي الصحبة السيئة في الشوارع وعلى المقاهي تارة أخرى ، فشعر الأولاد باليتم التربوي الحقيقي.

فليس اليتيم من انتهى أبواه وخلفاه في هم الحياة ذليلاً
إن اليتيم هو الذي ترى له أمًّا تخلت أو أبا مشغولاً !!

والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] .

والرسول ﷺ يقول ـ كما في الحديث الصحيح ـ في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا

وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » (١) .

وتدبر هذا الحديث النبوي الذي رواه البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (٢) .

والوالدان أمانة : والوالدان إذا كبرا عند الأولاد أمانة وكم من الأولاد قد خانوا الأمانة فوقعوا في العقوق الأسود ، فضرب الولد أباه وسبت البنت أمها ، وهذه من علامات الساعة كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى : « أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا » على الراجح من تفسير أهل العلم وهذا لفظ مسلم ، وفي لفظ البخاري : « أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا » (٣) .

إنه العقوق يعامل والده معاملة السيد للعبد وتعامل البنت أمها معاملة السيدة للأمة خيانة : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الآية [الإسراء:٢٣] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ »

---

(١) رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣) ، وفي الاستقراض (٢٤٠٩) ، وفي الوصايا (٢٧٥١) ، وفي العتق (٢٥٥٤ ، ٢٥٥٨) ، وفي النكاح (٥١٨٨، ٥٢٠٠) ، وفي الأحكام (٧١٣٨) ، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩/ ٢٠) .

(٢) رواه البخاري في الأحكام (٧١٥١) ، ومسلم في الإيمان (١٤٢/ ٢٢٧، ٢٢٨) ، وفي الإمارة (١٤٢/ ٢١) .

(٣) رواه البخاري في الإيمان (٥٠) ، ومسلم في الإيمان (٨-١٠) .

قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ :

« الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » .

عقوق الوالدين بعد الشرك بالله مباشرة ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ : « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ [1] .

والوظيفة التي أنت فيها أمانة : واعلم بأن أي التواء أو أي تفريط خيانة لعملك الذي تؤديه وكلفت به ، فلو أن كل موظف مسلم ترك وظيفته وضيع عمله بدعوى أن عمله هامشي ، لا وزن له ولا قيمة انتشر الفساد واستشرى العطب في المجتمع كله ، وضاعت المسؤولية ، فمن ضيع المسؤولية وهي صغيرة إن راتبك الذي تتقاضاه لا يفي بحاجتك ، وأنت متصور أنه لا يليق بعمل تؤديه بشكل ما ليس معنى ذلك أن تخون هذه الوظيفة أو أن تفرط في أدائها أو ألا تتقي الله في عملك .

واعلم أن مراقبتك لرئيسك في العمل فإن ترك مكتبه وانصرف ضيعت عملك خيانة ، فإن أي التواء في ممارسة الوظيفة بأخذ رشوة أو بتضييع العمل ، أو بتعقيد مصالح المسلمين هذا لون من ألوان الخيانة ، وأخطر هذه الوظائف وظيفة الولاية وظيفة الحكم فالحاكم الأمين هو الذي يحكم في الأمة بشرع النبي الأمين ، ويقود الأمة بسفينة الوحي الرباني والنبوي إلى بر الأمان بعد تحقيق الإيمان ، الحاكم الأمين هو الذي يُسعد رعيتهَ وتسعد به رعيته ، الحاكم الأمين هو الذي يرد أموال الشعب إلى الشعب كاملاً غير منقوص ، الحاكم الأمين هو الذي لا يحابي الشرفاء على حساب الفقراء ، الحاكم الأمين هو الذي يسعد برعيته وتسعد رعيته في الدنيا

---

(١) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤) ، ومسلم في الإيمان (٨٧/ ١٤٣).

والآخرة ، إن الولاية أمانة ثقيلة ، إن الأمانة حمل كبير من أجل ذلك خشي البشير النذير على أخيه الضعيف الفقير أبـي ذر ـ رضـي الله عنـه ـ حينمـا ذهب إلى حبيبه ومصطفاه ليقول له : يا رسول الله ، ألا تستعملني ؟

فضرب النبي على منكبي أبي ذر وقال :

« يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» والحديث رواه مسلم [1] .

وإذا ذكرت الولاية بأمانة فمن الأمانة أن نقدم قدوة لا تبلى ولـن تبلـى في الأمانة إنها قدوة تتمثل في عاهـل عظـيم بركـت الـدنيا كلـها بزخرفهـا وجمالها وبهائها بركت على عتبة داره ، فطلقها طلاقاً لا رجعـة فيـه ، وقـام ليدرأ عن الناس فتنتها ومضلاتها ولينثر على الناس خيرهـا ، فلمـا نفـض يديه من عبء هذا المتاع الدنيوي الزائل قام ليستأنف هو سيره ومسراه مع سيده ومولاه ، انظر إليه ستراه هنالك وهو أمير المؤمنين يجري تحت حرارة الشمس المحرقة على رمال المدينة المطهرة وينظر عثمان بن عفان يا ترى من هذا الذي خرج في هذا الجو القاتل القائظ ؟

فلما اقترب سبحان الله ! أمير المؤمنين عمر ! يا أمير المؤمنين ، ما الـذي أخرجك في هذا الوقت القائظ ! فيقول عمر : بعير من إبل الصدقة قد نـدَّ يا عثمان وأخشى عليه الضياع ، فيقول لـه عثمـان : فتعـال إلى الظـل وإلى الماء البارد وكلف أحد عمالك ليأتيك بهـذا الـبعير الشـارد ، فيلتفـت إليـه عمر فيرد عمر الفاروق على عثمان الحيي فيقول : عد إلى ظلك وإلى مائك البارد يا عثمان أأنت ستسأل عنه بدلاً مني يوم القيامة أمام الله جل وعـلا ؟! انظر إليه ستراه هنالك قد حنا رأسه ، تلـك الـرأس الـتي عانقـت كواكـب

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥/١٦) .

الجوزاء أو إن شئت فقل : التي تنزلت كواكب الجوزاء لتتوجها والفخر للكواكب لا لرأس عمر ، انظر لهذه الرأس تراها قد انحنت على قِدْرٍ فوق نار مشتعلة ينفخ عمر النار تحت هذا القدر ؛ لينضج طعمة سريعةً طيبة لأطفال يبكون من شدة الجوع ، وتنظر أم الأطفال في سواد الليل إلى هذه الرحمة المتجسدة لتقول لهذا الرجل الكبير القلب : يا هذا ، والله إنك لأحق بالخلافة من عمر بن الخطاب ، انظر إليه تجده يقف هناك أمام إبل سمينة ممتلئة فيقول : ما شاء الله لمن هذه الإبل ؟! فيقول الناس : لعبد الله بن عمر، فيقول : عبد الله بن عمر ؟! وكأن حية رقطاء قد لدغت أمير المؤمنين فيقول : إيتوني بعبد الله فيأتي عبد الله بن عمر ويقف أمام أمير المؤمنين وهو إمام الزهد والورع فيرتعد ويرتجف فيقول له عمر : ما هذه الإبل يا عبد الله ؟ فيقول : إبل هزيلة اشتريتها بخالص مالي يا أمير المؤمنين وأطلقتها في الحمى ؛ لترعى لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة .

ما ارتكبت جرمًا ولا حرامًا فيقول له عمر بتهكم لاذع : بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين ، وإذا رأى الناس إبلك قالوا : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين فتسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين ، عبد الله ؟ قال : مرني يا أبت ، قال : الآن فبع الإبل وخذ رأس مالك ورد الربح إلى بيت مال المسلمين .

من الخيانة ألا أذكر عمر بن الخطاب وأنا أتكلم عن أمانة الولاية .

لو ظللت أتحدث عن صور الأمانة لاحتجت للقاءات بعد لقاءات دون مبالغة ، فنستطيع أن نقف مع كل جزئية من جزئيات هذا الدين بهذا التصور الذي طرحته على حضراتكم الآن ؛ لأني انطلقت من قول

الحسن : الأمانة هي الدين ، فالدين كله أمانة ومن أعظم هذه الأمانة الودائع فقد يأتمنك أخوك على أمانة ويلتمس فيك الأمانة والصدق ، فاحفظ هذه الأمانة وأدها إليه كاملة غير منقوصة في الوقت الذي يريد قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨] .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي بسند صحيح أن النبي ﷺ قال :

« أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » [(١)].

وهذا محورنا الثاني:

صور من الخيانة :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] قد نزلت هذه الآية ـ على وجه السرعة ـ في أبي لبابة بن عبد المنذر حينما بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة لما نقضوا العهد في غزوة الأحزاب فأشار عليهم حينما سألوه أشار بإشارة بيده على حلقه هكذا .

بل وقد صرحت رواية الإمام أحمد في المسند بسند حسنه العلامة أحمد شاكر بأن هذا الصحابي الجليل قال لليهود : إنه الذبح [(٢)] ـ أي ستذبحون ـ قال أبو لبابة : والله ما تحركت قدماي ، وإني علمت أنني قد خنت الله ورسوله فعاد إلى المسجد النبوي وربط نفسه في سارية المسجد ، وأقسم بالله ألا يفكه أحد إلا رسول الله وألا يتذوق طعامًا أو شرابًا حتى يتوب الله

---

(١) حسن الإسناد : رواه الترمذي في البيوع (١٢٦٤) ، وأبو داود في البيوع (٣٥٣٥).
(٢) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٦/ ١٤١، ١٤٢) .

عليه أو يموت ، وظل مربوطاً تسعة أيام حتى أشرف على الموت فأنزل الله توبته على النبي بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] .

فلم يخرجه الله في صدر الآية من قوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] .

لم يخرجه من بين المؤمنين وهذه رحمة رب العالمين ، فالله يعامل العباد بالحسنات والسيئات ، فسابقة العبد في الفضل والخير تجبره وتغفر له زلاته وذنبه ، كما قال النبي ﷺ في شأن حاطب بن أبي بلتعة حينما قَالَ عُمَرُ : دَعْنِي يَا رَسُولَ الله أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فقال النبي ﷺ :

« إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » (١) .

وفي لفظ : « قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةَ » .

لكن الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : وليست العبرة بخصوص السبب ولكن العبرة بعموم اللفظ فالآية عامة في كل من خان الله ورسوله، في كل زمان ومكان ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٢٧٤) ، وفي التفسير (٤٨٩٠) .

تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] .

لا تخونوا الله بترك فرائضه ، ولا تخونوا الرسول بترك سنته ، ولا تخونوا أماناتكم بتضييعها . والله ، لقد خانت الأمة ربها ورسولها فقد ضيعت الفرض وتركت السنة في الوقت الذي فيه الأمة تتغنى بحب النبي ﷺ وقد نُحِّت شريعته وتركت سنته قال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

[آل عمران:٣١]

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبَى ؟! قَالَ:

« مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى » [1] .

ولله در القائل :

من يدعي حب النبي ولم يفد ... من هديه فسفاهة وهراء

فالحب أول شرطه وفروضه ... إن كان صادقًا طاعة ووفاء

خانت الأمة ربها بتضييع فرائضه ، فقد يضيع رجل ينسب إلى الإسلام فريضة العصر وهو في استاد الكرة أو أمام التلفاز يشاهد المباراة ، وقد يضيع رجل ينتسب إلى الإسلام فريضة الحج مع القدرة والاستطاعة ،

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) .

وخانت الأمة الرسول بتضييع سنته وإهمال شريعته واتهامها بالجمود والرجعية والتخلف وعدم القدرة على مسايرة مدنية القرن الحادي والعشرين ، وخان كثير من الأفراد الأمانات التي ذكرت بعض صورها بتضييعها .

أما الخيانة الكبرى في هذه الأمة فقد بينها لنا النبي ﷺ في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : جاء أعرابي والنبي يحدث الناس فقال الأعرابي : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ فمضى النبي ﷺ في حديثه ولم يجب الأعرابي، ولما مضى النبي في حديثه سأل هو نفسه بأبي هو وأمي ونفسي قال :

« أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ آنِفًا ؟ »

فقال الأعرابي : ها أنا يا رسول الله ، فقال المصطفى ﷺ :

« إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ » .

فقال الأعرابي الفقيه : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ الله؟ فقال المصطفى ﷺ :

« إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ » (١)

وأنا أقسم بالله أن الأمر وسد إلى غير أهله :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

وفي مسند أحمد ومستدرك الحاكم بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩) .

الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » .

قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟

قَالَ : « الرَّجُلُ التَّافِهُ » .

وفي لفظ : « السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » [1] .

نعم لقد نطق الرويبضة وتكلم السفهاء لا في أمر العوام ، ورب الكعبة بل حتى في أمر القرآن والإسلام .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت الأول وأنا أنتظر الآخر : حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة اللهم سلم سلم ، فقال النبي ﷺ :

« يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ».

ينام الرجل وهو أمين فيصبح الصباح عليه وهو خائن ، ضيع الأمانة :

« يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ »

والوكت : هو السواد الشديد الذي يظهر على الجلد ، انظر فلا يبقى لها أي أثر إلا هذا الأثر الذي يرى وقد لا يرى إلا بالعين المجردة بصعوبة « فَيَظَلُّ أَثَرُهَا » أي أثر الأمانة « مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ » ودحرج النبي حصا على رجله « فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ

---

(١) صحيح بشواهده : رواه أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨) ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٣٦) ، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٤٦٦) وصححه ووافقه الذهبي .

يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ » .

انظر إلى كلام الصادق فالرسول يجسد واقعنا الآن :

« فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا » .

ولم يقل : إن بني فلان قوم أمناء بل يقول : « فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ » .

يقال للممثل الساقط الهابط : ظريف خفيف الدم خفيف الظل ، بل يقال للمنافق الوقح : خفيف الظل علامة رجل بارع في السياسة ، رجل علامة في القانون يفوق شيخ الأزهر في الدين ، يفوق الحسن البصري في الزهد والعلم ، وهو منافق ومن يطريه بالباطل هذا يعلم من نفسه يقيناً أنه يخاطب منافقاً خبيثاً . خيانة خيانة ، خيانة « فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ » .

قال حذيفة بن اليمان : وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا [1] .

هذا في عهد حذيفة فكيف لو كان يعيش حذيفة زماننا ؟!!

أما الخيانة على المستوى العالمي فقد فاح عفنها ونتنها في ظل قيادة الرجل الغربي الخائن لكل الأعراف والمواثيق والقوانين ، فأي دين وأي

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٧) ، وفي الفتن (٧٠٨٦) ، ومسلم في الإيمان (١٤٣/ ٢٣٠) .

ميثاق وأي عُرف يُقر ما يجري الآن على أرض فلسطين .

أيـن النظـام العـالمي أمـا لـه أثـر ؟ ألم تنعـــق بـــه الأبـــواق
أيـن الســلام العــالمي لقــد بــدا كــذبُ الســلام وزاغــت الأحــداق
يا مجلس الأمن .. يا مجلس الأمن عـــذراً ، يـــا مجلـــس الخـــوف
يـا مجلـس الخـوف الـذي في ظلـه كسر الأمـــان ، وضـــيع الميثـــاق
أو مـا يحركـك الـذي يجـري لنـا أو مـــا يثـــيرك جرحنـــا الـــدفاق
وحشـــية يقـــف الخيـــال أمامهـــا متضـــــائلاً وتمجهـــــا الأذواق

أنـا أقسـم بـرب الكعبـة أن البشـرية الآن تشـهد مـن صـنوف الخيانـة والوحشية والبربرية ما لم تشهده الوحوش في عالم الغابـات ، في ظـل قيـادة الرجل الغربي الخائن الذي تولى القيادة يوم أن خانت الأمة أماناتها ، إنهـا الخيانة يفوح عفنها ونتنها على المستوى العالمي ، ما أحوج البشرية كلها إلى أن تفيء إلى منهج الله ؛ ليرفعها مـن أسـفل سـافلين إلى أعلـى علـيين ، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

إن البشرية الآن يلفحها ويحرقها لفح الهاجرة القاتل ويرهقها المشي الطويل في الظلام بعيداً عن منهج الله ورسوله ، وآن لها أن تتخلى عن هذه الخيانة العفنة ، وأن تحقق الأمانة بالعودة إلى منهج ربها ، إلى منهج ربها ونبيها : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٣،١٢٤] .

حقوق يجب أن تعرف

حقّ التعريف بالإسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق التعريف بالإسلام

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق التعريف بالإسلام** » .

وحق التعريف بالإسلام حق كبير جليل قد فرطت فيه الأمة تفريطًا شنيعًا وسوف أحصر هذا الموضوع الجليل في العناصر الآتية :

أولاً : عالمية الإسلام .

ثانياً : أخلاق الإسلام .

ثالثاً : من يحمل هم الإسلام ؟

وأخيراً : المستقبل للإسلام .

والله أسأل أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ولعلكم تلاحظون أنني قد تعمدت اختيار هذا الموضوع ؛ نظرًا لهذه الأحداث المؤلمة التي تمر بها أمتنا في هذه الأيام وأنا الذي أكرر القول : إنه لا ينبغي للدعاة الصادقين أن يكونوا بموضوعاتهم وأطروحاتهم في جانب وأن تكون الأمة بجراحها ومشكلاتها وأزماتها في جانب آخر ، ومن ثم اخترت هذا الموضوع ألا وهو : «**حق التعريف بالإسلام**» .

أولاً : عالمية الإسلام :

أحبتي في الله ، الإسلام هو المنة الكبرى والنعمة العظمى التي لم يختارها الله تبارك وتعالى لإسعاد العرب فحسب ، بل اختار الله هذه النعمة ليسعد البشرية كلها في الدنيا والآخرة ، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي ارتضاه الله جل وعلا لأهل الأرض بل ولأهل السماء ، ما أنزل الله الإسلام للمسلمين وللعرب فقط ، بل لقد اختار الله الإسلام دينًا لأهل الأرض وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] .

لذا ما أرسل الله نبيًا ولا رسولا إلا بالإسلام ، وتدبروا معي هذه الأدلة السريعة بداية من نبي الله نوح كما حكى عنه ربنا عز وجل في سورة يونس : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢] .

وما بعث الله الخليل إبراهيم إلا بالإسلام قال تعالى :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢] .

وما بعث الله يعقوب إلا بالإسلام قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

[البقرة:١٣٣]

وما بعث الله نبيه يوسف إلا بالإسلام قال تعالى في آخر سورة يوسف :

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[يوسف:١٠١]

وما بعث الله سليمان إلا بالإسلام وهذا هو كتابه لملكة سبأ والتي قرأته على أتباعها في مملكتها قالت :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٢٩-٣١] .

وما دخلت في الإسلام إلا يوم أن شرح الله صدرها للحق قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[النمل:٤٤]

وما بعث الله نبيه موسى إلا بالإسلام ، قال الله حكاية عنه :

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٨٤] .

وما بعث الله نبيه عيسى إلا بالإسلام ، قال الله تعالى حكاية عنه :

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران:٥٢]

بل وإن دين الجن المؤمنين هو الإسلام ، قال الله عز وجل حكاية عنهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن:١٤ ، ١٥] .

وما بعث الله لبنة التمام ومسك الختام ﷺ إلا بالإسلام قال تعالى لنبيه :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] .

وأنزل عليه سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

فالإسلام دين أهل السماء ودين أهل الأرض ليس دين العرب فحسب وليس دين المسلمين فحسب ، بل هو دين البشرية كلها ، ووالله ما ذلت البشرية كلها ولفحها هذا الحريق القاتل وأرهقها طول المشي في التيه والظلام إلا يوم أن أعلنت الحرب على الإسلام ، إلا يوم أن انحرفت الأمة عن هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله للبشرية كلها ، عندما انحرفت عنه فذاقت طعم الخوف والرعب والقلق والحزن والهم والغم .

العالم كله الآن ـ إن العالم كله ـ محروم من نعمة الأمن والأمان حتى أمريكا وهي القوة العظمى في العالم كما يدندنون أذاقها الله عز وجل طعم الخوف ، لتشرب من نفس الكأس الذي أذاقت منه شعوب العالم مرارًا وتكرارًا ، تعيش الآن الخوف والرعب فضلاً عن غيرها من دول العالم حتى روسيا ، حتى اليهود فقد شاء الله تبارك ، وأنا أكرر هذا دومًا شاء الله أن يضمد بعض جراح المسلمين المستضعفين الذين لا يملكون شيئاً إلا أن الله يعلم أن قلوبهم تحترق وودوا لو أنهم بذلوا دماءهم نصرة لدين الله ؛ ليعلموا أهل الأرض أن محمدًا ما مات وما خلف بنات ، بل خلف رجالاً أطهارًا تحترق قلوبهم شوقاً للشهادة في سبيل الله جل وعلا ، فقاموا بالليل

يرفعون أكف الضراعة للذي لا يغفل ولا ينام ، شاء الله أن يضمد جراح هؤلاء فشاء الله أن يسقط بالأمس طائرة روسية أخرى على البحر الأسود أهلك الله فيها ستة وستين يهوديًا .

متى ستعرف الأمة عظمة ربها وجلاله فالكون لا يتحكم فيه رعاة البقر من الأمريكان ، الكون لا يدير دفته الملحدون والملعونون من الروس ، الكون لا يتحكم فيه النجس القذر في بريطانيا ، إنما يدير الكون كله ملك الملوك وجبار السموات والأرض ، والذي لا يحدث شيء في كونه إلا بأمره ولا تقع ورقة من شجرة في الأرض كلها إلا بعلمه .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

قال سبحانه : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر:١١]

جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ يومًا والحديث في صحيح مسلم فقال : يا محمد ، كنا نجد مكتوبًا عندنا في التوراة أن الله يجعل السموات على إصبع ـ رب السموات يجعل السموات على إصبع ـ والأرضين على إصبع ، والماء والثرى على إصبع والجبال والشجر على إصبع ، ثم باقي الخلائق على إصبع ثم يهزهن ويقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا منه لقول الحبر وتلا النبي ﷺ قول الله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] [الزمر:٦٧].

نعم فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم ، فالعالم كله محروم من نعمة الأمن والأمان على الرغم من كثرة الوسائل الحربية الهائلة ، فلقد صنع العالم القنبلة النووية والجرثومية والهيدروجينية وصنع الطائرات والدبابات والصواريخ التي تعمل وتنطلق عبر القارات بالكمبيوتر ، وعلى الرغم من التخطيط العلمي المذهل المبني على العلم النفسي ، وعلم الاجتماع لمحاربة الجريمة والإرهاب في كل مكان ، وعلى الرغم من منظمات العالم الضخمة الفخمة كهيئة الأمم ومجلس الأمن وحلف الناتو والاتحاد الأوربي إلى آخر هذه المنظمات ، ومع ذلك : الحكام والزعماء يجتمعون وينفضون والسياسيون والمحللون العسكريون والنفسيون والاقتصاديون يجتمعون ويحللون وينفضون .

وما زال العالم يشعر بطعم الفزع لقد خرجت طائرة مدنية أمريكية في الأسبوع الماضي في حراسة طائرتين عسكريتين ؛ لأن الطائرة المدنية بمجرد ما انطلقت في السماء صرخ راكب من الركاب ؛ لأنه ظن أن بالطائرة مختطفين فاتصل قائد الطائرة على القاعدة العسكرية ، فأرسلت القاعدة العسكرية طائرتين عسكريتين ، لتحرس الطائرة المدنية وصدق ربي إذ يقول :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤] .

إنه الضنك ، اجمع قواميس اللغة لتستخرج لي مرادفًا للفظة ، «الضنك»

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨١١) ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦) .

ضنك في الأعصاب ، ضنك في الصدور ، ضنك في المكان ، ضنك في الزمان كلمة قرآنية لا يقولها إلا من أنزل القرآن :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤] .

إنه عدل الله ، فإن الله سبحانه وتعالى من أسمائه : العدل والحق الذي حرم الظلم على نفسه وجعله محرمًا بين العباد مسلمهم وكافرهم :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] .

« إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا » (١) .

فالعالم محروم من نعمة الأمن ، بل والملايين ينتظرون الموت في كل لحظة ضاقت الأرض أمامهم ، الأضواء هنا وهناك والعالم محروم من نعمة الاستقرار والرخاء وراحة النفس وهدوء البال وانشراح الصدر ، كل هذه ثمرة مرة للبعد عن هذا الدين العظيم ، ووالله لن تسعد البشرية قط ـ أنا لا أتكلم عن الأمة لن تسعد البشرية قط ـ إلا إن فاءت من جديد لهذا المنهج الرباني إلى هذا المنهج الذي ارتضاه لكل البشرية دينًا ، ومن الجهل الفادح بل والظلم البيِّن أن يتهم هذا الدين هذا الإسلام بالتطرف والإرهاب والجمود والرجعية والوحشية والبربرية ، ويخرج علينا جاهل ليعلن أن الحضارة الغربية يجب أن تنتصر على الحضارة الإسلامية ، وقد تفوقت على هذه الحضارة ، لو عاد هذا الجاهل لأي كاتب من كتابه في إيطاليا ليفتح ماذا فعل المسلمون في القرون الوسطى يوم أن أنار المسلمون بلاد الأندلس ، رصف المسلون طرق بلاد الأندلس ، كان الوحل والطين مخيمًا على إيطاليا وفرنسا ولندن ما عرفت الحضارة الغربية أصول الحضارة

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٧/ ٥٥) .

إلا على أيدي المسلمين ، لكن أثبت في الوقت ذاته أن المسلمين تخلوا عن عزهم وحضارتهم في الوقت الذي تمسك الغربيون بأصول هذه الحضارة فقفزوا قفزات حضارية هائلة لا أضع رأسي في الرمال كالنعام لأنكرها ، بل أثبت لهم أنهم قفزوا في الجانب المادي ، وهو الجانب الأول من جانبي أي حضارة ، لا بد لأي حضارة من أن تقام من جانب مادي ، وجانب أخلاقي ، قفزت الحضارة الغربية في الجانب المادي قفزات هائلة لا ينكرها عاقل منصف بحال ، لكنها في الجانب الأخلاقي قد وصلت إلى قاع سافل في الحضيض حضارة متعفنة الروح ، حضارة متوحشة الضمير ، حضارة تصف الخداع السياسي والعهر الإعلامي بأنه سياسة حضارية ، تصف التصفية الجسدية بأنها تطهير عرقي ، أذاقت الإنسان في الأرض كلها من الويلات وفعلت في الإنسان ما تخجل الوحوش الضارية أن تفعله ببعضها البعض في عالم الغابات ، حضارة الذئاب ، حضارة الأفاعي ، حضارة الثعالب ، حضارة لا تعرف إلا البقاء للأقوى ، أما الضعيف فإنه يطحن طحنًا ويدك دكًا ؛ لأنها حضارة تتغنى بالديمقراطية والحرية والنظام العالمي الجديد والسلام العالمي الجديد ، كل هذا داخل حدود أراضي هذه الدول ، أما وإن خرجت هذه الدول خارج أرضها فإنها تسحق الأحرار .

قالوا لنا الغرب قلت صناعة ... وسياحة ومظاهر تغرينا

لكنه خاو من الإيمان ... لا يرعى ضعيفاً أو يسر حزينا

الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمي بسهم المغريات الدينا

الغرب مقبرة العدالة ... كلما رفعت يدا أبدي لها السكينا

الغربُ يكفر بالسلام ... وإنما بسلامة الموهوم يستهوينا

الغربُ يحمل خنجراً ورصاصة ... فعلام يحمل قومنا زيتونا

كفـــر وإســـلام فـــأنى يلتقـــي هـــذا بـــذاك أيهـــا اللاهونـــا
أنـا لا ألـوم الغـرب في تخطيطـه ولكـــن ألـــوم المســـلم المفتونـــا
وألـــوم فينـــا نخـــوةً لم تنـــتفض إلا لـــتضر بنـــا عـــلى أيـــدينا

الغرب هو رائد الإرهاب في الأرض ، لقد أسقطت رائـدة الإرهـاب في الأرض ـ أمريكا ـ قنبلة نووية في هيروشيما فقتلت ما يزيد عن ٢٧٠ ألـف بقنبلة واحدة وبعدها بثلاثة أيام في نجازاكي .

رائدة الحضارة الغربية هـي الـتي أبـادت شـعب الهنـود الحمـر السـكان الأصليين لأمريكا ، أمريكـا هـي الـتي قتلـت ٤ ملايـين في فيتنـام ، رائـدة الحضارة الغربية أمريكا هي التي قتلت ما يقرب من ربع مليون طفل عراقي لا يجدون الطعام والدواء ، رائدة الحضارة الغربية أمريكا هي التي قتلت في الفلبين ، وفي جنوب إفريقيا في الصومال مئات الآلاف من المـدنيين الـذين لا يملكون حيلة ولا وسيلة ، رائدة الحضارة الغربية أمريكا هـي الـتي تقـدم السـلاح للإرهـابي الـوقح المجـرم اليهـودي شـارون ليـذبح بـه المسـلمين والمسلمات والأطفال في فلسطين إلى هذه اللحظـة ، بـل يـدعي أن حمـاس وأن منظمة فتح وغيرها من المنظمات إرهابية يجب أن تستأصلها أمريكا مع استئصالها للإرهاب ـ أقصد الإسلام ـ لكن هيهات هيهـات أرض محتلـة ، يدك أصحاب الأرض بالطائرات والدبابات والصـواريخ ، فـإن قـام أحـد هؤلاء ليدافع عن نفسه فهو إرهـابي ، إرهـابي متطـرف وصـولي فضـولي فوضوي وحش بربري رجعي ، إلى آخـر هـذه الـتهم القـذرة المعلبـة الـتي يكيلها الإعلام اليهودي للمسـلمين كـيلاً في كـل لحظـة مـن ليـل ونهـار ، تذكرت الآن ورب الكعبة قصة هذا الرجل البريطـاني الـذي يقـص علـى زميله من الجنود يوم أن احتلت بريطانيا مصر فتقدم بريطاني ليذبح مصريًا

بسلاحه الأبيض ، فقام المصري ليدافع عن نفسه فعض يد البريطاني فذبحه ، ثم ذهب البريطاني المجرم ؛ لأخيه البريطاني المجرم تصور أن المصري عض يدي وأنا أذبحه ، تصور انظروا إلى هؤلاء المجرمين السفاحين يقلبون الحقائق بصورة فادحة تصيب الإنسان بالضغط ، بكل بساطة يعلن المجرم شارون بأن منظمة حماس ومنظمة فتح وبأن الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وعرضهم بل الذين يدافعون عن عرض الأمة من الإرهابيين ، ويجب على العالم كله أن يجتث هذه الجرثومات الإرهابية من على سطح الأرض فقتل امرئ في غابة جريمة تغتفر ، قتل امرئ غربي يحمل الدماء الزرقاء ، وقتل امرئ يهودي يحمل الدماء الزرقاء .

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

الغرب هو رائد الإرهاب في الأرض ، أما الإسلام تعالوا وتعرفوا على الإسلام ، ما زالت صفحات التاريخ مفتوحة لم تغلق اقرؤوا تاريخ الإسلام .

وهذا هو عنصرنا الثاني :

أخلاق الإسلام :

أنا لن أتكلم عن أخلاق الإسلام بين المسلمين لا عن أخلاقه العقدية ولا أخلاقه التعبدية ولا أخلاقه التشريعية ولا عن أخلاقه السلوكية بين أفراده المسلمين ، وإنما سأتكلم عن أخلاق الإسلام لغير المسلمين ، ها هو عمر وكيف أبدأ بعمر وأنسى أن أبدأ بأستاذ عمر ﷺ ، من الذي أعطى الأمن والأمان لليهود في المدينة ووقع معهم العهود والمواثيق ، وما خان النبي ﷺ عهدًا قط ، وما نقض النبي ﷺ ميثاقًا مع اليهود قط ، ولكن اليهود هم الذين نقضوا كل العهود :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة:١٣] .

فاليهود هم الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ ، نقض يهود بني قريظة ويهود بني النضير ويهود خيبر ، نقضوا كل عهد أبرموه مع النبي ﷺ ، لكن قبل أن ينقضوا العهد ذاقوا طعم الأمن والأمان في ظلال الإسلام ، لاسيما إذا عرفتم ما ذاقه اليهود على أيدي الرومان قبل الحكم الإسلامي ذاقوا طعم الأمن ، وهؤلاء هم النصارى يعطيهم فاروق الأمة عمر بن الخطاب الأواب أمنًا وأمانًا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم حينما جاء من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس نزولاً على رغبة المسؤولين عن بيت المقدس حتى لا تسفك الدماء في هذه الأرض المقدسة ، ويأتي عمر من المدينة إلى بيت المقدس ليقطع مسافة تصل إلى ألفي وخمسمائة كيلو متر ، عمر تصور هذه المسافة لم يركب طائرة ولم يركب سيارة مكيفة ولم يأت في موكب مهيب من الخيل والإبل والبغال والخدم والحشم ، إنما جاء في موكب مهيب وجليل يتكون من خادم ودابة واحدة ، يركب عمر الدابة بمقدار قراءة سورة يس كما ذكرت كل كتب التاريخ ، وهو القائد المنتصر الفاتح ، ما سفك دمًا ، ما سب أحدًا ، ما أغلظ القول ، بل كتب العهدة العمرية وأعطاهم أمناً لكنائسهم لأنفسهم وأموالهم ، وألا تهدم كنائسهم ، ومن أراد منهم أن يرحل من أرض إيليا فلابد أن يعطى الأمان حتى يبلغ مأمنه ، ومن أراد منهم أن يبقى في الأرض لا تؤخذ منه الجزية حتى يحصد حصاده هذا هو الإسلام ، ما ذاق اليهود والنصارى طعم الأمن إلا في ظلال الإسلام .

وفي صحيح مسلم قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه :

مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولَ الله ﷺ إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ﷺ ـ فانطلق حذيفة وأبوه إلى رسول الله ﷺ فأخبره حذيفة بما قاله المشركون وبما قال للمشركين ، تدبر ماذا قال النبي ﷺ الذي علم الدنيا حقيقة الوفاء ، ماذا قال النبي ﷺ في معركة والحرب خدعة ـ قال النبي لحذيفة وأبيه : « **انْصَرِفَا** »[1] أي لا تشهدا معنا المعركة ـ « **انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ** » .

وأرسل أبو عبيدة بن الجراح من الشام إلى أمير المؤمنين الفاروق الأواب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ليستشيره في أمر جلد ، لقد منح جندي من جنود الجيش الإسلامي عهدًا بالأمان لبلد كامل من بلاد العراق ، أمر خطير دون أن يرجع لقائده منح جندي الأمان لأهل بلد في العراق فأرسل أبو عبيدة لعمر رسالة ليستشيره ماذا يصنع ، تدبر ماذا قال عمر أرسل كتابه بسرعة إلى أبي عبيدة بعد حمد الله والثناء عليه : من عبد الله ـ والله ما نصروا إلا يوم أن كانوا عبادا لله ـ من عبد الله عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح وبعد : فإن الله تعالى قد عظم الوفاء ولا تكونون أوفياء متى توفوا لهم بعهدهم وتستعينوا الله عليهم .

انتبه معي لتقف على درسين من أعظم الدروس :

أما الأول : فلقد بين عمر بن الخطاب أن كرامة الفرد المسلم ككرامة قائده ،

---

(١) رواه مسلم في الجهاد (١٧٨٧/ ٩٨) .

فلا فرق بين جندي وقائد أعطى الجندي عهدًا بالأمان فليفي الجندي امتثالاً لعهده امتثالاً عمليًا من عمر يقول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري :

« الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُم » .

الدرس الثاني : لا تكونون أوفياء حتى تفوا ، فيحول عمر هذا الخلق الكريم إلى واقع عملي ، فحضارة الإسلام لم تحبس أخلاقها كما حبست هيئة الأمم ميثاق حقوق الإنسان في الأوراق والأدراج ، ولم تحبس الحضارة الإسلامية كلامها نظريًا باهتًا باردًا كما فعلت الثورة الفرنسية مبدأ الحقوق الإنسانية وأمن الناس جميعاً سواء استبعد القانون الفرنسي نفسه قرابة ما يزيد على نصف الشعب الفرنسي من التصويت في الانتخابات ؛ لأنهم يعتبرون المواطن الفقير مواطناً سلبياً لا يحق له أن يصوت في الانتخابات ، الحضارة الإسلامية لم تحبس نظرياتها باردة باهتة كما فعلت رائدة الحضارة الغربية أمريكا ، فأنت تصطدم بتمثال الحرية في قلب نيويورك في الوقت الذي تسحق فيه أمريكا الأحرار على وجه الأرض في كل مكان ، لا .. الإسلام لا يعرف النظريات ، لا يعرف المثل النظرية ، بل ينظر ويحول هذه المثل النظرية على أرض الواقع إلى حياة إلى منهج يتألق سمواً وروعة وعظمة وجلالاً ، وها هو من أصّل هذه الحضارة ـ إن صح التعبير ـ ها هو المصطفى ﷺ يقول :

« وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» [1] .

مثل حي على أرض الواقع ليست كلمات باردة تسطر في الكتب

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، (٣٤٧٥) وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٧٣٣) ، وفي الحدود (٦٧٨٨) ، ومسلم في الحدود (١٦٨٨) .

وليست كلمات حماسية يتغنى بها الحكام والزعماء ، وإنما هو واقع يتألق سموًا وجلالاً وروعة وعظمة وعملاً وبناءً هذا هو الإسلام ، صلاح الدين الأيوبي ـ طيب الله ثراه ـ يوم أن فتح القدس وقدم يومها مثالاً عمليًا للصليبيين الحاقدين من أعظم دروس التسامح يوم أن أرسل بطبيبه الخاص وبدواء من عنده لعلاج من ؟ عدوه اللدود ريتشارد قلب الأسد ، وهذا محمد الفاتح يعلم الدنيا كلها درساً آخر من دروس التسامح الإسلامي مع غير المسلمين يوم أن فتح ودخل القسطنطينية ، ودخل كنيسة آيا صوفيا هذا تاريخ مسطور ، وهذا موقف من أعظم المواقف يوم أن فتح المسلمون مدينة سمرقند في عهد عمر بن عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ولكن الجيش باغت المدينة ، ولم يعرض على أهلها الإسلام فإن أبت فالجزية ، فإن أبوا فالقتال ، هكذا علمهم سيد الرجال المصطفى ﷺ ، لكن باغتوا المدينة وفتحوها عنوة فأرسل أهل سمرقند أن فتح سمرقند باطل ، سبحانك ربي لماذا ؟ لأن المسلمين دخلوا المدينة عنوة دون أن يعلموا أهلها الإسلام بأن يقبلوا أو يدفعوا الجزية أو يدافعوا بالقتال ، هكذا علمهم سيد الرجال ﷺ ، ولكنهم ما فعلوا ذلك فأرسل أهل سمرقند رسالة لعمر بن عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وأخبروه أن فتحهم الإسلامي لمدينتهم فتح باطل وبينوا له ذلك ، فما كان من عمر بن عبد العزيز إلا أن أرسل أوامره إلى جيشه الفاتح في سمرقند بالانسحاب فورًا ، فخرجت الألوف المؤلفة بين يدي هذا الجيش المنتصر المنسحب شاهدة : أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، هذا هو الإسلام الذي أخبر أن زانية بغية من زواني بني إسرائيل دخلت الجنة في كلب ، وأن امرأة دخلت النارَ في هرة [1] .

الإسلام الذي يؤصل الرحمة يبين أن الزانية دخلت الجنة ؛ لأنها سقت

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧) ، ومسلم في السلام (٢٢٤٥) .

كلبًا ، فإذا كانت الرحمة في الإسلام بالكلاب ، بالكلاب تغفر الذنوب والخطايا للبغايا ، فكيف يصنع الإسلام بمن وحد رب البرايا ؟

الإسلام الذي يخبر أن امرأة دخلت النار في قطة حبست ، قطة لم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض فدخلت النار في هرة [١] هذا هو الإسلام ، فالإسلام لا يقر بالإرهاب على أي أرض ، بل نبي الإسلام ﷺ ـ والحديث رواه البخاري والنسائي في السنن وصححه شيخنا الألباني في المجلد الثاني من صحيح الجامع من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي ـ رضي الله عنه ـ أن الحبيب ﷺ قال :

« مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلُ وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا » [٢] .

هذا الإسلام هذا هو الإسلام دين الرحمة دين التسامح دين الوفاء دين الخلق، واليهود والمجرمون يعلمون هذه الحقائق علم اليقين : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦] .

كما تردد وسائل الإعلام ، وأنا أقول : متى استحيى اليهود وكفوا أيديهم عن فلسطين حتى أمريكا سترصد كل حركاتهم قبل الأحداث ؛ متى استحيى اليهود وهذه التصريحات التي تتردد الآن بأن أمريكا قد غيرت سياستها وبدأت تسير على الطريق الصحيح ؛ لأنها أعلنت أنها مع قيام دولة فلسطينية بشرط ألا يكون ذلك على حساب اليهود أو على حساب

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢) ، ومسلم في السلام (٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣) .
(٢) صحيح الإسناد : رواه أحمد (٥/ ٢٢٤) .

دولة إسرائيل ، أنا أقول بملء الفم وبأعلى الصوت وبلغة اليقين : بأنها تصريحات سياسية للاستهلاك المحلي لتجييش الدول العربية لمحاربتها للإسلام أقصد الإرهاب ، وقد عكستها هذه المرة لأبين السخافة التي تزوجها الآن وسائل الإعلام تصريحات للاستهلاك المحلي وإلا فإن القوم يتحركون عن عقيدة كما بينت ، لقد بينت بالدليل أن القوم يتحركون عن عقيدة وعن دين وعن فتاوى من حاخاماتهم حتى في ضربهم للمدنيين ، حتى في تسليمهم لغزة وأريحا فما فعلوا ذلك إلا عن عقيدة بالدليل من أقوالهم هم ، لا من أقوالنا نحن ، فالقوم تحركهم العقيدة ، وصدق ربي إذ يقول :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩]

وصدق ربي إذا يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:١١٨] .

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١] .

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾

[الممتحنة:١]

وهذا هو عنصرنا الثالث :

من يعرِّف الدنيا كلها ما هو الإسلام ؟

بكل أسف ، بكل مرارة وحسرة ، لا تملك الأمة كلها إلى هذه اللحظة قناة فضائية واحدة ، لتبين للعالم كله ولتتبنى قضية الإسلام ، إعلام الأمة إعلام سافل منحط ، إعلام لا يعرف الجد أبدًا حتى في ظل هذه الأحداث المروعة لا تجد إعلامًا يحترم نفسه ولا يخدم قضية ؛ ليقدم الصورة المشرقة للإسلام إلى كل أهل الأرض ، فالعالم كله لا يعرف شيئًا عن الإسلام ومن عرف منهم عن الإسلام عرف صورة مشوشة صورة التطرف والإرهاب ، لقد أمسك أمريكي شاب في العشرينيات من عمره بي في إحدى المؤتمرات التي حضرتها هنالك وبكى وقال : والله والله سأسألكم بين يدي الله يوم القيامة لماذا تركتم والدي يموت على الكفر؟ أين كنت وأين أنتم؟ إعلام الأمة مشغول بالكرة ومشغول بالممثلين والممثلات ، افتح أي قناة لترى العهر وأنا أعي كل لفظة أرددها بإذن الله لترى العهر ولترى الانحلال لا ترى إعلامًا يخدم دينًا ولا يخدم قضية . فمن يحمل هم الدين ؟ من يعرف العالم كله الآن بالإسلام ؟ من يقدم هذه الصورة المشرقة؟ لماذا لا تكون خطبة كهذه على فضائية من فضائيات الأمة؟ ليسمع العالم كله ليست بالضرورة أن تكون الخطبة ، لا لا أقصد هذا ـ ورب الكعبة ـ لكن لماذا لا يُعَرِّف علماؤنا العالم كله عبر وسائل الإعلام الضخمة حقيقة الإسلام وعظمة الإسلام والصورة المشرقة للإسلام .

قال الله جل وعلا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨] .

قال ابن القيم : ولا يكون الرجل من أتباع النبي حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه النبي ﷺ على بصيرة ، قال المصطفى كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود :

« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » (١) .

وقال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة :

« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » (٢) .

وفي لفظ : « لَا يَنْقُصُ مِنَ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (٣) .

وحمل هذا الدين ليس نافلة ولا تطوعًا ولا اختيارًا بل هو تكليف صارم جازم لا مفر من أدائه فالله من ورائه .

﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ [الجن:٢٢، ٢٣] .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٠/ ٨٠) .
(٢) رواه مسلم في العلم (١٦/٢٦٧٤) .
(٣) رواه مسلم في العلم (١٥/١٠١٧) .

فيجب على الأمة الآن أن تجيش كل طاقاتها وإمكانياتها وأموالها وقدراتها لخدمة هذا الدين ، فما أحوج العالم كله الآن ليتعرف على الصورة المشرقة للإسلام ، والكل سيسأل بين يدي الله جل وعلا بحسب قدرته ، واستطاعته ، عبر بكلمة ، عبر بمالك ، عبر عن انتمائك لهذا الدين بوقتك بجهدك بفكرك ، فبكل أسف في ظل الأحداث نشهد فراغًا عقليًا بكل أسف وفراغاً في الوقت قد أطلق العنان لكثير من المسلمين ، حتى كثير من شباب الصحوة للحديث في الكلام التافه وفي ترويج الشائعات التي لا تغني ولا تسمن من جوع ، وهذا إن دل فيدل على فراغ عقائدي وتعبدي وفكري قاتل ، فمتى تفيق الأمة وتستوعب الأحداث وتستوعب الدروس وترجع إلى كتاب ربها وإلى سنة نبيها ﷺ ؟

أسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك قريبًا وما هذا على الله بعزيز .

وأخيرًا : المستقبل للإسلام :

ما زلنا حتى هذه اللحظة على الرغم مما شاهدناه ، ورأيناه ، ما زال كثير من المسلمين حتى هذه اللحظة لا يؤمنون إلا بالماديات والحسيات ويشكون في عظمة وقدرة رب الأرض والسموات ، أنا أدين لربي بأن الأحداث الأخيرة هي بداية خير حاسم للأمة لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم بإذن الله ؛ لأنها ستكون بداية المفاضلة ، تكلمت كثيراً عن إقامة الفرقان الإسلامي عن الخروج من حالة الغبش التي تحياها الأمة الآن ، هذه الحالة التي لا تعرف فيها الأمة من توالي ومن تعادي ؟

من تنصر ومن تحارب؟حالة لا تنصر دينًا ولا تنصر أمة ، فلابد من المفاصلة ، لابد من إقامة الفرقان الإسلامي ، لابد من استبانة سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين، هذا الدين العظيم لو اجتمعت كل دول

الأرض ببوارجها وسفنها وبواخرها وأموالها وطائراتها ودباباتها وحدها وحديدها ، لو اجتمعت كل قوى الأرض لتحارب الإسلام ما استطاعت ؛ لأن الذي استطاع بحفظ الإسلام هو ملك الملوك وجبار السموات والأرض ، لا تستطيع قوة أن تطفئ نور النور :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف:٨ ، ٩] .

والله ما شعرت بلذة وحلاوة هذه الآية إلا في الأيام القليلة الماضية ألا وهي قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] ، هل تصدقون رب العالمين : ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] .

وتدبر قول الله جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣] ، وتدبر قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف:١١٠] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران:١١١] . والآيات كثيرة .

وتدبر قول الصادق كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان :

« إِنَّ الله زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » (١) .

وتدبر قول النبي ﷺ كما في مسند أحمد ومعجم الطبراني بسند صحيح من حديث تميم الداري :

« لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ» (٢) .

وتدبر معي هذا الحديث الذي ربما يسمعه الكثير منكم لأول مرة مع أنه في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل أصحابه يومًا وقال : « تَعْرِفُونَ مَدِينَةً جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِ؟ » ، قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ـ وهذه المدينة هي القسطنطينية ـ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ ، فَإِذَا جَاؤُوهَا لَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ وَإِنَّمَا يَقُولُونَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى : لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الَّذِي فِي الْبَرِّ ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا » (٣) .

---

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩/ ١٩) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٤/ ١٠٣) ، والطبراني في الكبير (١٢٨٠) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤) : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢٠) .

قال الحافظ ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث الجليل: وبنو إسحاق في هذه النبوءة النبوية هي سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهؤلاء هم الروم ، والروم بلغة العصر هم : الأوربيون ، قال الحافظ ابن كثير : سيسلم كثير من الروم أي من الأوربيين في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، وسيكون فتح روما أي القسطنطينية على أيديهم بإذن الله تعالى ، أمر عجب تدبر معي وأنا لا أصدق بكلام الواقع الذي سأذكره الآن بكلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، كلا كلا فالمؤمن لا يحتاج بشراً ليصدق به كلام رب البشر وكلام سيد البشر إنما خذوا هذه الحقائق المذهلة .

قال الحافظ ابن كثير : سيسلم كثير من الروم أي : من الأوربيين في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، وسيكون فتح روما أي القسطنطينية على أيديهم لهذه النبوءة النبوية الصادقة ، هل تعلمون أن كل كتب القرآن الكريم المترجمة باللغة الفرنسية قد نفدت في فرنسا الأسبوع الماضي ؟ هل تعلمون أن كل كتب القرآن الكريم المترجمة باللغة الإنجليزية قد نفدت في أمريكا الأيام الماضية ؟

وأنا أقسِّم الغرب إلى فريقين : فريق بدأ يتطلع ويقبل على قراءة الإسلام وقراءة القرآن المترجم بينهم ، هؤلاء يعشقون القوة ، فقد استطاع الإعلام الذي يديره اليهود من أن يقنعوا سكان العالم بأن الذي قام بالتفجيرات هم المسلمون وإلى الآن لم تقدم أمريكا أي دليل ، وخرج هذا المجرم البريطاني رئيس وزراء بريطانيا ليعلن أنها أسرار مخابراتية لا ينبغي أن تعلن ، وهم يتصورون أنهم يتعاملون مع أناس لا يفهمون شيئًا على الإطلاق ، فريق منهم أقبل على قراءة الإسلام والتعرف عليه ، لأنه يعشق القوة عشقا ، الذين فعلوا فعلة لا تقدر عليها دول بأسرها هذا فريق ، والفريق الآخر أقبل على الإسلام ليتعرف عليه ولأول مرة يسمع على

ألسنة أكابر العالم أن الإسلام دين السماحة ، حتى لو رددت ألسنتهم بأن الدين الإسلامي دين السماحة ولا يقر الإرهاب ، ولا يقرون هذا ولا ذاك فبدأ سكان العالم يتطلعون لمعرفة الإسلام .

خذوا هذا الخبر من أمريكا وأنقل خبرًا من بريطانيا وخبرًا من فرنسا: تقول مجلة التايم الأمريكية وتدبروا كلمات الخبر : وستشرق شمس الإسلام من جديد ـ هذا ليس من عندي بل من مجلة التايم وهي مجلة مشهورة جدًا تقول : وستشرق شمس الإسلام من جديد ولكنها في هذه المرة ستعكس كل حقائق الجغرافيا ، فهي لا تشرق إلا من المشرق في العادة وستشرق هذه المرة من الغرب من قلب أوربا ، تلك القارة العجوز التي بدت المآذن فيها تناطح أبراج الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما ، وصوت الأذان في كل يوم في هذه البلاد خمس مرات يشهد أن الإسلام يكسب كل يوم أرضًا جديدة وأتباعًا وجدوا فيه الطريق .

جريدة الصنداي تلجراف البريطانية تقول : إن انتشار الإسلام في نهاية القرن المنصرم وأوائل القرن الحالي ليس له سبب مباشر إلا أن سكان العالم من غير المسلمين بدؤوا يتطلعون إلى الإسلام وبدؤوا يقرؤون عن الإسلام ، فعرفوا من خلال الاطلاع أن الإسلام هو الدين الوحيد الأسمى الذي يمكن أن يتبع وهو الدين الوحيد القادر على حل كل مشاكل البشرية .

وتعمدت أن أختم بهذا الخبر من مجلة لودينا الفرنسية ؛ لأنه خبر استراتيجي عن خبراء استراتيجية عسكرية ، دراسة قام بها متخصصون تقول الدراسة : تدبر معي مستقبل العالم سيكون دينيًا وهذا واقع معلوم للجميع الآن.

أيها الإخوة ، لن تقوم حرب على وجه الأرض إلا بدافع من الدين ،

الحرب في الشيشان دينية ، الحرب في كوسوفا دينية ، والحرب في كشمير دينية ، والحرب في البوسنة دينية ، والحرب في فلسطين دينية ، الحروب المعلنة الآن على الإرهاب دينية حرب صليبية ، وسيسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي ؛ لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة ، إنه دين الله منذ متى والدين يحارب منذ أول لحظة وهلك المحاربون وبقي الإسلام وسيبقى الإسلام شامخاً ؛ لأن الذي يحفظه هو الله جل جلاله ، فلا تستطيع قوة على الأرض أن تعلن الحرب على الله جل وعلا .

املؤوا قلوبكم ثقة بالله ورضا عن الله ، أنتم تستطيعون أن تتصوروا أن كل هذه الميكنة العسكرية التي ترعب بها أمريكا لكل من لا يحمل شيئًا من يقين وثقة بالله ، تصور معي بيقين أن الله جل جلاله قادر بجندي من جنوده ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] أن يوقف هذه الميكنة العسكرية والحربية في مكانها فلا تتحرك خطوة أليس بقادر على ذلك ؟

ورب الكعبة كل هذه الأجهزة تعمل بالكمبيوتر كلها ، المعارك الحديثة الآن تدار بالكمبيوتر طائرات التجسس بالكمبيوتر لا يوجد فيها طيار ، الصواريخ لا يقودها طيار ، الرشاش الذي يمسك به الجندي اليهودي يعمل بأشعة الليزر لا يوجه إنما هو يحمل السلاح فقط والسلاح يضرب عبر أشعة الليزر ، كل هذه الميكنة تعمل بالكمبيوتر ، فيروس واحد في الكمبيوتر المركزي لهذه الأسلحة في الوقت الذي يشاءه الله ويريده الله ، يعطل كل هذه الميكنة التي تملأ القلوب فزعًا ورعبًا ؛ لأن القلوب لم تعد تعرف لله عظمة ولا قدرة .

أنا لست درويشًا بل أعي ما أقول ، ولقد رأت أعينكم ماذا حدث

لأضخم برجين على وجه الأرض ، ماذا حدث لوزارة الدفاع البنتاجون التي يقال بأن سماءها مبرمجة بالكمبيوتر فوق البنتاجون لا تستطيع ذبابة أن تتحرك فوق البنتاجون إلا وهي مرصودة بأجهزة الرصد العسكرية الأمريكية ، شاء الله جل وعلا أن يكسر أنف أمريكا من حيث تعتز من السماء تقول : بأننا نتحكم في السماء فإذا خرجت ذبابة فهي مرصودة عندنا ، إذا صادف ومرت طائرة في هذه المنطقة فوق وزارة الدفاع يخرج إليها بطريقة كمبيوترية صاروخ أين كانت الصواريخ ، وأين كان طائرات الإواكس ؟ طمس الله على بصرها ، لم تر الإواكس شيئًا ، أنا لا أقول ذلك إلا من منطلق أن يتجدد اليقين في القلوب برب العالمين ، أريد لهذه الأمة المسكينة أن تضع الخطة السنوية والخمسية لكن لا ينبغي أن تنسى ، ابدأ أي خطة من تلك الخطة قوة وعظمة وإرادة رب البرية ، فالله جل وعلا هو القادر وحده على أن يقول للشيء : كن فيكون .

والله لقد سألني إخواني في أمريكا وأنا أتحدث في ليلة من ليالي رمضان عن علامات الساعة الكبرى ، وأنا أتحدث أن الحروب الكبرى قبل قيام الساعة أن الحروب ستكون بالسيوف والرماح والخيول ، فقام إلي رجل أمريكي مسلم يفكر بهذه العقلية في أمريكا بعقلية الماديات والمحسوسات قال : كيف ذلك ؟ كيف بالخيول ؟ .. والميكنة والسلاح ؛ قلت : والله لا أعلم لكنني أصدق قول النبي ﷺ ، والله ورب الكعبة بت هذه الليلة وأنا مهموم ؛ لأنني شعرت بأن هذا الرجل يريد جوابًا ليقنع عقله ، وفي الصباح في فجر هذا اليوم كنا في شتاء قارس وبرد شديد جاء أحد الإخوة بسيارته المرسيدس أحدث موديل ليأخذني من الفندق لأصلي الفجر ولألقي المحاضرة بعد الصلاة ، وركبنا السيارة سيارة مرسيدس أحدث موديل، الطرق تعرفونها ، السيارة مليئة بالبنزين ، قائد السيارة يجلس قادر على

القيادة ، كل الأسباب متوافرة أو متوفرة ومتيسرة ، وفجأة سقط ضباب حجب الرؤية تمامًا فلا يراني وأنا أجلس إلى جواره ولا أراه وأنا أجلس إلى جواره لا نرى ما بداخل السيارة ، لا ما بخارج السيارة ، فما كان من هذا الرجل إلا أن توقف خارج الطريق ، وظللنا لم نستطع أن نخطو خطوة واحدة فقلت له : وجدتها وجدتها قال : ماذا وجدت ؟ قلت : هذه السيارة وهذا الطريق وأنت تقود لم ينعدم البنزين لم ينعدم سبب من الأسباب المادية التي نملكها لتقود السيارة ، لكن الله جل جلاله أرسل جندياً من جنوده ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] ، فعطل بهذا الجندي هذه الميكنة في مكانها على الرغم من أنها تملك كل أسباب العمل ، الله قادر على كل شيء ، ولو عرفت الأمة ربها لأراها العجب العجاب ، فإننا لا نخاف على الإسلام ، بل نخاف على المسلمين إن هم تخلوا عن الإسلام ، فما علينا إلا أن نرتقي إلى هذا الدين .

حقوق يجب أن تعرف

حق العباد على الله



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق العباد على الله

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رفراق وضاء إنه: « **حق العباد على الله** » .

لنتعرف على حق الله جل وعلا ، وقد بين لنا حبيبنا ﷺ حق الله بجلاء كما في حديثه الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَار.

أي : كان معاذ بن جبل يركب خلف النبي على ظهر حمار واحد .

فقال النبي ﷺ لمعاذ : «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله ؟**» قَالَ : قُلْتُ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

فقال المصطفى ﷺ : « **فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا الله وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ : « **لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» [1] .

وفي رواية : فأخبر به معاذ بن جبل عند موته تأثمًا [2] أي : خوفًا من

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، ومسلم في الإيمان (٣٠) .
(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٨) ، ومسلم في الإيمان (٣٢/ ٥٣) .

وقوعه في الإثم ؛ لكتمانه العلم عن النبي ﷺ .

إذًا فحق الله جل وعلا على عباده وعلى خلقه هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وسوف أركز في هذا الموضوع الجليل على العناصر المحددة التالية:

أولاً : ما معنى العبادة ؟

ثانياً : من نعبد ؟

ثالثاً : لماذا نعبد الله ؟

رابعاً : بماذا نعبد الله ؟

وأخيراً : لا إفراط ولا تفريط .

أولاً : ما معنى العبادة ؟

العبادة أصل معناها في اللغة : الذل ، يقال : طريق مُعَبَّد أي : طريق مذلل قد وطأته الأقدام ، لكن العبادة التي أمرنا بها تحمل معنى الخضوع والذل ومعنى الحب، فالعبادة لله هي كمال الذل مع كمال الحب لله جل وعلا ، وقد عرف العبادة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ طيب الله ثراه ـ فقال : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الجيران ، والإحسان إلى اليتم ، والإحسان إلى الأرملة والمسكين ، كل ذلك من العبادة ، وحب الله ورسوله ، والحب في الله ، والتوكل على الله ، والاستعانة والرجاء والتفويض والإنابة والخشية والمحبة والخوف ، كل ذلك من العبادة ، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالعبادة تشمل الحياة بأسرها ، فحياة المؤمن كلها عبادة إن صحت النية وكان العمل موافقًا لهدي سيد البرية .

كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ من الفقراء جاؤوا يومًا إلى المصطفى ﷺ قالوا : يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ـ فهؤلاء هم الذين سبقونا بالأجر ـ فقال المصطفى ﷺ :

« أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ الله لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟»

ماذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ؟ قال : « إِنَّهُ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! فقال : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَام أَلَيْسَ كَانَ يَكُونُ عَلَيْهِ وِزْرٌ ـ أَوْ الْوِزْرُ؟ » قَالُوا : بَلَى. قال : « فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ يَكُونُ لَهُ الْأَجْرُ » [(١)] .

فحياة المؤمن حتى لقاؤه مع امرأته عبادة إن صحت النية وكان العمل موافقًا لهدي سيد البشرية ﷺ ، وهذا هو مقتضى الإيمان أيها الأخيار الكرام .

فمقتضى الإيمان أن تكون حياة العبد كلها لله تبارك وتعالى مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢ ، ١٦٣] .

فمقتضى الإيمان أن يسلم العبد حياته كلها لله جل وعلا ؛ ليقودها

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦/ ٥٣) .

الصادق المصدوق بوحي الله المعصوم . مقتضى الإيمان أن يقول الرب : أمرت ونهيت . وأن يقول العبد : سمعت وأطعت . مقتضى الإيمان أن يذعن العبد لله جل وعلا ، وأن يمتثل أمره ، وأن يجتنب نهيه وأن يقف عند حدوده تبارك وتعالى ، وهو في غاية الحب لله ، وفي غاية الرضا عن الله .

قال عز وجل في علاه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾

[النساء:٦٥]

هذا هو مقتضى الإيمان ، أن يسلم العبد حياته كلها لله ؛ ليقودها إلى الإيمان والأمان إلى الصادق المصطفى رسول الله بوحي الله المعصوم ، ومن خلال هذا العرض السريع جدًا ـ لأعرج على عناصر الموضوع كلها بإذنه تعالى ـ يتبين لنا أيها الفضلاء الكرام أن كثيرًا من الناس قد انحرف عن حقيقة العبادة وصرف صورًا كثيرة من صور العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، فمن الناس من صرف العبادة لغير الله بتحكيم غير شرع الله تبارك وتعالى ، والإذعان والانقياد لأحكام مهازيل البشر ممن تتحكم فيهم الأهواء والنزوات والشهوات والرغبات ، والله جل وعلا يقول :

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة:٥٠]

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ

ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠] .

فمن الناس من انقاد بشرع مهازيل البشر ولم يذعن ولم يذل ولم يخضع لشرع خالق البشر جل وعلا ، وظن هؤلاء المساكين أنهم يوم أن نحوا شريعة رب العالمين وشريعة سيد المرسلين وحكموا شريعة مهازيل الخلق ، وظنوا أنهم قد ركبوا قوارب النجاة ، ظنوا أنهم قد ركبوا قوارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة فغرقوا وأغرقوا وهلكوا وأهلكوا ، شأنهم في ذلك ورب الكعبة كشأن من يتأذى من رائحة المسك الفوَّاح ، ويسعد ويعيش على رائحة القذر والنتن في المرحاض والمستراح ، استبدلوا بالعبير بعرًا وبالثريا ثرى ، وبالرحيق المختوم حريقًا محرقًا مدمرًا ، فذلت الأمة وهانت يوم أن صرفت العبادة لغير الله في إذعانها لشرع مهازيل البشر من خلق الله ، ولتنحيتها شرع الله ولشرع الحبيب رسول الله في الوقت الذي نرى فيه الأمة في هذه الأيام على أعلى مستوى تحتفل بذكرى المصطفى ، وهي التي نحت شريعته واستهزأت بسنته وصبت جام غضبها على من وحدوا الله واتبعوا الحبيب رسول الله ﷺ ، وإنها أمة لا تحسن إلا الدجل ، إلا من رحم ربك من أفراد أمة تحتفل بالنبي وهي التي نحت شرع النبي واستهزأت بسنة النبي وصبت جام غضبها على المتبعين لهدي النبي ﷺ ، فأي احتفاء هذا أي احتفال؟ إنه الكذب ، ونسأل الله أن يرد الأمة إلى الحق ردًّا جميلاً وإلى هدي المصطفى إنه ولي ذلك ومولاه .

ومن الناس ـ وهذا هو الصنف الثاني ـ من صرف العبادة لغير الله في كثير من صورها ، فذبح لغير الله ، ونذر لغير الله ، وحلف بغير الله ، واستعان بغير الله ، واستغاث بغير الله ، ولجأ إلى غير الله ، وفوض الأمور إلى غير الله ، وإن الملايين المملينة مما ينتسبون الآن إلى الأمة ممن يذهبون إلى الأضرحة والقبور لمن أعظم الأدلة على ما أقول ، فإنهم يرددون قولتهم

الخبيثة : إذا تعسرت الأمور ، فعليكم بأصحاب القبور . تعالى من بيده البعث والنشور ، وهو الذي يقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾

[النمل:٦٢]

هل يجيب المضطر إذا دعاه نبي أو ولي؟ لا والله ، لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الرب العلي الذي لا يغفل ولا ينام ، وهو الحي الذي لا يموت .

فيا أيها المسلم ، لا تسأل نبيًا ولا تسأل وليًا ، وسل الحي الذي لا يموت فهو بيده الأمر كله صاحب الضر والنفع : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[الأنعام:١٧]

فمن الناس من صرف العبادة لغير الله ، وقال : إن للكون أقطابًا وأوتادًا وأبدالاً وأولياء ، وتدبر نظام الكون وتسيير شؤونه ، والله جل وعلا يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

ويخاطب ربنا أحب الخلق إليه وأشرف الخلق وأفضل الخلق لديه ، يخاطب سيدنا المصطفى ، يقول له ربه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨] . الله . انظروا إلى جمال التوحيد : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل ويخاطبه ربه ويخاطب الأنبياء من قبله ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥، ٦٦] . أمر رب العالمين لسيد المرسلين ﷺ .

ومن الناس ـ وهذا صنف ثالث ـ عبد الله جل وعلا وحده لا شريك له .

ولكنه عَبَدَ الله بغير هدي المصطفى رسول الله ، عَبَدَ الله بالبدع ، عَبَدَ الله بالضلالات ، عَبَدَ الله بالعادات التي توارثتها الأجيال عن الآباء والأجداد ، وهذه العبادة أيضًا مردودة على رأس صاحبها ، ولو ابتغى صاحبها وجه الله جل وعلا ؛ لأنه لابد أن تكون العبادة خالصة لله ، وأن تكون العبادة موافقة لسنة الحبيب رسول الله ﷺ ، قال جل في علاه :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠] .

وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه ﷺ قال :

« مَنْ أَحْدَثَ ـ أي : من ابتدع أي: عبد الله في دين الله ببدعة ـ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[1] .

أي مردود على رأسه ، لا قبول له من الله جل وعلا ؛ لأن الله لا يقبل العبادة إلا إن كانت خالصة على هدي حبيبه المصطفى .

ومن الناس ـ وهذا هو الصنف الرابع ـ من فهم العبادة فهمًا مبتورًا ناقصًا جزئيًا ، فالعبادة عنده لا تتجاوز ولا تتعدى الشعائر كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، فهو يصلي في المسجد ، ويحج بيت الله الحرام ، ويؤدي الزكاة ، ويصوم رمضان لكن إن تجاوز هذا المسلم المسجد ترى شخصية أخرى ، وترى إنسانًا آخر فامرأته متبرجة وبناته متبرجات يتعامل بالربا ، يأكل أموال الناس بالباطل ، يتحايل على خلق الله ، يأكل الرشاوي ، يعاقر الزنا ، لا يؤدي حق جيرانه ، لا يؤدي حق والديه ، ترى شخصية مختلفة تمامًا عن الشخصية التي تراها في المسجد . لماذا ؟ لأنه فهم من العبادة فهمًا مبتورًا ناقصًا ، فالعبادة كما أقول تشمل الحياة كلها ، فبر

---

(١) رواه البخاري في الصلح (٣٦٩٧) ، ومسلم في الأقضية (١٧/١٧١٨) .

الوالدين عبادة ، والإحسان إلى اليتيم عبادة ، والإحسان إلى الجار عبادة ، والصدق في الكلام عبادة ، والوفاء بالوعد عبادة ، والوفاء بالعهد عبادة ، وأداء الأمانات عبادة ، والإخلاص في القول والعمل عبادة ، والابتسامة في وجه المسلم عبادة ، المصافحة للمسلم عبادة ، والسلام على المسلم عبادة ، وغض البصر عن المرأة المسلمة الأجنبية عنك عبادة ، فالعبادة تشمل الحياة كلها ، لكنه فهم العبادة فهمًا مبتورًا جزئيًا ناقصاً ، فهي لا تتعدى المسجد ، لا تتعدى الشعائر كالصلاة والصيام والزكاة والحج :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٨٥] .

العبادة يا إخوة ليست أمراً على هامش الحياة ، بل هي الأصل الأول من أجله خلق الله الحياة ، بل هي الأصل الذي من أجله خلق الله السموات والأرض والجنة والنار ، ومن أجل العبادة أنزل الله الكتب وأرسل جميع الأنبياء والرسل ، تدبر معي قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

إلا ليوحدون ، فإن الله ما خلق الخلق سدى ، بل خلق الخلق ؛ ليعبدوه وبالألوهية يفردوه ويوحدوه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

ثانياً : من نعبد ؟

فالله جل وعلا وحده الذي يستحق أن نعبده هذا هو عنصرنا الثاني من

عناصر هذا الموضوع بإيجاز شديد جدًا ، السؤال الآن من نعبد ؟ قد يبدو السؤال غريبًا وعجيبًا لأول وهلة ، ولكن ستزول غرابتك ودهشتك أيها الأخ الكريم الحبيب الفاضل ، إذا علمت أن العالم كله يؤيد كمًّا هائلاً من العقائد الباطلة والتصورات الفاسدة ، وأن الملايين المملينة الآن من البشر على ظهر الأرض تعبد آلهة كثيرة غير الله ، آلهة وأرباب وأنداد وطواغيت تعبد الآن في الأرض من دون الله ، ألم تعلم من يوم أن خلق الله الأرض منذ آمن نوح أن الشرك متأصل ومتجذر في الأرض ؟! فمن الناس من عبد الشمس من دون الله ، وهي من خلقه والقرآن الكريم يحدثنا عن الهدهد ، هدهد سليمان الذي خرج يوماً في جولة استطلاعية دعوية ، فرأى قوماً قد مَنَّ الله عليهم بالملك والسلطان ، ورأى ملكة هؤلاء تتربع على كرسي عرشها ، ومع ذلك مع هذا النعيم والنعم التي أسبغها الله عليهم ظاهرة وباطنة ، فإنهم يسجدون للشمس من دون الله .

عاد الهدهد في غضب شديد ينقل هذه الحادثة المؤلمة والواقعة المفجعة لنبي الله سليمان وهو يقول :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل:٢٢، ٢٣] .

ويعلن الهدهد عن غضبه ، ويقول: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:٢٤] ، ويعلن الهدهد توحيده لله ويعلن براءته من هذا الشرك الغليظ ، فيقول الهدهد : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل:٢٥ ، ٢٦] .

قومًا يعبدون الشمس التي خلقها الملك ، ومن الناس من عبد القمر والنجوم والكواكب ، كقوم خليل الله إبراهيم ، ومن الناس من عبد الجن ، ومن الناس من عبد الملائكة ، ومن الناس من عبد الحجارة والتماثيل والأصنام .

ويقول أبو رجاء العطاردي كما في الحلية لأبي نعيم بسند صحيح قال : كنا نعبد الحجر في الجاهلية من دون الله فإذا مررنا على حجر هو أحسن من الأول ، ألقينا الأول وعبدنا الثاني من دون الله ، فإذا لم نجد حجرًا ، جمعنا كومة من تراب ، ثم أتينا بالغنم فحلبنا اللبن عليها وطفنا بها نعبدها من دون الله جل وعلا .

انظروا إلى العقول ، عبدت الأصنام ، عبدت التراب من دون الله جل وعلا آلهة كثيرة ، ومن الناس من عبد الناس ، من عبد البشر ، فلقد عبد اليهود عزيرًا ، ولقد عبد النصارى عيسى ابن مريم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ والآن تعبد الطواغيت في الأرض في كل مكان ، إلا من رحم ربك جل وعلا ، تعبد القوميات وتعبد الأيدولوجيات وتعبد النظريات وتعبد الأفكار من دون العزيز الغفار .

يقول قائل :

هبوني عبدًا يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين جرهم

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم

طواغيت تعبد في الأرض من دون الله جل وعلا ، واليوم في عصر الذرة في عصر الحضارة في عصر العلم ، تعبد البقرة من دون الله ، البقرة تعبد فإن في الهند اليوم حتى هذه اللحظة التي أتكلم فيها ما يقرب من

نصف مليون بقرة تعبد من دون الله جل وعلا . يقول زعيم الهند الكبير غاندي الذي يكرم على أعلى مستوى يقول : إنه سيظل على عبادة البقر أمام العالم أجمع ثم قال : إن أمه البقرة أحب إليه من أمه التي ولدته ؛ لأن أمه البقرة لا تطالبه بحقوقها مثل أمه التي ولدته فإنها تطالبه في الرعاية .

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

[التوبة:١١٣]

إن خطر الشرك عظيم ، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر أي ذنب إلا الشرك.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] .

وفي الصحيحين [١] من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لما نزل قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] .فشق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : يَا رَسُولَ الله ، أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟ فقال المصطفى ﷺ : « **لَيْسَ هَذَا الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، أَلَمْ تَقْرَؤُوا قَوْلَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ** : ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ » [لقمان:١٣] .

فخطر الشرك عظيم .

فحين أقول : من نعبد ؟ فيجب علينا أن نجيب بوضوح كامل على هذا ، والجواب متروك لك أيها المسلم ومتروك لك أيتها المسلمة من تعبد ؟ تعبد

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٩) ، ومسلم في الإيمان(١٢٤/١٩٧).

من ؟ هل تعبد الله جل وعلا ؟ هل تصرف العبادة لله وحده بلا منازع أو شريك ؟ هل تصوم لله وحده؟ هل تنذر لله وحده ؟ هل تذبح لله وحده ؟ هل تطوف لله ببيت الله في مكة وحده أم تطوف بكل بيت وبكل قبر وتسأل غير الله وتستغيث بغير الله وتذبح لغير الله وتستعين بغير الله وتلجأ لغير الله وتفوض الأمر لغير الله؟

اصدق الجواب ، واعلم أن الله يعلم السر وأخفى . من تعبد ؟ هل تعبد الله وحده لا شريك له ؟ ووالله لو تخلى الخلق جميعًا على ظهر الأرض عن عبادته واستكبروا عن عبادته سبحانه وتعالى ، فإن الله غني عن الخلق لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، بل إن الكون كله يعبده ويوحده ، إن الكون كله يعبد الله ، والله غني عن عبادتنا وغني عن طاعتنا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر:١٥-١٧] ، الكون كله يعبد خالقه ويوحد خالقه ويسبح خالقه بتسبيح يجهله الخلق .

فوالله لو كشف الله تسبيح الكون للإنسان لطاشت عقولنا ، ماذا لو سمعت الجدار الذي تجلس إليه يسبح والنملة تسبح ، ولو سمعت الهدهد يسبح والدواب والهوام والحشرات والأشجار والأنهار والبحار .

لو سمعت الكون كله من حولك يسبح لله ؟ والله لطاشت عقولنا ؛ لذا تدبر قول الله جل وعلا : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤] . لماذا قال : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ؟

ولم يقل : إنه كان عزيزًا حكيمًا ، إنه كان حليمًا بكم إذ لم يكشف لكم تسبيح الكون من حولكم ، غفوراً لكم على غفلتكم وعنادكم مع أنه

كرمكم على الكون كله ، فالكون كله يسبح ، وأنت أيها الإنسان غافل عن ربك جل وعلا إنه كان حليماً غفوراً ، وتدبر معي قول الله سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

[الحج:١٨]

والسؤال إذا كان الله غنيًا عن خلقه وغنيًا عن عبادتهم لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، فهو القائل سبحانه في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر :

« يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا » [(١)].

الله غني عن خلقه ، وغني عن عبادتهم ، إذا كان الأمر كذلك فلماذا أمرنا الله أن نعبده ؟

ثالثاً : لماذا نعبد الله جل وعلا ؟

فلماذا أمرنا الله أن نعبده ، وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر الموضوع ، لماذا نعبد الله جل وعلا ؟

والجواب : لأن العبادة حق الله على خلقه ، فليس بمستنكر أن يكون لله

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٧/ ٥٥) .

حق على الخلق ، وإنما المستنكر والمستغرب أن يجحد الخلق حق الخالق ، فنحن نعبد الله ؛ لأنه يستحق أن يعبد ؛ لأنه حق لله علينا ؛ لأن العبادة حق لله علينا ،

« تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوا الله وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .

والجفاء والجحود أن يأسر الإنسان إحسان من أحسن إليه من البشر ، إن أحسن إليك أحد الناس يأسرك إحسانه وتحبه ، فأقول : من الجحود والجفاء أن يأسر إنساناً إحسان من أحسن إليه من البشر ، وأن ينسى الإنسان إحسان وإنعام خالق البشر .

أيها الإنسان المغرور ، أيها الإنسان الجحود :

انظر إلى الكون كله لتتعرف على عظمة الله لتعبده ، انظر إلى الكون كله لتتعرف على الله لتحبه، فمن عرف الله وأحبه وعلى قدر الحب تكون العبادة ويكون العمل ، من عرف الله وأحبه ـ لنظر في الكون كله من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ، انظر إلى السماء وارتفاعها ، وإلى الأرض واتساعها ، وإلى الجبال وأثقالها ، وإلى الأفلاك ودورانها ، وإلى البحار وأمواجها وإلى كل ما هو متحرك ، وإلى كل ما هو ساكن ، والله إن الكل يقر بتوحيد الله ، ويعلن الشكر لله ، ولا يغفل عن ذكر مولاه إلا من كفر من الإنس والجن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . انظر إلى الكون لتتعرف على الله ؛ لتحب الله بكل كيانك وقلبك لتعبد الله وأنت في غاية الذل لله ، وفي غاية الحب لله .

أخي : يَدُ من التي حلقت السماء ورفعتها بلا عمد ؟

يد من التي زينت السماء بالنجوم والشموع والكواكب والأقمار ؟

يد من التي خلقت الأرض وأرستها بالجبال والأحجار ؟

يد من التي خلقت فيها البحار والأنهار ؟

يد من التي خلقت فيها الزهور والأشجار والثمار ؟

يد من التي خلقت الإنسان في أجمل صورة وأحسن تقويم ؟

يد من التي امتدت إلى عين الإنسان فجعلتها في علبة عظيمة قوية متينة حتى لا تتعرض العين إلى الفساد ، ثم ظللتها بالرموش لتعكس الرموش أشعة الشمس عن العين حتى لا تُؤذي ، ثم أحاطت العين بالأهداب حتى لا يتساقط العرق إلى داخل العين فتتلف ، يد من ؟

يد من التي خلقت وجعلت ماء العين مالحًا ألا وهو الدمع حتى تقتل الميكروبات التي تتسرب إليها من جديد ؟

يد من التي جعلت ماء الأنف حامضًا لتتعلق به الأتربة والميكروبات فلا تؤذي داخل الإنسان ؟ يد من التي خلقت أذن الإنسان بهذا الجمال والإبداع والإتقان ، وجعلت ماء الأذن مرًا حتى لا تتسرب الحشرات إلى أذنك يا بن آدم وأنت نائم ؟

يد من التي خلقت الفم بهذا الجمال والإبداع وجعلت ماء الفم حلوًا حتى يتذوق الإنسان الطيب من الخبيث والطيب من الحار ؟

يد من التي امتدت إلى كوز الذرة فرصت عليه هذه الحبات اللؤلؤية بهذا الإتقان والجمال والإبداع ؟

يد من التي امتدت إلى سنبلة القمح فغلفتها بهذه الأغلفة الحصينة ومكنتها وحصنتها بشوك حتى لا تكون حبة القمح داخل الغلفة غذاء للطيور ؟

وقد قدر الملك أن تكون غذاء لك أيها الإنسان الجحود .

والله لو أذن الله لحبة القمح أن تتكلم وأنصت إليها المخلصون

لاستمعوا إلى حبات دقيقها داخل الأغلفة تقول : سبحان من جعلني طعامًا لفلان ابن فلان . يد من التي امتدت إلى الماء العذب الفرات وإلى الملح الأجاج فجعلت بينهما برزخًا وحجراً محجوراً ؟ يد من التي خلقتك أيها الإنسان وجعلت في حلقك في مكان يسمى البلعوم بوابة منيعة حصينة تسمى هذه البوابة بلسان المزمار ، هذا اللسان لو تعطل لحظة عن وظيفته لهلكت أيها الإنسان الجحود ، فوظيفة هذه البوابة أنها تسد القصبة الهوائية عند البلع وتسد البلعوم عند التنفس ولو أخطأ هذا العضو لحظة لسقطت جرعة ماء أو لقمة صغيرة إلى مجرى التنفس لهلكت أيها الإنسان المغرور ؟ يد من التي خلقت هذا الكون كله بما فيه من جماد وجمال ؟

لله في الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداك

ولعل ما في النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك

والكون مشحون بأسرار إذا ما حاولت تفسيرًا لها أعياك

قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك

قل للمريض نجا وعوفي بعد ما عجزت فنون الطب من عافاك

قل للصحيح يموت لا من علة من يا صحيح بالمنايا دهاك

بل سائل الأعمى خطا وسط الزحام بلا اصطدام من يا أعمى يقود خطاك

بل سائل البصير كان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهواك

وسل الجنين يعيش معزولا بلا راع ومرعى من ذا الذي يرعاك

سل الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك

وإذا تـرى الثعبـان ينفـث سـمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك
واسـأله كيـف تعـيش يـا ثعبـان أو تحيـا وهـذا السـم يمـلأ فـاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شـهداً وقـل للشـهد مـن حـلاك
بـل سـائل اللـبن المصـفى من بين فـرث ودم مـن ذا الـذي صـفاك
وإذا رأيـت النبـت في الصـحراء يربـو وحـده فاسـأله مـن أربـاك
وإذا رأيت النخـل مشـقوق النوى فاسـأله يـا نخـل مـن شـق نـواك
وإذا رأيـت البـدر يسري نـاشرًا أنـواره فاسـأله مـن أسراك
وإذا رأيـت النـار شـب لهيبهـا فاسـأل لهيـب النـار مـن أوراك
وإذ تـرى الجبـل الأشـم مناطحًـا قمـم السـحاب فسـله مـن أرسـاك

هذا الإله ، ألا يستحق أن يعبد؟ ألا يستحق هذا الإله العظيم أن يعبد ؟ والله إن الحلق ليجف وإن الفؤاد ليتمزق ، وإن الكلمات لتتوارى على خجل واستحياء من الحليم الكريم الذي خلق لنا كل هذا ونحن نجحده ، ونحن لا نفرده بالعبادة والطاعة والتوحيد ، هذا الإله العظيم ألا يستحق أن يعبد ؟ ألا يستحق أن يوحد ؟ ألا يستحق أن يطاع ؟ ألا يستحق أن يمتثل أمره ؟ ألا يستحق أن يجتنب نهيه ؟ ألا يستحق أن نقف عند حدوده ؟ ألا يستحق أن نطيع رسوله ﷺ ؟ ألا يستحق هذا الإله العظيم أن يعبد ؟

لماذا نعبد الله ؟ لأن العبادة حق الله علينا ثم لماذا نعبد الله ؟ لماذا ؟ لأن العبادة غذاء لأرواحنا ، فبدونها سنموت ، بدون العبادة سنموت ، كما مات أهل الجسد الذين قتلوا الروح قتلاً ، ماتوا وهم يتحركون بين الناس،

إن الإنسان جسد وروح ومستحيل أن يعيش الإنسان حياة طيبة سعيدة بالبدن دون الروح .

وأنتم تعلمون أن الغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيه من طعام وشراب وشهوات ونساء وملذات وعلم وتكنولوجيا إلى آخره ، أعطى الغرب البدن كل ما يشتهيه البدن ، وبقيت الروح في أعماق البدن ، تصرخ تبحث عن دواء وغذاء فوقف الغرب أمام الروح عاجزًا لا يملك شيئًا ؛ لأن الروح لا توزن بالجرام ولا تقاس الروح بالترمومتر الزئبقي ، ولا توضع الروح في بوتقة التجارب في معمل كيمياء ، أو في معمل فيزياء ؛ لذا وقف الغرب عاجزًا أمام الروح ، إذ لا يعلم دواء الروح وغذاء الروح إلا خالق الروح جل وعلا :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

فوقف الغرب عاجزًا أمام الروح ، يعيش في ضنك . نعم : ونحن نتحدى من ينكر ذلك ، يعيش الغربيون في ضنك وشقاء ، لماذا ؟ لأنهم أعطوا البدن كل شيء وكل ما يشتهيه وبقيت الروح لم تأخذ شيئًا على الإطلاق ، هي تنادي في أعماق البدن تريد دواءها ، تريد غذاءها تريد شرابها ودواءها وغذاءها وشرابها في منهج خالقها وربها ، وإن انتشار عيادات الطب النفسي وحالات الانتحار الجماعي والفردي في الشرق والغرب لمن أعظم الأدلة العملية على ما يعانيه الغرب في الجانب الروحي من قلق وشك وضنك واضطراب .

لا يمكن يا إخوة لطائر جبار أن يحلق في الفضاء بجناح واحد ، ولو نجح في ذلك لفترة وإن طالت حتمًا سيسقط لينكسر جناحه الآخر ، فالإنسان يعيش بين هذين الجناحين ، بين جناح الروح وجناح البدن ، بل إن الروح

هي الأصل ؛ لأن الروح هي التي تحمل البدن .

سئل الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يومًا : هل الروح هي التي تحمل البدن أم البدن هو الذي يحمل الروح ؟ قال : لا بل إن الروح هي التي تحمل البدن بدليل أن الروح إن فارقت البدن وخرجت منه ، وقع البدن جثة هامدة لا قيمة له إن لم يدفن فاح عفنه ونتنه ، فنحن نعبد الله ؛ لأن العبادة غذاء الروح ، ومن عرف الله أحبه وشعرت روحه بالسعادة بل وشعر بدنه بالسعادة ، لا يشعر المسلم بالأنس والسعادة إلا في رحاب الله وفي ذكر الله وفي الصلوات لله ، وفي طاعة الله ، وفي السجود بين يدي الله قمة السعادة للمسلم من عرف الله أحبه الله .

قال أحد السلف : مساكين والله أهل الغفلة ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها قيل له : وما أطيب ما فيها ؟ قال : حب الله والأنس به ، فنحن نعبد الله ؛ لأن العبادة غذاء للروح .

ثالثًا : نعبد الله طمعاً في جنته وخوفاً من ناره :

وقد قال بعض المتصوفة : إن عبادة الله طمعًا في جنته وخوفًا من ناره ، إنما شأن أجير السوء الذي إن أخذ الأجرة عمل وإن لم يأخذ الأجرة لم يعمل ، وقد رد علماؤنا على هذا القول فقالوا : إن أعرف الناس بالله هم الأنبياء والرسل ، ومع ذلك فقد عبد الأنبياء والرسل ربهم جل وعلا وسألوه الجنة واستعاذوا به من النار ، فهذا خليل الله إبراهيم : ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء:٨٥-٨٧] . يسأل الله الجنة ويستعيذ بالله من خزي الآخرة .

وهذا سيد الموحدين وقدوة المحققين محمد بن عبد الله يسأل الله الجنة

ويستعيذ به من النار ، بل ويأمر أمته في كم هائل من الأحاديث الصحيحة أن يسألوا الله الجنة ، وأن يستعيذوا به من النار .

وفي الحديث الجليل الجميل الرقيق الذي رواه أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان وأبو داود وغيرهم ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل يومًا صحابيًا من أصحابه : « مَاذَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ ؟» ـ أي : ماذا تدعو أي : بماذا تدعو الله جل وعلا ـ فقال الصحابي : والله يا رسول الله إني أسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار ، فإني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ـ الدعوات الجميلة التي تدعو بها أنت ومعاذ أنا لا أحسنها ولا أعرفها ـ إنما أدعو الله بدعوتين أقول : اللهم إني أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار . فقال المصطفى ﷺ :

« حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ أَنَا وَمُعَاذ » [(١)].

وفي رواية : « وَهَلْ نَسْأَلُ الله إِلَّا الْجَنَّةَ وَأَنْ يُعِيذَنَا مِنَ النَّارِ » [(٢)] .

وها هو الإمام ابن القيم بفهمه العالي يزيل هذا الإشكال بين الفريقين فيقول : لا إشكال بين من قال القول الأول وبين من قال القول الثاني ، لكن الأمر يحتاج إلى توضيح فيقول : الخطأ من فهم الناس لحقيقة الجنة فهمًا خاطئًا فهو يقول : الجنة مسماها ليس لمجرد الأشجار والأنهار والحور والقصور والذهب والفضة واللبن والخمر والعسل ، وإنما مسمى الجنة الحقيقي اسم لدار النعيم المطلق الكامل ، وأعلى درجات النعيم هو التمتع بالنظر إلى وجه الله جل وعلا ، انظروا إلى الفهم ، أصحاب الفريق الأول : إن كنا نعبدك طمعًا في جنتك فاحرمنا منها وإن كنا نعبدك خوفًا من نارك

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٤٧٤) ، وأبو داود في الصلاة (٧٩٢) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٩١٠) وفي الدعاء (٣٨٤٧) وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٧٤) ، وأبو داود في الصلاة (٧٩٣) .

فاحرقنا فيها ، وإن كنا نعبدك لأنك تستحق أن تعبد فلا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم .

يقول ابن القيم : نعيم الجنة الحقيقي هو التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم ؛ ولذلك قال سبحانه :

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] .

جاءت لفظة الرضوان بصيغة التنكير في سياق الإثبات أي : أن أي شيء من رضوان الله على عبده أكبر من الجنان وما فيها من نعيم .

ولله در القائل :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

ولذا ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس عن النبي ﷺ :

« إِنَّ الله يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١) .

وفي لفظ : « فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله الكَرِيمْ جَلَّ وَعَلَا » .

رابعاً : بماذا نعبد الله جل وعلا ؟

وعنصرنا الرابع بإيجاز شديد : بماذا نعبد الله جل وعلا ؟ وفي كلمات نعبد الله بما شرعه في قرآنه وعلى لسان نبيه ﷺ ، فيقول ابن تيمية ـ رحمه الله :

---

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٩/٢٨٢٩) .

وجماع الدين أصلان :

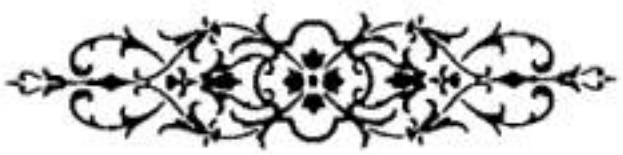
الأول : ألا نعبد إلا الله .

الثاني : ألا نعبده إلا بما شرعه على لسان رسول الله ﷺ ، فيقول : هذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدًا عبـده ورسـوله ، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود ، وبالشـهادة الثانيـة يعـرف الطريـق الـذي يوصل إلى المعبود تبارك وتعالى ، وفي الصحيحين أنه ﷺ قال :

« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » (١) .

فنحن نعبد الله بما شرعه في قرآنه وعلى لسان نبيه ؛ لذا يجب علـى كـل مسلم أن يسأل العلماء قبل أن يعبد ربه جـل وعـلا عـن صـحة العبـادة ، وعن هدي المصطفى ﷺ في العبادة ، فربما كان العبد خالصًـا مخلصًـا لله في عبادته ، ولكنه يعبد الله بالبدع وحينئذ يرد الله عبادته على رأسـه لا يقبلـها منه سبحانه وتعالى .

أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم جميعًا صالح الأعمال .



(١) سبق تخريجه .

حقوق يجب أن تعرف

حق الله على العباد



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الله على العباد

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الله على العباد** » .

هيا لنتعرف على حق الله جل وعلا ، وها هو نبينا ﷺ يبين لنا هذا الحق الكبير في حديثه الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَار ـ أي كان معاذ بن جبل يركب خلف النبي على ظهر حمار واحد ـ فقال النبي ﷺ لمعاذ :

«يَا مُعَاذُ ، تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله ؟» قَالَ : قُلْتُ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فقال المصطفى ﷺ : « فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا الله وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ : « لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» [1] .

وفي رواية : فأخبر به معاذ بن جبل عند موته تأثمًا [2] أي خوفا من وقوعه في الإثم ؛ لكتمانه العلم عن النبي ﷺ ، فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، ومسلم في الإيمان (٣٠) .
(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٨) ، ومسلم في الإيمان (٣٢/ ٥٣) .

قبل أن أبين حق الله سبحانه وتعالى أطرح هذا السؤال المهم : هل نعرف الله؟ والجواب على هذا السؤال هو موضوع هذا الحق بإذن الله جل وعلا، وسأحصر هذا الموضوع المهم في العناصر المحددة التالية :

أولاً : من الله ؟

ثانيا : مع القرآن في آفاق السماء .

ثالثاً : مع القرآن في جنبات الأرض .

رابعاً : مع القرآن في مراحل خلق الإنسان .

وأخيراً : عتاب يجزي .

إن هذا الموضوع من الموضوعات التي تجدد الإيمان في القلب ، وتعرف المخلوق بخالقه جل وعلا ، فمحال أن أعرف بحق الله جل وعلا قبل أن نتعرف على الله جل وعلا ، ومن ثم فإننا بإذن الله سنتعرف على الله جل جلاله .

أولاً : من الله ؟

والجواب من القرآن والسنة : فإن أول من شهد لله بالوحدانية هو الله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] ، فإن أول من شهد لله بأنه الله هو الله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وإن أعرف الناس بالله هو حبيبنا رسول الله ﷺ ، إذا فلن تسمع مني جواباً على هذا السؤال الجميل إلا بآية من كتاب الله الجليل ، وإلا بحديث من كلام البشير النذير ﷺ .

من الله ؟ يرد ربنا جل وعلا فيقول : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

من الله ؟ يجيب ويقول سبحانه :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[الحشر :٢٢ ، ٢٣]

هو الله هو الله هو الله ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[الحشر:٢٤]

من الله ؟ الله جل وعلا يجيب ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

[سورة الإخلاص]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ،حِجَابُهُ

النُّورُ »[١] .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أنه قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل العاقل من البادية أي من الصحراء ليسأل رسول الله ﷺ ونحن نسمع ، فجاء أعرابي ذات يوم فقال الأعرابي لنبينا ﷺ : لقد أتانا رسولك فزعم أن الله أرسلك ـ أعرابي ، كلمات قاسية لكناها فطرته وجبلته ـ يقول الأعرابي الذي لا يحسن أن يختار الكلمات : يَا مُحَمَّدُ ـ هكذا ـ والله ما غضب المصطفى ، ولو نودي اليوم على واحد منا باسمه ولو كان طالب من طلاب علمه ، والله لغضب وها هو المصطفى ﷺ يعلم الدنيا التواضع ، يقول له الأعرابي : أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَلَكَ. فقال المصطفى ﷺ بكل تواضع وأدب وخلق : « صَدَقَ » صدق رسولي ، لم يعنف الأعرابي ولم يوبخه ولم يحقر قوله ، بل قال المصطفي ﷺ : « صَدَقَ » .

اسمع فقال الأعرابي الفقيه : يَا مُحَمَّدُ ، فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فقال المصطفى : « الله » . فقال الأعرابي : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قال المصطفى : « الله » . فقال الأعرابي : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ فقال المصطفى : «الله» . فقال الأعرابي : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آلله أَرْسَلَكَ ؟[٢] .

تدبر فقه هذا الأعرابي ، والشاهد من الحديث جواب النبي ﷺ على أسئلة الأعرابي بكلمة واحدة : « الله » .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٩/ ٢٩٣) .
(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢/ ١٠) .

وفي حديث مسلم من حديث أبي هريرة أن حبرًا من أحبار اليهود جاء يوما إلى النبي ﷺ فقال : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ الله يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧] (١) .

اسم الله جل وعلا ، هو الاسم المفرد العلم ، العلم على ذاته القدسية ، الجامع لكل أسماء الجلال وصفات الكمال ؛ لذا جعله الله الاسم الدال على جميع الأسماء فقال سبحانه :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾ [الحشر:٢٣] .

فالسلام اسم الله والقدوس والسلام والعزيز والمهيمن من أسماء الله ، تدبر معي فلا يقال : الله من أسماء الرحمن ولا يقال : الله من أسماء العزيز ، بل يقال : العزيز من أسماء الله ، الرحمن من أسماء الله ، القدوس من أسماء الله ، الملك من أسماء الله ، فاسم الله هو الاسم المفرد العلم على ذاته القدسية الجامع لكل أسماء الجلال وصفات الكمال لله الكبير المتعال ، هو الاسم من أسماء الله الذي تكرر في القرآن ما يقرب من ألف مرة ،

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨١١) ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦) .

« الله » هو الوحيد في الأسماء كلها الذي ورد ذكره في القرآن ما يقرب من ألف مرة بحسب إحصاء المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (تسعمائة وثمانون) مرة على وجه التحديد.

*لذا يرى الإمام ابن القيم والإمام الطحاوي في مشكل الآثار وغيرهما أن اسم الله هو الاسم الأعظم الذي إن سئل به أعطى وإن دعي به أجاب ، فهو الاسم الذي ما ذكر في قليل إلا كثره ، وهو الاسم الذي ما ذكر عنده خوف إلا أمنه ، وهو الاسم الذي ما ذكر عند هم إلا كشفه ، وهو الاسم الذي ما ذكر عند كرب إلا فرجه ، وهو الاسم الذي ما ذكر في فقر إلا تحول الفقر إلى غنى ، وهو الاسم الذي ما تعلق به ذليل إلا أعزه ، وهو الاسم الذي ما تعلق به فقير إلا أغناه ، وهو الاسم الذي ما تعلق به مكروب إلا قواه ، وهو الاسم الذي تستدفع به الكربات ، وهو الاسم الذي تستنزل به البركات ، وهو الاسم الذي تستنزل به الرحمات ، وهو الاسم الذي تستفزع به النقم ، هو الاسم الذي يستنزل به المطر ، هو الاسم الذي يستنصر به من السماء ، هو الاسم الذي من أجله قامت الأرض والسماء ... الله ... الله ... الله ... اسم تستنزل به البركات ، الله اسم تستنزل به الرحمات ، الله اسم تزال به الكرب ، الله اسم تزال به الهموم والغموم .

الله .. الله .. الله اسم لصاحبه كل جلال الله اسم لصاحبه كل جلال ، الله اسم لصاحبه كل جلال وكمال وجلال ، هو الاسم المفرد العلم على ذاته القدسية وأسمائه الحسنى وصفاته العلى ؛ لذا تكرر هذا الاسم في القرآن كما ذكرت ما يقرب من ألف مرة ، فلا يمكن أبدًا أن تطالع صفحة من قرآن الله جل وعلا إلا ويرد لسانك اسم الله ، ما يزيد على عشر مرات

هذا في الغالب .

هذا الاسم العظيم الجليل الكريم ، الإيمان به أصل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة ؛ لذا لا أكون مبالغًا إن قلت : إن القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره لا يتحدث إلا عن قضية الإيمان بالله جل وعلا ، لست مبالغًا تريدون أن أدلل لكم على ذلك .

خذوا الدليل من القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره : إما حديثٌ مباشر عن الله جل وعلا عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وإما دعوة إلى عبادة الله جل وعلا وترك عبادة ما سواه هذا من لوازم الإيمان بالله ، بل هو الإيمان .

وإما حديث عن الكفار المعاندين الذين كفروا برب العالمين وبيان جزائهم في الدنيا وجزائهم في الآخرة ، وهذا جزاء المعرضين عن الإيمان .

وإما حديث عن المؤمنين الصادقين ، وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة من نعيم ، وهذا جزاء من امتثل الإيمان .

وإما حديث يأمر بطاعة الله ويأمر بامتثال أوامره واجتناب نهيه والوقوف عند حدوده ، وهذا كله من لوازم الإيمان ، فلست مبالغًا إن قلت : إن القرآن الكريم كله يتحدث عن قضية الإيمان بالله جل وعلا ؛ إذ إن الإيمان هو أصل الأصول وهو أصل الاعتقاد وعليه مدار الإسلام ولب القرآن ، بل من أجله خلق الله السموات والأرض ، ومن أجله خلق الله الجنة والنار ، ومن أجله أنزل الله الكتب ، ومن أجله أرسل الله الرسل وعلى رأسهم نبينا وحبيبنا المصطفى ﷺ ، ومن ثم : فإن أعظم منهج للتعريف بالله هو منهج القرآن ، أكرر هذه العبارة : إن أعظم منهج للتعريف بالله هو منهج القرآن ، وينبغي يقينا أن نعلم أن القرآن يخاطب

الناس في كل زمان ومكان ، يخاطب القرآن ساكن البادية وساكن الصحراء ورائد الفضاء ، ويخاطب الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ويخاطب عالم الذرة وعالم الطبيعة وعالم الكيمياء ، ويخاطب كل أجناس الأرض ، وكل واحد من هؤلاء يجد في القرآن الكريم ما يملأ قلبه من الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

فالقرآن الكريم له أسلوب فريد لا نظير له البتة ، أسلوب به يستوثق أصحاب الفطر السليمة بوحدانية الملك ليجيش القرآن الوجدان ويحرك القرآن القلوب ، ويخاطب القرآن العقول السوية والفطر النقية ؛ ليعرفها بخالق الكون سبحانه وتعالى تارة بالحوار وتارة بالوصف وتارة بالاستفهام ، وتارة بالترغيب ، وتارة بالترهيب ، وتارة بالمثل، وتارة بالقصص إلى آخر هذا الأسلوب الرائع الذي يبدعه القرآن إبداعاً، وينشؤه القرآن إنشاءً ، فالقرآن الكريم يعرفنا بالله الرحيم جل وعلا من خلال تنقلاته الجميلة في آفاق السماء وفي جنبات الأرض وفي بروج النفس البشرية العميقة ، كل هذا ليعرف القرآن الإنسان بالله سبحانه وتعالى ، فتعالوا نقف مع القرآن وقفتنا الثانية ، مع القرآن في آفاق السماء .

ثانيًا : مع القرآن في آفاق السماء :

مع القرآن ، وهذا هو عنصرنا الثاني ؛ لنتعرف من خلال القرآن على الله ، انظر معي إلى السماء ، أنا أعلم أنك تنظر إليها كل يوم ولكني أريد منك اليوم أن تنظر نظرة جديدة ، أن تنظر إلى السماء نظرة مختلفة ، هيا من اليوم جدد النظر إلى السماء ، فإن إلف النظر يبلد المشاعر والأحاسيس .

إن الإنسان إذا اعتاد على شيء لا يلتفت إلى قيمته ولا يلتفت إلى مواضع الجمال فيه ، لكنني أناشدك من اليوم أن تجدد النظر إلى السماء

بطريقة جديدة ، هيا انظر معي إلى هذه القبة الزرقاء ، إلى هذه السماء .

فورب الكعبة إن نظرة هادئة مدققة في السماء في ليلة صافية تملأ القلب رهبة وخشوعًا لذي العظمة والجلال والكمال ، كتاب مفتوح جميل ، جمال متجدد ، جمال متعدد باختلاف الشروق والغروب ، باختلاف الليل والنهار ، بصفاء السماء تارة ، وبضبابها وسحابها تارة أخرى . ثم انظر معي إلى هذه النجمة التي انفردت وحدها في أفق السماء وكأنها عين طفلة جميلة تلمع بالمحبة والمودة والصفاء . ثم انظر في الأفق الآخر إلى هاتين النجمتين الوحيدتين المنفردتين وكأن كل واحدة منهما تناجي الأخرى . ثم انظر إلى هذه المجموعة المترابطة المتشابكة من النجوم وكأنها تشابكت وتراصت في عرس بهيج سعيد ، وهذا القمر المنير ، وهذا الليل السادل ، وهذا الفلك الدوار ، وهذا الصبح الباهر وضوء الشمس المشرقة ، كل هذا من صنع من ؟ كل هذا من خلق من ؟

الشمس والبدر من آثار قدرته ... والبر والبحر فيض من عطاياه

الطير سبحه والوحش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه

والنمل تحت الصخور الصم قدسه ... والنحل يهتف حمدًا في خلاياه

والناس يعصونه جهرًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

انظر من جديد ، وتفكر من جيد .

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات:٢٧-٢٩] .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧] .

ثم يقول ربنا جل وعلا وهو يخاطب العقول لكي تتفكر ، ويلفت الأنظار لتتدبر ؛ لتتعرف على الخالق العظيم سبحانه ، فيقول : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة:٧٥، ٧٦] .

ثم يقول سبحانه: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾

[يس:٣٧-٤٠]

يثبت العلم الحديث في كلام جميل لرئيس أكاديمية العلوم الحديثة في أمريكا في نيويورك ، يثبت العلم الحديث أن القمر يدور في فلك ومدار حدده له مدبر الكون كله ، والشمس تدور في فلك في مدار حدده لها مدبر الكون كله .

يقول أهل العلم : لو نزل القمر من مداره الذي يدور فيه الآن واقترب من الأرض قليلاً لاختلت خركة المد والجزر المعروفة لأهل الطبيعة ولغرقت الأرض كلها بمن فيها .

ولو أن الشمس تركت مدارها وارتفعت إلى أعلى لتجمد كل من على ظهر الأرض ، ولو أن الشمس تركت مدارها ونزلت قليلاً لاحترق كل حي على ظهرها ، كل هذا من صنع من ؟ كل هذا من خلق من ؟ أإله مع الله ؟ ﴿ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس:٤٠] .

الشمس والقمر ، كلنا رأى الشمس ، وكلنا رأى القمر ، لكنني أخاطبك

من اليوم أخي الحبيب .. أن تعاود من جديد النظر إلى الشمس والنظر إلى القمر لتوحد خالق الشمس والقمر .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥-٧٩] .

وانظر لتلك الشمس التي جـــذوتها مســـتعره
فيهـــا ضـــياء وبهـــا حـــرارة منـــتشره
فابحث وقل من ذا الذي يخـــرج منهـــا الشرره
ذاك هـــو الله الـــذي أنعمـــه منهمـــره
ذو حكمـــة بالغـــة وقـــدرة مقتـــدره

ثم ينتقل بنا القرآن سريعًا ، وإلا إذا وقفت والله مع كل عنصر لاحتجت إلى لقاءات .

ثالثًا : مع القرآن الكريم في جنبات الأرض :

ينتقل بنا القرآن إلى جنبات الأرض وهذا هو عنصرنا الثالث ، مع القرآن الكريم في جنبات الأرض التي تجلس عليها الآن ، التي تعيش فيها ،

التي تسعى على ظهرها ، هذه الأرض إلف معيشتنا عليها أنسانا الشيطان كثيرًا من آياتها ونعمها ، فإن الناس ـ كما ذكرت ـ إذا اعتادت شيئا نسيت فضله ، وما يشعر الإنسان بقيمة الشيء إلا إذا افتقده .

الأرض دابة ذلول كما قال ربنا جل وعلا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥] .

هذه الدابة المذللة لا تلقى براكبها من على ظهرها ، بل إنها دابة حلوب تدر على أهلها الخير والأرزاق والكنوز والنعيم ، هذه الدابة الذلول تجري تركض بسرعة تجري الأرض نعم : الأرض التي تعيش عليها وتجلس الآن عليها ولا تتحرك تجري وتدور بسرعة ، لكنها ذلول لا تلقى راكبها من فوق ظهرها ، ذللها الله وأرساها بالجبال ، ولكن الجبال التي جعلها الله أوتادًا للأرض هي نفسها تجري وتسير كما قال ربنا جل وعلا :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾

[النمل:٨٨]

الجبال تسير ؟ نعم .. والأرض تجري ؟ نعم .. ولكنها ذلول مذللة ، بل ستعجب إذا علمت أن العلم الحديث قد أثبت أن الأرض تدور حول نفسها بسرعة مذهلة قدرها العلماء بسرعة ألف ميل في الساعة ، الأرض ذلول تجري وتدور دورة كاملة حول نفسها تقدر بألف ميل في الساعة الواحدة ، وتدور الأرض دورة ثانية تدور حول الشمس بسرعة قدرها العلماء بسرعة تزيد ٦٥٠٠٠ ألف ميل في الساعة الواحدة . وتدور الأرض مرة ثالثة مع الشمس مع المجموعة الشمسية بسرعة قدرها العلماء بـ ٢٠٠٠٠ ألف ميل في الساعة الواحدة صنع من ؟ خلق من ؟ أإله مع الله؟

أمر عجيب ، بل وأثبت العلم الحديث أن دورة الأرض حول نفسها هي التي نشأ عنها الليل والنهار ، لو لم تدر الأرض حول نفسها لما رأينا ليلاً ولا نهارًا ، لرأينا ليلاً سرمدا أو نهارًا سرمدًا ، لكن الله جل وعلا سبحانه وتعالى جعل الأرض تدور حول نفسها دورة كاملة ، ومن خلال هذه الدورة رأينا الليل والنهار ، ثم تدور الأرض حول الشمس وهذه الدورة نشأ عنها الفصول الأربعة الصيف والشتاء والربيع والخريف ـ تدبر ـ أما الدورة الثالثة مع الشمس ومع المجموعة الشمسية فإن ستار الغيب لم يكشفه عنها إلى الآن في عصر الذرة ، لنعلم يقينا أن الإنسان لا يعلم شيئا في الكون إلا بالقدر الذي أراد أن يعلمه له خالق الكون قال سبحانه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

حتى لا يتبجح الإنسان المغرور ويدعي أنه أصبح الآن قادراً على أن يعيش وحده بدون إله .

لقد سمعنا ذلك وقرأناه يوم أن صدعوا رؤوسنا بالنعجة « دوللي » وخرج علينا من العلمانيين المجرمين من يقول : استطاع في عصر العلم ، لا في عصر معجزات الأنبياء استطاع أن يخلق الإنسان نعجة وفي المرحلة القادمة يستطيع أن يخلق إنسانا .

ثم قال علماني وقح : لقد آن الأوان ليعيش الإنسان بعيدا عن الله ، فورب الكعبة ما خلقوا ذبابة ولن يخلقوا ذبابة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج:٧٣ ، ٧٤] .

﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

فهذه الأرض مذللة ، ثم شق الله فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار وأودعها الكنوز والخيرات قال سبحانه : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس:٣٣-٣٥] .سبحانه قدر خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون آيات .

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضره
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجره
ابحث وقل من ذا الذي يخرج منها الثمره
ذاك هو الله الذي أنعمه منهمره
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدره

*****

سل الواحة الخضراء والماء جاريا
وهذي الصحاري والجبال الوراسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندا
سل الليل والإصباح والطير شاديا
سل هذه الأنسام والأرض والسما
سل كل شيء تسمع التوحيد لله ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا

فمـــن غـــير ربي يرجـــع الصـــبح ثانيـــا

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٠-٦٤].

البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ، وأمسك الإمام أحمد بالبيضة يوما ، بيضة من دجاجة فقال أحمد : هذا حصن حصين أملس ليس له باب وليس له منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، وبينما هو كذلك إذ انصدع جداره وخرج منه حيوان جميل سميع بصير ذو صوت حسن وشكل مليح أإله مع الله ؟ .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت:٢٠] .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:١٩٠، ١٩١] .

اذكروا الله جل وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران:١٩١] .

وبعد هذا التفكر يقولون حتما : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١] .

رابعاً : مع القرآن الكريم في مراحل خلق الإنسان :

بإيجاز شديد مع العنصر الرابع ، مع القرآن الكريم في مراحل خلق الإنسان ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤] .

إن خلق الإنسان إعجاز ، إنك أيها الإنسان من أعجز وأعجب آيات الله على ظهر هذه الأرض ، فورب الكعبة نظرك فيك يكفيك على أن الخالق هو الله ، انظر إلى رأسك ابتداء وسأرجع بعد ذلك إلى البداية ، انظر معي إلى رأسك، انظر إلى العين ، انظر إلى الأنف ، انظر إلى الأذن ، انظر إلى الفم وتدبر ، سترى في كل مكان عضو من هذه الأعضاء نوعا من الماء ، سترى ماء العين إنها الدموع ، وسترى ماء في الأذن ، وسترى ماء في الفم ، وسترى ماء في الأنف ، لكن انظر وتدبر : سترى ماء العين مالحًا ، وماء الأنف حامضًا ، وماء الأذن مرًّا ، وماء الفم حلوًا !! صنع من ؟ خلق من ؟

وأصل هذا الماء واحد ، وهو رأس الإنسان ، تدبر معي هذه المراحل العجيبة ، فالرجل يجتمع بامرأته ليضع نطفته تلك النطفة التي تحتوي على ملايين الحيوانات المنوية ، هذا المني المهين خلقت منه :

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق:٦، ٧] .

هذا الماء المهين ملايين الحيوانات المنوية تتسابق كلها لتصل كل هذه الملايين إلى عروس واحد إنها البويضة التي تخرج من رحم المرأة مرة واحدة في الشهر كأنها عروس في ليلة زفافها .

نعم ! تخرج البويضة عليها تاج مشع هذا ليس تعبيرًا بلاغيًا أدبيًا من عندي ، إنما هو تعبير علمي تخرج البويضة وعليها تاج مشع لعلها بهذه الإشعاعات أن تلفت نظر حيوان منوي ليقترب منها ، وتتسابق الملايين المملينة في محاولات إلى هذه العروس ، إلى هذه البويضة ، لكن تموت كل هذه الملايين ولا يصل إلى هذه البويضة إلا حيوان منوي واحد ، هذه المعلومة التي لم يصل إليها العلم الحديث إلا في هذا العصر ، أخبرنا عنها نبينا منذ مئات السنين فقال كما في صحيح مسلم .. تدبر .

« مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ » (ليس كل الحيوانات المنوية يكون منها الولد لا) « مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ - أي المني - يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ » . الحديث في صحيح مسلم [1] .

يصل هذا الحيوان إلى البويضة فيلقحها ، إذا ما اقترب الحيوان المنوي من البويضة تقوم البويضة بفرز سائل لزج من شأنه يمسك بالحيوان المنوي على جدارها ، فإن التصق الحيوان المنوي بجدار البويضة أفرز هو الآخر

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٤٤) .

سائلاً من شأنه أن يذيب هذا التاج المشع على رأس البويضة ، فإن ذاب التاج اخترق الحيوان المنوي جدار البويضة ، فإن دخل أحكمت البويضة على الحيوان المنوي الأبواب والنوافذ حتى لا يخرج ، من الذي علم البويضة ذلك ؟ ثم تتخلص البويضة فورًا من التاج المشع لماذا ؟ حتى لا تلفت بهذا التاج المشع نظر حيوان منوي جديد ؛ لأنها لم تعد تسمح بذلك ، فتتكون النطفة الأمشاج.

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان:٢] .

النطفة الأمشاج : هي اجتماع الحيوان المنوي مع البويضة بعد التخصيب ، وبعد أيام قليلة تتحول النطفة الأمشاج إلى انشطارات عديدة من الخلايا ، الخلية تنشط إلى خليتين والخليتين إلى أربع وهكذا ، حتى تتكون هذه النطفة الأمشاج في صورة جديدة تشبه تمامًا فعل التوت .

ولذلك يسمى العلماء النطفة في هذه المرحلة بالتوتة ـ هذا اصطلاح علمي ـ هذه النطفة الأمشاج تنتقل بعد ذلك إلى مرحلة العلقة ، وسميت بالعلقة لتعلقها بجدار الرحم عند المرأة ، فإن تعلقت بجدار الرحم يبدأ الرحم هو الآخر بفرش المكان بالوسائد والفرش من أوعية دموية حانية لهذه العلقة حتى لا تؤذى ، وبعد أيام قليلة تتمايز العلقة إلى طبقتين : طبقة خارجية وإلى طبقة داخلية ، الطبقة الخارجية وظيفتها فقط أن تمتص الغذاء من الدماء في جدار الرحم ، والطبقة الداخلية وظيفتها فقط تكوين الجنين ، صنع من ؟

ثم تنتقل العلقة بعد ذلك إلى مرحلة جديدة تسمى المضغة وسميت بالمضغة ؛ لأن الجنين في هذه المرحلة يشبه تماما قطعة اللحم التي مضغتها أسنان إنسان ثم لفظت ، إن نظرت إلى الجنين ، سترى أن الجنين عبارة عن

قطعة من اللحم عليها آثار المضغ ، ثم تتحول بعد ذلك المضغة ، تدبر معي إلى عظام ، من أين جاءت العظام ؟ لقد كانت نقطة ماء فتحولت إلى علقة (جائز) ثم قطعة لحم (جائز) لكن تتحول إلى عظام .. من أين جاء العظم عظام .. وعظام عجيبة ليست قطعة عظم عادية ، بل عظام للوجه وللذراع وللصدر وللظهر وللساق وللقدم وللأصابع ، هيكل عظمي متكامل عجيب .

ثم يكسو الله هذه العظام باللحم ثم تأتي مرحلة الخلق الآخر : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون:١٤] .

فيأمر الله عز وجل الملك فينفخ فيه الروح يقول المصطفى ﷺ والحديث في الصحيحين :

« وَكَّلَ الله بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ الله أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ » (١) .

يقول المصطفي ﷺ : « فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » .

الروح لا العظام جائز ، لكن فجأة ينبض القلب وتتحرك الجوارح والأعضاء وتبدأ الأذن في السمع ، تسمع وتتحرك ، حياة تدب ، حياة جديدة في داخل الرحم ، الله أكبر .. من أين هذا الخلق ؟ أين هذه الحياة ؟ .

وهنا وقف العالم الفرنسي الشهير الذي وقف يراقب مراحل نمو الجنين في رحم امرأة مراقبة دقيقة بدقيقة ، وعندما نفخت الروح في الجنين صرخ

(١) رواه البخاري في الحيض (٣١٨) ، ومسلم في القدر (٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦) .

وقال : Here the Gode هنا الله .

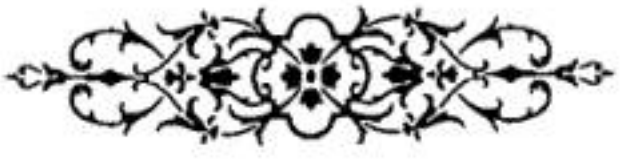
من أين جاءت هذه الحياة ، تعطلت كل أسباب العلم ، إنها عظمة الملك جل جلاله ـ أيها المسلم .. نظرك فيك يكفيك على أن الخالق هو الله ، على أن الذي يستحق بعد ذلك أن يعبد .. هو الله ، وأن يوحد .. هو الله ، وأن يمتثل أمره .. هو الله ، وأن يجتنب نهيه .. هو الله ، وأن يقف المسلم عند حدوده .. هو الله ، هو الله جل وعلا .

أخيراً : عتاب :

أيها الإنسان المغرور ، أيها الإنسان المتكبر ، أيها الإنسان المخدوع ، يا من غرك علمك ، يا من غرك منصبك ، يا من غرك جاهك ، يا من غرك مالك ، أنسيت أصلك ؟ أنسيت نفسك؟ أنسيت أنك كنت في العدم لا تذكر ؟ تعرف على ربك ، اعرف ربك من الآن بهذه الرؤيا الجميلة الجديدة ، ثم تعرف على حقه تعرف على حق الله تبارك وتعالى عليك.

فالسؤال : أليس هذا الإله العظيم يستحق منا أن يعبد ؟ أليس هذا الإله العظيم يستحق أن تعرف حقوقه سبحانه وتعالى عليك ؟ ينقسم الناس إلى قسمين : فريق في الجنة وفريق في السعير ، وفريق شقي وفريق سعيد .

أما الشقي فيقول : لا . لا يعترف بربه ويكفر بخالقه ويزداد عنادًا وكفرًا وطغيانًا ، وأما السعيد هو الذي يذعن ويرتجف قلبه وتدمع عينه وتخشع جوارحه ويقول ـ ورب الكعبة : إنني في حاجة إلى أن أتعرف من جديد على حقوق هذا الإله العظيم سبحانه ، لأوفيها كاملة غير منقوصة مع تضرعي إليه بأن يرحمني لعجزي وفقري .



حقوق يجب أن تعرف

حق الدعاء



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الدعاء

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الدعاء** » .

وحق الدعاء حق جليل عظيم أرجو ألا نضل عنه ونغفل عنه في زمن أصبح الناس لا يتكلمون فيه إلا عن الماديات في عصر طغت فيه الشهوات ، وكثرت فيه المطامع والرغبات ، بل وكثرت فيه أيضًا الأزمات والضوائق والكربات ، وسوف أركز تركيزًا شديدًا في هذا الموضوع والحق الجليل على العناصر المحددة التالية .

أولاً : فضل الدعاء من القرآن والسنة .

ثانياً : شروط قبول الدعاء .

ثالثاً : آداب الدعاء .

أخيراً : دعاء ينبغي لنا جميعًا أن نتعلمه .

أولاً : فضل الدعاء :

ولكن اسمحوا لي أن أكرر إننا طالما ذكرنا بأن لله سننا في الكون ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، تلك السنن التي لا تجامل أحدًا من الخلق بحال ، مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة ، فإننا نعتقد اعتقادًا جازمًا أن الأمة ذلت وهانت لمن كتب الله عليهم الذل والمهانة ، يوم أن تخلت الأمة عن أسباب النصر والعز والتمكن ، إن أسبابًا مادية كثيرة يجب على الأمة أن تأخذ بها

لتكون أهلاً لنصرة الله ، من هذه الأسباب :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

[الأنفال:٦٠]

إعداد عسكري ، إعداد سياسي ، إعداد اقتصادي ، إعداد تعليمي ، إعداد إعلامي ، إعداد فكري ، إعداد عملي ، إعداد بكل ما تحمله الكلمة من معاني الإعداد ، فلابد أن تعد الأمة العدة وأن تأخذ بأسباب النصر والعز ، لا أقلل من شأن هذا الطرح فطالما طرحناه وكررناه وأصلناه ، لكنني أخشى مع تكرار هذا الطرح أن نغفل عن سبب جليل من أعظم أسباب النصر والعز والتمكين ألا وهو الدعاء مع خطر الأسباب المادية التي ذكرت ، فأخشى أن نغفل عن الدعاء بدعوى أننا نعيش عصر يتحدث عن أحداث ما وصلت إليه التقنية الحديثة في الوسائل الحربية والقنابل الذرية والنووية والهيدروجينية إلى غير ذلك ، نتحدث عن هذه الأسباب المادية ، ونخشى في هذا الوقت أن نغفل عن الدعاء أو أن يحتقر بعض شبابنا الدعاء ، فكثير ما يطرح علىَّ شبابنا يا شيخ : طالما دعونا ما تغير شيء رأيت المساجد في رمضان تقنت وتتضرع إلى الله في الوتر ، بل وفي الفجر أحيانًا في وقت النوازل وما تغير شيء ، بل بعض شبابنا يزعم أن الأمر الآن بالدعاء من التواكل وهذا فهم مقلوب ومغلوط فلقد كان الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء ، فمن المهم الدعاء فإن الإجابة معه ، لكني سأبين شروط قبول الدعاء ، لماذا لا يستجيب الله دعاءنا ؟ فالدعاء صلة تربط العبد بسيده ومولاه لاسيما في هذا الزمان التي تزاحمت فيه الضوائق والكربات وتعددت فيه الفتن والمشكلات والأزمات ، وأصبح المسلم ينظر حوله في

حيرة ودهشة من أمره .

هنا يجب على المسلم والمؤمن أن يطرح قلبه بذل وانكسار بين يدي العزيز الغفار، وأن يقوم ليبث لسيده ومولاه همومه وشكواه وهو يقول :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وبت أشكو إلى مولاي ما أجد

فقلت يا أملي في كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ... ما لي إلى حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي بالذل مبتهلا ... إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

ما أحوج المسلم الآن إلى هذه الصلة ، إلى هذا الرباط ، فإني أدين لله الآن ، أننا في أمس الحاجة إلى أن نضرع إليه بقلوب صادقة ، بقلوب خالصة ، بقلوب ليست غافلة ، ليست لاهية ، ما أحوج الأمة الآن أمام هذا العدو الشرس أن تأخذ بالأسباب ، وأن تعد العدة في حدود قدراتها وإمكانياتها ، وأن تتضرع إلى من يدبر الكون كله وإلى من بيده الأمر كله ، فهو وحده سبحانه القادر على أن يغير الذل إلى عز ، والضعف إلى قوة ، والمهانة إلى كرامة ، والفقر إلى غنى ، ما أحوجنا إليه ؛ ولذلك ما من آية في القرآن سئل فيها حبيبنا المصطفى ﷺ إلا وكان الجواب من الله للنبي بقوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٧] .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢١٩]

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩] .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠]

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ﴾ [المائدة:٤] .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف:١٨٧]

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:١] .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وما عليك أيها الحبيب إلا أن تختار الزمان والمكان وأن تناجي الرحيم الرحمن ، إذا أردت أن تقابل من أهل الدنيا وزيرًا أو أميرًا أو رئيسًا يحدد لك الزمان ، ويحدد لك المكان ، ويحدد لك وقت الزمان ، ويحدد لك أحيانًا ما الذي ينبغي أن تتحدث فيه ، لكنك إذا أردت أن تنادي ملك الملوك جبار السموات والأرض ، أنت الذي تحدد الزمان والمكان واللقاء والكلام ، وأنت الذي تنهي اللقاء ، واعلم بأن الله لا يمل حتى تمل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

ولا واسطة ما عليك إلا أن ترفع أكف الضراعة إليه ، وأن تطرح قلبك بذل وانكسار بين يديه ، وأن تبثه شكواك وهمومك ونجواك ، ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٨٦] ، ففضل الدعاء عظيم .

روى الإمام البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه وغيرهم بسند صحيح من حديث النعمان بن بشير أن البشير النذير ﷺ قال : « **الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةَ** »[(١)] كيف اختزل النبي ﷺ قضية العبادة كلها في الدعاء هو العبادة .

أما « **الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ** » ففي سنده ضعف والصحيح:« **الدُّعَاءُ: هُوَ الْعِبَادَةَ** » .

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح من حديث سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« **إِنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ** »[(٢)] .

الله يستحي من عبده إذا رفع العبد إلى الله يديه ، بذل وابتهال وتضرع وإلحاح ، الله يستحي أن يرد عبده دون أن يقضي له حاجته ، قد يسألني كثير من الإخوة طالما دعوت الله فلم يستجب الله لي .

ففي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بسند حسنه العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٣٥) ، وأبو داود في الصلاة (١٤٧٩) ، والترمذي في التفسير (٢٩٦٩) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨) ، وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) ، وابن أبي شيبة في الدعاء ، باب فضل الدعاء (٧/ ٢٣) رقم (١) وهو حديث صحيح .

(٢) صحيح الإسناد: رواه أحمد (٥/ ٤٣٨) ، وأبو داود في الصلاة (١٤٨٨) ، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٥) .

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا ـ أي بدعوته ـ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا » (١) .

انتبه أيها اللبيب : « إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا » .

ما رأى العبد إجابة للدعاء خذ الثانية :

« وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ » .

ووالله إنها لكرامة ، فالدنيا مهما طالت فهي قصيرة ، ومهما عظمت فهي حقيرة ، أما الآخرة فما أحوج العبد في لحظات الكربات بأن يجد دعوة قد تضرع بها إلى رب الأرض والسموات في الدنيا ، وأجل الله له جواب دعوته لهذا اليوم العصيب الرهيب ، الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . « وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا » .

يصرف الله عنك سوء أنت لا تعرفه ، مرض أنت لا تتوقعه ، بلاء أنت ما رتبت له وما فكرت فيه ، فما عليك في كل الأحوال إلا أن تتضرع إلى الكبير المتعال ، وأنت على يقين أن الله جل وعلا إن صدقت وحققت الشروط لن يردك دائمًا خائبًا خالي الوفاض .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد أيضًا بسند حسن من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ » (٢) .

هذا تأصيل مهم جدًا لشبابنا من لم يسأل الله يغضب عليه ، إن سألت

---

(١) حسن الإسناد: رواه أحمد (٣/ ١٨) ، والحاكم (١/ ٤٩٣) وصححه ووافقه الذهبي .
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٧٥ ، ٦٧٦) ، وأحمد (٢/ ٤٤٢) وسنده حسن .

بني آدم غضب منك ، إن سألت أخاك غضب منك ، إن سألت رئيسك في العمل غضب منك ، لكنك إن لم تسأل الكريم جل وعلا يغضب عليك ، من لم يسأل الله يغضب عليه .

وأختم هذا العنصر الأول لطول الموضوع بهذا الحديث الجميل الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ـ يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل بالدعاء ـ فقال لهم النبي ﷺ :

« **أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ** ـ أي : هونوا على أنفسكم ـ لماذا تدعون الله بهذا الصراخ ـ **إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُم وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ** » (١) .

« **وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» أي: من التي تركبونها.

قال الله جل وعلا : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ [ق:١٦] .

قال : « **وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ** » (٢) .

يقول عبد الله بن قيس ـ وهو ابن موسى الأشعري: وأنا خلف رسول الله ﷺ أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقول : أقول في نفسي ما تلفظت بها فنادى عليه النبي ﷺ وقال : « **يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ** » ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ الله ، قال له الحبيب : « **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ**

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٩٩٢) ، وفي المغازي (٤٢٠٥) ، وفي الدعوات (٦٣٨٤) ، وفي القدر (٦٦١٠) ، وفي التوحيد (٧٣٨٦) ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤/ ٤٤) .

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤/ ٤٦) .

الْجَنَّةِ ؟ » قال : قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قال المصطفى : « قُلْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله » [١] .

إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، بل تدعون سميعًا ، يسمع دبيب النملة السوداء ، تحت الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، بصيرًا لا يغيب عن بصره ، ولا عن علمه شيء ، فما من جبل على ظهر الأرض إلا ويعلم الله ما في وعره ، وما من بحر ولا نهر على سطح الأرض إلا ويعلم الله ما في قعره ، وما تحمل من أنثى ولا تضع على ظهر الأرض إلا بعلمه ، سبحانه تبارك وتعالى من سمع صوته الأصوات .

جاءت المرأة المجادلة تشكو زوجها للنبي ﷺ وهو في حجرة السيدة عائشة تقول عائشة ـ رضي الله عنها : وأنا في جانب من الغرفة لا أستمع إلى شكواها حتى استمع الله عز وجل لشكواها ونزل قول الله من فوق سبع سموات : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١] .

صفتان لله عز وجل فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إنكم تدعون سميعاً بصيراً ، والسؤال الآن بعد ما وضحت الجواب عن السؤال الخطير الذي طرحته في بداية الموضوع الأول ألا وهو: لماذا لا يستجيب الله دعاءنا ؟

وهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانياً : شروط قبول الدعاء :

متى يرفع الدعاء إلى السماء؟ من أعظم هذه الشروط وأجلها : الإخلاص

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥) وفي الدعوات (٦٣٨٤ ، ٦٤٠٩) وفي القدر (٦٦١٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤/ ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

قال تعالى : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥]

هل حققنا الإخلاص ، ما هو الإخلاص ؟ هو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك ، أن تبتغي بعملك وجه الله سبحانه وتعالى ، أن تعلم يقينًا أنه لن يفرج كربك ويكشف همك إلا الله :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧] .

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بخير فإن الفارج الله

وإذا بليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة ... لا تجزعن فإن الصانع الله

إن كمال العبودية وتمام التوحيد أن تعلم يقينًا أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله ، من يجيب المضطر إذا دعاه ، من ذا الذي صدق ودعا ربه وخيب رجاءه ؟ هل صدقت الله ودعوت مرة فخيب رجاءك ، هل صدقت الله مرة فخيب رجاءك ؟ هل صدقت الله مرة فخيب رجاءك ورد دعاءك ؟ لكن طالما رد الله دعاءنا لأسباب كثيرة ستتضح لنا الآن ، لكن ما إن صدقت وحققت الإخلاص والعبودية إلا واستجاب الله لك وفرج كربك ، وكشف غمك وأزال همك ، تضرع إليه نبيه نوح ـ عليه السلام :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾

وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر:١٠-١٤] .

وتضرع إليه نبيه يونس في بطن الحوت : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۢجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧ ، ٨٨] .

وتضرع إليه خليله إبراهيم وهو في النيران بهذه الكلمة الجميلة : « **حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الْوَكِيل**» [(١)]. فأمر الله النار فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

ولجأ إليه نبيه موسى حينما قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦١ ، ٦٢] . ونجاه رب العالمين .

ولجأ إليه نبيه المصطفى محمد ﷺ ووقف في بدر أمام جيش جرار وتضرع إلى العزيز الغفار :

« **اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ وَعْدَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ وَعْدَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي** » .

فنصر الله جل وعلا عبده ، وأذل الشرك والمشركين ، وتبعثر المشركون في الصحراء كتبعثر الفئران ، ولجأ إليه كل صديق وكل صادق وكل صالح وكل مؤمن فما خيبه سبحانه وتعالى .

ومن جميل ولطيف ما أستأنس به وقد ذكرت الأدلة الكثيرة ما ذكره الحافظ ابن كثير عند قول الله تعالى :

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٣ ، ٤٥٦٤) .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

ذكر أن عبدًا من الصالحين ، خرج عليه قاطع طريق ، وأراد أن يسلب ماله ويقتله ، فقال له هذا العبد الصالح : خذ مالي ودعني أرجع إلى أهلي وعيالي فأبى قاطع الطريق إلا أن يقتله ، فقال له : دعني أركع لله ركعتين ، وغاب عن هذا الرجل الصالح كل دعاء إلا أن الله جل وعلا ذكره بهذه الآية الكريمة :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

وقال : يا ودود يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعَّال لما يريد ، يا من ملأ نوره أركان عرشه ، يا مغيث المستغيث أغثني ، فلما انصرف من صلاته وجد فارساً يصوب حربة في يده إلى قاطع الطريق فيقتل في الحال فيقوم إليه ويتعلق به ويقول له : من أنت ؟ فيقول له : أنا رسول من يجيب المضطر إذا دعاه ، لا تسأل عن المخرج ما عليك إلا أن تصدق الله فحسب : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

يعني أإله مع الله يجيب المضطرين ؟ أإله مع الله يسمع دعاء المتضرعين ؟ أإله مع الله يكشف البلوى عن المبتلين ؟ أإله مع الله ؟ الآن ينصر الأمة أمام الظالمين والمتكبرين لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا ملجأ إلينا اليوم إلا إليه جل في علاه .

فأول شرط من شروط قبول الدعاء : أن نخلص لله جل وعلا وأن نحقق

التوحيد الكامل له سبحانه وتعالى .

ثانيًا : عض على الثانية بالنواجذ ـ تحر الحلال في المأكل والمشرب والملبس رجلٌ طعامه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي جسده بالحرام ، لا يستجيب له حتى يتوب إليه .

الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال :

« **إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٢] ».

ثُمَّ ذَكَرَ ﷺ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ [1].

هل عرفتم الجواب اللهم جنبنا الحرام .

مشى إبراهيم بن أدهم ذات يوم على سوق البصرة ، فلما عرف الناس أن إبراهيم بن أدهم بينهم أسرعوا إليه والتفوا حوله وهو العالم الزاهد العابد التقي الورع وقالوا له : يا أبا إسحاق ، ما لنا ندعوا الله فلا يستجيب لنا ؟

فقال إبراهيم بن أدهم : لعشرة أسباب ـ أرجو أن تتدبروا الأسباب وأخبروني عن سبب واحد ليس فينا ـ قال : لعشرة أسباب قالوا : هاتها يرحمك الله .

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥/ ٦٥) . .

قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه ، وزعمتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها ، وقلتم : إن الشيطان لكم عدو ولم تخالفوه ، وانتبهتم من نومكم فانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم ، وقلتم : إن الموت حق ولم تستعدوا له ، وقلتم : إن الجنة حق ولم تعملوا لها ، وقلتم : إن النار حق ولم تهربوا منها ، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم .

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي قد كان مني

فكم من ذلة لي في البرايا ... وأنت علي ذو فضل ومن

يظن الناس بي خيرًا وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

هذا واقعنا وحالنا .

الشرط الثالث من شروط قبول الدعاء : عدم الاستعجال ، فكثير من إخواني وأخواتي يتصورون أن إجابة الله دعاء العبد أن يحقق الله سؤاله في التو واللحظة ، هذا سوء أدب خطير مع الله .

روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ** » قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ـ وهذا اللفظ لمسلم ـ وَمَا الِاسْتِعْجَال ؟ قال : « **يَقُولُ الْعَبْدُ : قَدْ دَعَوْتُ وَ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَابُ لِي . قَالَ : فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** » [(١)] .

واقع نحياه يقول العبد : قد دعوت فأنا طوال سنة أدعو قد دعوت وقد دعوت وقد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي قال : « **فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** » يصاب بالحسرة « **فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** »

(١) رواه البخاري في الدعوات (٣٦٤٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥) .

يترك الدعاء . هذه بعض شروط قبول الدعاء ، أسأل الله أن يعيننا على تحقيقها .

ثالثا : آداب الدعاء :

من آداب الدعاء ونرجو أيضًا أن يستجيب الله جل وعلا دعاءنا إن حققنا الشروط والآداب .

من أعظم هذه الآداب أن نتحرى أوقات الإجابة ، وأوقات الإجابة للدعاء كثيرة ولله الحمد والمنة : فمنها شهر رمضان ؛ ففي رواية الطبراني بسند حسن من حديث عبادة بن الصامت أنه ﷺ كان إذا أقبل رمضان يقول :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، يَغْشَاكُمْ اللهُ فِيهِ فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ وَيَحُطُّ الْخَطَايَا وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ وَيَنْظُرُ فِيهِ إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِي الْخَيْرِ ، فَأَرُوا اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

ومن باب الأمانة من أهل العلم من يضعف سنده إلا أن الراجح أن سنده حسن، فرمضان وقت من أوقات استجابة الدعاء ، وقد ذكر النبي الصائم من بين من لا يرد الله دعوتهم : الصائم حين يفطر ، ومن أوقات الإجابة في الأيام يوم عرفة ففي الحديث الذي رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن أنه ﷺ قال :

« خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ » (٢) .

اللهم يسر لنا حجةً لبيتك الحرام ، وزيارة لمسجد نبيك ـ عليه الصلاة والسلام ـ « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ » .

---

(١) حسن الإسناد: رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٢) .

(٢) حسن الإسناد: رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٨٥) ، ومالك في الموطأ في القرآن (١/ ١٨٨) رقم (٣٢) ، وفي الحج (١/ ٣٣٧) رقم (٢٤٦) .

ومن الأيام يوم الجمعة ، فلقد تواترت الأدلة والأحاديث الصحيحة على أن في الجمعة ساعة إجابة إذا وافقها عبد يسأل الله عز وجل فيها شيئًا أعطاه فمن الشهور : شهر رمضان ، ومن الأيام : يوم عرفة ، ومن الأيام : يوم الجمعة ، ومن الليالي : ليلة القدر . ففي الصحيحين :

« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (١) .

وحينما سألت عائشة رسول الله عن الدعاء في هذه الليلة علمها تقول :

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢) .

ومن الساعات : ساعات الإجابة الثلث الأخير من الليل ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

« يَنْزِلُ الله إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْمَلِكُ ـ جل وعلا ـ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ » (٣) .

ومن الساعات : ساعة السجود أينما كانت ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» (٤) أكثر الدعاء وأنت ساجد .

ومن أوقات الإجابة أيضًا : وقت نزول المطر ، هذا وقت من أوقات الإجابة ، ووقت التحام الصفوف حينما يلتقي المسلمون مع المشركين ، إلى

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (٣٨) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠/ ١٧٥) .
(٢) صحيح الإسناد: رواه الترمذي في الدعوات (٣٥١٣) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٠) ، وأحمد (٦/ ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٣) .
(٣) رواه البخاري في التهجد (١١٤٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨) .
(٤) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢/ ٢١٥) .

غير ذلك من الأوقات ، فمن الآداب أن نتحرى أوقات الإجابة ، ومن هذه الأوقات التي يضيعها كثير منا : وقت ما بين الأذان والإقامة ، فالدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم الدعاء .

أيضاً من آداب الدعاء : الإلحاح والتضرع والمبالغة في التذلل ، المبالغة في التذلل والعزم . روى البخاري من حديث أنس قال : رأيت النبي ﷺ يدعو الله رافعًا يديه حتى رأيت بياض إبطيه [(١)] .

قد ثبت أنه رفع يديه بمحاذاة وجهه ، وإنما ضم اليدين والأصابع متجهة إلى السماء دعا الله عز وجل بهما وقد قنع بهما وجهه يعني : بمحاذاة ، وثبت عنه أنه رفع يديه في دعاء التضرع هكذا حتى ظهر بياض إبطيه وسقط الرداء عن منكبيه ﷺ ، كل هذا ثابت عن رسول الله ﷺ .

ومن الآداب أيضًا : أن تبدأ الدعاء بالصلاة على النبي المصطفى ﷺ ، وأن تختم الدعاء بالصلاة على النبي المصطفى ﷺ ، هذا ما قاله كثير من علمائنا فإن الله عز وجل يقبل الصلاة على رسول الله نرجو الله ألا يرد دعاء بين دعاءين متصلين ألا وهما الصلاة على النبي في أول الدعاء وفي آخر الدعاء .

العزم والإلحاح والمبالغة قال النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّ الله لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» [(٢)] .

لا يكره أحد ربنا ، سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، إذا دعى أحدكم ربه فليعزم المسألة **« لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ**

---

(١) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠٣٠ ، ١٠٣١) .

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٨) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٨/ ٧) .

ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ الله صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرِهَ لَهُ» [١]
اللفظتان صحيحتان ثابتتان عن رسول الله ﷺ .

أيضاً من آداب الدعاء : عدم الاعتداء ولقد روي أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها . فقال له : أي بني ، سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول :

« إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ» [٢] .

فهذا من باب الاعتداء في الدعاء ، لا تحدد أنت القصر الأبيض والقصر الأحمر والأخضر فلا علم لك بذلك ، وإنما سل الله الجنة وتعوذ به من النار .

أيضاً من آداب الدعاء : ألا يدعو أحدنا على ولده ولا على ماله ولا على نفسه وهذا مرض سائر بين كثير من المسلمين إذا تألم الوالد من ولده دعا الله عليه ، وإذا غضب الابن من أمه دعا الله عليها هذا خطأ وهذا سوء أدب وهذه مخالفة للسنة ؛ لأن الرسول ﷺ قال :

« لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ فَتُوَافِقُوا سَاعَةَ لَيْلٍ يَسْتَجِيبُ الله مِنْكُمْ الدَّعَاءَ » [٣]

قد تكون ساعة فيها يستجيب الله منك الدعاء على ولدك أو على مالك أو على نفسك فتندم بعد ذلك أشد الندم ، فمن السنة والأدب ألا يدعو المسلم لا على نفسه ولا على ماله ولا على ولده .

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٩) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٩/٢٦٧٨) .
(٢) رواه أبو داود في الطهارة (٩٦) ، وأحمد (٤/ ٥٥ ، ٨٧) وسنده صحيح .
(٣) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٩) .

هذه بعض شروط الدعاء وهذه بعض آداب قبول الدعاء ، أو لم أقل أن الدعاء أمر جليل وشأنه عند الله عظيم ؟ ورضي الله عن عمر إذ يقول : إني لا أحمل هم الإجابة بل أحمل هم الدعاء ومن ألهم الدعاء ألهم الإجابة معه :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وأخيرًا أود أن أذكر إخواني وأخواتي وأحبابي وأمهاتي بدعاء ينبغي لنا جميعًا أن نتعلمه وأن نحفظه وأن نتضرع إلى الله عز وجل به ؛ لأن النبي ﷺ قد سن لنا هذا ، ففي مسند أحمد ومستدرك الحاكم كذلك رواه البزار وغيرهم بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَا أَصَابَ أَحَدٌ قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنَ » .

من منا لم يصب بالهم ؟

لا أعلم مسلمًا واحدًا صادقًا على وجه الأرض إلا والهموم تعصف بقلبه .

مَنْ مِنَ المسلمين لا يعصف بقلبه هم الأمة وهم إخواننا في فلسطين وهم الذل المجسد في العراق وهم الذل المجسد في الشيشان وفي السودان وفي غيرهما ؟ هموم تعصف الآن بالقلوب ، والرسول ﷺ الآن يعلمنا .

أنا لم أتوقف عن الهموم الفردية هم الزوجة وهم الأولاد وهم الراتب وهم الوظيفة وهم الصحة وهم الأرض وهم البهائم وهم التجارة وغيرها من الهموم الصغيرة ، اجعل الهم الأول في خريطة همومك هو هم الدين ، اللهم اجعل همنا الأول هو هم الآخرة قال ﷺ :

« مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللهمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا » .

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟

فَقَالَ: « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » [1] .

أصلت في أول الموضوع : لا تغفلوا عن الدعاء في الوقت الذي لا تقلل فيه من شأن الأخذ بالأسباب المادية ، في الوقت الذي نعد فيه العدة العسكرية والسياسية والإعلامية والتعليمية والاقتصادية والفكرية والإيمانية والعقدية والتعبدية والخلقية ، لا ينبغي مع هذا كله أن نغفل عن الدعاء وأن نتضرع إلى ملك الملوك وجبار السموات والأرض ، فوالله ليس أحد أرحم بالمستضعفين من الله فما علينا إلا أن نرفع أكف الضراعة بعد أن يأخذ كل واحد منا بالأسباب التي يملكها ويقدر عليها في حدود قدرته وإمكانياته .

قال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

إن أخذت بالأسباب في حدود إمكانياتك فلا تغفل عن الدعاء . هذا هو واجبنا الآن أن ننصر المسلمين المستضعفين في فلسطين في العراق في الصومال في السودان في الشيشان في كل مكان .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٩١ ، ٤٥٢) ، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢) ، والبزار (١/ ٣٠٤) ، والحاكم (١/ ٥٠٩) .

واجبنا أن ننصرهم بأنفسنا ودمائنا إن استطعنا ، فمن لم يستطع وحيل بينه وبين ذلك فبماله وإن قل ، فإن لم يستطع فبالدعاء بالتضرع إلى رب الأرض والسماء ، فإن الدعاء سهم من سهام الليل لا يرد إن صدقنا الله وحققنا الشروط والآداب في الدعاء والتضرع ، ثم الدعوة إلى الله عز وجل في تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولتحقيق البراء من الشرك والمشركين ولتربية الأولاد في البيوت تربية جديدة على القرآن والسنة ، لنعد جيلاً يستحق من الله النصر والعزة والتمكين .

كل واحد منا يجب عليه أن يبذل ذلك ونحن على يقين بأن الله لا يسألك عن أمر لا تطيقه لا تقدر عليه ، والله أعلم بنفسك من نفسك ، وأنا أذكركم مثالاً يسيرًا لإخواننا وأقول : إن كنت تقدر على حمل مائة كيلو فلن يسألك الله أبدًا لماذا لم تحمل مائتين أبدًا، فابذل ما تقدر عليه ما تملكه ما تستطيعه ، ثم بعد ذلك لا عذر لأحد إن قال : أنا لا أستطيع الدعاء لا عذر لك ، قم بالليل وارفع أكف الضراعة إلى الله أن يفرج الكرب وأن يكشف الغم عن الأمة .

وما أحوجنا إلى أن نرفع أكف الضراعة إلى رب الأرض والسموات بالدعاء .

حقوق يجب أن تعرف

حق اليقين



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق اليقين

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق اليقين** » .

وحق اليقين حق كبير جليل وسوف أحصر هذا الحق الجليل في العناصر التالية :

أولاً : منزلة اليقين وعلاماته .

ثانيًا : أوجه اليقين ودرجاته .

ثالثًا : شموس في سماء اليقين .

وأخيرًا : أمة تحتاج إلى اليقين .

أولاً : منزلة اليقين وعلاماته :

اليقين هو العلم وزوال الشك .

قال ابن القيم ـ رحمه الله :

ومنزلة اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد تفاضل به العالمون وإليه شمر العاملون وفيه تنافس المتنافسون ، قال رب العالمين : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] .

فإذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهم الإمامة في الدين .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]

وخص الله أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات:٢٠] .

وخص أهل اليقين والفلاح فقال رب العالمين : ﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١-٥] .

وأهل اليقين هم أهل الإيمان وأصحاب الجنان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات:١٥] أي : لم تعصف ريح الشكوك بحقيقة الإيمان واليقين في قلوبهم .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ أعطاه نعليه وقال :

« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ : اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» .

وبين الله أن أهل النار ما كانوا من أهل اليقين قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية:٣٢] .

فاليقين هو روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح ، فإذا وصل اليقين إلى القلب امتلأ القلب نورًا وإشراقًا وإيمانًا ومحبة لله ، وخوفاً من الله ، وثقة في الله ، وشكرًا لله ، ورضًا بالله ، وتوكلاً عليه ، وإنابة إليه .

قال سفيان الثوري : إذا امتلأ القلب باليقين طار شوقاً إلى الجنة وهو يأمن النار .

ومن علامات اليقين النظر إلى الله في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال ، النظر إلى الله في كل شيء صاحب القلب الذي ذاق حلاوة اليقين يراقب الله في السر والعلن ، يراقب الله في كل شيء لا يغيب عن قلبه ولا عن بصره ولا عن سمعه قول ربه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة:٧] .

وصاحب اليقين يرجع إلى الله في كل شيء ليرضى بعمله ربه سبحانه وتعالى ، هل هذا العمل على مراد الله وعلى شرع رسول الله ؟ وهل هذا العمل يرضي الله تبارك وتعالى ؟ فهو يرجع إلى الله في كل شيء ويستعين بالله في كل شيء ؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول .

فما هي أوجه اليقين ودرجاته ؟ هذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .

أوجه اليقين ودرجاته :

قال أبو بكر الوراق : نقل ذلك عنه الإمام ابن القيم في المدارج قال : اليقين على ثلاثة أوجه : يقين خبر ، ويقين دلالة ، ويقين مشاهدة .

يقين خبر : وهو أن يسكن القلب للخبر فكيف يكون سكون القلب؟ وكيف يكون ثقة القلب لخبر عن الله ورسوله ؟ فإذا جاء الخبر عن الله وإذا ثبت الخبر عن رسول الله فهو اليقين هذا يقين الخبر .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧] .

وقال في حق نبيه : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:١-٤] .

وقال تعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣] .

فيقين الخبر: أن يثبت الخبر عن الله وعن الصادق رسول الله ﷺ .

أما يقين الدلالة : فهو أن الله تبارك وتعالى مع أنه أصدق القائلين والخبر من الله كل الصدق بل هو الصدق واليقين ، ومع ذلك فإن الله تعالى يقيم الأدلة على صدق خبره فهذا يقين الدلالة فهو يثبت وحدانيته تبارك وتعالى بالدليل القاطع في القرآن :

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٠-٦٤].

لله في الآفاق آيات لعل ... أقلها هو ما إليه هداك

ولعل ما في النفس من آياته ... عجب عجاب لو ترى عيناك

والكون مشحون بأسرار إذا ما ... حاولت تفسيرًا لها أعياك

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداك

قل للمريض نجا وعوفي بعد ما ... عجزت فنون الطب من عافاك

قل للصحيح يموت لا من علة ... من يا صحيح بالمنايا دهاك

بل سائل الأعمى خطا وسط الزحام ... بلا اصطدام من يا أعمى يقود خطاك

بل سائل البصير كان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواك

وسل الجنين يعيش معزولا بلا ... راع ومرعى من ذا الذي يرعاك

سل الوليد بكى وأجهش بالبكاء لدى الولادة ما الذي أبكاك

وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلَّاك

بل سائل اللبن المصفى من بين فرث ودم من ذا الذي صفاك

وإذا رأيت النبت في الصحراء يربو وحده فاسأله من أرباك

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله يا نخل من شق نواك

وإذا رأيت البدر يسري ناشراً أنواره فاسأله من أسراك

وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار من أوراك

وإذ ترى الجبل الأشم مناطحًا قمم السحاب فسله من أرساك

أإله مع الله ؟ هذا يقين الدلالة .

سل الواحة الخضراء والماء جاريا

وهذي الصحاري والجبال الرواسيا

سل الروض مزدانا سل الزهر والندى

سل الليل والإصباح والطير شاديا

سل هذه الأنسام والأرض والسما

سـل كـل شيء تسـمع التوحيـد لله سـاريا

فلـو جـن هـذا الليـل وامتـد سرمـدا

فمـن غـير ربي يرجـع الصـبح ثانيـا

لا رب غيره ، ولا معبود سواه ، أإله مع الله ؟

انظـر لتلـك الشـجرة ذات الغصـون الـنضره

كيـف نمـت مـن حبـة وكيـف صـارت شـجره

ابحث وقل من ذا الذي أنعمـه منهمـره

ذو حكمـة بالغـة وقـدرة مقتـدره

وانظر لتلك الشمس التي جـذوتها مسـتعره

فيهـا ضـياء وبهـا حـرارة منـتشره

فابحث وقل من ذا الذي يخـرج منهـا الشرره

ذاك هـو الله الـذي أنعمـه منهمـره

ذو حكمـة بالغـة وقـدرة مقتـدره

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥-٧٩] .

فمع أن الخبر من رب العالمين ومن سيد الصادقين ، فإن الله يقيم الأدلة على صدق خبره وصدق خبر رسله وأنبيائه فيجري المعجزات على أيدي الرسل ؛ ليثبت للخلق صدقهم وأنه من عند الله .

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾

[البقرة:٢٣، ٢٤]

فالله سبحانه وتعالى يقدم اليقين لأهل اليقين من جهتين : من جهة يقين الخبر ، ومن جهة يقين الدلالة ، فالخبر من الله ومع ذلك يقيم الأدلة على صدق الخبر ، فيقدم البراهين على أن الله هو الإله الحق ، ويقدم البراهين على أن دينه هو الحق وعلى أن الرسل والأنبياء هم أهل صدق وإنما هم مرسلون من قبل الله جل وعلا .

لماذا : لينتقل بالناس بعد ذلك إلى مرتبة يقين المشاهدة ، من يقين الخبر إلى يقين الدلالة إلى يقين المشاهدة بمعنى : أن ينتقل المؤمن بعد يقين الخبر إلى يقين الدلالة إلى يقين المشاهدة هذا فينظر إلى كل خبر عن الله وعن رسول الله وكأنه يراه بعينيه وكأنه يشاهده هذا يقين المشاهدة .

قال أحد السلف :

إني رأيت الجنة والنار . قالوا : فكر فيما تقول يا رجل . قال : والله لقد رأيت الجنة والنار .. قالوا : كيف ذلك ؟ قال : رأيتهما بعيني رسول الله

ورؤيتي لهما بعيني رسول الله أوثق عندي من رؤيتي لهما بعيني ؛ لأن بصري قد يزيغ وقد يطغى، أما بصر النبي فقد قال فيه ربه العلي :

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧] .

انظروا إلى يقين المشاهدة .

قال أحدهم : والله لو كشف الحجاب ما ازددت يقينًا والله لو كشف الحجاب ما ازددت يقينًا لماذا ؟ لأنه انتقل إلى يقين المشاهدة لكل خبر انتقل إليه عن الله وعن رسوله ﷺ لو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً ، والله لو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً لماذا ؟ لأنه انتقل إلى يقين المشاهدة لكل خبر انتقل إليه عن الله وعن رسوله ﷺ .

لو كشف الحجاب ما ازددت يقينًا .

هذه هي أوجه اليقين فما هي درجاته ؟ درجات اليقين تنقسم إلى ثلاثة أقسام : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

أما علم اليقين : فهو العلم الثابت عن الله ورسوله هذا علم اليقين ، علم عن الله بأسماء جلاله وصفات كماله ، علم عن البرزخ والبعث والموت والصراط والميزان والجنة والنار ، علم ثابت عن الله ورسوله علم اليقين .

قال عالم إنجليزي مشهور : إن كل ما وصل إليه العلم الحديث إلى يومنا هذا إنما هو مجرد احتمالات ، فإن نظرية تخرج اليوم لتنقضها نظرية بعد اليوم أو لتزيد عليها أو لتنقص منها .

أما علم اليقين : فهو علم عن رب العالمين ، وعن الصادق الأمين .

أما عين اليقين : فهو العلم الذي لا يحتاج صاحبه إلى دليل ، لو أن رجلاً

أخبرك بأن عنده عسلاً وهو صادق عندك فهذا علم اليقين ، فإن أحضر لك العسل ورأت عينك العسل فهذا عين اليقين ، فإن أطعمك قليلاً من العسل ، هذا حق اليقين ، فعلمنا بالجنة والنار فهذا علم اليقين ، فإذا قامت القيامة وأزلفت الجنة للمتقين ، وعاينها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين ، وعاينها الخلائق فهذا عين اليقين ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فهذا حق اليقين :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الواقعة:٧٥-٩٠] .

إن كان من أهل القرب وهذه هي الدرجة الأولى من درجات أهل الإيمان: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الواقعة:٨٩، ٩٠]

وهذه الدرجة الثانية: ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ .

نعوذ بالله من الثالثة : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة:٩٢-٩٤] ، كل هذا الذي سبق ﴿ إِنَّ

هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٩٥ ، ٩٦] .

قال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:١-٨] ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة:٤٤-٥٢] .

فعلم اليقين : علم عن الله ورسوله .

عين اليقين : أن ترى بعينيك .

حق اليقين : أن تنتقل لتعيش في هـذا النعـيم ، أسـأل الله أن نكـون مـن أهله ، وليعيش أهل الجحيم في الجحيم ونعوذ بالله من النار .

فتعالوا بنا أيها الأفاضل لندخل بستان اليقين ، هل يا ترى حقـق الـذي ذكرت أناس من البشر؟ نعم .

وهذا هو عنصرنا الثالث والمهم :

شموس في سماء اليقين :

وأعظم الخلق تحقيقًا لليقين هم الأنبياء والرسل .

تدبر معي يقين نبي الله نوح الذي قام امتثالاً لأمر ربه ليصنع سفينة على

الرمال : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:٣٧] أمر ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ﴾ [هود:٣٨]

أي عقل لهذا الرجل ؟ يصنع سفينة على الرمال ، أين المياه أين البحار والأنهار والمحيطات ، إن الماء بعيد كل البعد عن الموطن الذي يصنع فيه نوح السفينة ، مع ذلك فهو ممتلئ القلب باليقين لأمر ربه تبارك وتعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [هود:٣٧]

فصنع نوح الفلك فكان ما تعلمون لما زاد البلاء واشتد الاضطهاد وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء الحار: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر:١٠] .

فكانت النتيجة : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر١١-١٤] .

وهذا نبي الله إبراهيم يلقي في النار ، ويأتيه جبريل أمين أهل السماء : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ فانظروا إلى حلاوة اليقين ، فيرد إبراهيم ويقول : حسبي الله ونعم الوكيل .

هذا هو الثابت الصحيح كما في الصحيح [(١)]، أما القول المشهور على ألسنة بعض إخواننا من أهل العلم أن إبراهيم قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي فلم يثبت عنه ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ إنما الذي ثبت

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٣ ، ٤٥٦٤) .

أنه قال : حسبي الله ونعم الوكيل .

قالها إبراهيم حينما ألقي في النار ، وقالها أصحاب محمد حينما قيل لهم : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٣ ، ١٧٤] .

وهذا نبي الله موسى عندما كان فرعون وجنده من خلفه والبحر أمامه والمستضعفون مع نبي الله موسى يخشون من فرعون وبطشه : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [الشعراء:٦١] .

أي : جمع نبي الله موسى وجمع فرعون : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء:٦١] .

قال صاحب اليقين موسى : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢] .

وهذا صاحب أعلى يقين عرفته الأرض ، إنه يقين الحبيب محمد ﷺ :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] .

إنه يقين الحبيب ، فالمشركون قد أحاطوا بالغار من كل ناحية ومع ذلك يقول الصديق لحبيبه : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا . فيرد عليه المصطفى ﷺ بقلب ذاق حلاوة اليقين وأي قلب سيذوق حلاوة اليقين إن لم يذقها قلب سيد المرسلين ، فيرد النبي ﷺ على الصديق بلغة اليقين يقول :

« لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا » [١] .

بل لقد جاءه خباب بن الأرت كما في صحيح البخاري يشكو إليه هذا العذاب وهذا البلاء : يَا رَسُولَ الله أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو الله لَنَا؟ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَة وَقَالَ :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ قَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى مفْرَقَ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ».

ثم قال :

« وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» » [٢] .

انظر إلى يقين النبي في نصرة دين الله وهو في أشد مراحل الاستضعاف ، وأنا بقلب يملؤه اليقين مع هذا الذل الذي تحياه الأمة فإن الجولة المقبلة لدين سيد المرسلين بشر بها النبي في أحلك الأوقات في الوقت الذي جاء فيه الصحابة وقد ظهر عليهم العذاب ، وتلون جسدهم تحت وقع السياط : « وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ » أي هذا الدين .

وأتم الله الدين وفتح الحبيب مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً وعليه نزل قول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

---

(١) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٥٢ ، ٣٦٥٣) ، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩/ ٧٥) ، وأحمد (١/ ٤) ، والترمذي في التفسير (٣٠٩٦) .
(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢) ، وفي مناقب الأنصار (٣٨٥٢) .

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] .

هذا هو اليقين ، قد يقول قائل : إنك تحدثنا عن الأنبياء وهؤلاء صفوة الله من خلقه وهؤلاء مختارون من قبل الله رباهم على عينه ، واصطنعهم لنفسه جل جلاله ، لكن هناك من البشر من جسد اليقين في دنيا الناس تجسيدًا لا يستطيع بليغ على وجه الأرض أن يعبر عن هذا اليقين اللهم إلا أن تعبر عنه كلمات القرآن الكريم .

تدبر هذا الموقف العظيم ، إنه موقف سحرة فرعون أناس من دقيقة واحدة يغترون بفرعون وببطشه وبجبروته ويقولون على مرأى ومسمع من الخلق وقد اجتمع الناس في ساحة واسعة ، وها هو نبي الله موسى في وسط هذه الحلقة ، وها هم سحرة فرعون ، يجلس فرعون باستعلاء يريد أن يثبت هزيمة نبي الله موسى ، وأن يعريه من صفة الرسالة والنبوة ، وينزل السحرة بكبر واستعلاء إلى ساحة النزال ويعلنونها صريحة : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٤٤] .

وكان ما كان بمجرد أن ألقى السحرة عصيهم وحبالهم وخيل إلى الناس من سحر السحرة أنها تسعى ، وليست في الحقيقة قد تحولت إلى ثعابين ، ويلقي نبي الله موسى عصاه فتتحول إلى ثعبان ضخم تلتقط في التو واللحظة كل هذه العصى وكل هذه الحبال ، وسحرة فرعون يعلمون السحر حقيقة ، فلما رأوا الآية والمعجزة قد تجسدت على وجه الأرض علموا يقينًا إنه رسول الله من عند الله اسمع :

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ

مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[الأعراف:١٢٠-١٢٤]

اسمع إلى حلاوة اليقين التي باشرت القلوب :

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٥٠، ٥١] .

وفي أوائل سورة طه : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾

[طه:٧٢]

بالله ما أروعه من مشهد ، بالله ما أجلها من كلمات ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، لا ضير في التصليب على جذوع النخل ، لا ضير في القتل ، ولا حرج في الشهادة ، لا ضير ؛ لأننا قد آمنا بربنا لقد ذاقت قلوبنا حلاوة اليقين بالله ، ذاقت قلوبنا حلاوة الإيمان بالله ، إنه اليقين الذي لا يتزعزع ، إنه اليقين الذي لا شك فيه ولا ريب .

الله ، الله ، إذا باشر اليقين القلوب ، الله الله إذا ذاقت القلوب حلاوة الإيمان ، إنه اليقين الذي يرتقي بالقلب من حمأ الطين إلى أعلى عليين ، إنه اليقين يسمو بالقلب إلى ما لم يكن يطمع إليه الخيال ، إنه اليقين الذي استعذب به سحرة فرعون كل عذاب إنه اليقين الذي يستعذب في سبيل الله كل عذاب ، إنه اليقين الذي يستعذب في سبيل الله كل عذاب ، لا ضير

لا حرج افعل ما شئت ، ذبح ، صلب ، قتل لأننا آمنا بالله وذاقت قلوبنا حلاوة اليقين بالله .

بك أستجير ومن يجير سواك فأجر ضعيفا يحتمي بحماك
إني ضعيف أستعين على قوي ذنبي ومعصيتي ببعض قواك
أذنبت يا رب وقادتني ذنوبي ما لها من غافر إلاك
دنياك غرتني وعفوك شدني ما حيلتي في هذه أو ذاك
لو أن قلب شك لم يك مؤمنا بكريم عفوك ما غوى وعصاك
يا منبت الأزهار عاطرة الشذى هذا الشذى الفواح نفح شذاك
يا مجري الأنهار ما جريانها إلا انفعالات لقطرة نداك
رباه ها أنا ذا خُلِّصت من الهوى واستقبل القلب الخلي هداك
رباه قلب تائب ناجاك أترد صادق توبتي حاشاك

حاشاك ترفض تائبا حاشاك

يرضى عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

وكأنه لازم عليه أن يستأذنوه في هذا النور الذي تسلل إلى قلوبهم فأحياها بعد موات ، كأنه كان من الواجب عليهم أن يقتلعوا اليقين الذي ثبت في أعماق أرواحهم : ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه:٧١] .

لكن هيهات هيهات إذا ذاقت القلوب حلاوة الإيمان برب الأرض والسموات فإما عظماء فوق الأرض وإما عظام تحت الأرض ، هذا حال أهل اليقين فإما عظماء فوق الأرض وإما عظام تحت الأرض هذا حال أهل اليقين ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه:٧٢] .

فمهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة ؛ لأن الليل مهما طال لابد من بزوغ الفجر ؛ ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر .

ومن هذا اليقين إلى يقين غلام ، إنه الغلام المبارك غلام الساحر والراهب الذي جسد اليقين في دنيا الناس ، حينما دخل على الملك وتحداه أن يقتله وأخذه الملك وأرسل به زبانيته ليسقطوه من فوق جبل شاهق فما أن علا هؤلاء بالشاب المبارك على حافة وقمة الجبل إلا وتضرع إلى الله جل وعلا بهذه الدعوات الحلوة التي يجللها ويزينها اليقين : « **اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ** » .

يعني : اللهم اكفني شرهم بما شئت فارتج الجبل وكلهم على قمة الجبل ويُهلك الله الطواغيت المجرمين .

وينجي الله هذا الغلام المبارك الأمين ، وينزل الغلام مرة أخرى وينزل ويذهب إلى هذا الملك الظالم فيراه الملك فترتعد فرائصه ، فأرسله مع مجموعة أخرى في قرقور ـ أي : في مركب صغير ـ وقال : وفي عرض البحر وألقوه واركبوا به وتوغلوا به في أعماق أعماق البحر وأرسل الله جنديًا من جنوده ، وما يعلم جنود ربك إلا هو فارتج القرقور ـ أي : المركب ـ بهم فأغرقهم الله جميعاً ونجاه بعد ما تضرع إليه بقوله : « **اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ** » ودخل على الملك مرة أخرى فارتعدت فرائصه واضطربت جوارحه .

وقال هذا الغلام في يقين مدويًا : اعلم أيها الملك أنك لن تقتلني إلا إذا فعلت ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : اجمع الناس ـ انظروا إلى يقين هذا الغلام ـ اجمع الناس ـ فإنه يريد أن يوصل كلمة التوحيد إلى كل الخلق ومن يجمع له كل الخلق إلا الملك ، وأنا أقول : ومن يبلغ دينه إلى كل

الخلق إلا الملك ، وهذا ما رأيناه بعد الأحداث الأمريكية ، فلا يوجد الآن بشر على وجه الأرض إلا وأسمعه الله عن الإسلام ـ وخذ من كنانتي واصلبني وقل أمام الخلق : باسم الله رب الغلام فسيقع في صدغي فأقتل في الحال قال : أتهزأ بي ؟ قال : لا أهزأ بك .

فجمع الملك الخلق جميعًا ـ أوامر ملكية ! فاجتمع البشر وكأن القيامة قد قامت وصلبوا الغلام وأمام الناس أخذ الملك سهماً من سهام الغلام وقال : بسم الله ؛ لأنه يدعي الألوهية والغلام يريد أن يثبت للخلق كذبه قال الملك : بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغ الغلام فمات في التو واللحظة فصرخ الخلق جميعًا . وقالوا : آمنا بالله رب الغلام [1] .

إنه اليقين ، يقين أم موسى ، ويقين هاجر التي قالت حينما تركها الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ورضيعها بصحراء مكة : إذن لا يضيعنا الله ، الله الذي أمرك أن تتركنا في هذا الوادي ؟ إذا لا يضيعنا وما ضيعها الله جل وعلا وتركها إبراهيم ونفد التمر والماء وراحت الأم الملتاعة تسعى بين الصفا والمروة ، لعلها تجد شيئًا من ماء أو شيئًا من طعام ، لكنها لا ترى إلا جبالاً سودتها حرارة الشمس ولا ترى إلا رمالاً انعكست عليها أشعة الشمس فكادت الأشعة أن تسرق الأبصار لا ترى إنساناً وفي الشوط الأخير رأت الملك ينزل ويقف بجوار الرضيع رأت جبريل .

وفي رواية الطبراني بسند حسنه الحافظ ابن حجر من حديث على : نادى عليها الملك من أنت ؟ قالت : أنا أم ولد إبراهيم ، ما نسبت نفسها أبدًا إلى إبراهيم ؛ لأن إبراهيم يعرفه أهل السماء فقال : وإلى من وكلكما ؟ قالت : إلى الله . قال : وكلكما إلى كاف أليس الله بكاف عبده وفجر

---

(١) الحديث بتمامه رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٥/ ٧٣) .

الأرض وصعد وخرج ماء زمزم ، وما زال هـذا المـاء يـروي الموحـدين في مكة والمدينة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ببركة يقـين هـاجر أسـتاذة اليقين هاجر ـ عليها السلام .

وهذه أم موسى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧] .

وتلقي الأم رضيعها المبارك ، ويتهادى التابوت حتـى يقـف أمـام قصـر فرعون .

إلهي رحماك إنه هو الذي يبحث عنه فرعون ؛ لأن الله هو الذي أمرها أن تلقيه ، هو وحده القادر على أن يحميه ويمنعه ، فـألقى الله حـب موسـى في قلب امرأة فرعون فما نظرت إلى وجهه الأزهر الأنور قالـت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ [القصـص:٩] . ويحـرم الله المراضـع كلـها علـى موسـى لتأتيه أمه لترضعه كما وعدها سبحانه ، انظر الآن وتخيـل معـي أم موسـى تجلس في قصر فرعون لتضم موسى برحمة وحنان لترضعه ، وفرعون يجلس إلى جوارها أرضعيه أشبعيه أكرميه ، بـالأمس كانـت تخشـى علـى موسـى بأمره وهي اليوم ترضع موسى في قصر فرعون بأمره .

إنه اليقين ما أحلاه :

ثم انظر إلى يقين الصحابة ، وهذا يحتاج ورب الكعبة إلى مجلدات ، انظر إلى صاحب أعلى يقين في الأمة كلها بعد نبيها ، إنه يقين أبي بكـر ـ رضـي الله عنه ـ ذلكم العملاق الذي علم الدنيا كلها حلاوة اليقين ، إذ قيل لـه : يقول صاحبك : إنه أسري به من مكة إلى القدس إلى السموات العلا وعاد

في ليلة ، فيرد بيقين عجيب : أو قد قال ذلك ؟ فيقولون : نعم . فيقول : إن كان قد قال ذلك فقد صدق [١] . يا له من يقين .

عمر بن الخطاب في الحديبية قال عمر بن الخطاب للرسول ﷺ كلامًا شديدًا ظل يخشى عاقبته حتى لقي ربه يقول : يَا رَسُولَ الله ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ؟ قال : « بَلَى » .

أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟

فيقول : « بَلَى » .

أَوَ لَيْسُوا عَلَى الْبَاطِلِ؟

فيقول : « بَلَى » .

فيقول عمر : فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟!

وفي لفظ : أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟

فيقول : « بَلَى » .

فيقول رسول الله ﷺ : « **يَا عَمَرُ ، إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي** » .

فيغضب عمر من مثل هذا الكلام ويترك عمر الرسول ويذهب إلى أبي بكر : يا أبا بكر ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟ فيقول : «بَلَى» .

أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟فيقول : «بَلَى» .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٩) ، والحاكم (٣/ ٦٢ ،٦٣) وصححه الذهبي ، والحديث سنده صحيح .

فيقول عمر : فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟! .

وفي لفظ : أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟

انظر إلى يقين الصديق فيقول الصديق لعمر : الْزَمْ غَرْزَهُ ، فَإِنَّهُ لَرَسُولُ الله وَإِنَّ الله لَنَاصِرَهُ [١] .

إياك أن تحيد عن طريقه ، ويصرخ عمر يوم أن مات الحبيب يقول بأعلى صوته : من زعم أن رسول الله قد مات فلأعلونه بسيفي هذا ، ورسول الله ما مات بل ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران وليرجعن ليقطع أرجل المنافقين الذين يزعمون أنه قد مات .

كلام عمر ويأتي الصديق من بيته بالسنح فيشق الجموع التي تصرخ ، التي تلتف حول عمر ، وهو يصرخ ويهيج ويصرخ فيها ويدخل بيقين ثابت كثبوت الجبال الرواسي ويدخل على رسول الله ويرى رسول الله مسجى قد مات بالفعل فيكشف الغطاء عن وجهه ويقبله بين عينيه [٢] كما في رواية حسنها شيخنا الألباني في مختصر الشمائل وينادي عليه ويقول : طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله .

وفي لفظ الصحيحين [٣] : وا نبياه ، وا حبيباه ، وا خليلاه ، أما الموتة التي قد كتبها الله عليك فقد ذقتها ولا ألم عليك بعد اليوم .

ويترك الصديق حبيبه المصطفى ويخرج إلى هذه الجموع الملتهبة ويقول : على رسلك يا عمر ، اهدأ يا عمر اجتمعوا إلي أيها الناس ويلتف الناس

---

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) ، وفي الجزية والموادعة (٣١٨٢) ، وفي التفسير (٤٨٤٤) ، ومسلم في الجهاد (١٧٨٥/ ٩٤) ، وأحمد (٣/ ٤٨٦) .

(٢) حسن : رواه الترمذي في الشمائل (٣٨٩) .

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٢٤١ ، ١٢٤٢) ، وفضائل أصحاب النبي (٣٦٦٧ ، ٣٦٦٨) ، وفي المغازي (٤٤٥٣ ، ٤٤٥٤) .

حول أبي بكر ويعلنها في غاية اليقين : أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

أيها الأحبة الكرام الآن أقف مع العنصر الأخير وقفة سريعة وأقول :

أمة تحتاج إلى اليقين :

فلقد جربت الأمة الشرق الملحد فلم تفلح ، وجربت الأمة الغرب الكافر فلم تفلح، وجربت الأمة الوسط الأوربي الظالم فلم تفلح ، فما أحوج الأمة الآن باليقين ليربط القلوب برب العالمين .

والله لن تنصر الأمة ولا عزة لها ولا كرامة إلا إذا ذاقت القلوب من جديد حلاوة اليقين برب العالمين حلاوة الإيمان :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] .

فالأمة تحتاج أن تحقق الإيمان قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه : اليقين هو الإيمان كله ، اليقين هو الإيمان كله .

ما أحوج الأمة إلى الإيمان ، فالإيمان ليس كلمة باللسان فقط ، إنما الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان حتى تأخذ الأمة بالأسباب على قدر استطاعتها ، وتتعلق القلوب بذات الوقت على

الله تبارك وتعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٣]

لا سعادة ولا سيادة ولا نصر ولا ريادة إلا إذا حولت الأمة اليقين إلى واقع، وها نحن نرى الآن على أرض القدس فوق الثرى الطاهر فوق التراب المبارك، نرى شبابًا بل ونساء بل وأطفالاً : لقد حولوا اليقين على الأرض إلى واقع ، نرى طفلاً يلاحق يهوديًا مجرمًا مدججًا بالسلاح لا يملك هذا الطفل في يده إلا حجراً يغرد ، يغرد بأحلى معاني اليقين ، والله رأيته بعيني .

طفل لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره يقف أمام الدبابة ، دبابة من الدبابات التي تغني بها اليهود ، يقف أمام الدبابة بينه وبين الدبابة ما لا يزيد على عشرة أمتار ؛ ليقذف مدفع الدبابة بحجر في يده !! ما هذا ؟ لقد علم هؤلاء الأطفال اليهود بأن محمدًا ما مات وما خلف بنات ، بل خلف أطفالاً رجالاً جسدوا مرة أخرى في عالم الواقع حلاوة اليقين ولذة الإيمان .

فلا تظن أن الذي ذكرته قد مضى زمانه ، كلا بل نرى امرأة تجسد الآن اليقين ، فاليقين ليس صعب المنال ولكنه يحتاج إلى رجال من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، اللهم اجعلنا من هؤلاء الرجال الذين ينتظرون .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٢] .

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعًا صدق التوكل عليه

حقوق يجب أن تعرف

حق القرآن



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق القرآن

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق القرآن** » .

حق القرآن العظيم حق كبير جليل وسوف أركز في هذا الحق الجليل على العناصر التالية :

أولاً : مصدرية القرآن دليل على إعجازه .

ثانياً : كيف جمع القرآن ووصل إلينا .

ثالثاً : حق القرآن .

والله إن هذا الموضوع من الجلال والأهمية والخطورة بمكان ، والله أسأل أن يرد الأمة ردًا جميلاً إلى القرآن والسنة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولاً : مصدرية القرآن دليل على إعجازه :

القرآن كلام الله جل وعلا ، وهذا أعظم دليل على إعجاز القرآن ، فمصدرية القرآن دليل على إعجازه ، فهو كلام الله الذي يصل فضله على كل كلام كفضل الله على كل الخلق ، فهو كلام الله الذي يصل فضله على كل الكلام كفضل الله على سائر الخلق .

القرآن هو كلام الله الذي تحدى به البشرية عامة وتحدى به المشركين خاصة ، وما زال التحدي قائمًا إلى يوم القيامة قال تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] .

فلما عجزوا عن الإتيان بقرآن مثله فقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣] .

فعجزوا فخفف الله التحدي إلى أقل درجاته فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الجليل فعجزوا قال تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣ ، ٢٤] .

أيها القارئ ، كلام الله جل جلاله ألا وهو القرآن الكريم الذي لو أنزله الله على جبل لتصدع الجبل من خشية الجليل قال سبحانه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١] .

كيف تخشع الجبال للقرآن ولا تخشع القلوب ؟ سؤال مرير كيف تتصدع

الجبال للقرآن ولا تتحرك له القلوب : ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : ميت القلب فهذا لو سمع القرآن كله ما تدبر وما تأثر .

الصنف الثاني : حي القلب لكنه معرض عن القرآن ، حي القلب لكنه لا يسمع بأذن رأسه ولا بأذن قلبه لآيات الله المتلوة ، ومن ثم هو لا يتأثر البتة بآيات الله المتلوة والمرئية في الكون ؛ لأنه معرض بسمعه وقلبه عن الله جل وعلا وهؤلاء هم أهل الغفلة عياذًا بالله .

الصنف الثالث : حي القلب منتفع بالآيات المتلوة والمرئية قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧] فرجل حي القلب ومع ذلك إذا سمع من الله أصغى بسمعه واستجمع كل كيانه وكل جوارحه بإنصات وخشوع ليسمع عن الله إذا سمع ربه ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [المائدة:١] .

أصغى بسمعه وانتبه غاية الانتباه ؛ لأن الذي ينادي عليه ربه ، فإما خيرًا سيأمر به وإما شرًا سينهي عنه ، فإذا تلى عليه القرآن الكريم تأثر فخشع قلبه واقشعرت جوارحه وانطلق ليحول هذا الكلام الغالي الجليل إلى واقع عملي في دنيا الناس .

هذا هو الذي ينتفع بآيات الله المتلوة وآيات الله المشهودة أي : المرئية في الكون من عرشه إلى فرشه ، فالقرآن تخشع وتتصدع له الجبال ولا تتحرك له القلوب الموات ؛ لذا قال عثمان ـ رضي الله عنه : والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا .

تصور أن المشركين في مكة كانوا يخافون على أنفسهم من سماع القرآن تصور معي مرة أخرى أن المشركين أنفسهم كانوا يخشون على أنفسهم من

سماع القرآن لماذا ؟ لأن القرآن كان يصدع عناد الكفر والكبر في قلوبهم ، بل في السنة الخامسة من البعثة النبوية المطهرة انطلق النبي ﷺ إلى بيت الله الحرام ليصلي لله جل وعلا على مرأى ومسمع من صناديد الشرك والكفر ، فكانوا يكرهون ذلك حتى قال اللعين أبو جهل : أيعفر محمد وجهه بين أظهرنا ـ بمعنى أيسجد محمد لربه على مرأى ومسمع منا في الكعبة ـ واللات والعزى إن أتى محمد ليصلي لأطأن عنقه أي : لأضعن رجلي أو حذائي على عنقه وهو ساجد بين يدي ربه ، فجاء الحبيب ﷺ ودخل المسجد الحرام ووقف يصلي لله تعالى ، فلما سجد انطلق اللعين أبو جهل وهو يهيأ له أنه سيطأ عنق النبي وهو ساجد ، فلما اقترب من رسول الله ﷺ عاد إلى الخلف يجري وهو يدفع بيديه وكأنه يرد عن وجهه شيئًا ، فلما اقترب من المشركين قالوا : ماذا يا أبا الحكم ؟! لماذا رجعت؟ لماذا جريت بهذه الصورة المزرية ؟ فقال أبو جهل : إن بيني وبين محمد خندقًا من نار وإني أرى أجنحة .

فلما انتهى النبي من صلاته قال قولته الجميلة : « **وَالَّذِي نَفْسِ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَنَا مِنِّي** ـ أي : لو اقترب مني ـ **لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا** » .

الشاهد : دخل النبي ﷺ ليصلي لله جل جلاله ، والمشركون ينظرون إليه بتغيظ شديد ، ورفع الحبيب صوته بالتلاوة فقرأ سورة النجم كاملة ، وأرجو أن تتصور حلاوة وجلال القرآن وهو يخرج من فم الحبيب.

الرسول هو الذي يتلو فليست التلاوة الآن لبشر عادي يتلو والمشركون يسمعون القرآن من فم رسول الله ﷺ ، وقرأ النبي السورة كاملة ، وقرأ في آخر السورة آيات جليلة تخشع لها الحجارة وتخشع لها الجبال والقلوب :

﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ

تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ . أي : ترقصون وتطبلون وتزمرون : ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [النجم:٥٧-٦٢] . وخر النبي لله ساجدًا لربه .

فلم يتمالك أحد من المشركين نفسه فخر ساجدًا لله هل تتصورون هذا؟ نعم الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب سجود التلاوة رواه مختصراً من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه : سجد ﷺ بالنجم .. أي : بسورة النجم .. وسجد معه المشركون والمسلمون والجن والإنس [(١)] .

نعم والجن : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن:١] .

الجن هم الذي يتحدثون عن القرآن : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن:١ ، ٢] .

سجد النبي ومعه المسلمون والجن والإنس ، وهذا هو السر الذي جعل المهاجرون الأوائل الذين هاجروا من بطش المشركين فرارًا من مكة إلى الحبشة ، هذا هو السر الذي جعلهم يرجعون من الحبشة بعد هجرتهم الأولى لما بلغهم الخبر بأن المشركين سجدوا خلف رسول الله ﷺ ظنوا أنهم آمنوا بالله جل وعلا فعادوا إلى مكة ، ولكنهم عندما رفعوا رؤوسهم جميعًا أنكروا ما فعلوه وما صنعوه ، ولكنه القرآن الذي صدع عناد الكفر في رؤوسهم ، فسجدوا جميعًا لله من جلال القرآن وروعته وعظمته .

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨٦٢) .

نعم ، الوليد بن المغيرة ـ والد فارس الإسلام وسيف الله المسلول : خالد ابن الوليد ـ كان متعنتًا متكبرًا منكرًا ، فلما ذهب إلى النبي ﷺ ليعرض عليهم الملك والجاه والسلطان حتى يرجع إلى دين آبائه وأجداده ، وقد قرأ عليه النبي ﷺ آيات جليلة من القرآن الكريم قال الوليد كلماته الخالدة في حق القرآن ، والحق ما شهدت به الأعداء ـ قال الوليد: والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

هذا هو الصحيح هذه هي الكلمات الصحيحة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه .. هذه شهادة كافر عنيد للقرآن فلما انطلق بهذه الكلمات للمشركين قالوا : إذا صدق والله الوليد إذا لتصبأن قريش كلها ، عاد حتى لا تضيع زعامته في القوم ففكر وقدر الأمر من جميع جوانبه ، ثم عاد ليعلن شهادته الظالمة في حق النبي ﷺ كما قال ربنا جل وعلا في شأن الوليد :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴾ [المدثر:١١-٢٨] .

انظر إلى شهادته في حق القرآن قال الله تعالى لنبيه ﷺ :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣] .

السؤال الثاني :

كيف وصل إلينا القرآن ؟

هذا هو عنصرنا الثاني : كيف جمع القرآن وكيف وصل إلينا المصحف الإمام ؟

والجواب باختصار شديد :

المرحلة الأولى من مراحل جمع القرآن : كانت في عهد الحبيب المصطفى ﷺ وهي المرحلة التي جمع فيها في صدر النبي وفي صدور الصحابة ، مَنَّ الله عليهم بملكة حفظ جليلة ، وحفظ النبي ﷺ القرآن فانتقل القرآن من صدر النبي ﷺ إلى صدور الصحابة رضوان الله عليهم ، بل كان النبي ﷺ من شدة حرصه على حفظ القرآن يتعجل التلاوة خلف أمين السماء ، فنزل قول الله جل وعلا : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٦، ١٧] .

أي قراءة جبريل ـ عليه السلام : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٦-١٩] سَيُبيِّنه الله لرسوله ﷺ فجمع القرآن في صدر النبي ﷺ واتخذ النبي ﷺ مجموعة من كتاب الوحي كزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ الذي سماه الإمام البخاري بكاتب النبي ﷺ وكأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ فكان النبي إذا نزل عليه جبريل بالآية أمر كُتَّاب الوحي فنسخوها في اللخاف والعسب ، واللخاف: نوع من أنواع الحجارة الرقيقة التي كانت تنحت أو يكتب عليها ، والعسب:

جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكتبون عليه أيضًا ، فكان يأمر النبي ﷺ كتبة الوحي بكتابة الآيات كما يمليها عليهم رسول الله ﷺ ، وظل القرآن في هذه المرحلة في اللخاف والعسب أي : في جريد النخل ومكتوب على الحجارة وفي صدور الرجال إلى أن مات سيد الرجال ﷺ .

أما المرحلة الثانية : فلقد كانت في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لما وقعت معركة اليمامة بين مسيلمة الكذاب وبين الصحابة قتل في هذه المعركة عدد هائل من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن في صدورهم .

فجاء الملهم عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى الصديق المسدد أبي بكر وقال عمر للصديق : يا أبا بكر ، يا خليفة رسول الله ، اجمع القرآن في مصحف واحد . فقال الصديق الذي كان مثالا للإخلاص والاتباع : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ، لا . فقال عمر : هذا والله خير .. والحديث في صحيح البخاري قال الصديق : فما زال عمر يراجعني ـ أي بجمع القرآن في المصحف ـ حتى شرح الله صدري بقول عمر : فأرسل إلى زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه .

فقال الصديق لزيد ـ والحديث في صحيح البخاري كما ذكرت ـ قال الصديق: يا زيد ، إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك .

انظروا يا شباب الإسلام إلى شباب الصحابة ، فزيد بن ثابت كان شابًا في ريعان شبابه ، واختاره النبي كاتبًا من كتَّاب الوحي ، بل سماه البخاري كاتب النبي ﷺ ، يا لها من كرامة .. إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن .

انظروا إلى أصحاب الهمم العالية ، الذين يقدرون المسؤوليات الضخام

الجسام ، قال : والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قال : فتتبعت القرآن فجمعته من اللخاف ، أي : من الحجارة الرقيقة ، ومن العسب ، أي: من جريد النخل وصدور الرجال ، وجمع القرآن في صحف ضخمة عديدة ، وانتقلت هذه الصحف إلى بيت الصديق ـ رضي الله عنه ـ فلما توفي الصديق انتقلت الصحف إلى بيت عمر ـ رضي الله عنه ، فلما توفي عمر ـ رضي الله عنه ـ انتقلت الصحف إلى أم المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ [1] .

أما المرحلة الثالثة : والكبيرة والخطيرة كانت في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ففي صحيح البخاري :

« أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » .

قال عثمان : وما ذاك؟ رأى حذيفة أهل الشام يقرؤون القرآن بقراءة أبي بن كعب ، ورأى حذيفة أهل العراق يقرؤون القرآن بقراءة عبد الله بن مسعود ، فكان أهل الشام يسمعون قراءة من أهل العراق لم يسمعوها من قبل ، وكان أهل العراق يسمعون قراءة من أهل الشام لم يسمعوها من قبل ، فاختلفوا اختلافًا شديدًا حتى كفر بعضهم بعضا فجاء حذيفة فزعا : أدرك الأمة قبل أن تختلف في كتاب ربها ، كما اختلف اليهود والنصارى ، مع أن الله عز وجل من رحمته وتيسيره على الخلق قد أنزل القرآن على سبعة أحرف كما قال النبي ﷺ :

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٦) .

« إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةَ أَحْرُفٍ » .

لا حرج أن تقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦] .

وفي قراءة : «يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا » .

والقراءتان عن رسول الله ﷺ وكانت بعض القبائل لا تستطيع أن تنطق حروفا محددة كانوا مثلا ينطقون حرف الحاء عينا فيقول : حتى «عتى» حين «عين» ، فنزل القرآن ميسرًا على سبعة أحرف ، قرأها النبي ﷺ ، فلما سمع أهل الشام القراءة ما سمعوها من أبيّ وسمع أهل العراق قراءة ما سمعوها من عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ اختلفوا ، فأرسل عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ إلى حفصة أم المؤمنين أرسلي إلينا بالصحف أي : التي جمعت في عهد الصديق ـ رضي الله عنه ـ لننسخها في مصحف واحد ، فأرسلت حفصة المصحف إلى عثمان ، فأرسل عثمان إلى كاتب النبي زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وإلى مجموعة من أصحاب رسول الله ، وأمرهم أن ينسخوا الصحف في مصحف ونسخوا مجموعة من هذا المصحف الواحد مجموعة كثيرة ، وأرسل عثمان إلى كل مصر من الأمصار ـ أي كل بلد من البلدان ـ بمصحف واحد إمام ، وأمر ببقية الصحف غير هذا المصحف الإمام أن تحرق [1] .

وبذلك جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ الأمة كلها على مصحف واحد قرأ به كله نبينا ﷺ ، وهذا هو المصحف الذي تجدونه بين أيديكم الآن ، وهو يسمى بالمصحف الإمام ، أي : الذي جمعه عثمان ـ رضي الله عنه ـ من الصحف كلها ، فلقد قال الصحابة : فإن اختلفتم في الكتابة مع زيد

(١) رواه البخاري في التفسير(٤٩٨٧) .

فاكتبوا بلسان قريش فإنه نزل بلسانها ، أي : بالقراءة التي حفظها أصحاب النبي ﷺ من قريش .

لهذا حفظ الله القرآن الكريم فلم تتغير منه آية ولم تتبدل منه كلمة ولم يحذف منه حرف فما تولى الله حفظه لا يضيعه أحد: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]

ما تولى الله حفظه لا يضيعه أحد .

فما حق القرآن؟ وهذا هو العنصر الثالث، ، وإن كان لابد من هذه المقدمة الموجزة لنقف جميعًا على هذه الكلمات الجليلة التي قدمت .

ما حق القرآن ؟

هل أنزل الله القرآن ليقرأ على الأموات في القبور ؟

هل أنزل الله القرآن ليوضع في العلب القطيفة الفخمة الضخمة التي توضع في مؤخرة السيارة ، وفي غرف الصالونات ؟

هل أنزل الله القرآن ليوضع في البراويز الفضية والذهبية ويعلق على الجدران والحوائط ؟

هل أنزل الله القرآن ليحلي به النساء صدورهن في مصاحف صغيرة ؟

هل أنزل الله القرآن ليهديه الحكام والزعماء إلى بعضهم البعض ؟

فترى الحاكم يستلم المصحف منحنيًا على كتاب الله ليقبله بخضوع جسدي كامل كأنه عثمان بن عفان ، في الوقت الذي يضيع فيه شريعة هذا القرآن : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١، ٢]

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي به أو لتشقي الأمة من بعدك به أو لتشقي

بحدوده وأوامره ومناهيه وتكاليفه ، كلا بل لقد أنزل الله عليك القرآن لتقيم به أمة ، لتحيى به أمة ، لتقيم به دولة ، لتسعد به البشر في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩] .

فمن أعظم حقوق القرآن على الأمة التي أنزل الله على نبيها القرآن أن تقرأ القرآن بتدبر بتفهم بتعقل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]

فأول حق أن نقرأ القرآن « **وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ ﴿ الٓمٓ ﴾ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ** » .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي أمامة أنه ﷺ قال :

« **اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ** » (١) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

« **لَا حَسَدَ** ـ والحسد هنا بمعنى الغبطة ـ **إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ** ـ أي بتلاوته ـ **آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ** » (٢) .

وفي الصحيحين من حديث عائشة .. وهذه بشرى لمن يشعر بصعوبة وهو يقرأ القرآن لمن ينطق بالكلمة أو الحرف كأنه يحمل حجرا ؛ لأنه لا يحسن التلاوة ، ولا يجيد القراءة ، اسمع ماذا قال النبي الصادق في حقه ـ والحديث في الصحيحين من حديث عائشة ـ قال ﷺ :

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٤/ ٢٥٢) .
(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٥٢٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٥/ ٢٢٦) .

« الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ـ أي: الملائكة ـ الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ ـ أي الذي يقرأ القرآن بمهارة ويحسن الأداء والتلاوة ـ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ـ أي منزلته مع الملائكة ـ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ »[1].

ولا شك أن الأول أفضل لما دلت عليه المعية الكريمة من صحبة الملائكة لكن الذي يقرأ القرآن بصعوبة له أجران ، أجر التلاوة وأجر مواصلته للقراءة بمشقة وصعوبة ، وفي الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الألباني أن النبي ﷺ قال :

« فَأَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ الله ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، وَلا تُهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا» .

وفي صحيح مسلم من حديث النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

« يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا ـ أي بين يدي الله جل وعلا ـ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا »[2] . أي بين يدي الله جل وعلا .

فضل القرآن عظيم وفضل التلاوة عظيم كما ذكرت فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على كل خلقه . بعد حق التلاوة بتدبر بتفهم يأتي حق السماع لمن لا يحسن التلاوة اسمع القرآن ممن يحسن التلاوة ، أيضا

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٨/ ٢٤٤) .
(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٥/ ٢٥٣) .

عليه أن يكثر السماع للقرآن :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الأعراف:٢٠٤]

ولا يسمع القرآن إلا صاحب القلب الحي الذي ذكرت هذا هو الذي يصغى بأذن رأسه وأذن قلبه ليسمع عن الله جل وعلا لينتفع بآيات الله المتلوة وآيات الله المرئية في الكون من عرشه إلى فرشه ، ثم حق العمل بالقرآن ما أعظم من تغافل عن أدائه والله ما ذلت الأمة لكلاب الأرض من الإرهابيين السفاحين من اليهود ، ولأنجس أهل الأرض من عباد البقر الهندوس ، ولأكفر أهل الأرض من الملحدين الملاعين الروس ولغيرهم من أرذل أمم الأرض إلا يوم أن أعرضت عن القرآن ، والله ما هانت الأمة إلا يوم أن نحت القرآن وهجرت التحاكم إلى القرآن ، وضيعت العمل بالقرآن أعلنها بملء فمي وبأعلى صوتي ، يوم استبدلت الأمة بالعبير بعرا ، وبالثريا ثرى ، وبالرحيق المختوم حريقًا محرقًا مدمرًا ، يوم تركت الأمة سفينة النجاة الوحيدة وركبت قوارب الشرق الملحد تارة ، وقوارب الغرب الكافر تارة ، وقوارب الوسط الأوربي تارة ، غرقت في أوحال الذل ، غرقت في بحار من الظلمات ومن الفتن يوم أن نحت الأمة القرآن هانت لأحقر أمم الأرض .

فبالقرآن تحولت الأمة العربية إلى أمة مسلمة أذلت الأكاسرة وأهانت القياصرة ، وغيرت مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا فتحولوا في قلب الجزيرة العربية ، تحولوا من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم يوم أن أنصتوا بآذان القلوب وآذان الرؤوس إلى القرآن يتلى على رسول الله ﷺ ، فانطلقوا ليحولوا هذا القرآن في دنيا

الناس إلى واقع يتألق سموًّا وعظمة وجلالا ، تحولوا من رعاة للإبل والغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم ، يوم أن نطق العربي في قلب الجزيرة كلام الله ، بل تفاعلوا مع القرآن بصورة مذهلة للعقول في هذا الزمان حتى قال : لا أقول صحابيًّا بل أعرابيًّا سمع رجلاً يومًا يتلو قول الله جل وعلا :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢، ٢٣] .

فقال الأعرابي وليس صحابيًّا: من ذا الذي أغضب الكريم حتى يقسم؟

إلى هذا الحد من التفاعل مع القرآن .. كانت الآية تنزل فيقرأها النبي فتتحول في التو واللحظة إلى واقع . كان الصحابة في المدينة يشربون الخمر ولم تحرم بعد ، فلما دخل صحابي عليهم ، وكؤوس الخمر بينهم وقرأ عليهم قول الله جل وعلا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠] .

فلما قرأ الآية عليهم والله ما أكمل صحابي جرعة الخمر في يده ما قال : نكمل هذه الجرار ، وهذه الكؤوس وننتهي ، لا بل قام أنس بن مالك فسكب آنية وجرار الخمر وسكب الصحابة الخمر في الشوارع حتى سالت في طرقات المدينة ، وقالوا على لسان رجل واحد : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

أقول لما حول الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ القرآن الكريم إلى واقع

عملي ، ومنهج حياة سادوا الأمم ، وحولوا العالم كله إلى عالم كثيب أهيل ، وأحالوه ركاما في ركام في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق ، لما قرأ الأعرابي قول الله وقرأ العربي في الجزيرة قول الله وتحرك للقرآن في قلبه وانتفض للقرآن جوارحه ، وتحول هذا الكلام في حياته إلى منهج حياة صار قائدًا .. والله ما عرفنا عمر، وما عرفنا خالد بن الوليد ، وما عرفنا الصديق ، وما عرفنا أبي بن كعب ، وما عرفنا زيد بن ثابت ، وما عرفنا الصحابة إلا بعد أن أحياهم ربنا تبارك وتعالى بفضل هذا القرآن ، إلا بعد أن أخرجهم ربنا سبحانه وتعالى من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإيمان بهذا القرآن الذي كان يتلوه عليهمْ النبي ﷺ .

وظلت الأمة ترفل في ثوب العزة والكرامة ، وهي تطبق آيات وأحكام هذا الكتاب ، فلما نحّت أمر القرآن فقد صارت الأمة قصعة مستباحة لأمم الأرض ، وأعلنها أعداؤنا مرارًا وتكرارًا : لابد أن يظل القرآن بعيدًا عن ساحة المعركة ، كما أعلنها الحقود فلانستون وغيره ؛ لأن القرآن لو ترك إلى ساحة المعركة تحولت المعركة إلى جهاد في سبيل الله ، وهذا هو الذي حرك الدنيا كلها وحرك العالم كله يوم أن تحولت المعركة على أرض فلسطين إلى معركة يظلل سماءها كلام رب العالمين وكلام سيد المرسلين ، حينما ترددت لفظة الجهاد لفظة الشهادة لفظة العمليات الاستشهادية ، لما ترددت هذه الألفاظ تحرك العالم كله .

والله لا كرامة الآن لأي زعيم ولا لأي حاكم إلا بفضل أطفال الحجارة هؤلاء هم الذين ردوا للأمة الآن شيئاً من اعتبارها ، شيئا من كرامتها ، شيئا من عزتها ، ولأول مرة في التاريخ الحديث نرى أن اليهود أنفسهم يعيشون الآن حالة فزع ورعب مع ما يتحصنون به من ترسانة عسكرية أمريكية حديثة لم يسبق لها مثيل ، يعيشون الآن حالة من الرعب والفزع ،

لما علم أولادنا وشبابنا في أرض المعركة أن الأمة تخلت عنهم ولم تنصرهم ، وأن العالم الغربي الكافر لا ينصر إيمانا ولا توحيدًا فعاهدوا الله جل وعلا على الجهاد في سبيله ورددوا القولة الجميلة :

﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

وعلموا يقينا قول الله تعالى : ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

ورددوا بيقين منقطع النظير قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ [آل عمران :٧٣] .

وعلموا قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١] .

وسعدوا كثيرًا بقراءة قول الله جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨] .

لما تعامل جيلنا الآن في أرض فلسطين مع القرآن وفهم هذه الآيات وعلم شبابنا عقيدة اليهود لا على ألسنة البشر ، لا على ألسنة المفكرين والكتاب ، بل عرف شبابنا عقيدة القوم من كلام رب العالمين ، ومن كلام سيد النبيين وسيد الصادقين ﷺ ، انطلقوا بهذه العقيدة التي حولت مجريات الأمور ، لما حول شبابنا شيئا من حقائق هذا القرآن على أرض الواقع إلى

منهج حياة ، انقلبت الأمور كلها وتغيرت تماما ، فبالأمس فقط شاب يضحي بنفسه لله جل وعلا ، أسأل الله أن يتقبله عنده من الشهداء ما الذي حرك هؤلاء ، والله ما حرك هؤلاء إلا كلام الله وكلام الصادق رسول الله ﷺ .

أقسم بالله أم فلسطينية رزقها الله بست بنات وولد . الولد في العاشرة من عمره يخرج الولد ابن العاشرة يحمل حجارة ويلبس زيًّا عسكريًّا فيقول له أحد الكبار من الشيوخ حينما رآه طفلاً في العاشرة قال له : ما اسمك يا بني ؟ قال : محمد قال : إلى أين أنت ذاهب ؟ قال ابن العاشرة : إلى الجهاد إلى الجهاد قال : إلى الجهاد .. أين ؟ قال : في سبيل الله ، قال له الشيخ : أين أبوك ؟ قال : استشهد من أربعين يوما .. فقال له الشيخ : هل استأذنت أمك فقال له ابن العاشرة : نعم استأذنت أمي قبل أن أخرج .. فقال له الشيخ : وماذا قالت لك ؟ قال ابن العاشرة : قالت لي : اخرج يا محمد إلى الجهاد ، وأسأل الله أن يلحقك بأبيك . هل يحرك هذه القلوب بهذه الصورة كلام بشر ، والله ما تعطشت القلوب لشهادة إلا لما حركها كلام الله وكلام الصادق رسول الله ﷺ لما ذاقت حلاوة وعد الله وخافت وعيده .

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
من كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩] . عند من ؟ ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

والله ما أسعد الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره على جدار القدس الشريف ، ما سطر هذه الكلمات إلا من منطلق كلام ربه وكلام نبيه حينما قال : إما عظماء فوق الأرض وإما عظام تحت الأرض .

إنه القرآن الذي يربي قال النبي ﷺ :

«..قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْض » .

يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ الله ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟

قَالَ : «نَعَمْ» .

قَالَ : بَخٍ بَخٍ .

فقال النبي : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ »

قَالَ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا .

قال له الصادق : « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » .

فأخرج عمير تمرات ـ كمية من البلح ـ فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ [1]

يا من تعيشون للعروش ، يا من تعيشون للفروج ، يا من تعيشون

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠١/ ١٤٥) .

للكروش :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦] .

سيموت الصغار والكبار ، سيموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن ، ويموت الصادقون ، سيموت أصحاب الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية ، ويموت كذلك التافهون الراقصون على الجراح الذين يحيون لأجل متاع دنيوي حقير زائل رخيص ، الكل سيموت ، فلنمت بشرف ، فلنمت بكرامة ، ماذا لو اتخذت قمة كقمة الأمس قرارًا برفع راية الجهاد بعد العودة إلى شريعة الله ، أقسم بالله لتغير كل شيء ، قرار على ألسنة قادة الأمة بالعودة إلى الله أولا ، فمحال أن ترفع راية الجهاد في سبيل الله قبل أن تعود الأمة إلى الله ، إلى تطبيق شرعه إلى التحاكم بالقرآن :

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩]

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥١، ٥٢] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن

قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦٠، ٦١] .

فلابد للعودة أولا للقرآن لنتمثل آياته وأوامره ، وتكاليفه وحدوده أمرًا أمرًا وتكليفًا ونهيًا نهيًا وحدًّا وحدًّا ، بل وكلمة كلمة ، بل وحرفًا حرفًا ، فالعودة إلى القرآن يا شباب الصحوة ليس نافلة ، العودة إلى القرآن ليس تطوعًا منا ولا اختيارًا ، بل إننا أمام شرط الإسلام وحد الإيمان ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء:٦٥] كما ذكرت الآية الكريمة ، ثم ليعلنوا الجهاد في سبيل الله ، وأنا أعي ما أقول كل لفظة بفضل الله ، أرددها فلنرجع إلى الله لنتمثل الأمر ولنحول القرآن إلى واقع لنجدد الإيمان ، لنحقق الإيمان ، ثم لنرفع راية الجهاد سيري حكامنا بهذا الشرط الذي ذكرت من شبابنا من شباب الأمة العجب العجاب ، أستغفر الله بل سيرون من شيوخ الأمة العجب العجاب يومًا ، وقلت : إن من شبابنا الآن من يحترق قلبه شوقا للشهادة ، وإذا برجل يجلس على كرسي ، رجل تجاوز التسعين من عمره بلحية بيضاء حينما سمعني أقول من شبابنا يقف ويقول : من الشيوخ يا شيخ ومن الشيوخ ولم تحمله قدماه فسقط على الأرض ـ جاوز التسعين ، يريد الشهادة في سبيل الله ، والله لرأى حكامنا من شباب الأمة ومن شيوخ الأمة العجب العجاب نريد أن نقتل في سبيل الله ، والله نريد أن تقتل في سبيل الله ، فما أشقاها من حياة بعيدة عن الله بعيدة عن الكرامة ، والله الذي لا إله غيره من شبابنا الآن من سيضع صدره بغير سلاح على فوهة مدافع أعداء الله ليعلموا العالم كله : أن محمدًا

ما مات وما خلف بنات بل خلف رجالا أطهارًا تحترق قلوبنا شوقاً للشهادة والجنة .

آه يا مسلمون متنا قرونًا والمحاق الأعمى يليه محاق

وإذا الجذر مات في باطن الأرض تموت الأغصان والأوراق

لكن لابد من العودة للقرآن فلا عزة لنا ولا كرامة إلا إن عدنا إلى القرآن لنردد مع الصادقين الأولين :

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حقوق يجب أن تعرف

حق شهر رمضان



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق شهر رمضان

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق شهر رمضان** » .

وحق شهر رمضان حق جليل عظيم كبير وسوف أحصر هذا الموضوع والحق الجليل في العناصر المحددة التالية :

أولاً : فضل أمة النبي ﷺ .

ثانياً : فضل شهر الصيام .

ثالثاً : التوبة خير بداية ونهاية .

وأخيراً : موسم الطاعات لا تضيعوا الصيام .

أولاً : فضل أمة النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص:٦٨] .

فلقد خلق الله السموات سبعًا والأرض سبعًا ، واختار السابعة من السموات فاختصها لعرشه ، وخلق الله الجنان واختار منها جنة الفردوس وجعل عرشه فوقها ، وخلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل ، واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ثم

اصطفى من أولي العزم الخمسة : الحبيبين إبراهيم ومحمدًا ، ثم اصطفى محمدًا ﷺ ففضله على سائر خلقه فرفع ذكره وشرح صدره وأعلى قدره .

وخلق الله الأمم خلق سبعين أمة اصطفى من هذه الأمم أمة الحبيب المحبوب فجعلها خير أمة قال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فلقد اصطفى الله أمة الحبيب المصطفى ﷺ فشرفها وكرمها قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:٣٥ ، ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾

[السجدة:١٨]

فكرامة أمة النبي تكمل في أنها وحدت ربها وآمنت بالحبيب النبي ﷺ فشتان شتان على الكفر والمعصية ، وشتان شتان من الشرك والذنب روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قرأ يوماً قول الله تعالى في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٦] ، وقرأ قول الله تعالى في عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨] .

فبكى الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، صاحب القلب الكبير البشير النذير ﷺ وقال :

« اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ـ الله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، لا يغيب عن علمه شيء سبحانه وتعالى ـ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ الله : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ » (١) .

ومما زادني فخرًا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيا

روى مسلم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ النَّبِي ﷺ: « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ـ وفي رواية في سنن الترمذي بسند حسن أن هذا العرض كان ليلة الإسراء والمعراج ـ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ » (٢) .

أرجو أن تتخيلوا معي أمة كاملة يبعث الله فيها نبيًّا كريمًا من الأنبياء فتكفر كل الأمة بهذا النبي ، فتدخل الأمة كلها إلى النار ، ويدخل نبي هذه الأمة وحده إلى الجنة « وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ » قال : « إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي » أي : رأى النبي سوادًا عظيمًا في طريقه إلى الجنة

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٢٠٣/ ٣٤٦) .

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٢٠/ ٣٧٤) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٤٦) ، وقال : حديث حسن صحيح .

« فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وهذه كرامة لنبي الله موسى ـ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ » .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » [1] .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والبيهقي بسند صحيح بشواهده كما في السلسلة الصحيحة من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَوَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةِ الْبَدْرِ فَاسْتَزَدْتُ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ثُمَّ يَحْثِي رَبِّي بِكَفَّيْهِ » ـ فلا تعطل ولا تكيف ولا تشبه فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ـ قال :

« ثُمَّ يَحْثِي رَبِّي بِكَفَّيْهِ الثَّلَاثَ حَثَيَاتٍ » فكبر عمر ـ قال عمر بن الخطاب : الله أكبر .

فقال النبي ﷺ : « إِنَّ السَّبْعِينَ الْأُوَلَ يُشَفِّعُهُمُ اللهُ فِي آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِم ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي أَدْنَى الْحَثَيَاتِ الْأَوَاخِرِ » [2] .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٤٢) ، ومسلم في الإيمان (٢١٦/ ٣٦٧) .
(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) وسنده صحيح .

لا أريد أن أطيل النفس في هذا المحور الأول الذي جعلته مقدمة لهذا الموضوع الجميل ، لنعلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق والأمم ، واصطفى أمة الحبيب على هذه الأمم وكرمها بهذه الطاعات وبهذه المواسم العظيمة من مواسم العبادات ، فأمة النبي هي أفضل أمة بجدارة واقتدار بشهادة العزيز الغفار كما أسلفت في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وخلق الله الشهور والأيام ، واصطفى شهر رمضان على سائر الشهور والأزمان فكرمه تكريماً عظيماً فأنزل فيه القرآن قال الرحمن الرحيم :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥]

وهذا هو عنصرنا الثاني :

فضل شهر رمضان :

أيها الحبيب ، ضيف عزيز جليل كريم يهل علينا بأنفاسه الخاشعة الذكية وبرحماته الندية ، والعاقل الذي يقدر كل شيء قدره هو الذي يستعد لضيفه إن كان كبيرًا كريمًا قبل نزول ضيفه عليه ، وأنا لا أعلم ضيفًا هو أكرم على الله سبحانه وتعالى من هذا الضيف ، إنه شهر القرآن ، إنه شهر الصيام ، إنه شهر الإحسان ، إنه شهر العتق من النيران ، اللهم اجعلنا من عتقائك فيه من النار ، هذا الشهر الذي كان فيه الحبيب ﷺ يحتفي به حفاوة بالغة .

ففي الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ :

« إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» . وفي لفظ مسلم : « أَبْوَابُ الرَّحْمَة » [(١)] ، « وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلله عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » [(٢)] .

وفي رواية الترمذي بسند صحيح أنه ﷺ قال :

« إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ » .

فمن المعلوم أن الذنوب تقل في رمضان لكنها لا تنقطع ، فكيف ذلك وقد ذكرت الآن أن الشياطين تصفد وكذاك المردة والجواب في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[يوسف:٥٣]

إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة حتى ينقضي رمضان [(٣)] .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ـ أي وقاية ـ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٨٩٩) ، ومسلم في الصيام (١٠٧٩) .
(٢) رواه الترمذي في الصوم (٦٨٢) ، وابن ماجه في الصيام (١٦٤٢) وسنده صحيح .
(٣) هو نفس الحديث السابق .

لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » (١) .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» أي : إيمانًا بالله واحتسابًا بالأجر من الله ـ « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢) . يا لها والله من بشرى .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« مَنْ قَامَ ـ صلى القيام ، صلى التراويح ـ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٣) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال :

« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٤) .

هل تريد المزيد لتقف على فضل هذا الشهر المجيد الكريم ، مغبون ورب الكعبة من استمع إلى هذه الطائفة النبوية الكريمة ثم قصر ، ثم ضيع الأوقات فيما لا فائدة فيه ، بل ربما فيما يسخط الله عليه ، مغبون من ضيع هذا الموسم الكريم من مواسم الطاعة رغم أنف عبد ، ثم رغم أنفه ، من هذا ؟ عبد أدرك رمضان ثم انسلخ رمضان قبل أن يغفر له رغم أنفه ذل وهان وعرض نفسه للهلاك والخسران أن يقبل عليه شهر الرحمات وأن

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٤) ، ومسلم في الصيام (١١٥١/ ١٦٣) .
(٢) رواه البخاري في الإيمان (٣٨) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠/ ١٧٥) .
(٣) رواه البخاري في الإيمان (٣٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩/ ١٧٣) .
(٤) رواه البخاري في الإيمان (٣٨) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠/ ١٧٥) .

ينسلخ الشهر كله وهو غارق في الشهوات غارق في المعاصي والملذات عاكف على المباريات والأفلام والمسلسلات ، مضيع للوقت على المقاهي والشوارع والنواصي والطرقات ، مغبون لم يعرف شرف زمانه ، ولم يعرف قدر وقته ، ولم يعرف أن العمر يولي ، والأيام تجري ، والأيام تمر والأشهر تجري وراءها تحسب معها السنين وتجر خلفها الأعمار وتطوي حياة جيل بعد جيل بعد جيل ، وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل للسؤال عن الكثير والقليل قال سبحانه :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

[الزلزلة:٧ ، ٨]

قال الحسن البصري : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي بلسان الحال : يا ابن آدم ، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ، إذا مر بي يوم ولم أقتبس من هديه ولم أستفد علمًا فما ذلك من عمري ، إذا مر بي يوم ولم أقتبس من هديه ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمري .

فيا أيها العاقل اللبيب ، لا تضيع هذا الموسم الكريم من مواسم الطاعة كيف تقبل عليه .

هذا هو عنصرنا الثالث :

توبة إلى الله خير بداية ونهاية :

يا نادما على الذنوب أين أثر ندمك أين بكاؤك على زلة قدمك

يا صاحب الخطايا أين الدموع يا أسير المعاصي أما تخشى ربك

وا أسفاه إن دعينا اليوم بين يدي رمضان إن دعينا اليوم إلى التوبة وما

أجبنا، وا حسرتاه إن ذكرنا اليوم بالله وما أنبنا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم:٨] .

روى البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قَالَ النَّبِيّ ﷺ :

« يَنْزِلُ الله إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ »[1] .

إن عكفت على المسلسلات أفق ، استيقظ ، كفى غفلة الله ينادي عليك وأين أنت؟ ما زلت قابعًا أمام التلفاز ما زلت عاكفًا على المسلسلات والأفلام، أنسيت من صام معك رمضان الماضي أين هو الآن بين يدي الرحمن .

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب

والروح منك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب

وغرور دنياك التي تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب

---

(١) رواه البخاري في التهجد (١١٤٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨) .

الليـــل فـــاعلم والنهـــار كلاهمـــا أنفاســـنا فـــيهما تعـــد وتحســـب

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة:٢٦-٣٢] .

وبذلك يفتح سجلك ويفتح كتابك فإذا به لا صدق ولا صلى ولكنه كذب وتولى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال سبحانه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون:٩٩، ١٠٠] لماذا ﴿ لَعَلِّيٓ ﴾ [المؤمنون:١٠٠] ـ سبحان الله ـ واثق أنه هل سيعمل صالحا أم لا مع أنه يتمنى الرجعة والعودة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ غير واثق من نفسه غير متأكد إن كان سيعمل صالحًا أم لا ، يأتي الجواب : ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ ﴾ لا يجيبها الله لا يسمعها الله بمعنى الإجابة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

فيها أيها اللبيب ، يا أيها العاقل ، الله سبحانه وتعالى ينادي علينا كل ليلة ليتوب العصاة من أمثالي ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى أنه ﷺ قال :

« إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ

لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» [١] .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ـ فاذكر الله يذكرك الله سبحانه ـ وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » [٢] .

وفي الصحيحين من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبي ﷺ :

« لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » [٣] .

فرح الله إن تبت إليه أعظم من فرح هذا العبد بعودة دابته إليه .

أقبل أيها اللاهي ، أقبل أيها العاصي مهما كان ذنبك فعفو الله أعظم ، مهما كان جرمك فكرم الله أوسع عد إليه .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ .

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩/ ٣١) .
(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥).
(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) ، ومسلم في التوبة (٢٧٤٧/ ٧)

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦] .

قال رسول الله ﷺ ـ والحديث رواه البخاري : عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ :« **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟** » هل ستطرح هذه الأم التي كانت تبحث بهذا الحب والشفقة عن ولدها ثم ألصقته ببطنها وصدرها فأرضعته ، هل تطرح هذه الأم ولدها في النار ؟ ـ قُلْنَا : لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ : « **لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** » [(١)] .

من ذلك أيضًا ما قاله أحد السلف أنه قال يوما لربه : اللهم أنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي ، وأمي لا ترضى لي الهلاك أفترضاه لي أنت وأنت أرحم الراحمين .

« **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، « **لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** » فعد إلى الله ، فالتوبة تجبُّ ما قبلها .

ومن شروط التوبة : أن تندم على ما مضى ، فالندم هو ركن التوبة الأعظم ، وأن تقلع عن جميع الذنوب والمعاصي ، وأن تداوم على العمل الصالح ، وأن ترد حقوق العباد إلى العباد قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار ، وإنما أخذ من الحسنات ورد له من السيئات وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩) ، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤/ ٢٢) .

« أَتَدْرُونَ مَا الْـمُفْلِسُ ؟ »

قَالُوا : الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ .

فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـذَا وَقَـذَفَ هَـذَا وَأَكَـلَ مَـالَ هَـذَا وَسَـفَكَ دَمَ هَـذَا وَضَرَبَ هَـذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »[1] .

اللهم نجنا من النار .

أيها الأفاضل ، التوبة إلى الله خير بداية وخـير نهايـة ، فالمقبـل علـى الله بهمة عالية .

وعلى قدر أهل العزم تأتي العـزائم وتـأتي علـى قـدر الكـرام المكـارم
تعظـم في عـين الصـغير صـغارها تصغر في عـين العظـيم العظـائم

فلنقبل على هذا الموسم موسم الطاعة بهمة عالية .

وهذا هو محورنا الرابع والأخير والمهم من عناصر الموضوع :

موسم الطاعة :

إذا أراد أحدنا أن يقيم مشروعًا تجاريًا للدنيا ، فإنه يعد لهذا المشروع قبل أن يشرع فيه دراسة جدوى ، فهل وضعت دراسة جدوى لموسم الطاعـة ؟ هل وضعت لنفسك برنامجاً نهاريًا ليليًا في رمضان ؟ هل جلست لتخطط ؛ فهذا موسم طاعة ليس موسمًا للطعام والشراب ، فنحن نأكـل في رمضـان الأرطال ونشرب فيه الأسطال ، وندعي أننا أبطال حولنا الشـهر إلى طعـام

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨١/ ٥٩) ، وأحمد (٢/ ٣٠٣ ، ٣٣٤) .

وشراب ونوم إلا من رحم ربي ، اللهم اجعلنا ممن رحمت .

رمضان موسم طاعة ، أضع لك برنامجًا سريعًا لتجعل هذا البرنامج بين يديك وبين عينيك لا لتستمتع به استمتاعًا سلبيًا باردًا ، وإنما نتضرع إلى الله جميعاً لنحول هذا البرنامج إلى منهج عملي :

أولاً : المحافظة على الصلوات في جماعة لا تضيع الصلاة ، وأنا أرى إقبالا على المساجد في أول رمضان حتى إذا ما دخلنا إلى النصف الثاني وبداية العشر الأواخر نرى الهمم وقد فترت نرى فتوراً في الهمم ونرى تكاسلاً على الصلاة ، المحافظة على الصلاة في جماعة في بيوت الله سبحانه ، قال تعالى :

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾

[البقرة:٢٣٨]

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾

[النساء:١٠٣]

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ الله لَهُ نُزُلَهُ مِنْ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » (١) .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ:أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ:

« أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ » .

قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله .

---

(١) رواه البخاري في الأذان (٦٦٢) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٩/ ٢٨٥) .

قَالَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ » (١).

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ » .

يعني هل يبقى على جسمه شيء من القذر أو الدنس ؟

قَالُوا : لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا .

قَالَ : « فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا » (٢).

كثيرًا من الصائمين يضيع صلاة الفجر وصلاة العصر ، يضيع صلاة الفجر ؛ لأنه ضيع معظم الليل أمام التلفاز وقبل الفجر بساعة أو ساعتين يغلبه النوم فينام فلا يستطيع أن يقوم لصلاة الفجر وهكذا دواليك اسمعوا ، قال رسول الله ﷺ ـ والحديث في الصحيحين:

« أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْعِشَاءُ وَالْفَجْرُ » (٣).

هل ترضى لنفسك أن تكون في هذا الصنف الخبيث ، منذ متى وأنت لم تصل الفجر ، منذ متى حتى صار الأمر عندك عادياً جدًا ، فإنك ورب الكعبة على خطر عظيم فهذه شهادة نبوية وميزان دقيق على كل مسلم ومسلمة ، إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء ،

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٥١/ ٤١) .
(٢) رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٧/ ٢٨٣) .
(٣) رواه البخاري في الأذان (٦٥٧) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١/ ٢٥٢) .

فصلاة الفجر مقياس دقيق للإيمان والنفاق ، كذلك يأتي من عمله متعبًا فينام حتى تفوت صلاة العصر والله إن فعل ذلك لعذر أنه لا يقدر فعلا على القيام فهو معذور ، قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

قال ﷺ : « إِنَّ الله وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ »[(١)] .

أما أن يقضي رمضان كله وهو نائم في وقت صلاة العصر فهو على خطر عظيم فمن ضيع صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله [(٢)] أي : فقد أهله وماله والحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« عَنْ عَبْدِ الله قَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ »[(٣)]

---

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٣ ، ٢٠٤٥) ، وأبو نعيم (٦/ ٣٥٢) ، والطبراني في الكبير (١٤٣٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٥٧) ، والحديث بمجموع طرقه صحيح .

(٢) رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٥٢) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٦/ ٢٠٠ ، ٢٠١) .

(٣) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤/ ٢٥٧) .

فحافظوا على الصلوات في بيوت الله .

ثانياً : المحافظة على ورد يوميًّا في كتاب الله جل وعلا : منذ متى وأنت لم تفتح القرآن هيا انفض عن القرآن الغبار وأخرجه من حقيبته ، واشرع في تلاوة كتاب الله بفهم وتدبر ، اقرؤوا القرآن ، اقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ... رواه مسلم من حديث أبي أمامة [١] :

« لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» ، رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر [٢] .

« الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» .. رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها [٣] .

« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُول: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ... » رواه الترمذي بسند صحيح من حديث ابن مسعود [٤] .

قال ﷺ : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقَدَّمُهُمْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ ـ أي يقدم القرآن ـ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ أَوْ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا.. » ،

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤/ ٢٥٢) .
(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٥٢٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨١٥) .
(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨/ ٢٤٤) .
(٤) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠) ، وقال : حديث حسن صحيح .

رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان [١] .

أيها الأفاضل ، هذا غيض من فيض في فضل كتاب الله سبحانه وتعالى ، فيا من تركتم وهجرتم كتاب الله هيا انفضوا عن كتاب الله غبار الغفلة ، واجعلوا لكم وردًا يوميًا مع القرآن الكريم ، ما أجمل أن تجلس مع امرأتك مع أولادك بعد الفجر مثلاً أو بعد العصر مثلاً لتقرؤوا سويًا جزأين من كتاب الله أو يزيد اقرأ ربما يقول والد من آبائنا الكرام : وأنا لا أحسن التلاوة فماذا أصنع ؛ احرص أن تجلس في جلسة تقرأ القرآن في المسجد بعد الفجر أو بعد العصر لتسمع القرآن ، أو إن وجدت رمقًا من الوقت فامكث في بيت الله سبحانه وتعالى واقض الوقت في طاعة كاستغفار كصلاة على نبينا المختار كتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير ، فأنت في طاعة وأنت في صلاة ما دمت في بيت الله تنتظر الصلاة ، وملائكة الله تدعو لك وتصلي عليك : اللهم اغفر له وارحمه ، اللهم صل عليه ، وأنت في صلاة ما انتظرت الصلاة ما لم ينتقض وضوؤك ، فإن انتقض وضوؤك فقم وجدد وضوءك وأقبل مرة أخرى على طاعة الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : صلاة التراويح شهرًا : احرص على أن تقيم كل ليالي هذا الشهر الفضيل لا تضيع ليلة ، ومن قام مع الإمام حتى ينصرف إمامه كتب له قيام ليلة فاحرص على أن تصلي التراويح كلها مع إمامك ، ومن رحمة الله أن ترى في مساجد المسلمين مسجدًا يختم أهله القرآن وترى مسجد آخر يقرأ بآيات قليلة هذه رحمة وهذا تيسير وتخفيف ، فإنه لم يثبت أنه ﷺ حرص على أن يختم القرآن أو أن يقرأ بجزء في الليل ، بل كل على حسب قدرته وطاقته ، وينبغي للإمام أن يراعي أحوال المأمومين وراءه ، فإن وجد

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٥/ ٢٥٣) .

أن المأمومين في نشاط أو حيوية فلا حرج أن يقرأ القرآن ، وأن يزيد وإن وجد أن المأمومين خلفه لا يطيقون ذلك فلا حرج عليه أن يخفف ، نسأل الله أن يرزقنا الحكمة والرحمة ، وإذا أراد أن يطيل فليطل لنفسه ما شاء الله بينه وبين ربه في بيته لا حرج البتة في ذلك ، ولا ينبغي أن نجعل في هذا الأمر إشكالاً يعكر علينا صفو قلوبنا .

فرمضان موسم الجود ، موسم الإحسان ، من فطَّر فيه صائمًا كان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ، طعامك الذي تعده بلا مزيد يكفي أن تطعم منه كل يوم فقيرًا أو صائمًا .

روي البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنه:

« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ »[1].

فرمضان شهر الجود شهر الإحسان شهر البر شهر النفقة . أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً ، أنفق يُنفق عليك .

رواه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ عن رب العزة يقول تعالى في الحديث القدسي :

« يَا آدَمُ ، أَنْفِقْ يُنْفَقْ عَلَيْكَ »[2] .

لو أنفقت تولى الإنفاق عليك من لم تنفد خزائنه ، أنفق ينفق عليك.

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي (٦) ، وفي الصوم (١٩٠٢) ، وفي بدء الخلق (٣٢٢٠) ، وفي المناقب (٣٥٥٤) ، وفي فضائل القرآن (٤٩٩٧) .

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٤) ، ومسلم في الزكاة (٩٩٣) .

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢] .

فاجتهد أن تُفطِّر معك كل يوم صائمًا أو يزيد ، رمضان شهر الذكر والاستغفار والتوبة والحرص على الطاعة ، فإن هيأ الله لك الوقت بعد العصر أو بعد المغرب لست منشغلاً بأمر من أمور الدنيا ، فيا حبذا لو قضيت هذا الوقت كله في بيت الله ، أو يا حبذا لو قضيت هذا الوقت كله مع زوجتك وأولادك ، وقد اجتمعتم حول كتاب الله ، داوم على الذكر على أذكار الصباح وأذكار المساء وعلى الأذكار المطلقة ، فليكن لسانك رطبًا على الدوام بذكر الله سبحانه وتعالى .

وأحذر نفسي وإخوتي من تضييع الوقت أمام وسائل الإعلام ، فإذا جلست أمام التلفاز سحرك ومضت الساعة تلو الساعة ، وانقضى ليلك بل وانقضى شهرك وأنت لا تدري ، فالمغبون من ضيع رمضان ، والمغبوط من وظف رمضان واستثمره في طاعة الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى .

أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبلغنا رمضان وأن يبارك لنا فيه ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

حقوق يجب أن تعرف

حق المسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق المسلم

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق المسلم** » .

حق المسلم حق كبير من الحقوق التي ضاعت وأودُّ أن أفرد في هذا الموضوع الجليل لخطر الموضوع من ناحية ؛ ولضياع حق المسلم في مجتمعات المسلمين من ناحية أخرى ، وسأحصر هذا الحق في محورين اثنين :

الأول : حق المسلم في المجتمع .

الثاني : حق المسلم على المسلم .

أولاً : حق المسلم في المجتمع :

ونبدأ بحق المسلم على المجتمع الذي يعيش فيه ، ويتكون هذا الموضوع الجليل من العناصر المحددة التالية :

أولاً : سمات المجتمع المسلم .

ثانياً : حق الحياة .

ثالثاً : حرمة المال .

رابعاً : حرمة العرض .

أولاً : سمات المجتمع المسلم :

إن المجتمع المسلم الذي شاد القرآن الكريم صرحه الشامخ ، وأرسى لبناته وقواعده نبينا المصطفى ﷺ كان مجتمعًا فريدًا في كل شيء ، فهو

مجتمع له أدب فريد مع الله جل وعلا ، يقوم على أساس العبودية لله جل وعلا امتثالاً عمليًّا لقوله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣] .

وهو مجتمع له أدب فريد مع رسول الله ﷺ يقوم على أساس الإيمان الصادق والاتباع الصحيح والمحبة الكاملة لرسول الله ﷺ امتثالاً عمليًّا من أفراد هذا المجتمع الكريم كما قال الله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

وهو مجتمع له أدب فريد مع نفسه ، مجتمع تصان فيه الحرمات ، مجتمع لا تتبع فيه العورات ، مجتمع لا تنتهك فيه الأعراض ، أحاطه القرآن الكريم بسياج من الفضائل الكريمة والمشاعر النبيلة ، لا فضل في هذا المجتمع العربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ، بل لا فضل لأحدهم إلا بالتقوى والعمل الصالح كما قال جل وعلا :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] .

وهو مجتمع له أدب فريد مع الغير : والحق ما شهدت به الأعداء فها هو غتافلوين يكون منصفًا للحق قبل أن يكون منصفًا للإسلام والمسلمين يقول : لم تعرف الأمم فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين ، ولم تعرف الأمم دينًا سمحًا كدينهم .

وأما ما يروج له الغرب الآن من أن الإسلام هو دين التطرف والإرهاب ، وأن المسلمين قد أكرهوا غير المسلمين في الدخول إلى الإسلام بقوة السيف ، فهذا فراء وافتراء يغني بطلانه عن إبطاله ، ويغني فساده عن

إفساده ، ويغني كساده عن إكساده ، ولم تعد تنطلي هذه الحيل على السذج والرعاع . وإن ما جرى طوال سنوات القرن الماضي ، وما يجري إلى يومنا هذا على أرض كوسوفا بعد البوسنة يعد أعظم الأدلة على تعصبهم البغيض الأعمى ضد الإسلام والمسلمين ، ولو راجعوا التاريخ بعين الإنصاف لعرفوا جيدًا أن الإسلام هو دين التسامح والعدل والرحمة .

هذه بعض سمات المجتمع المسلم الذي شاد القرآن الكريم صرحه الشامخ وأرسى لبناته وقواعده نبينا المصطفى ﷺ .

وظل هذا المجتمع الكريم أيها الفضلاء يرفل في ثوب الإيمان والأمان والعزة والكرامة حتى ابتعد رويدًا رويدًا عن أصل عزه ونعيم كرامته ، وانحرف بعيداً عن دين الله ، وعن هدي المصطفى ﷺ ، راح ليلهث وراء الشرق الملحد تارة ، ووراء الغرب الملحد تارة أخرى ، وحكم القانون الوضعي الأعمى يوم أن رفع قانون الرب العلي .

ومن هنا فقد ضاعت حقوق كثيرة ، وانتهكت أعراض وحرمات بصورة فظيعة وخطيرة ، مع أن النبي ﷺ قد أرسى قواعد المجتمع المسلم ، وشدد على حرماته تشديدًا عظيمًا .

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ خطب الناس يوم النحر في منى وقال :

« **أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟** » . فرد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في أدب جم : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.. وهل يشك أحدكم في أن الصحابة لا يعلمون ؟! إنهم في يوم النحر ، لكنه الأدب مع المصطفى يقول لهم المصطفى : « أي يوم هذا ؟ » قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال الحبيب المصطفى : « **أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟** » قَالُوا : بَلَى ، قال المصطفى : « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟** » فقال الصحابة : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فقال المصطفى ﷺ : « **أَلَيْسَ بِذِي**

الـحِجَّة؟» ... قَـالُوا : بَـلَى ، فسـألهم المصـطفى ﷺ : « أَيُّ بَلَـدٍ هَـذَا؟ » .. قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فقال المصطفى ﷺ : « أَلَيْسَ الْبَلْدَ الـحَرَامِ؟ » .. قَالُوا : بَلَى ، فقال لهم المصطفى ﷺ : « فَـإِنَّ دِمَـاءَكُمْ وَأَمْـوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَـكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

ثم قال ﷺ : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ اشْـهَدْ » .. وأعادها مرارًا بـأبي هـو وأمي ثم التفت إلى الصحابة وقال : « فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » .. ثم قـال : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » [1] .

إن موضوع الدماء موضوع جليل ، موضوع الأعراض وحرمة الأمـوال وقد أجملت هذا الموضوع إجمالاً ، وأفصل هذا الموضـوع تفصـيلاً ؛ لجلالـه وخطره في الدنيا والآخرة ، وهذا هو حديثنا في العناصر المتبقية .

ثانياً : حق الحياة :

فإن أول حق للفرد المسلم على المجتمع المسلم هو حق الحياة ، وهذا هـو عنصرنا الثاني:

حق الحياة :

إن الله تعالى قد كرم الإنسان تكريمًا عظيمًا ، خلقه بيـده ونفـخ فيـه مـن روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأنزل له الكتب والرسل، ووضع لـه شـريعة محكمة تضـمن لـه الحقـوق والسـعادة في الـدنيا والآخـرة ، وإن أول حـق وأعظم حق ضمنته الشريعة الإسلامية للإنسان في الأرض هو حق الحياة ، هو حق النفس ، فإن الله وحده هو خالق الحيـاة وهـو واهـب الحيـاة ، ولا ينبغي لأحد البتة أن يسلب هـذه الحيـاة إلا بـأمر الله جـل وعـلا في نطـاق الحدود الذي شرعها ، ولا يسلب الروح إلا واهب الحياة وهو وحده الذي

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٦) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) .

يعلم من خلق وهو العليم الخبير .

فسفك الدماء جريمة بشعة تأتي مباشرة بعد جريمة الشرك بالله ، وأنا أتحدى أن تفتح صفحة من الجرائد في أي جريدة من جرائدنا اليومية إلا وسينقلب إليك بصرك خاسئًا وهو حسير ، وسينخلع قلبك أمام جرائم القتل التي انتشرت في مجتمعاتنا ـ مجتمعات المسلمين ـ بل وفي الأرض كلها إما بدافع السرقة ، وإما بدافع الثأر البغيض الأعمى ، وإما بدافع انتهاك الأعراض أو الاغتصاب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

انتشرت جريمة الدماء بصورة بشعة ، وأصبحت حرمة الدماء حقيرة في نفس كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

تدبروا كلام الله في كتابه الكريم : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

[النساء:٩٣]

وفي صحيح البخاري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا » (١) .

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول : إن من موبقات الأمور التي لا مخرج منها إن أوقع نفسه فيها ـ الدم الحرام بغير حله .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا ، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » (٢) .

---

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢) ، وأحمد (٢/ ٩٤) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٩٩) ، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٧٠) ، والنسائي في تحريم الدم (٧/ ٨١) ، والحاكم (٤/ ٣٥١) ، وصححه ووافقه الذهبي . قلت : والحديث صحيح .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه النسائي من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال :

« قَتْلُ الـمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا » [١] .

تعرفوا على حرمة الدماء . بل من أعجب الأحاديث الصحيحة التي قرأتها في هذا الباب ما رواه النسائي والبخاري في التاريخ الكبير وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِل وَإِنْ كَانَ الْـمَقْتُولُ كَافِرًا » [٢] .

الحديث ـ أقول : حديث صححه الألباني حديث صحيح ، تدبر قول النبي ﷺ : « مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى حَيَاتِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِل وَإِنْ كَانَ الْـمَقْتُولُ كَافِرًا ».

حرمة الدماء عظيمة عند رب الأرض والسماء ، فمن أجل ذلك جعل الدماء هي أول شيء يقضي فيها الله بين العباد يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » [٣] .

إذا ما وزنت الموازين وتطايرت الصحف وغرق الناس في عرقهم على قدر أعمالهم ، وأتى بجهنم لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، ينادي على القاتل السفاح المجرم الذي سفح الدماء بغير حل ، فيرعد النداء قلبه فترتعد فرائصه وتضطرب جوارحه وهو يمشي

---

(١) رواه النسائي في تحريم الدم (٧/ ٨٣) وسنده صحيح .
(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٣٧) وسنده صحيح .
(٣) رواه البخاري (٦٥٣٣) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٨/ ٢٨) .

بين الخلائق ؛ ليقف بين يدي الملك الحق جل جلاله ، وينادي على كل قتيل قتله هذا المجرم السفاح فيتعلق كل قتيل بالقاتل وأعناقهم تسيل دمًا أي عروقهم ويتعلقون به وهو يصرخ ويستغيث بين يدي الملك الحق ويقول : يا رب ، سل هذا فيم قتلنا ؟ فماذا سيكون جوابك أيها القاتل ؟ ماذا سيكون جوابك يا من سفكت الدم بغير حل ؟ ماذا سيكون قولك بين يدي الله؟

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشًا قلقَ الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدُ على مهلٍ فهل ترى فيه حرفا غير ما كان
فلما قرأت ولم تنكر قراءته وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادي الجليل خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصىَ للنار عطشانا
العاصون غدًا في النار يلتهبوا والموحدون لدارِ الخلد سكانا

****

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
إذا كورت شمس النهار وأُدنيت حتى على رأس العباد تسير
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا الصحائف نُشرت وتطايرت وتهتكت للعالمين ستور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه طي السجل كتابه المنشور
وإذا الوليد بأمه متعلقٌ يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ولها على أهل الذنوب زفير

وإذا الوحوش لدي القيامة أحشرت وتقـــول للأمـــلاك : أيـــن تســـير؟
وإذا الجحـــيم تســـعرت نيرانهـــا ولهـــا عـــلى أهـــل الـــذنوب زفـــير
وإذا الجنـــان تزخرفـــت وتطيبـــت لفتـــى عـــلى طـــول الـــبلاء صـــبور

ينادي على القاتل فإن أول شيء يقضي الله فيه بين العباد في الدماء ، ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ :

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةِ» (١) .

فالصلاة هي حق الله تعالى ، وأما الدماء فهي حق العباد .. فأول حق للعباد يقضي الله فيه هي الدماء ، ولقد قص عليَّ أستاذ فاضل ومستشار لا أزكيه على الله ، قص علي قصة ذكرتها في خطبة عيد الأضحى تخلع القلب ، خلاصتها أن ذئبًا بشريًا نزعت الرحمة من قلبه وانتكست فطرته ، رأى طفلة صغيرة مسكينة ، لا يزيد عمرها عن خمس سنوات ، رآها تلعب ببراءة بجوار بيتها المجاور للمقابر في قرية من القرى ، فاحتال هذا الذئب الذي لم يرعوي بتصاص عادل ولا بمراقبة الله جل وعلا الذي يمهل ولا يهمل ، فاحتال على هذه الطفلة الصغيرة البريئة المسكينة واستدرجها إلى المقابر حتى أدخلها المقابر ثم اعتدى على عرضها ، ولم يرحم استغاثتها ، وهي الطفلة البريئة المسكينة بنت الخمس سنوات ، بل ولم يراع حرمة الموتى التي أحاطت به من كل جانب ، ولم يراع حرمة المقابر ، انظروا إلى مرض القلوب وانتكاس الفطر والعياذ بالله ، الموت حوله من كل مكان ، لم يراقب الله الحي الذي لا يموت ، ولم يراع حرمة المقابر ولا حرمة الأموات ، ولم يراقب رب الأرض والسموات ، بل انتهك عرض الطفلة المسكينة البريئة بين المقابر ، وفكر بعد ذلك في الفضيحة فحاول هذا المجرم الخبيث أن يخنقها فلم يفلح ، فجاء بثوبها الداخلي فدس ثوبها في فمها

(١) صحيح الإسناد :رواه الترمذي في أبواب الصلاة (٤١٣) ، وأبو داود في الصلاة (٨٦٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) ، وأحمد (٢/ ٢٩٠ ، ٤٢٥ و ٤/ ٦٥ ، ١٠٣) .

حتى فارقت الحياة ، وفكر هذا المجرم الخبيث في فضيحته ففتح قبرًا من القبور المعدة للموتى ووضع الطفلة المسكينة البريئة بثيابها في هذه المقبرة ولكن الملك يمهل ولا يهمل .

قدَّر الله عز وجل أن يموت رجل من هذه القرية في اليوم التالي مباشرة ويشاء سبحانه وتعالى أن يحمل المتوفى إلى المقابر وأن يفتح نفس القبر الذي دفنت فيه الطفلة البريئة ، فقد حاول الأهل أن يبحثوا عنها فلم يجدوها ، فمن الذي يفكر في هذه الجريمة البشعة ، واستطاع رجال الأمن بعد ذلك في أن يقبضوا على هذا الذئب البشري الخبيث المجرم ، وحكمت عليه محكمة النقض كما قص عليّ المستشار ، حكمت على هذا الذئب البشري بالإعدام .

لكن من منا سمع حكم الإعدام ؛ لذا فأنا أطالب المسؤولين الآن كما يذيع التلفاز في نشرته الإذاعية أو التلفازية الأخبار ، أخبار الممثلين والممثلات والساقطين والساقطات ، واللاعبين واللاعبات ، والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات ، أن يذيعوا على الأقل خبر الحكم بالإعدام على ذئب بشري خبيث ليرتدع من تسول له نفسه على الأقل في انتهاك الأعراض والحرمات .

ثم إنني على يقين مطلق جازم في أن الحل الناجع الأوحد في القضاء على هذه الجريمة البشعة هو القصاص ، تطبيق شريعة رب الناس :

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩] .

والله لن يرتدع المجرم القاتل إلا إذا علم أن شريعة الله تطبق ، وإن من شريعة الله أن يقتل القاتل وأن يقام الحد على الزاني ، هذا هو الحل الأوحد في القضاء على هذه الجريمة البشعة ، أقسم بالله على منبر رسول الله أن جريمة القتل لم تكن بدافع السرقة أو بدافع فعل الاغتصاب إلا يوم

أن حكم القانون الوضعي الأعمى ونحى شرع الرب العلي الأعلى الذي قال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤] .

ثالثاً : حرمة المال :

هذا أعظم حق للمسلم في المجتمع ، ثم في حق المسلم في المجتمع الإسلامي أن يأمن على ماله ، فهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر الموضوع : **حرمة المال** .

المال مال الله ، فهو واهبه ورازقه قال تعالى :

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور:٣٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد:٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

ثم أضاف الله عز وجل المال للعباد تكرمًا منه وتفضلاً من ناحية وابتلاء واختبارًا لهم من ناحية أخرى فقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون:٩] .

قال جل وعلا : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

لذا فإن المؤمن العاقل هو الذي يعلم الغاية من المال ، يعلم أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، ولا ينسى أبدًا حبيبه المصطفى كما في صحيح

مسلم من حديث عبد الله بن الشخير: « تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» هذا هو مالك .. ما لك يا ابن آدم تقول : مالي مالي : « وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ »[1] .

وفي لفظ : « فَأَبْقَيْتَ » .

ولذا يقول الحبيب المحبوب ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري ـ رضي الله عنه ـ يقول المصطفى ﷺ :

« ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ الله عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ـ أي في ماله وعلمه ـ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ـ أي عند الله جل وعلا ـ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ » ـ أي من أهل البر والخير لبنيت المساجد ولأنفقت على الفقراء والمساكين ولفعلت كذا وكذا .. يقول النبي : « فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ » أي من أهل البر والخير .

تَأَمَّلْ ماذا قال المصطفى ﷺ :

« فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا » .

هذا هو العبد الثالث ـ يقول المصطفى ﷺ : « فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ـ يعني ينفق المال على غير حق وهدى ـ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨/ ٣) .

وَلَا يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ» ـ أي عند الله جل وعلا ـ وَعَبْدٌ ـ وهذا هو العبد الرابع ـ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ » ـ أي من الفسق والمجون والمعاصي لسافرت من بانكوك إلى مدريد ، إلى هنا وهناك ، للهو والفسق والزندقة « لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ » .

يقول المصطفى ﷺ : « فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ » (١) .

فالمؤمن العاقل ـ إخوتي ـ هو الذي يعلم الغاية من المال ، يعلم أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة من أجل ذلك انتبه ، فهو يحرص كل الحرص على أن يجمع المال من الحلال ، وأن يؤدي في المال حق الكبير المتعال من حق هذا المسلم حينئذ أن يأمن على ماله ولو قل من حقه أن يأمن على بيته ، من حقه أن يأمن على أولاده ، من حقه أن يأمن على تجارته ، من حقه أن يأمن على ماله في المجتمع ولو قل هذا المال .

لا يجوز لأحد البتة أن يأخذ هذا المال منه بغش أو بسرقة أو بنصب أو بغضب أو بظلم أو باحتيال ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [النساء:٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة:٣٨] .

سيظل حد القطع هو الرادع الأوحد والأمثل والأقوى للقضاء على اللصوص الكبار والصغار الذين يسرقون أقوات وأموال الأمم والشعوب والأفراد على السواء ، سيظل حد القطع ليد السارق هو الرادع والأقوى للقضاء على اللصوص الكبار والصغار .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٣١) ، وسنده صحيح .

ومن يزعم بأنه أرحم بالناس من خالق الناس في قلبه عمى وفي عقله ضلال ، وعلى الذين يدندنون على أن حد القطع ليد السارق لا يتواءم ولا يتفق مع مدنية القرن العشرين ، ولا مع إنسانية البشر ، عليهم أن يراجعوا بعدل وإنصاف نتائج القطع ونتائج السجن والحبس ؛ ليعلموا علم اليقين أن حد القطع لم يطبق في صدر الإسلام إلا على آحاد الناس .

وصدق ربي إذ يقول : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

[الملك:١٤]

رابعًا : حرمة العرض :

ثم من حق الفرد المسلم على المجتمع أن يأمن على عرضه ، وهذا هو عنصرنا الرابع .

العرض هو موضع المدح والذم في الإنسان ، ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وهو يذب عن عرض الحبيب المصطفى ﷺ :

وإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاء

فالعرض هو موضع المدح والذم في الإنسان ، كما قال ابن منظور في لسان العرب : من جسد أو نفس أو حسب أو شرف ، ولا شك أن أبشع صورة من صور انتهاك العرض هي الزنا ، فالزنا أبشع وأشنع جريمة ترتكب على ظهر الأرض بعد الشرك بالله وقتل النفس ؛ المرأة إن زنت والعياذ بالله أدخلت العار على زوجها وأهلها ووضعت رؤوس أسرتها في الوحل والطين والتراب .

فإن كانت المرأة متزوجة ووقعت في جريمة الزنا وخافت من الفضيحة والعار ، فقتلت ولدها من الزنا ، وقعت في كبيرتين ألا وهما : القتل والزنا ، فإن أبقت على ولدها من الزنا وأدخلت هذا الولد بين أولادها ، أدخلت عليهم أجنبيًا ليس منهم فورثهم ولا حق له في ذلك ، وخلا بهم ولا حق

له في ذلك ، وانتسب هذا الولد إلى زوجها ولا حق له في ذلك .

أما إذا زنا الرجل فاختلطت الأنساب اشتعلت الأحقاد وهدم المجتمع المسلم من قواعده .

من أجل ذلك شدد الإسلام يا إخوة تشديدًا عظيمًا على جريمة الزنا فقال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ ﴾ [النور:٢] .

والحظ ملحظًا قرآنيًا بليغًا لتقديمه لفظ الزانية ، فإنه لا يتمكن زان من الزنا إلا بمقدمات حقيقية من زانية مجرمة فقدم القرآن الزانية : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ [النور:٢] ؛ ولذا قدم القرآن في السرقة الرجل فقال : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة:٣٨] ؛ لأن دافع السرقة عند الرجل أقوى .

أما في الزنا قال : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢، ٣] .

انظروا إلى هذا التشريع ، الأمر لا يحتاج إلى فذلكة أو حذلقة . كيف يؤتى بالزاني على رؤوس الأشهاد ؛ ليقام عليه حد الجلد أو حد الرجم هذا لا يتفق مع إنسانية الإنسان ، هذا لا يتفق مع مدنية القرن العشرين ولا مع مدنية القرن الحادي والعشرين ، لا تمت إلى عقل سليم بصلة ولو ابتلي الإنسان بهذا البلاء .

أسأل الله أن ينجيني وإياكم منه ، لو زُني بابنته أو بامرأته أو بأخته لتمنى ورب الكعبة ألا يقام الحد بالجلد أو بالرجم ، بل لتمنى أن يمزق الزاني بأنيابه قطعة قطعة .

إن الأخذ على يد الزاني حياة للمجتمع كله : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩] .

رجل ذكر بالله فلم يتذكر ، نصح فلم ينتصح ، قيل : إياك والعرض لا تتعدى ولا تنتهك الحرمات فلم يرتدع فراح يرتع في هذا المستنقع الآسن العفن ، لابد من الأخذ على يديه .

لو أن عضوًا من أعضاء الجسد قد أصيب بمرض السرطان فإن الحكمة أن يقطع هذا العضو الذي ابتلي بمرض السرطان ، وإلا فسيسري المرض في الجسد كله ، فلابد من بتر هذا العضو الخبيث في المجتمع ؛ لنضمن الحياة الطيبة الهادئة للمجتمع بأسره .

فالله تبارك وتعالى أمر بالجلد للزاني البكر الذي لم يتزوج أن يجلد مائة جلدة مع الزانية أمام طائفة من الناس ؛ ليرى كل الناس هذا العقاب ، فيفكر كل من تسول له نفسه بدل المرة ألف مرة في التعدي على الأعراض وانتهاك الحرمات .

أما المحصن أي المتزوج الذي يترك هذا الحلال الطيب وينطلق ليرتع في هذا المستنقع الآسن العفن فحده في دين الله الرجم ، فإن رجم وتاب إلى الله تبارك وتعالى فإن الله عز وجل قد طهره بالتوبة ، وبإقامة الحد طهره .

ومن عدل الله تبارك وتعالى ألا يحاسب العبد على ذنب طهر منه في الدنيا بإقامة الحد ، لا يحاسبه الله على هذا الذنب يوم القيامة ، عدل الله ورحمته ، فقد يزل الإنسان لكن لابد حينئذ أن يجدد التوبة والأوبة ، وأن يقام عليه حد الله تبارك وتعالى ، فحد الزاني المحصن هو الرجم حتى الموت ، تلك حدود الله ، هذا شرع الله :

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة:١٧٩]

لا يحيا المجتمع حياة آمنة هادئة إلا بهذا ، إلا بتطبيق شرعه المحكم .

وقال النبي ﷺ كما في الصحيحين :

« لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (١) .

وقال النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث سمرة الطويل أن جبريل وميكائيل جاءا إلى النبي ﷺ فقالا له : انطلق فانطلق الحبيب ﷺ معهما فمروا على تنور أعلاه ضيق وأسفله واسع تشتعل فيه النيران ، فنظر النبي في هذا التنور فرأى فيه رجالاً ونساءً عراةً يصيحون من شدة لهب التنور ـ أي من شدة الحر ـ فإذا ارتفعت النار ارتفعوا ، فإذا انخفضت انخفضوا في هذا التنور فقال النبي ﷺ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ » فقال جبريل : هؤلاء الزناة والزواني هذا عذابهم إلى يوم القيامة (٢) .

من زل فليتب ، وقد يسألني الآن مسلم : أنا أعيش في بلد لا تطبق فيه الحدود فماذا أصنع ؟ وقد وقعت في هذه الجريمة البشعة ، ولا أذوق طعم النوم ولا طعم السعادة ولا طعم الراحة ، كم من اتصالات وكم من أسئلة مكتوبة تعرض علينا في كل أسبوع أقول له :

واعلم بأن الله عز وجل سيفرح بتوبتك إن تبت إليه وهو الغني عنك ، فأنت لست ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً ، ووالله لو تخلى عنا برحمته طرفة عين لهلكنا .

فيا من ضعفت وزللت في هذه الكبيرة عد إلى الله واسمع نداء الله :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه البخاري في المظالم (٢٤٧٥) ، وفي الأشربة (٥٥٧٨) ، وفي الحدود (٦٧٧٢ ، ٦٧٨٢) ، ومسلم في الإيمان (٥٧/ ١٠٠ ، ١٠٤) .

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٦) ، وفي التعبير (٧٠٤٧) .

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

عد إلى الله واعلم بأن الله سيفرح بتوبتك إن ستر الله عليك ، فاستر على نفسك وجدد التوبة والأوبة ، فإن الأصل في الكبائر هو التوبة وليس إقامة الحد ، إلا إذا وصل أمرك إلى ولي الأمر المسلم ، فاستر على نفسك وجدد التوبة ، فإن قبل الله منك التوبة تولى الله تبارك وتعالى تخليص ذنبك وتولى الله تبارك وتعالى تفريج كربك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الأصل في الكبائر هو التوبة ، كلكم يحفظ قصة ماعز والغامدية ، لقد جاء ماعز الذي ارتكب جريمة الزنا وهو محصن جاء إلى الحبيب المصطفى إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداة ؛ ليقول : يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي ، فماذا قال له المصطفى ؟ قال : « وَيْحَكَ ارْجِعْ اسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ » .

جاء إلى المشرع ﷺ يطلب منه أن يقيم المشرع ـ أي النبي ﷺ ـ الحد عليه يقول له : « وَيْحَكَ ارْجِعْ اسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ » .

فرجع ماعز ولكن لم يطق النوم وعاد إلى النبي ﷺ في اليوم التالي : يا رسول الله ، طهرني لقد أصبت حدًّا .

فقال له النبي : « وَيْحَكَ ارْجِعْ اسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ » .

وعاد ماعز ولكن لم يطق النوم ، وهؤلاء يا إخوة رباهم المصطفى ﷺ على مراقبة الحي ، لم يتربَّ هؤلاء على مراقبة القانون الأعمى الذي إن رأى ساعة لا يرى في غيرها ، ولكن رباهم النبي ﷺ على مراقبة العلي الأعلى ، فإن لم تأت به الشرطة أتى به إيمانه ، يحركه خوفه من ربه ، وتحركه مراقبة الله تبارك وتعالى فيأتي على قدميه مختارًا غير مكره مضطر ، يأتي للنبي ﷺ : يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي ، فقال له النبي ﷺ في المرة الثالثة :

« وَيْحَكَ ارْجِعْ اسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ » .

فقال له ماعز : لقد أصبت حدًّا يا رسول الله زنيت يا رسول الله ، طهرني فأمر النبي رجلاً من أصحابه أن يقوم ليشم رائحة فمه قال النبي لأصحابه : « أَبِهِ جُنُونٌ؟ أَهُوَ عَاقِلٌ ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأمر رجل أن يستنكهه . أي أن يشم نكهة رائحة فمه ، هل شرب خمرًا فلعبت الخمر برأسه ، فقام أحد الصحابة فشم رائحة فمه فلم يجد بها أثرًا للخمر أو فلم يجد بفمه أثرًا للخمر فقال : لا يا رسول الله فحينئذ أمر رسول الله ﷺ أن يقام الحد على ماعز [1] .

ومن أعجب ما قرأت من الروايات ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار وصححها كثير من أهل العلم ، أن الصحابة عادوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم لما هموا برجم ماعز جرى فقال النبي ﷺ : « هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ؟ هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ؟ » .

فالإسلام ليس متعطشًا للدماء ولا لإقامة الحدود ، وعلى العلمانيين الذين لا يحترمون أنفسهم ممن يختزلون قضية الشريعة كلها في الحدود ، وعليهم أن يحترموا أنفسهم وأن يعلموا يقينًا أن الإسلام العظيم لا يختزل في قضية الحدود وعليهم أن يعلموا أن الحدود حين تطبق لها ضوابط ولها شروط ، الأمر ليس متروكًا هكذا .

فدين الله عز وجل ورب الكعبة هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة ؛ لأن الله عز وجل هو خالق الإنسان ، وهو وحده الذي يعلم ما يسعده وما يصلحه وما يفسده ، وأكرر للمرة الثالثة قول الله تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤] .

---

(١) الحديث رواه البخاري في الحدود (٦٨٢٥) ، ومسلم في الحدود (١٦٩١ ، ١٦٩٥) .

فأبشع صورة من صور انتهاك العرض هي الزنا ، أسأل الله عز وجل أن يطهر مجتمعنا ومجتمعات المسلمين من هذه الجرائم والكبائر البشعة ، وأن يرد المجتمعات المسلمة إليه ردًا جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

لا شك أيضًا أن من صور انتهاك الأعراض القذف ، فالكلمة تذبح عرضًا وتجرح كرامة فكما ينتهك العرض بالزنا ينتهك العرض بكلمة قذف بشعة ؛ لذا فقد جعل الإسلام العظيم القذف كبيرة من الكبائر تستحق الحد قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٤] .

فالكلمة خطيرة ، يستهين الآن كثير من المسلمين والمسلمات بالكلمة ، فيجلس رجل بين إخوانه فيقذف فلانا بكلمة فينتهك عرضه ، ينتهك شرفه ، يسيء إلى سمعته أو تجلس فلانة بين المسلمات فتنتهك عرض مسلمة من المسلمات بكلمة ، هذا قول فالكلمة تجرح بل وتهدم بيوتًا آمنة مطمئنة .

ولله در من قال : إن ترك الألسنة تلقي التهم جزافًا دون بينة أو دليل يترك المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقول في أي وقت شاء ، ثم يمضي آمنًا مطمئنًا ، فتصبح الجماعة وتمسي وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة ، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام ، وهذه حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق بحال من الأحوال .

قال تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] .

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧ ، ٨].

وقال المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » (١) .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ سئل أي المسلمين أفضل ؟

قال : « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » (٢) .

فقدم النبي اللسان على اليد ، « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .

وفي صحيح النسائي : إنه ما من يوم يمر علينا أو يصبح الإنسان فيه إلا والأعضاء كلها تكفر اللسان أي تذل له وتخضع أي تقول له الأعضاء :

« اتَّقِ الله فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا » (٣) .

وفي الحديث الذي رواه الطبراني وأرجو أن تتدبروا هذا الحديث رواه الطبراني بسند صححه الألباني في السلسلة الصحيحة بمجموع طرقه من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال :

« الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهُ مِثْلَ إِتْيَانِ الرَّجُلَ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الرَّجُلَ فِي عَرْضِ أَخِيهِ » (٤) .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) ، ومسلم في الزهد (٢٩٨٨) ، ومالك في الموطأ في كتاب الكلام (٢/ ٧٥٢) رقم (٦) .

(٢) رواه البخاري في الإيمان (١٠ ، ١١) ، وفي الرقاق (٦٤٨٤) ، ومسلم في الإيمان (٤٠-٤٢) .

(٣) رواه أحمد (٣/ ٩٦) ، والترمذي في الزهد (٢٤٠٧) وسنده صحيح .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط كما في الجامع الصغير للسيوطي (٤٥٠٦) عن البراء بن عازب ، وقال السيوطي : صحيح .

وفي الحديث الذي رواه أحمد من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

« مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَال » [١] .

هل تعلمون شيئاً عن ردغة الخبال ؟!

ردغة الخبال أيها الأحبة .. هي : « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » [٢] .

الله .. الله في العرض والشرف ، فكر ألف مرة قبل أن تنطق مرة ، فإن الكلمة خطيرة ، بكلمة تدخل دين الله وبكلمة تخرج من دين الله ، وبكلمة تنال رضا الله ، وبكلمة تنال سخط الله ، وبكلمة تحل فرج امرأة ، وبكلمة يحرم عليك فرجها .

إن الكلمة في الإسلام خطيرة ، فلا ينبغي أن تجلس في المجالس هنا وهناك في الوظائف ؛ لتقذف كل من شئت في أي وقت .

فستسأل عن كل كلمة نطق بها لسانك في هذه الدنيا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

يا هاتكاً حرم الرجال وتابعا طرق الفساد فأنت غير مكرّم
من يزن في قوم بألفي درهم في قومه يزنى بربع الدرهم
إن الزنا دين إذا استقرضه كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

الزنا أبشع صور انتهاك العرض والقذف . فالكلمة صورة خطيرة وكبيرة وبشعة من صور انتهاك العرض .

ورب الكعبة ما أحوج الأمة إلى هذا الشرع المحكم المطهر ، إلى أن ترجع من جديد إلى طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة ، إلى كتاب ربها وإلى سنة الحبيب نبيها ﷺ .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٧٠) ، وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٧) .
(٢) هذه العبارة رواها ابن ماجه في الأشربة (٣٣٧٧) وسندها صحيح .

فإن الإسلام دين السلم ، دين التسامح ، إن الإسلام دين الفضائل ، إن الإسلام دين الشمائل ، إن الإسلام دين الله الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، البشرية الآن كلها تحترق لا يمكن أبدًا أن تفتح تلفازًا أو إذاعة من الإذاعات إلا وستفاجأ بجرائم القتل البشعة وجرائم انتهاك العرض على مستوى العالم بصفة عامة وعلى مستوى المسلمين بصفة خاصة .

والمخرج هو العودة من جديد إلى الله ورسوله ﷺ قال الله جل وعلا :

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٣ ، ١٢٤] .



حقوق يجب أن تعرف

حق المستضعفين في

أفغانستان وفلسطين



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق المستضعفين في أفغانستان وفلسطين

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق المستضعفين في أفغانستان وفلسطين** » .

حق المستضعفين في أفغانستان وفلسطين حق جليل كبير ، والله أسأل أن يرزقنا الصدق في القول والعمل ، وأن يقر أعيننا بنصرة المستضعفين من المسلمين في كل بقاع الأرض ، وأن يشفي صدور قوم مؤمنين بهزيمة ساحقة لأعداء رب العالمين وأعداء المسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ولأن الحديث طويل بطول آلامه ، مؤلم بكثرة دمائه ، ممزق للقلوب الحية بكثرة الأشلاء المتبعثرة الممزقة ، فسوف أحصره في العناصر التالية :

أولاً : أمة الجسد الواحد .

ثانياً : أمة الغثاء .

ثالثاً : أين واجب النصرة ؟

رابعاً : أيها المظلوم صبرًا لا تهن .

وأخيراً : من رَحِم الليل يولد ضوء الصباح .

أولاً : أمة الجسد الواحد :

كان العرب أمة ممزقة قبل الإسلام لا وزن لهم ولا قيمة ، لو تصفحت التاريخ وقرأت عن حروب العرب لوقفت على قيمة هذا الدين العظيم ،

الذي حولهم من غثاء من قبائل متناثرة ومن أمم متمزقة متصارعة ، إلى أمة واحدة ؛ لذا امتن الله عز وجل عليهم بهذه النعمة العظيمة الكبيرة وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

كانوا متفرقين وكانوا على شفا حفرة تودي بهم إلى نار الدنيا والآخرة بشركهم بالله جل وعلا وتصارعهم وتحاربهم ، فجاء النبي ﷺ فدعاهم إلى التوحيد ، فاستنقذهم من شرك العصبية والوثنية إلى أنوار الألفة والتوحيد لرب البرية جل جلاله ، فأذلوا كسرى وأهانوا قيصر وأقاموا للإسلام دولة من فتات متناثرة وسط صحراء تموج بالكفر موجًا ، فإذا دولة الإسلام بناء شامخ لا يطاوله بناء وذلك في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق يوم آخى رسول الله ﷺ بينهم ، ووحدت العقيدة صفوفهم ، وجمعتهم على لسان وقلب رجل واحد فجاء المصطفى فآخى بين سلمان الفارسي وحمزة القرشي وصهيب الرومي ومعاذ ، اجتمعوا في بوتقة واحدة جمعتهم أواصر العقيدة جمعتهم الأخوة الإيمانية ، التي لا نظير لها في كل الشرائع الوضعية على وجه الأرض ؛ لأنها أخوة تعلو على أخوة النسب والعرق واللون والوطن ، إنها الأخوة في الله .

فالمؤمنون جميعًا استطاع النبي ﷺ أن يجعل منهم دوحة واحدة ، متشابكة الأغصان ، متلاصقة الأوراق ، انصهروا في بوتقة الحب في الله ، فرأيت منهم العجب العجاب ، ولو لم نكن على يقين بأن ما سنذكر بعضه جاء عن الصادق الذي لا ينطق عن الهوى لعلمنا أنه من نسج الخيال ؛ لأنه لا يمكن بحال أن يقع في دنيا الناس ، اللهم إذا كان المربي لهؤلاء الناس هو

المصطفى ﷺ .

تدبر هذه النماذج ولن أطيل فيها ، تدبر هذا النموذج العظيم الأول :

في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين وبين سعد بن الربيع الأنصاري - رضي الله عنهم : آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري يوم أن هاجروا من مكة إلى المدينة اختار النبي ﷺ سعد بن الربيع أخا في الإسلام لعبد الرحمن ابن عوف المهاجر من مكة .

تدبر ماذا قال الأخ لأخيه ، قال سعد بن الربيع : قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا.

والله إن الحلق ليجف ، وإن القلب ليرتعد حرجًا وخجلاً ، وإن الكلمات كلها تتوارى خجلاً وحياء أمام هذه الأخوة .

قلت : لولا أن الحديث في الصحيحين لظننت أنه من نسج الخيال أن يقول رجل عربي له شهامة وعنده من الرجولة ما نعلم جميعًا ، يقول لأخيه : سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا .

فيرد عليه العفيف الشريف عبد الرحمن بن عوف : بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوق. فدله على السوق ، سوق بني قينقاع واشترى وربح وجاء إلى النبي ﷺ وبه أثر صفرة أثر طيب فقال له النبي ﷺ : « مَهْيَم » .يعني . ماذا صنعت يا عبد الرحمن ؟

قال : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ .

قال النبي ﷺ : « مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟» ، فقال : نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَب، قال المصطفى : « أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » (١) .

الشاهد : إن سألني سائل : وأين الآن من يعطي عطاء سعد بن الربيع ؟!

والجواب : وأين من يتعفف عفة عبد الرحمن بن عوف ؟! فلقد وجد سعد يوم وجد عبد الرحمن ، وضاع سعد يوم ضاع عبد الرحمن .

جاء رجل إلى أحد الأغنياء الأثرياء ليسأله الصدقة بإلحاح ، فلما امتنع الغني قال له الفقير : أين من ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية ؟! فقال له : ذهبوا مع من لا يسألون الناس إلحافًا .

إنه مجتمع فريد فيه سعد وفيه عبد الرحمن ، فيه من يبذل وفيه من يتعفف ، والمربي لسعد وعبد الرحمن هو الإسلام بقيادة المصطفى الذي رباه الله على عينه وربى به الدنيا . بأبي هو وأمي ونفسي وروحي.

موقف من مواقف الأمة ذات الجسد الواحد ، وانظر إلى هذا الموقف الذي يتألق عزة واسمحوا لي أن أكرر ، فإن المسلم الآن يتطلع إلى بصيص من عزة ولو في الماضي ؛ ليضمد به الجراح ، إنه موقف ربعي ، ذكرت الموقف كثيرًا ولكننا في أمسّ الحاجة إلى ذكره الآن لنقف على أمة الجسد الواحد وبما كانت تمتلكه من عزة ومكانة وكرامة .

ربعي بن عامر جندي متواضع في الجيش المسلم يرسل به قائد القادسية سعد بن أبي وقاص إلى قائد الجيوش الكسروية الجرارة رستم ، ويدخل ربعي بثيابه المتواضعة دون الوقوف على جزئيات الموقف والحدث يقول له رستم : من أنتم ؟

فيقول ربعي الذي عرف الغاية وفهم الوظيفة التي من أجلها ابتعث

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨٠ ، ٣٧٨١) ، وفي النكاح (٥٠٧٢ ، ٥١٦٧) ، ومسلم في النكاح (١٤٢٧) ، واللفظ للبخاري .

يقول : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة فمن قَبِلَ قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن حال بيننا وبين دعوة الناس لدين الله قاتلناه حتى نُفضي إلى موعود الله .

قال رستم : وما موعود الله ؟

قال ربعي : الجنة لمن مات منا والنصر لمن بقي من إخواننا .

قال رستم : سمعت مقالتك فهل لكم أن تؤجلونا الآن لننظر في أمرنا ولننظر في أمركم .

قال ربعي : لقد سن لنا نبينا ﷺ ألا نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ليال ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر لنفسك واحدة من ثلاث .

يا لها من عزة وكرامة !

قال رستم : ما هي ؟

قال ربعي :

الأولى : الإسلام ونرجع عنك ، هذه الغاية أن تسلم لله جل وعلا .

قال رستم : وما الثانية ؟

قال : الجزية وإن احتجت إلى نصرتنا نصرناك ، الجزية التي تدفعها الآن الأمة كاملة غير منقوصة .

ومن أغرب ما قرأت ، أن تقريرًا أمنيًّا وضعه البنتاجون الأمريكي. هذا التقرير الأمني يطالب العرب والمسلمين بنفقات الحرب الأمريكية على أفغانستان ، هل تعلمون تكلفة اليوم الواحد ؟

تتكلف أمريكا في اليوم الواحد في حربها على أفغانستان في اليوم الواحد ما يزيد على مائة مليون دولار ، وليدفع العرب ، وليحيا العرب ،

وليبارك الله في بترول العرب ، تكلفة اليوم الواحد ما يزيد على مائة مليون دولار .

فالصاروخ تزيد قيمته على مليوني دولار ، والقنبلة الانشطارية التي تسقط الآن على أرض أفغانستان تزيد تكلفتها على نصف مليون دولار ، ويطالب الحقير الأمريكي بوش أن يتكلف العرب بتسديد هذه الفاتورة بدعوى أنها حرب على الإرهاب ، والعالم العربي كله في حاجة للقضاء على الإرهاب .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، كل الكلمات ورب الكعبة أراها تنسحب من بين يدي ، فبأي لغة أعلق وبأي كلام أذيّل على مثل هذا الكلام الخطير ؟ فالجزية اليوم تدفعها الأمة ، وربعي يقول لرستم : الجزية ، وإن احتجت إلى نصرتنا نصرناك .

قال رستم : وما الثالثة ؟

قال ربعي : القتال ولن نبدأك بقتال فيما بين اليوم وبين اليوم الثالث إلا إن بدأتنا أنت .

فقال رستم : عرفتك أسيدهم أنت ؟ أنت القائد قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد يسعى بذمتهم أدناهم على أعلاهم .

هذه أمة الجسد الواحد التي حققت قول المربي المعلم ﷺ كما في الصحيحين من حديث النعمان :

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[1] .

هذه أمة الجسد الواحد التي حققت قول النبي ﷺ كما في الصحيحين

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦/ ٦٦) .

من حديث أبي موسى الأشعري :

« الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ [١] .

هذه أمة الجسد الواحد ، ومن ثم استحقت هذه الأمة أن تخاطب من الله جل وعلا بقوله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

استحقت هذه الأمة أن تخاطب من الله جل وعلا بقوله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

استحقت هذه الأمة أن تخاطب من الله بقوله :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢] .

وإذا كان المراد بالآية هم الأنبياء فالخطاب لأمة سيد الأنبياء وإمام الأصفياء محمد ﷺ ظلت هذه الأمة عزيزة ترفل في ثوب العزة والكرامة حتى جيء بتاج كسرى بن هرمز ليوضع في حجر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ تاج كسرى ، يؤتى بتاج كسرى ليوضع بين يدي الفاروق وقيصر تفتت إمبراطوريته ، وكسرى يمزق ملكه ، وتنتشر وتعلو راية الإسلام على ثلثي الكرة الأرضية في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق ، ارتفعت راية الإسلام في قلب الصين في قلب فرنسا في إيطاليا في أقصى الحدود المغربية .

ارتفعت راية التوحيد في قلب أوربا على أيدي هؤلاء الأبطال الفاتحين الذين عرفوا الغاية التي من أجلها خلقوا الوظيفة التي من أجلها ابتعثوا ،

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥/ ٦٥) .

ثم راحت تتخلى شيئًا فشيئًا عن ثوب عزها ـ أصل عزها ـ عن قرآن ربها ، وسنة نبيها ﷺ ، راحت الأمة تبتعد يومًا بعد يوم حتى وقع ما لم يكن يخطر البتة على بال أحد ، نحت الأمة شريعة الكبير المتعال ، وحكمت الأمة قوانين أخبث الرجال في السياسة ، في الاقتصاد ، في الإعلام ، في التعليم .

في كل نواحي الحياة ابحث عن شريعة الله وشريعة رسول الله ﷺ ابحث عنها في الأمة ، ضاعت بل وإن من أبناء الأمة ليعلنها صريحة بلا خجل أو وجل أن الشريعة الإسلامية لم تعد صالحة لمدنية القرن العشرين ، والقرن الحادي والعشرين ، بل يجب على الأمة إن أرادت أن تحاكي التقدم والانطلاق أن تحاكي الغرب المنتصر ، وأن تحكم قوانينه ، ولو اصطدمت مع شريعة الله ورسوله . استبدلت الأمة بالعبير بعرًا ، وبالثريا ثرى ، وبالرحيق المختوم حريقًا محرقًا مدمرًا .

وظنت الأمة أنها قد ركبت قوارب النجاة فغرقت وأغرقت وهلكت وأهلكت وضلت وأضلت ، وصارت الأمة الآن ذليلة لأذل أهل الأرض لمن كتب الله عليهم الذل والذلة من إخوان القردة والخنازير والصليبيين والحقيرين ولعباد البقر حتى الملحدين في روسيا .

وهذا هو عنصرنا الثاني :

أمة غثاء :

وصدقت الأمة قول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى كما في مسند أحمد وسنن أبي داود بسند صحيح من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال :

« **يُوشِكُ** ـ ولفظ يوشك للقريب توحي بالقرب ـ **الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** » .

لقد أعلن بوش أنه سيعلن الحرب ضد الإرهاب وضمت القائمة ستين دولة وهذا هو عدد الدول العربية والإسلامية على وجه الأرض .

« يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا » .

قالوا : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ الله؟!

قال : « لَا ـ كلا ـ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ » .

انظر إلى هذا الزبد الذي يقذف به السيل لا وزن لـه ولا قيمـة يأرجحـه التيار حيثما شاء وأراد .

« وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ » .

قيل : وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ الله؟

قال : « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » [1] .

صدق المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى ، صارت الأمة غثاءً من النفايات البشرية تعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدول ، أستغفر الله كدويلات متناثرة متصارعة متحاربة تفصل بينها حدود جغرافية مصطنعة ، ونعرات قومية جاهلية مقيتة وترفرف على سمائها رايات القومية والعروبة والوطنية ، وتحكم الأمة قوانين الغرب العلمانية ، وتدور بالأمة الدوامات السياسية فلا تملك الأمة لنفسها حق الدوران ، بل ولا تختار لنفسها حتى المكان الذي تحب أن تدور فيه .

ذلت الأمة بعد عزة وجهلت بعد علم وضعفت بعد قوة ، وأصبحت في ذيل القافلة البشرية بعد أن كانت في الأمس القريب تقود القافلة كلها بجدارة واقتدار ، وأصبحت تتسول على موائد الفكر البشري بعد أن كانت بالأمس القريب منارة تهدي الحيارى والتائهين ممن أحرقهم لفح الهاجرة القاتل ، وأرهقهم طول المشي في التيه والظلام ، بل وأصبحت الأمة

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨) ، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧) وسنده صحيح .

تتأرجح في سيرها وضلت في طريقها بعد أن كانت الأمة في الأمس القريب الدليل الحاذق الأرب في الدروب المتشابكة ، بل وفي الصحراء المهلكة التي لا يهتدي للسير فيها إلا المجربون .

أهذه أمة دستورها القرآن وقائدها محمدًا ﷺ ؟!

أهذه هي الأمة التي خوطبت من الله سبحانه بقوله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران:١١٠] ؟!

أهذه هي الأمة التي خوطبت من الله بقوله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ؟!

أهذه هي الأمة التي خوطبت من الله بقوله :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣] ؟!

انظر إلى الملايين التي لا تعرف شيئًا عن شرع ربها ، ضيعت الصلاة ضيعت الزكاة ، ضيعت الحج مع القدرة ، تسأل غير الله ، تستعين بغير الله ، تستغيث بغير الله ، تثق في أمريكا وبعض دول الأرض أكثر من ثقتها في الله ، إلى آخر هذا الوباء والبلاء في الأمة .

الآن بات في الأمة من يشرك بالله ، وبات في الأمة من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف . أنا لا أبالغ ، وأنا لا أريد أن ألهب العواطف بكلمات فارغة وإنما أتحدث عن واقع يعلمه كل مسلم وتعلمه كل مسلمة ، هذا واقع الأمة ابتعدت الأمة عن ربها فذلت ، ابتعدت الأمة عن رسول الله فهانت ، ابتعدت الأمة عن الإسلام فانكشفت سوءاتها وعوراتها ، فطمع فيها اليهود أنجس أهل الأرض وهم يفعلون الآن بها في فلسطين ما يندى له جبين التاريخ ، بل ما يحترق له قلب كل مسلم غيور .

يصرخ زعيم السلطة ويقول: بأنه يثق في شارون، وبأن شارون صديق

حميم حريص على السلام ، قمة الذل ، قمة الاستجداء ، شارون السفاح المجرم التي لطخت يداه بدماء المستضعفين في فلسطين يوم أن كان ضابطًا صغيرًا في الجيش اليهودي ـ وإلى هذه اللحظة حريص على السلام وصديق حميم ـ تُهدم البيوت وتُسفك الدماء وتُمزق الأشلاء وينتهك عرض الإسلام وعرض المقدسات والأمة تسمع وترى ، والمسلمة في فلسطين تقول :

وا إسلاماه ، وا معتصماه لكن أين المعتصم؟ ما ثم معتصم يغيث ، أين زعماء العرب ؟ أين حكام المسلمين ؟ أين الجيوش المسلمة؟ لتنقذ هذه المسلمة التي تنادي على المعتصم :

ما ثم معتصم يغيث من استغاث به وصاح

ذبحوا الصبي وأمه وفتاتها ذات الوشاح

وعَدَوْا على الأعراض في انتشاء وانشراح

يا ألف مليون وأين هم إذا دعت الجراح ؟

ما ثمَّ معتصمٌ يغيث من استغاث به وصاح

******

آه يا مسلمون متم قروناً والمحاق الأعمى يليه محاق

أي شيء في عالم الغاب نحن آدميون أم نعاج نساق

نحن لحم للوحش والطير منا الجثث الحمر والدم الدفاق

وعلى المحصنات تبكي البواكي يا لعرض الإسلام كيف يراق

قـــد هوينـــا لمـــا هـــودت وأعـــدوا مـــن الـــرَّدَى ترياق

واقتلعنـا الإيـمان فاسـودت الـدنيا علينـــا واســـودت الأعـــماق

وإذا الجـــذر مـــات في بـــاطن الأرض تموت الأغصان والأوراق

تنادي على المسلمين في بقاع الأرض مسلمةٌ في فلسطين ، ومسلمة في أفغانستان ، ومسلمة في الشيشان ، ومسلمة في كشمير ، ومسلمة في طاجيكستان ، ومسلمة في الفلبين ، ومسلمة في الصومال ، ومسلمة في السودان ، ومسلمة في الجزائر وتقول :

أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يراق

عرضي يدنس أين شيمتكم أما فيكم أبيّ قلبه خفاق ؟

أختاه ! أختاه ! أختاه

أمتنـا التـي تـدعينها صـارت عـلى درب الخضـوع تسـاق

أرادت قومية مشؤومة وصارت بهـا نحـو الضـياع رفـاق

فمدي إلى الرحمن أكف تضرعك

إنه الذل ، إنه الهوان ، وددت لو أسمعت حكام العرب المسلمين مثل هذا ، فأنا أعلم أنكم لا تملكون من الأمر شيئًا إلا النذر اليسير .

وددت لو أسمعت الأمة كلها مثل هذه الكلمات التي تذيب الصخور والحجارة ولكن القلوب صارت أقسى من الصخور وأشد من الحجارة .

أين واجب هؤلاء ؟! وهذا هو عنصرنا الثالث :

واجب النصرة :

النصرة بالنفس لمن استطاع ، والنصرة بالمال لمن لم يقدر على نصرة

هؤلاء المستضعفين بنفسه قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف:١٠، ١١] .

النصرة بالكلمة السياسة الآن تديرها الكلمة ، تديرها الآن سياسة الإعلام اليهودية التي تتحكم في الإدارة الأمريكية ، بل وفي الإدارة الأوربية ، هذه الجريدة الوقحة التي تعلن الحرب على مصر ورئيسها ، وعلى السعودية وملكها ، هذه الجريدة واشنطن بوست ، ارجعوا إلى الجريدة ؛ لتعرفوا مجلس إدارتها ، لتعرفوا محرريها ، ومن ينفق عليها ، فالجريدة كلها يهودية صرفة ، رئيس مجلس الإدارة يهودي ، المحررون يهود ، فالشركة كلها مملوكة لأسرة يهودية آل واشنطن بوست حتى لا نستكثر على هذه الجريدة وغيرها من وسائل الإعلام الأمريكية ، هذه الحرب القذرة التي تشن الآن على مصر والسعودية ؛ لأنهم يعلمون يقينا وزن مصر ومكانة مصر ولا يريدون أبدًا لمصر أن تتدخل لا من قريب ولا من بعيد في مثل هذه الفتنة الطاحنة ، ولكن سنؤكل ورب الكعبة جميعًا يوم أكل الثور الأبيض .

فالنصرة بالنفس وبالمال وبالكلمة وبتحقيق الولاء والبراء ، وبإقامة الفرقان للإسلام للخروج من حالة الغبش التي تحياها الأمة وبإعداد بيتك إعدادا يليق بخطورة المرحلة المقبلة والتي لابد منها ، ثم الدعاء وأنا أعي قدر كلمة الدعاء ولا أستهين بهذا السهم الذي خرج من قوس مشدود وصادف القوس ساعدًا قويًا لأصاب السهم الهدف بإذن الرب العلى ، فنحن نريد الآن قلوبا تحترق ودعوات صادقة تخرج من هذه القلوب إلى عنان السماء ونحن مظلومون ليرفعها من حرم الظلم على نفسه فوق

الغمام وليقول لها :

« وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ »[١].

فـوالله وإن تخلـى العـالم الغربـي كلـه والعـالم الإسـلامي عـن هـؤلاء المستضعفين في فلسطين وأفغانستان وفي كل مكان وكيـف وربـك عـدل ؟ كيف وما ربك ما بظلام للعبيد ؟ كيف وربك حرم الظلم على نفسه ؟

« يَـا عِبَـادِي ، إِنِّي حَرَّمْـتُ الظُّلْـمَ عَـلَى نَـفْسِي وَجَعَلْتُـهُ بَيْـنَكُمْ مُحَرَّمًـا فَـلَا تَظَالَمُوا »[٢].

وهذا هو عنصرنا الرابع بإيجاز شديد:

أيها المظلوم صبراً لا تهن إن عين الله لا تنام :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

ولكنه الله أودع للكون سننا ربانية لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تحـابي تلـك السنن أحدا من خلقه بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد:١١]

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

[البقرة:٢٥١]

قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ

---

(١) الحـديث رواه أحمـد (٢/ ٣٠٥ ، ٤٤٥) ، والترمـذي في صـفة الجنـة (٢٥٢٦)، وفي الـدعوات (٣٥٩٨) ، وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢) ، وهو بجموع طرقه سنده حسن .

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧/ ٥٥) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٦٠) من حديث أبي ذر الغفاري .

وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠] .

وأنا أقسم بالله أن ما نراه الآن على أرض فلسطين وعلى أرض أفغانستان لهو النصرة الحقيقية لهؤلاء المستضعفين من رب العالمين .

الانتفاضة مضى عليها عام أو يزيد ، اسأل الآن أي يهودي على أرض فلسطين هل يشعر بالأمن ، هل يشعر بالاستقرار ؟ سل جنرالات اليهود الكبار يصرح أحد جنرالاتهم ويقول : صرت أخشى كل شيء في الشارع ، صرت أخشى صندوق القمامة ، صرت أخشى الدراجة التي تمر أمامي وأخشى أن تنفجر في وجهي في أي لحظة :

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

ثم انظر إلى سلاح هؤلاء ، وإلى ترسانة هؤلاء ، انظر إلى سلاح اليهود وسلاح المستضعفين الفلسطينيين ، لا وجه للمقارنة ، صار الحجر في أيدي الطفل المسلم يتلألأ سيتوهج كأنه قنبلة .

أذكر ورب الكعبة كل ما رأت عيني من مشهد رقراق ، مشهد طفل جرى وراء يهودي يجري أمامه وهو مدجج بالسلاح يجري وراءه بالحجر أتذكر قول ربي لنبيى :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧] .

لماذا يجري اليهودي ؟ جبان ولماذا يقدم الطفل الفلسطيني الذي علم الدنيا كلها أن محمدًا ما مات وما خلف بنات ، بل خلف أطفالاً رجالاً أبطالاً علموا الأمة كلها كيف يكون الذود عن الكرامة والعرض والمقدسات ، علموا الحكام والزعماء حقيقة الشرف ، وشرف البطولة

وعظمة الفداء إنه النصر لهم إنه النصر : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠]

أقسم برب الكعبة إنه النصر ، مضى عام والأطفال الأبطال ما ماتت لهم شكيمة ، ما سلموا وما استسلموا ، بل يرقد الآخرون بذل وعار للاستسلام ولتوقيع الذل والمهانة ، ولكن هؤلاء يأبون الذل ويأبون الضيم ويأبون إلا الكرامة ، ويقفون في الصف ويتصدون لهذه الترسانة الرهيبة اليهودية ، بل وإن شئت فقل لهذه الترسانة الأمريكية بكل عز وكرامة .

صار كل وزير يهودي يخشى على نفسه يفتش في بيته ، يفتش في حديقته ، يخشى من أي شيء ، ماذا تريدون بعد ذلك ؟

وإذا انتقلت إلى أفغانستان أقول بملء الفم في الأسبوع الرابع على التوالي في الحملة الأمريكية على أفغانستان يصرح البنتاجون : إن الحملة قد حققت عشرة في المائة (١٠٪) من أهدافها ، وأنا أقول : لم تحقق الحملة ولا واحد في المائة (١٪) من أهدافها ما زال كل من يبحثون عنهم موجودين بفضل الله .

وما زال الأسود في كهوفهم ينتظرون الجيش الأمريكي ، الذي لا يجيد إلا الرمي من فوق والهرب ، ينتظرون الجيش ينزل على الأرض كما صرح الملا محمد عمر يقول : نتشوق للقاء الجيش الأمريكي على الأرض لنلقنهم درسا أقسى من الدرس الذي لقناه للروس بإذن الله ، ما سقط على أفغانستان من صواريخ وقنابل كان كفيلاً لو أن الأمور تسير بالطبيعة والقوانين المادية كما يحدث العلمانيون ، لو أن الأمور تسير هكذا كان ما سقط على أفغانستان كفيلا بمحو أفغانستان من على خريطة العالم ووجه الأرض .

ولكن ما زالت أفغانستان قائمة ولكن الأبطال ما زالوا قائمين ينتظرون ،

بل ولقد أصيبت المعنويات الأمريكية في الداخل والخارج بنكسة شديدة ، وبدأت بعض الأصوات في قلب أمريكا تنادي وتقول : ما الذي حققته الحملة الأمريكية على أفغانستان إلى هذه اللحظة ؟ لم تحقق أي شيء ، وقرأت في اليومين الماضيين فقط تقريرًا خطيرًا رفع إلى الرئيس الأمريكي : إن التكلفة اليومية كما ذكرت للحرب في أفغانستان تزيد على مائة مليون دولار ، يقول التقرير : ولن تستطيع أمريكا أن تصمد أكثر من ستة أشهر وإلا ستسقط أمريكا اقتصاديا (لا نقدر أن نستمر أكثر من ستة أشهر في النفقات الرهيبة).

تقرير أمني في منتهى الخطورة ؛ لذلك يريدون أن يحملوا العرب الفاتورة ، كما ذكرت هزيمة اقتصادية بالفعل سياسية . يقين عسكري حتمي سقطت هيبة القوة العظمى سياسيا ، عسكريا ، اقتصاديا ، لكن إن يسألني رجل : لماذا لم تنته بالكلية ؟ أقول : حتى لا نحاسب الأمم وحتى لا نحكم على أعمال الأمم بحكمنا على أعمال الأفراد ، أقول : لو أصيب شيخ بفيروس وأصيب شاب قوي بنفس الفيروس فإن تحمل الشيخ للفيروس لا يكون بحال كتحمل الشاب .

وأمريكا في مرحلة الشباب في مرحلة الفتوة ، قوية بلا شك فلا أريد أن أنقض كلامي لأدفن رأسي في الرمل كالنعام ، قوة عسكرية رهيبة ، قوة اقتصادية ، قوة سياسية تسوق العالم كله بعصا غليظة ، لكن الفيروس أصابها وأصابها في مقتل والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج:١٢] .

لكنها سنن فلو تخلى أهل الأرض عن هؤلاء المستضعفين لكان الله معهم ، ويا لها من معية كريمة عرف إخواننا هنالك قدرها ، ورب الكعبة لقد رأيت رجلا إعلاميا يحاور رجلا بسيطاً من هؤلاء الطلبانيين ويقول

له : لقد جيشت أمريكا الجيوش فبأي شيء استعددتم أنتم لصد هذه الترسانة الرهيبة ؟! فابتسم الأخ ابتسامة لطيفة جميلة وقال له : معنا الله .

يا لها من معية جهلت الأمة قدرها وجلالها ، نعم معهم من يدبر أمر الكون تطلق أمريكا الصواريخ للتجسس فتأتي كل الصور التي التقطها أحدث وسائل التقنية تأتي جل الصور مشوهة مشوشة ، قرأت بنفسي لطيار أمريكي يقول : أصعد بطائرتي وقد حملت بالأسلحة وأصعد على الهدف الذي أخذت وحينما أصل إلى مكان الهدف لا أرى شيئاً .

قد يكون ذلك فعلٍ ربي وما ذلك عليه بعزيز ، ثم بعد ذلك علمت أن إخواننا يضعون أهدافًا وهمية على الأرض ليضربها الأمريكان يضعون قاعدة كرتونية للدبابات ، قاعدة للطيران ، قاعدة للمدافع ، وهي مصنعة من الكارتون قاعدة وهمية ويصعد عليها الطيار ويسقط عليها الحمولة تزيد قيمتها على خمسة ملايين دولار ؛ ليحرقوا مجموعة من الكارتون لا يصل قيمتها إلى دولار وصدق العزيز الغفار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] .

وأخيرًا : فمن رحم الليل يولد نور الصبح :

يشرق ضوء الفجر ، وإن أشد ساعات الليل سوادًا هي الساعة التي يأتي بعدها ضوء الفجر مباشرة ، ولقد اشتد الظلام واستحكمت حلقاته اشتد الظلام واشتد الكرب ، وكلما اشتد استبشرنا بنور الصبح وبإشراقة الفجر بموعود الله جل جلاله :

تدبر معي هذا الخبر وفكر فيه جيدًا ، فلقد ذكرت في أول هذه الأزمة أنني ألمح فيها خيرًا كثيرًا ، وها أنا ذا أؤكد لحضراتكم ما ذكرت ، فحينما ذكرت ما ذكرت ليس ذلك من باب الأحلام الوردية ، ولا من باب

السياسة الجاهلية القاصرة ولا حتى من باب التنبوء بالغيب ، ولكن من خلال فهمي لقرآن الله وسنة الحبيب رسول الله ﷺ .

قلت : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .

خذ الخبر ، رفع تقرير في غاية الخطورة للبيت الأبيض يقول بأنه من تاريخ ١١ سبتمبر وهو يوم الأحداث إلى تاريخ ١٢ أكتوبر أسلم في أمريكا ثلاثة آلاف من الأمريكان ، هل تصدق ! هل تصدق مثل هذا الرقم في شهر ؟

ألم أقل : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .

قد ينظر بعضنا إلى الأمور نظرة ضيقة فيقع الإحباط واليأس ، لكن لو نظرت إلى الحدث نظرة شمولية واسعة من خلال فهمك لآيات الله ، والسنن الربانية التي أودعها الله كونه ، لمحت من وراء كل حدث خيرًا عظيمًا وإن غاب عنك ، فإن الحكمة ما غابت عن الحكيم الخبير ، لقد تجمعت الأمة بكل ما تملك من طاقة إعلامية ودعوية لتبلغ الإسلام في الأرض كما شاء الله .

وفي مثل هذا الحدث تحدث زعماء الغرب بوش ، ورئيس وزراء بريطانيا ، ورئيس وزراء إيطاليا ، حتى بوتين في روسيا الكل تحدث عن الإسلام وعن سماحة الإسلام وعن أخلاق الإسلام فسمع الكثيرون من القريبين ، ولأول مرة كلمة الإسلام ، وشيئًا من الصورة الحقيقية للإسلام ، فدخل هذا العدد الضخم بكل المقاييس الإسلام في شهر واحد لماذا؟ لأن الجهات الأمنية في أمريكا أمرت الجهات والمراكز الإسلامية والمساجد أن تتحرك لتظهر الواجهة المشرقة الحقيقية للإسلام فتحركت كل الجمعيات التي قيدها اليهود قبل ذلك ، تحركت بأمر من الجهات الأمنية ، أو إن شئت فقل : بتقدير من خالق البشرية جل جلاله ، فكانت النتيجة أن يسلم ما

يزيد على ثلاثة آلاف رجل وامرأة من الأمريكان أنفسهم إنه وعد الله :

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

[الصف:٨]



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حقوق يجب أن تعرف

حق المصطفى صلى الله عليه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق المصطفى ﷺ

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق المصطفى ﷺ** » .

قبل أن نتعرف على حقوق المصطفى ﷺ ، أطرح هذا السؤال: هل نعرف المصطفى ؟

وسأحصر جوابي على هذا السؤال الرقيق الجميل في العناصر التالية :

أولاً : تعظيم الرب العلي لقدر الحبيب النبي ﷺ .

ثانياً : تكميل الله له المحاسن خلقاً وخُلقاً .

ثالثا: هل عرفت الأمة قدر نبيها؟

إن شأن المصطفى ﷺ عند الله عظيم ، وإن قدر الحبيب عند ربه لكريم ، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق ، واصطفى من الأنبياء الرسل ، واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة : نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً ـ صلوات الله عليهم جميعًا ـ واصطفى من أولى العزم الخمسة الخليلين الحبيبين إبراهيم ومحمدا، واصطفى محمدًا على جميع خلقه ، فشرح له صدره ورفع له ذكره وأعلى له قدره ووضع عنه وزره ، وزكاه ربه في كل شيء .

زكاه في عقله فقال سبحانه : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم:٢] .

وزكاه في صدقه فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:٣] .

وزكاه في فؤاده فقال سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم:١١] .

وزكاه في بصره فقال سبحانه : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧] .

وزكاه في صدره فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح:١] .

وزكاه في ذكره فقال سبحانه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] .

وزكاه في طهره فقال سبحانه : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح:٢] .

وزكاه في حلمه فقال سبحانه : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]

وزكاه كله فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] بأبي هو وأمي .

أغـــر عليـــه للنبـــوة خـــاتم مـــن نـــور يلـــوح ويشـــهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشـق لـه مـن اسـمه ليجلـه فذو العرش محمود وهـذا محمد

ويتجلى تكريم الرب العلي لحبيبنا النبي ﷺ في قسم الله جل وعلا بعمر المصطفى ﷺ ، بحياة المصطفى ﷺ ، قال ابـن عبـاس ـ رضـي الله عنهمـا: والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمـد ، ومـا سمعـت الله أقسم بحياة أحد غير محمد فقال جل وعلا :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢] ، أقسم الله بحياة حبيبـه المصطفى فيقول ربه له : وحياتك يا محمد . معنى الآية : وحياتك يا محمـد إن أهل الشرك إن أهل الكفر في ضلالهم يترددون ويتخطفون ويتحيرون :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

بل لم يقسم الله جل وعـلا لـنبي مـن أنبيائـه بصـفة الرسـالة إلا لحبيبنـا

المصطفى فقال جل وعلا :

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:١-٣] ، يقسم الله لنبينا فقط بأنه رسول من عنده فيقول : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يس:١-٤] .

بل وأَقْسَمَ الله بالضحى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى:٢] أنه ما أهمل محمدًا ﷺ ، وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه ، وأن ما أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه ، وقد جمع الله له الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة فقال جل في علاه :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

[سورة الضحى]

تدبر معي أيها المحب للحبيب محمد لتقف على قدر حبيبك عند ربه جل وعلا، فوالله لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا المصطفى : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] .

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [هود:٤٨] .

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات:١٠٤، ١٠٥] .

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه:١١، ١٢] .

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] .

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦] .

﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ﴾ [مريم:٧] .

﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] .

﴿ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود:٨١] .

أما المصطفى فنادى عليه ربه بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [الأحزاب:١] ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥ ، ٤٦] .

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١]

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل:١ ، ٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧]

يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر ، وما ذكر الله اسم النبي إلا مقروناً بالرسالة فقال سبحانه :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

وتدبر معي هذه الكرامة فإن الله جل وعلا قد خاطب حبيبه فأخبره بالعفو عنه قبل الفعل الذي فعله قال سبحانه :

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣] .

عفا الله عنك فقدم الله العفو عن حبيبه ثم أخبره بفعلته بعد ذلك :

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣] .

وخصه تبارك وتعالى بالشفاعة العظمي في الآخرة وهي المقام المحمود الذي ذكره الله في قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء :٧٩] .

وخصه الله جل وعلا بالوسيلة ، والوسيلة هي أعلى منزلة في الجنة كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال :

« إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ » (١) .

وخصه الله بالكوثر ، هل تعلمون ما الكوثر ؟

الكوثر : حوض أو نهر في الجنة ماءه أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى مذاقاً من اللبن بالعسل ، وطينه ـ أو طيبه ، كالمسك الأذفر ، وعدد آنيته بعدد نجوم السماء من شرب منه شربة بيد الحبيب المصطفى ، لا يشقى بعد هذه الشربة أبدا حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله في الجنة :

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [سورة الكوثر] .

ففي الصحيحين من حديث أنس واللفظ للبخاري أن الحبيب النبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يسأل الله له الوسيلة (١/ ٣٨٤) .

قال : « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ » دخل النبي ﷺ الجنة ـ نعم رأى النبي ﷺ الجنة في الدنيا وهو يصلي صلاة الاستسقاء ، ودخل النبي ﷺ الجنة ليلة المعراج والإسراء يقول الحبيب : « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ ـ شاطئاه ـ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ.

يقول الحبيب ﷺ : « فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ » شَكَّ هُدْبَةُ [1] .

وفي رواية مسلم من حديث أنس قال المصطفى ﷺ :

« إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ ـ أي : من غير المؤمنين ، أي : من غير الموحدين » [2] .

كما يرد الرجل إبل الناس عن حوضه فقالوا : يَا رَسُولَ الله أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذ؟ هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة في أرض المحشر ، يَا رَسُولَ الله أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذ؟ فقال المصطفي ﷺ :

« نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوء » [3] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب في الحوض(١١/ ٦٥٨١) ، ومسلم نحوه في كتاب الصلاة، باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة ، سوى براءة (١/ ٤٠٠) .

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة ، والتحجيل في الوضوء (١/ ٢٤٧) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة الكوثر (٥/ ٣٣٦١) ، وابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة (٢/ ٤٣٣٥) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء ، والغر المحجلون من آثار الوضوء (١/ ١٣٦) ، ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغر والتحجيل في الوضوء (١/ ٢٤٧) ، والنسائي في الطهارة ، باب حلية الوضوء (١/ ١٥٠) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب ثواب الطهور (١/ ٢٨٤) .

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به وأن ينصروه قال جلا وعلا :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١].

هذه مكانة النبي الأمين ﷺ عند رب العالمين ، ووالله ووالله لو ظللت أتحدث عن مكانة النبي عند الرب العلي من خلال القرآن والسنة فقط والله لاحتجت إلى عشرة لقاءات على قدر جهلى ، فلو تحدث عالم من أهل العلم والفضل لاحتاج إلى مئات اللقاءات ؛ ليبين قدر الحبيب عند رب الأرض والسماوات جل وعلا ، فوالله إن قدره عند الله لعظيم ، وإن شرفه عند الله لكبير .

يبيِّن لنا الحبيب المصطفى ﷺ امتثالا منه لأمر ربه أن يبلغ ، يبين لنا مكانته عند ربه فيقول ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة :

« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتّ : ـ أي بست خصال ـ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا

(١) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤/ ٢٢٧٨) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب ما جاء من سورة بني إسرائيل (٥/ ٣١٤٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨١).

وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ »[١] .

وفي الصحيحين من حديث أنس ـ رضي الله عنه قال : لما أُتي للنبي ﷺ ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي ـ أي: انتقض البراق ، ولم يتمكن النبي ﷺ أول الأمر من ركوبه فقال جبريل للبراق : بمحمد تفعل هذا ـ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فارفضَّ البراق عرقاً .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

« آتِي بَابَ الْجَنَّةِ ـ فإن أول من يفتح باب الجنة يوم القيامة هو نبينا ، إن الله حرم الجنة على أي مخلوق أن يدخلها قبل المصطفى ﷺ لا يدخل الجنة أحد قبل الحبيب محمد :

« آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »[٢] .

والله لو ظللت أتحدث عن فضل النبي ﷺ عند الرب العلي لاحتجت إلى لقاءات متعددة .

وأُجمل القول في كلمات قليلة حتى لا تنسى فأقول . والله لا يعرف قدر النبي ﷺ إلا الرب العلي ، والله لا يعرف قدر النبي ﷺ إلا الرب العلي ، ولم لا ؟! وهو سبحانه وتعالى الذي أكمل خلقه وخُلقه وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء بإيجاز شديد.

تكميل الله له المحاسن خلقًا وخُلقًا :

فلقد أكمل الله له المحاسن والكمال البشري في الحبيب النبي ﷺ ، منَّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٥٢٣) ، والترمذي في السير ، باب ما جاء في الغنيمة (٤/ ١٥٥٣) عن أبي هريرة ، قال أبو عيسى : حديث أبي أمامة حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يُشَفَّعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً » (١/ ١٩٧) ، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٦) .

الله عليه بجمال الصورة واستواء البدن ووضاءة الوجه ، وقوة الفكر والعقل ودقة الفهم وسلامة القلب وكرم النسب وشرف الأصل.

وبالنظر إلى مجموع الروايات الصحيحة التي وصفت خلق الحبيب المصطفى كما في الكتاب الماتع للإمام الترمذي في كتابه الشمائل المحمدية ، يتبين لنا من خلال هذه الآثار والأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ كان أحسن الناس وجهاً إذا سُر استنار وجهه كأنه فلقة قمر .

كان كث اللحية ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، إن تكلم كأن نوراً يخرج من بين ثناياه ، وما أحلى وأرق وأجمل ما وصفته به أم معبد الخزاعية حين قالت لزوجها ، وهي تصف له نبيها ﷺ ورسول الله ﷺ قالت : إنه رجل ظاهر الوضاءة ، مليح الوجه ، حسن الخلق ، أبهى الناس وأجلهم من بعيد ، وأحلى الناس وأحسنهم من قريب ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرًا .

لقد مَنَّ الله عز وجل على النبي بجمال الخلق ، لقد منَّ الله عليه بحسن الصورة ، فوالله ما عرفت الأرض أبهى ولا أحسن ولا أجمل من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه .

ثم زين الله هذا الخلق البشري بكل سمات الكمال الخلقي في بشر ، زين الله هذا الخلق بالحلم والعلم والرحمة والإنابة والتواضع ، والزهد ، والكرم ، والحياء، والمروءة ، والشجاعة، والرجولة ، والعفة ، والعفو ، والسخاء ، والدين ، والعبودية .

بل وجمع له كل الصفات الحميدة ، وأثنى عليه في آية واحدة محكمة جامعة مانعة ، فقال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] مَنَّ الله عليه بحسن الخلق وحسن الخُلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ومن جميل ما قرأت ما رواه البخاري [١] من حديث عطاء بن يسار قال : لَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرو بْنَ العَاص ـ رضي الله عنهما ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ: أَجَلْ وَالله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥] .

وفي التوراة : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا ».

ومن أحلى وأرق ما وصفه به خادمه أنس ، تدبر قول أنس قول خادم في بيت النبي ﷺ .

يقول أنس ـ والحديث في الصحيحين [٢] : خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ـ هنيئًا لك يا أنس ، هنيئًا لأنس أن يدخل ويخرج على النبي ﷺ عشر سنين، يتمتع بصره بالنظر إلى الحبيب ، وتستمتع بصيرته بالاهتداء بالحبيب محمد ، هنيئًا والله لأنس يقول : فَمَا قَالَ لِي أُفًّ قَطُّ وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب كراهية الصخب في الأسواق (٤/ ٢١٢٥) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه (١/ ٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ (٦/ ٣٥٦١) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (٤/ ٢٣٠٩) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٤/ ٤٧٧٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب في حسن خلق النبي ﷺ (١/ ٦٢).

يقول أنس : وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، ثم قال : مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ الله ﷺ .

لله درك يا أنس والله .

وفي الصحيحين [1] من حديث عائشة قالت : قلت : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

تعلمون أن النبي ﷺ في أحد قد شج وجهه وكسرت رباعيته ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر، وانتشر في أرض المعركة أن رسول الله قد قُتل، فعائشة الفقيهة تقول للحبيب ﷺ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فقال الحبيب ﷺ :

« لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ » .

تعلمون ماذا فُعل بالنبي ﷺ يوم الطائف ، والله ما ذهب إليهم رسول الله ﷺ يطلب مالاً ولا جاهاً ولا وجاهة ، بل ذهب إلى الطائف على قدميه المتعبتين الدائبتين ، لم يجد بعيراً ولا حماراً ، سار على قدميه قرابة السبعين كيلو مترًا على قدميه المتعبتين تحت حرارة الشمس ، التي تصهر الجبال وتذيب الحديد ، على رمال انعكست عليها أشعة الشمس ، فكادت أن تأخذ الأبصار .

ذهب الحبيب المختار إلى أهل الطائف ليقول لهم قولوا : لا إله إلا الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ،باب إذا قال أحدكم : « آمين » والملائكة في السماء (٦/ ٣٢٣١) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٧٩٤) .

تفلحوا في الدنيا والآخرة ، فماذا فعل به أهل الطائف ؟ رموه بالحجارة بأبي هو وأمي ، طردوه لم يقدموا له طعاماً ، ولا شراباً باستثناء عداس ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ذلكم الخادم الذي أسلم ومنَّ الله عليه بالإيمان في هذه الرحلة .

فلم يرجع النبي من هذه الرحلة الشاقة إلا بموحد واحد ، وعاد النبي والدماء تنزف من قدميه يقول : « **فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي** » ولم لا يطرد النبي كما طرد أصحابه من مكة ودعوته مطاردة ، وأصحابه في الحبشة في ابتلاء شديد حتى لا يظن أحد أن طريق الدعوة ممهد بالورود والزهور والرياحين لا .

« **فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ** » أي في مكان بين مكة والطائف يقول : « **فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ** ـ عليه السلام » ، والحديث في الصحيحين :

« **فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ** » قال الحبيب : « **فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ** » ثم قال ملك الجبال : « **إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَعَلْتُ** » والأخشبان جبلان عظيمان بمكة « **قَالَ : إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَعَلْتُ** » .

والله لو أمر النبي ملك الجبال لحطم ملك الجبال تلك الجماجم الصلدة ، وتلك الرؤوس العنيدة ، ولسالت دماء من الطائف بحوراً وأنهاراً ، ليراها أهل مكة بمكة ، ولكن نهر الرحمة وينبوع الحنان ، ولكن الرحمة المهداة والنعمة المسداة ما خرج إلا لله ، فما انتقم لنفسه أبداً ، وما غضب لنفسه

أبداً ، والله ما غضب إلا لله ، لا زالت الدماء تنزف من قدميه المتعبتين ومع ذلك يرد نبي الرحمة على ملك الجبال ويقول : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » [1] . من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

قال ابن عباس : رسول الله رحمة للفاجر والبر، فمن آمن به فقد رُحم في الدنيا والآخرة ، ومن كفر به فقد رحم في الدنيا وأُجل له العذاب في الآخرة لقول الله لنبيه:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال:٣٣] بأبي هو وأمي .

ومن أرق ما قرأت ، وأرى أن رزقكم اليوم من كلام الحبيب المصطفى ﷺ رزق موفور .

وما أحلى ورب الكعبة كل كلامنا أو جُل كلامنا من كلام ربنا ومن كلام نبينا ﷺ .

فلا رق قلب لا يرق لكلام الله ورسوله ، ولا دمعت عين لا تدمع لكلام الله ورسوله ، ولا خشعت جارحة لا تخشع لكلام الله ورسوله ، ولا استنار عقل لا يستنير لكلام الله ورسوله ، يقول المصطفى ﷺ وتذكروا بالله هذا الحديث الذي يتجلى فيه خلق النبي ﷺ .

ففي الصحيحين [2] من حديث أبي هريرة قال : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : « آمين » والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٦/ ٣٢٣١) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٧٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن اثال (٧/ ٤٣٧٢)، ومسلم في الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (٣/ ١٧٦٤) ، وأبو داود في الجهاد ، باب في الأسير يوثق (٣/ ٢٦٧٩) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٩) .

خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ، ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ » .

وهذا الرجل كان من أشد المعاندين لرسول الله ، وكان من أشد من آذى وهجا رسول الله ﷺ ثمامة بن أثال ، فأسره الصحابة ودخلوا به المسجد النبوي « فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ » ، أي ربطوا ثمامة بن أثال في عمود من أعمدة المسجد وهو العدو اللدود لله ورسوله .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟** » إنه عدو الله ورسوله اقتله يا رسول الله ، اقتله فهو عدو الله ورسوله ، لكن تعلموا وتدبروا هذا الخلق الرفيع العالي ، يدنو النبي ﷺ منه ويلاطفه ويقول له : «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟** » فيقول ثمامة : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ـ يعني : إن قتلتني قتلت رجلاً له وجاهته ومكانته وإن عشيرته لم تفرط في دمه أبداً ـ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فتركه المصطفى ﷺ وأمر الصحابة أن يحسنوا إليه ، بأبي هو وأمي ورب الكعبة أمر الصحابة أن يحسنوا إليه نعم وتركه .

ثم دخل عليه في اليوم الثاني وقال : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟** » **فَقَالَ عِنْدِي** يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فتركه المصطفى وأمر الصحابة أن يحسنوا إليه ، ثم دخل عليه في اليوم الثالث وقال : « **مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟** » **فَقَالَ عِنْدِي** يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فقال المصطفى ﷺ : « **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** » أطلقوه لا نريد منه مالاً ولا نريد

منه شيئًا إنه عدو الله ورسوله ، أُسر ويطلق .

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، لكنه ما عاد مأسورًا مربوطاً ، إنما عاد بمحض اختياره وحبه ورغبته ، فدخل المسجد النبوي ووقف أمام النبي ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثم قال : يَا مُحَمَّدُ وَالله مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَالله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ وَالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ ، ثم قال ثمامة : وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟.

إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اختم لنا بخاتمة الإيمان .

تدبر معي انطلق ثمامة يريد العمرة وهو على الكفر والشرك ، فأبى الله إلا أن يعتمر ثمامة وهو على التوحيد قال : وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

قال الحافظ ابن حجر : بشره بالجنة أو بخيري الدنيا والآخرة ، أو بأن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر والمعاصي ، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فانطلق ثمامة بن أثال موحدًا ليؤدي العمرة لله جل وعلا ، فلما بلغ بطن مكة رفع صوته بالتلبية ، فكان ثمامة أول من شهد بالتلبية لله في مكة .

وفي رواية ابن هشام بسند صحيح : أقبل عليه الكفار والمشركون وضربوه ضربًا مبرحًا حتى كادوا يقتلوه ، فإنه يجهر بالتلبية ويتحدى القوم ، حتى رآه أبو سفيان فقال : دعوه أما تعرفوه إنه سيد أهل اليمامة إنه ثمامة

ابن أثال ، إنكم تحتاجون إليه وإلى اليمامة في القمح ، فإن القمح كله لا يأتينا إلا من اليمامة فتركوه .

فقال ثمامة والتفت إليهم وقال : وَالله لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، وفرض هذا الموحد الذي خلع رداء الشرك على عتبة الإسلام ، ووضع كل طاقاته وقدراته وإمكانياته تحت تصرف المصطفى ﷺ وتبرأ من الصداقات والولاءات والعلاقات الشركية ووالى الله ورسوله والمؤمنين على الفور .

قال : وَالله لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ ، وانطلق ثمامة وهو سيد اليمامة ، ففرض حصاراً اقتصادياً مروعاً حتى أكلت قريش العهن من شدة الفقر والجوع .

فأرسل أبو سفيان إلى النبي ﷺ ليرسل النبي إلى ثمامة ليخلي ثمامة بين قريش وبين القمح ، فما كان من صاحب الخلق العظيم إلا أن يرسل إلى ثمامة ، وأن يقول له : « خَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمِيرَةَ » فأرسل بعدها ثمامة القمح مرة أخرى إلى آل قريش ، ألم يقل ربنا :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

وأختم هذه المشاهد العظيمة الرائعة الرقراقة من الخلق العالي الرفيع لنبينا ﷺ بمشهد رواه الإمام مسلم [١] من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال :

«صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ : وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحة (١/ ٥٣٧) .

قَالَ : فَضَرَبُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ حَتَّى صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فَدَعَانِي قَالَ : فَبِأَبِي وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَمَا ضَرَبَنِي وَلَا كَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي وَقَالَ :

« إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَذَا إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » .

وصدق ربي إذ يقول :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وأخيرًا : هل عرفت الأمة قدر نبيها ؟

والجواب: لا والله ، لا والله ما عرفت الأمة قدر نبيها ﷺ إلا من أفراد قلائل ، أسأل الله أن يجعلنا منهم .

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها فإن حالها يكذب ادعاءها فما أيسر الادعاء .

لقد ادعى قوم المحبة فابتلاهم الله بآية المحبة أو بآية المحنة فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] .

من يدعي حب النبي ولم يفد ... من هديه فسفاهة وهراء
فالحب أول شرطه وفروضه ... إن كان صدقاً طاعة ووفاء

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها ﷺ ، فإن واقعها وحالها يكذب ادعاءها وزعمها ، هل عرفت الأمة قدر النبي في الوقت الذي نحت فيه

شريعته وأخرت فيه سنته ، وقدمت القوانين الوضعية البشرية وحكمتها في الأعراض والأموال والدماء والفروج والله جل وعلا يقول :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] .

والله جل وعلا يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١] .

قال ابن عباس :

﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات:١]: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

قال القرطبي : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، أي : لا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول الله وقول وفعل رسول الله ﷺ .

قال الشنقيطي : ويدخل في الآية دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن بـه الله ، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ،ولا حرام إلا ما حرمـه الله ورسـوله ، ولا دينًا إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ .

إن حق النبي على الأمة لعظيم ، إن حق النبي ﷺ علـى الأمـة لعظـيم ، ولكن الواقع يبين بجلاء أن الأمة قد ضيعت حـق المصـطفى ﷺ ، إلا مـن رحم ربك من أفراد قلائل لا تخلو الأمة منهم في أي زمان وفي أي مكان .

حقوق يجب أن تعرف

حق الوالدين



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الوالدين

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الوالدين** » .

حق الوالدين حق كبير جليل وسوف أحصر هذا الموضوع في العناصر المحددة التالية :

أولاً : حقًا إنها مأساة .

ثانياً : شؤم العقوق .

ثالثاً : فضل البر .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أولاً : حقاً إنها مأساة :

إن الوالدين يندفعان بالفطرة نحو حب ورعاية الأولاد ، بل وإلى التضحية في سبيل سعادة الأولاد بكل شيء ، حتى باللذات ؛ فكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة ، فإذا هي فتات ، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة ، فإذا هي قشرة هشة ، فكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وعافية وجهد في الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية وهما مع كل ذلك سعيدان ، ولكن من الأولاد من ينسى هذا الحب والعطاء والحنان ، ويندفع في وحشية وجحود وعصيان ليسيء إلى الوالدين ، بلا أدنى رحمة أو شفقة أو إحسان .

ويبلغ العقوق الأسود منتهاه وتكتمل فصول المأساة حينما يتبرأ الولد

من أمه أو من أبيه أو حينما يقتل الولد أمه أو أباه .

فهذا ابن يربيه والده الفلاح البسيط الذي ظل يكدح في الحقل والأرض حتى علم الفأس في يده ، وتشققت قدماه ليربي ولده تربية طيبة ، اقتطع من قوته ليطعم ولده ؛ اقتطع من راحته وبذل جهده ليعلم ولده في أرقى الجامعات حتى أوصل ولده إلى هذه الدرجة العالية ، نعم لقد أصبح ابنه أستاذًا في الجامعة ، وفي يوم من الأيام أراد أن يرتبط هذا الأستاذ الدكتور بشريكة حياته ، فارتبط بمعيدة زميلة له في كليته التي يعمل فيها ، وصممت هذه المرأة الطيبة أن تذهب مع زوجها أو مع خطيبها إلى بيت أهله لترى والده ، ولترى أمه ، ولترى أسرته وهو الذي صور لها فيلماً رومانسياً ضخمًا ، أنه كذا وكذا ووالده يملك من الأفدنة والأراضي كذا وكذا ، وأن عند والده من العمال ما يزيد على كذا وكذا ، ورسم لها صورة رومانسية خيالية جميلة ؛ ليتبرأ من أسرته التى نشأ فيها ؛ ليتبرأ من والده الذي رباه .

ولما أصرَّت الأخت الطيبة على أن تأتي معه إلى قريته لترى أسرته دخلت بيتًا متواضعًا ، والمرأة طيبة النفس ، والرجل قد وقع في حيص بيص ، فلما دخل عليهما والده بعد عودته من الحقل بثيابه المتواضعة ، نظر الأستاذ الدكتور إلى خطيبته أو إلى مخطوبته ، وقال لها : هذا عامل من عمال أبي ، فطاش عقل الوالد ، أراد أن يتحقق من الكلمات التي استمعها بأذنيه قال : ماذا تقول يا بني ؟ فقال : ألم أقل لك لا تخاطبني بهذه اللغة ، فلا يسعدني أن أكون ابناً لمثلك ، فسقط الوالد، وعرفت البنت الطيبة الحقيقة فصفعت هذا الأستاذ الدكتور على وجهه صفعة وتركته وجرت ، جزاها الله خيراً من امرأة تربت في أسرة كريمة طيبة .

وهذا ابن عاق في قرية من قرى مركز دكرنس ابن بين عشرة أبناء ،

والده يعمل على عربة متواضعة ، يجرها حمار هذه وظيفته يبيع الفواكه والخضروات ، عمل شريف ما دام حلالاً ، ولكن هذا الولد ألهب ظهر أبيه بالنفقات والمصروفات ، فلقد أوصله والده إلى كلية العلوم فهو طالب في كلية العلوم في جامعة المنصورة ، وألهب الولد ظهر والده بالنفقات والمصروفات ، بدلاً من أن يتولى رعاية الإخوة مع والده ، راح يطلب النفقات ويسيء إلى والده أعطني أعطني ؛ لينفق المال على البانجو والمخدرات ، وعلى الزميلات والفتيات ، حتى ملَّ أبوه وصرخ في وجهه .

فما كان من هذا الابن الخبيث المجرم العاق إلا أن يستخدم دراسته ، وينطلق ليذهب إلى كليته ليصنع أو ليكوِّن مادة كيميائية يقوم بتحضيرها في المعمل ، ثم يذهب بكمية كبيرة من هذه المادة الكيميائية الحارقة ؛ ليسكبها على أبيه وهو نائم ليذوب جلد أبيه حتى تظهر عظامه ويهلك أبوه في الحال .

ما هذا ؟ وقد يقول الآن قائل : إنه الفقر ، إنها الحاجة ، قاتل الله الفقر الذي اضطر الولد إلى قتل أبيه ، لا والله ما كان الفقر أبداً سبباً للعقوق ، ولكنها النفس الخبيثة ، ولكنه غضب الله جل في علاه.

فلقد طالعتنا جريدة الأهرام في الشهور القليلة الماضية بحادثة ثالثة مروعة تعمدت أن أصدرها، هذه الأحداث التي تخلع القلب .

قصة من الإسماعيلية لأسرة ثرية غنية ، لك أن تتصور أن الأم وصلت إلى مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع ، ولم لا وهي أستاذة دكتورة في كلية الهندسة من أسرة ثرية ، ونشأت مشادة كلامية بين الأم الدكتورة المهندسة ، وبين ولدها الذي تربى في هذا الثراء والنعيم .

ما سبب الخلاف ؟ أن الأم قد اعترضت على ولدها في اختياره لشريكة

حياته قالت : لا يا بني ، أنا لا أرشح لك هذه الفتاة ، وإنما أرشح لك فتاة أخرى ، فما كان من الولد إلا أن يغضب وأن يعلو صوته على أمه .

ثم لما اشتد الخلاف والشقاق أسرع هذا الابن العاق إلى مطبخ أمه ليحضر سكينًا ضخمة لينقض بطعنات قاتلة على أمه حتى فارقت الحياة .

والله إن العين لتدمع ، وإن الحلق ليجف ، وإن الكلمات لتتوارى على خجل واستحياء ، بل وبكاء أمام هذه الصور المروعة من صور العقوق التي تخلع القلب .

والله إن القيامة قريبة ، والله إن هذه الصور من صور العقوق لمن أعظم الدلالة على قرب قيام الساعة ، كما قال المصطفى الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب : أن جبريل لما نزل إلى المصطفى يوماً وسأله الأسئلة الكثيرة في حديث الإسلام والإحسان ، والإيمان المشهور قال له : مَتَى السَّاعَةُ؟ فقال له المصطفى :

« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا » قال : « أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا » وفي لفظ : « أَنْ تَلِدُ الْأَمَةُ رَبَّهَا » [(١)].

وأرجح الأقوال في هذا القول النبوي كما قال الحافظ ابن حجر : « أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا » أو « أَنْ تَلِدُ الْأَمَةُ رَبَّهَا » .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (٨/ ٤٧٧٧) ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (١/ ٨) ، وأبو داود في السنة ، باب في القدر (٤/ ٤٦٩٥) ، والترمذي في الإيمان ، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام (٥/ ٢٦١٠) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في الإيمان (١/ ٦٣) ، وأحمد في مسنده (١/ ٣١٩) .

أي : أن يكثر العقوق فيصبح المربي مربياً، يصبح الولد مربياً لأبيه ، وتصبح البنت الجامعية مربية لأمها البسيطة ، يصبح المربي مربياً ، يكثر العقوق بهذه الصور البشعة التي تخلع القلب .

إن العقوق كبيرة تأتي مباشرة بعد كبيرة الشرك بالله جل وعلا ، وإن البر طاعة تأتي مباشرة بعد توحيد الله جل وعلا قال سبحانه :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣] ، بعد التوحيد مباشرة : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت:٨] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث آيات لا تقبل واحدة بغير قرينتها :

الأولى : قول الله جل وعلا : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة:٩٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

والثانية : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النور:٥٦] فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقبل منه .

والثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان:١٤] فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

ما أخطر العقوق وما أشأمه وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز .

شؤم العقوق :

إن العقوق شؤم ، إن عقوق الوالدين شر مستطير ، فالعقوق من أكبر الكبائر عند الله جل وعلا ، من أكبر الكبائر .

ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال :

« أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ » الرسول ﷺ يخبرنا :

«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟»

قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله .

قَالَ : « الْإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ :« أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ [(١)] .

الإشراك بالله أكبر الكبائر ، فالشرك خطر عظيم ، وشر جسيم ، لا يغفره الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور (٥/ ٢٦٥٣) ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٨٧) ، والترمذي في البيوع ، باب ما جاء في التغليظ في الكذب والزور (٣/ ١٢٠٧) ، والنسائي في التحريم ، باب ذكر الكبائر (٧/ ٤٠٢١) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١٣) .

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥،٦٦] .

وقال المصطفى كما في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله :

« مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ النَّار »[1] .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أنه ﷺ قال :

« مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ » .

وفي رواية عتبان بن مالك : «أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ»[2] .

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أنس واللفظ للترمذي ، أن النبي ﷺ قال :

« قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله (٣/ ١٢٣٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (١/ ٩٣) ، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ (٦/ ٣٤٣٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٢٨) ، والبزار (١/ ١٦مجمع) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦٣١٨) ، والصحيحة (٢٣٤٤) .

خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »[١] .

فضل التوحيد وخطر الشرك : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ : « الْإِشْرَاكُ بِالله » أكبر الكبائر الشرك بالله « وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » .

يأتي العقوق مباشرة بعد كبيرة الشرك ، الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، ثم قول الزور ، شهادة الزور التي انتشرت الآن في الأمة ، فيستطيع الإنسان الآن بعشرة جنيهات أو بمائة جنيه أن يستأجر رجلاً من أمام محكمة من محاكمنا ؛ ليدخل أمام القاضي ليشهد شهادة زور ؛ ليدخل رجلاً بريئاً السجن إلى حيث شاء الله شهادة الزور .

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[٢] والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

قال ربنا جل وتعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[ق:١٨]

فالكلمة خطيرة لا سيما إذا كانت كاذبة لا سيما إذا كانت مزورة ، فيا من تبيع دينك بعرض حقير من الدنيا ، يا من تنطلق لتشهد شهادة زور

---

(١) أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق ، باب إذا تقرب العبد إلى الله (٢/ ٢٧٨٨) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار(٥/ ٣٥٤٠) ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (١١/ ٦٤٧٨) ، ومسلم كتاب الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٤/ ٢٩٨٨) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة (٢/ ٣٩٧٠) .

لتجامل بها فلاناً أو لتظلم بها فلاناً الذي تحقد عليه من كل قلبك ، اعلم يقيناً بأن الذي سينتقم منك للمظلوم هو الله .

« يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا »[1] .

والله لا أنسى أبدًا يوم أن كنت في السعودية أصلي بقدر الله صلاة الظهر في مسجد من مساجد بريدة ، وإذ برجل شيخ كبير ، قد تجاوز السبعين من عمره بعد ما انتهينا من صلاة الظهر ، قام الرجل وقال : يا إخواني ، يا إخواني أحذركم من شهادة الزور ، وظل الرجل يكررها حتى بكى وأبكى المسجد كله ، لا يتكلم إلا بهذه الكلمة : أحذركم من شهادة الزور ، وظل يكررها ، فقال الناس : ما الخبر أيها الشيخ ؟ فقال الرجل : يا إخواني ، والله لقد مكثت في السجن أربعين عامًا ، ولم أخرج إلا بالأمس بسبب شهادة زور ، أربعون عاماً يحرم فيها من متعة الحياة ، ولذّة الحرية بسبب شهادة زور . فشهادة الزور من أكبر الكبائر تأتي بعد الإشراك بالله وعقوق الوالدين « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّور » فما زال النبي يكررها حتى قلنا :ليته سكت[2] .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال :

« مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ » .

قالوا : يا رسول الله ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ هل يشتم أحد والديه؟

الصحابة الذين تربوا في بيئة الطهر ، والعفاف والكرم ، يستغربون أن

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٤/ ٢٥٧٧) ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٠) .

(٢) سبق تخريجه .

يأتي زمان يسب فيه الابن والديه. وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟

قال المصطفى : « نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »[1] .

يعني لو سب إنسان إنسانا آخر بأبيه ، فهذا قد سب أباه ؛ لأنه قد كان سببا في أن يسب الرجل الآخر أباه ، ولو سب إنسان رجلاً آخر بأمه فهو هو الذي سب أمه ؛ لأنه الذي كان سببا في أن يسب هذا الرجل أمه . يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .

فالعقوق من أكبر الكبائر ، أحذر نفسي وإياكم من شؤم العقوق وخطره ، واعلم علم اليقين يا من أطلقت لحيتك أو يا من ادعيت أنك تسير على طريق المصطفى ﷺ ، يا من تزعم أنك مسلم ، يا من تزعم أنك تتحرك لدين الله أو لدعوة الله ، أو لطلب العلم الشرعي ، اعلم يقينا بأن الله عز وجل لا يقبل منك عملا ما دمت عاقا لوالديك ، فلا ينفع مع العقوق أي عمل .

ففي الحديث الذي رواه الطبراني وابن أبي عاصم في كتاب السنة بسند حسنه الألباني من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال :

« ثَلَاثَة لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» يعني : فرضا ولا نفلا لا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، لا يقبل الله منهم فرضا ولا نفلاً ، بل هم خابوا والله وخسروا ، قال المصطفى ﷺ :

« عَاقٌّ لِوَالِدَيْهِ ، وَمَنَّانٌ ، وَمُكَذِّبٌ لِلْقَدَر »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه (١٠/ ٥٩٧٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٠) ، والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في عقوق الوالدين (٤/ ١٩٠٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٧٥٤٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٣) وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (١٧٥٨) .

فبدأ النبي ﷺ بالعاق والمنان ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤] ومكذب بالقدر ؛ لأن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان بالله ، قال جبريل للمصطفى ﷺ : ما الإيمان ؟ قال :

« أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ » .

إنه الحرمان من الجنة والطرد من رحمة الله ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، خابوا ورب الكعبة وخسروا من طردوا من رحمة الله الذي وسعت رحمته كل شيء .

ومع ذلك هناك صنف خبيث من الناس ، ليس أهلاً لرحمة رب الناس ، جل وعلا من هم ؟ تدبر كلام النبي ﷺ ، ففي الحديث الذي رواه النسائي والبزار والحاكم بسند حسنه الألباني من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال :

« ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة : خابوا والله وخسروا ـ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ ، وَالدَّيُّوثُ ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ ، وَالْمَنَّان » [1] .

أي المرأة التي تتشبه بالرجال ، المرأة التي تدوس على أنوثتها بحذائها ؛ لأنها تعشق التشبه بالرجال ، هذه المرأة المترجِّلة لا ينظر الله إليها يوم القيامة « وَالدَّيُّوثُ » الرجل الذي لا يغار على أهله ، الذي يقر الخبث في أهله رجل ديوث وكثير ما هم في هذه الأمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فأنا أسأل هذه المرأة المتبرِّجة العارية التي وضعت على وجهها المساحيق

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الزكاة ، باب المنان بما أعطى (٥/ ٢٥٦١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٧) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠٧١) .

الحمراء والسوداء والصفراء ، وأظهرت شعرها ، وأظهرت صدرها ، وأظهرت مفاتن جسدها ، ووضعت البرفان والعطر الذي يعصف بأنوف الرجال والشباب ، أسأل من أين خرجت هل تخرج من بيت فيه رجل ؟ أين الرجال أين الرجال في هذه الأمة ؟ يا من تركت امرأتك تخرج عارية ، يا من تركت ابنتك الجامعية تخرج متبرجة احذر قول النبي ﷺ :

« ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ » الذي يقر الخبث في أهله ، الذي لا تتحرك دماء الغيرة في عروقه على أهله على امرأته على بنته على نسائه .

يقول النبي المختار ﷺ والحديث رواه مسلم :

« صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا أَرَاهُمَا: رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِنَّ مِثْلُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَرَيْنَ الجنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا »[1] .

ستتعلق في رقبتك امرأتك المتبرجة يوم القيامة أيها الزوج ، وستتعلق في رقبتك ابنتك الجامعية المتبرجة أيها الوالد :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

[التحريم :٦] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٣/ ٢١٢٨) ، وأخرجه أيضا في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢٨٤٦) .

فالعقوق شؤم كله ، وخطر كله سبب للحرمان من رحمة الله ، وللحرمان من جنة الله « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ وَالْمَنَّان »[1] .

ما أشقاها من حياة ، ألا وهي حياة العقوق ، وما أروحها وأطيبها من حياة ، ألا وهي حياة البر وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز شديد .

فضل البر :

يكفي أن تعلم أخي المسلم كما ذكرت لك أن البر من أعظم القربات والطاعات إلى رب الأرض والسماوات ، ويكفي أن تقف على شرف وفضل البر إذا ما علمت أن الله جل وعلا قد قرن البر للوالدين بتوحيده جل وعلا :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء :٢٣] .

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[البقرة :٨٣]

فقرن الله البر بالتوحيد كرامة ، فأنا أؤكد لشبابنا وإخواننا أن البر من أعظم القربات والطاعات بعد التوحيد .

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَقُلْتُ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ؟

فقال المصطفى ﷺ : « الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا » .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٧ .

قُلْتُ: ثُمَّ أَيّ؟

قَالَ : «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» .

قُلْتُ: ثُمَّ أَيّ؟

قَالَ : « الْـجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله » .

لاحظ أن النبي ﷺ قدم بر الوالدين على الجهاد أي : العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال : « الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا » قلت : ثم أي ؟ قال : « بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » قلت : ثم أي ؟ قال : « الْـجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله »[1] .

بل ومن أرق ما قرأت ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما : أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ الله ﷺ فَقَالَ : أُبَايِعُكَ عَلَى الْـهِجْرَةِ وَالْـجِهَادِ ، فقال له المصطفى ﷺ :

« فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ »

قَالَ : نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا يَا رَسُولَ الله .

فقال المصطفي : « فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ الله؟ » قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ، فقال : « فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا »[2] .

فضل البر : أعظم قربة تتقرب بها إلى الله بعد التوحيد وبعد الصلاة لوقتها بر الوالدين ، الإحسان إلى الوالدين ، طاعة الوالدين في غير معصية لله جل وعلا .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها (٢/ ٥٢٧) ، مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى (١/ ١٣٩ إيمان) ,

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين ، وأنهما أحق به (٤/ ٦ بر) .

البر سبب لدخول الجنة والنجاة من النيران ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« رَغِمَ أَنْفِهِ رَغِمَ أَنْفِهِ رَغِمَ أَنْفِهِ » قالها ثلاثا .

وعيد بأسلوب نبوي بليغ بالدعاء على مجهول بالذلة والندامة والخسران ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ :

« مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ» (١) .

يا من تتضرع إلى الله عز وجل كل يوم ، بأن يبارك الله في عمرك ، وأن يفرج الله كربك ، وأن يكشف الله غمك ، وأن يزيد الله رزقك ، اعلم أن مفتاح هذا الخير في يدك وأنت تجهله ،إن أردت أن يفرج الله كربك ، وأن يكشف الله همك، وأن يذهب الله غمك ، وأن يوسع الله رزقك ، وأن يبارك الله في عمرك فعليك ببر الوالدين .

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

« انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمْ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، ولما جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلَ دَخَلُوا غَاراً فِي بَطْنِ جَبَلٍ لَيَبِيتُوا فِيهِ » يقول المصطفى ﷺ : « فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ » ما المخرج ؟ ما السبيل ؟ فقالوا : « فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا الله بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ » لا وهذا هو محل الشاهد في الحديث : « اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا » أي كنت لا أقدم الغبوق ـ أي اللبن ـ أي الشراب لأحد قبل والدي

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخل الجنة (٤/ ٢٥٥١) .

لا يقدم على والديه أولاده ولا يقدم على والديه خدمه وعبيده ، أو رقيقه : « وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِيَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا » انشغل الرجل بعمله وكان حطَّابا يجمع الحطب ، فما عاد لوالديه حتى وجد الوالدين قد ناما ، أو وجد الوالدين نائمين يقول : « فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ » .

انظر إلى البر حلب اللبن لوالديه ، فلما انطلق إليهما وجدهما نائمين فاستحيا أن يوقظ والديه ، فظل يحمل القدح باللبن ، وظل واقفا إلى جوار والديه ، ينتظر استيقاظهما حتى برق الفجر .

وانظر إلى هذا العامل المؤثر الآخر الذي يخلع القلب ، يقول : « وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ » أولاده يبكون ويصيحون عند قدميه ، يريدون الشراب وهو لا يريد أن يسقي أولاده قبل والديه .

يا من تخفي الفاكهة لامرأتك ست الحسن والجمال حتى لا تراها أمك ، يا من تبالغ في إكرام امرأتك على حساب عقوق أمك ، يا من تزعم أنك قريب من الله ، وأنت عاق لوالديك ، اعلم علم اليقين أن عملك لا قيمة له .

ارجع اليوم إلى أبيك وإلى أمك ، واعلم بأن بر الأم مقدم على بر الوالد كما أخبر النبي الصادق ﷺ كلكم يعلم النتيجة الحتمية لهذا البر ، هذا الرجل هذا دعا ربه بعد ذلك وقال :

« اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ

الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوج »[1] فانفرجت الصخرة ..

إلى آخر أدعية الرجلين الكريمين الآخرين ، وخرجوا بفضل الله ، ثم بفضل صالح أعمالهم ، وكان من هذا العمل الصالح هذا العمل الكريم ألا وهو بر الوالدين ، واعلم أن بر الأم مقدم على بر الأب ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رجلاً جاء للنبي ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟

قَالَ : « أُمُّكَ » .

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟

قَالَ : « أُمُّكَ » .

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟

قَالَ : « أُمُّكَ » .

قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟

قَالَ : « أَبُوكَ »[2] .

فبر الأم مقدم على بر الأب ، بل ومن أعجب وأجلّ ما قرأت ما رواه أحمد وبعض أصحاب السنن بسند حسنه الألباني من حديث معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء للنبي ﷺ يومًا فقال : يا رسول الله ، أردت أن أغزو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا ، فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال فاستفضل (٤/ ٢٢٧٢) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، والتوسل بصالح الأعمال (٤/ ٢٧٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (١٠/ ٥٩٧١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٤/ ٢٥٤٨) .

في سبيل الله وجئت أستشيرك أردت أن أغزو في سبيل الله وجئت أستشيرك فقال له المصطفى ﷺ :

«هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ» قال : نعم ، قال له المصطفى ﷺ : « الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ ، الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ » (١) .

وقد يتألم اليوم كثير من آبائنا ممن حرموا من نعمة وجود الوالدين الآن ويتحسرون ويقولون : ليتنا سمعنا هذا وتدبرناه قبل رحيل الوالدين ، ولكنني أقول : أبشر فلن أتركك وأنت تتألم ، فإني أبشرك بأن بر الوالدين لا ينقطع أبدًا حتى ولو مات الوالدان ، فما السبيل إلى بر الوالدين بعد موتهما ؟.

والجواب : كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه وابن حبان ، وفي سنده من باب الأمانة العلمية التي عاهدنا الله عليها على بن عبيد الساعدي لم يوثقه إلا ابن حبان وبقية رجال السند ثقات : أن رجلا من بني سلمة جاء للنبي ﷺ يومًا فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟

سؤال للمصطفى: هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فقال المصطفى ﷺ :

« نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا » أي الدعاء لهما ، فالأصل اللغوي لكلمة الصلاة الدعاء « وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد ، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة (٦/ ٣١٠٤) ، وابن ماجه في الجهاد ، باب الرجل يغزو وله أبوان (٢/ ٢٧٨١) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٢٩) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥١) ، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٢٠٢) ، وفي الأوسط (ح١٢٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٨) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ولم ينسبه إلى الكبير . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

نُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا »[١] .

هل تعجز عن ذلك يا من فقدت والدك ، يا من فقدت أمك : الدعاء والاستغفار وإنفاذ العهد إن عهد إليك والدك بشيء ، فإنفاذك لعهد والدك بر منك بأبيك ، وإنفاذ عهدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما .

صل خالتك بعد موت أمك ، صل عمك بعد موت أبيك ، وهكذا صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما .

والنبي ﷺ يقول :

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ »[٢] .

فلا تبخل بالدعاء لوالديك أحياء وأمواتا ، وإن من الله عليك بالحج لنفسك فحج لوالديك ، وإن مَنَّ الله عليك بصدقة جارية فلا تتردد لوالديك ، هذا هو البر للوالدين بعد موتهما .

ولا أنسى أن أُذكّر ببعض المشاهد السريعة في حياة الأنبياء من مشاهد البر : فها هو نبي الله يحيي يقول في حقه ربنا جل وعلا :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم:١٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب بر الوالدين (٤/ ٥١٤٢) ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب صلْ من كان أبوك يَصِلُ (٢/ ٣٦٦٤) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٥) ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١١٠١): ضعيف .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٤وصية) ، وأبو داود في كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة على الميت (٣/ ٢٨٨٠) ، والترمذي في كتاب الأحكام ، باب في الوقف (٣/ ١٣٧٦) ، والنسائي في الوصايا ، باب فضل الصدقة عن الميت (٦/ ٣٦٥٣) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٢) ، والبيهقي السنن الكبرى (٦/ ٢٧٨) .

قال جل وعلا في حق نبي الله عيسى : ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٠-٣٢] .

وهذا هو خليل الله إبراهيم يناقش أباه الذي أصر على الكفر إصرارا عنيدا ، ومع ذلك هو يناقشه بكل أدب وحكمة ورحمة وتواضع :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم:٤١-٤٥] .

فكان الرد بكل غلظة وقسوة وجفاء قال والده : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] .

فما كان من إبراهيم إلا أن يبالغ في الإحسان والرد الكريم : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾

[مريم:٤٨]

فرزق الله إبراهيم بابن بار فقال الله عز وجل في حق ولده إسماعيل : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا

تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[الصافات:١٠٢]

البر ثمرة لابد أن تجنيها في الدنيا قبل الآخرة ، والعقوق ثمرة مرة لابد أن تذوق طعمها في الدنيا قبل الآخرة .

وفي الحديث الذي رواه الطبراني والبخاري في التاريخ بسند صححه الألباني من حديث أبي بكرة أنه ﷺ قال :

« اثْنَانِ يُعَجِّلْهُمَا الله : البَغْي وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ »[1] .

فالبر دَيْنٌ ، والعقوق دَيْنٌ.

وأختم بهذه الآثار العملية التي تخلع القلب :

* فهذا ابن من الأبناء يكبر والده وينحني ظهره ويسيل لعابه ، فتشمئز الزوجة من والد زوجها وتقول : جنب والدك فإن أبنائي يشمئزون منه، فنحى الابن العاق والده عن أحفاده فقال له ابن صغير وهو يحب جده : لم تصنع ذلك بجدي يا أبي ؟ قال : حتى لا تشمئزون منه ، فبكى الولد الصغير والتفت لأبيه وقال : حسنا يا أبي ، سوف أصنع بك ذلك حينما تكبر كما صنعت بجدي .

* وهذا ابن آخر يمسك به الناس ليفتكوا به في إحدى قرى مركز السنبلاوين وانقض عليه الناس بالضرب والإهانة وإلى جواره والده يبكي وهو يقول : اتركوه دعوه اتركوه ثم قال : والله منذ عشرين سنة في هذا المكان صفعت أبي على وجهه كما صفعني ولدي الآن ، فإنما هو دين أقضيه .

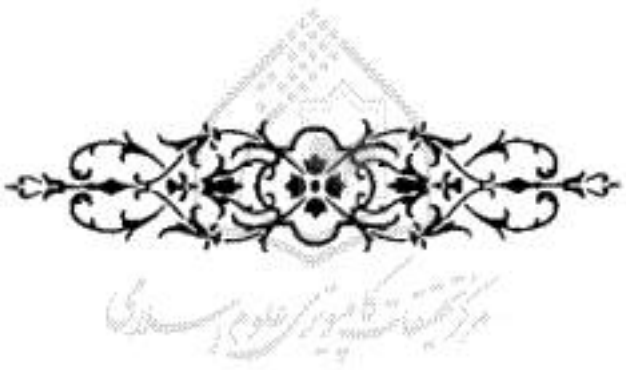
---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ (١/ ١٦٦/ ٤٩٤) ، وأبو نعيم في اخبار اصبهان (٢/ ٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٣٧) ، والصحيحة (١١٢٠) .

* وهذا هو ابن آخر يجر أباه بقدميه ورجليه ؟ ليطرده خارج شقته ، فيبكي الوالد حينما وصل إلى الباب يقول الوالد لولده : إلى الباب يا بني إلى الباب فقط إلى الباب فقط ، ثم بكى وقال : فو الله ما جررت أبي منذ كذا من السنين وأنا أطرده من بيتي إلا إلى الباب فقط ، فاكتفي بالباب فقط ، فإنما هو دين أقضيه .

فالبر دين ستجنى ثمرته الحلوة ، سيرزقك الله ابنا بارا لتذوق على يديه حلاوة البر .

والعقوق دين ستجني ثمرته المرة في الدنيا قبل الآخرة ، سيبتليك الله بابن عاق ، تشرب على يديه كؤوس العقوق ألواناً وأشكالا ، هذا حق الوالدين وهذا والله قليل من كثير .



حقوق يجب أن تعرف

حق الأخوة



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأخوة

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الأخوة** » .

حق الأخوة حق كبير جليل وسوف أحصر هذا الموضوع في العناصر المحددة التالية :

أولا : حقيقة الأخوة في الله .

ثانيا : حقوق الأخوة .

ثالثا : الطريق إلى الأخوة .

أولاً : حقيقة الأخوة :

إذ إن الأخوة في الله لا يمكن أبدًا أن تتحقق إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها ، محال أن تتحقق أخوة بمعناها الحقيقي إلا على عقيدة صافية بشمولها وكمالها ، فما حولت هذه الأخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم إلا يوم أن تحولت هذه الأخوة التي بنيت على العقيدة ، بشمولها وكمالها ، إلا يوم أن تحولت هذه الأخوة إلى واقع عملي ومنهج حياة ، تجلّى هذا الواقع المشرق يوم أن آخى النبي ﷺ ابتداء بين الموحدين في مكة ، ثم آخى ﷺ ثانيا بين أهل المدينة من الأوس والخزرج ، تلكم الأخوة التي لا يمكن أبداً على الإطلاق ، أن تدانيها أخوة تنبني على أواصر العقيدة أو العرض أو النسب أو الدم

أو اللون مستحيل .

فإن الأخوة في الله لا تنبني إلا على أواصر العقيدة وأواصر الإيمان ، وأواصر الحب في الله ، تلكم الأواصر التي لا ينفعك عراها أبدًا ، الأخوة في الله نعمة من الله وفيض من الله يغدقها الله على المؤمنين الصادقين .

الأخوة في الله شراب طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء الأتقياء ؛ ولذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان لا تنفك الأخوة عن الإيمان ، ولا ينفك الإيمان عن الأخوة ، فإن وجدت أخوة من غير إيمان ، فاعلم بأنها التقاء مصالح وتبادل منافع وإن رأيت إيمانا بدون أخوة صادقة ، فاعلم بأنه إيمان ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وإلى علاج ؛ لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة ، فالآية جامعة فقال سبحانه :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] .

فالمؤمنون جميعًا كأنهم روح واحدة ، حلت في أجسام متعددة كأنهم أغصان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة ، أين هذه المعاني الآن ؟

ولذلك لو تحدثت الآن عن مشهد كهذا الذي ذكرت ، ربما استغرب أهل الإسلام هذه الكلمات وظنوها كما بَيَّنْت من الخيالات والأوهام ؛ لأن حقيقة الأخوة قد ضاعت الآن بين المسلمين ، وإن واقع المسلمين ليؤكد الآن تأكيدا جازما لا لبس فيه ضياع حقيقة الأخوة .

فلم تعد الأخوة إلا مجرد كلمات جوفاء باهتة باردة ، فأنت ترى المسلم الآن ينظر إلى إخوانه هنا وهناك يذبحون ذبح الخراف ، تقطع أثدية نسائهن وتنتهك أعراض نسائهن ، بل ويطردون من أرضهم وديارهم وبلادهم ، ومع ذلك ينظر المسلم إلى هؤلاء الأخوة فيضحك ملء فيه ، ويأكل ملء بطنه ، وينام ملء عينيه ، ويهز كتفيه ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه لا من

قريب ولا من بعيد .

الأخوة الموصولة بحبل الله ، نعمة امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل فقال سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٢،١٠٣]

فالأخوة من الله نعمة امتن الله عز وجل بها على المسلمين ، فمستحيل أن تجد قانونا وضعياً على ظهر الأرض يؤلف بين القلوب أبداً :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٣] .

محال أن ترى قانونا وضعيا بشريا يؤلف بين القلوب أهله وأصحابه ، فهذه نعمة لا يمنحها الله عز وجل إلا لأهل الإيمان ، فإن رأيت محبة بين غير أهل الإيمان فاعلم بأن قلوب هؤلاء متنافرة متشتتة.

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر:١٤] .

أما اتقاء القلوب بصدق وصفاء لا يكون إلا لمن ملأ الله قلوبهم بالإيمان .

ثانياً : حقوق الأخوة :

أول حق من حقوق الأخوة ، وأرجو الله أن تهتموا جيداً ، فما أحوج

الأمة بصفة عامة إلى أخوة الذين يعملون الآن للإسلام بصفة خاصة ، لمثل هذه المحاضرة في هذه الأيام ، فإن الأمة الآن متشرذمة متهارجة ، مشتتة ممزقة ، ولن تقوم لها قائمة ولن يكون لها كيان إلا إذا اتحد صفها والتقى شملها وتجمع أبناؤها ، ولن يجمع هذا الشتات المتنافر إلا الأخوة الصادقة في الله ، أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين .

الحق الأول : من حقوق الأخوة في الله : الحب في الله والبغض في الله ، محال أن تتحقق أخوة صادقة من غير حب وبغض في الله ، فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان :

« **أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ : الحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله** » (١) .

قال ﷺ كما في الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة أنه ﷺ قال :

« **مَنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَى لله ، وَمَنَعَ لله ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَان** » (٢) .

هل تحبني لله ؟ هل أنا أحبك لله ؟ هل تحب أخاك لله ؟ هل تبغض أخاك لله ؟ هل تعطي أخاك لله ؟ هل تمنع أخاك من أخيك لله ؟ سل نفسك الآن بصدق .

إن عقد الولاء والبراء الآن ليس لله إلا من رحم الله ، وإنما من أجل رايات ومسميات وجماعات ، فأنا أحب في الله أخا ينتمي لجماعتي ويجلس

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١١٥٣٧) ، والطيالسي في مسنده (٣٧٨) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٢٩/ ٩٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٥٣٩) ، والصحيحة (١٧٢٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤/ ٤٦٨١) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٤/ ٢٥٢١) نحوه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٩٦٥) .

معي بين يدي شيخي الذي أتتلمذ على يديه وأتلقى العلم عنه .

أما هذا الأخ الصادق المتبع المخلص الناصح الأمين أنا أبغضه ، فهـو لا يفهم ولا يعي ولا يدرك عن الواقع شيئا ، وهو رجل جهـول ولا حـديث له إلا الحيض ولا يتكلم إلا في النفاس ولا يجيد إلا في الرقيـة ، ولا يحسـن القول إلا فيما يبكي الناس ؛ لذا فأنا أبغضه ، لا ينتمي إلى جماعتي .

مصيبة ! هم يحطم القلب ، نتنياهو يصفع الأمة بالنعـال علـى الأقفيـة ، ولا زال إخواننـا الـذين يعملـون والـذين يرفعـون رايـة الإسـلام يوالـون ويعادون على مسميات ما تعبدنا الله بها ، وما أنزل الله بها من سلطان .

هل تحب لله ؟ هل تبغض لله ؟ هل تعطي لله ؟ هل تمنع لله ؟ مـا الـذي جاء بك الآن ؟ لماذا أتيت ؟ ولماذا لم تأت ؟ ولماذا تكلمت ؟ ولماذا صـمت ؟ ولماذا أعطيت ؟ ولماذا منعت ؟ ولـماذا ابتسـمت ؟ ولـماذا غضـبت ؟ ولـماذا واليت ؟ ولماذا عاديت ؟

سل نفسك الآن أيها المسلم هل عملك لله ؟ اصدق الله ؟ فلو خـدعت الخلق لم تخادع الذي يعلم منك السر وأخفى :

« مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَان »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »[2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (١/ ١٦) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٤٣) .

إذا كانت هذه حلاوة الإيمان ، فإن للإيمان طعما ، إن للإيمان حلاوة ، « وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله » ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » .

أرجو ألا تقرأ هذا الحديث كلامًا عابرًا ـ انتبه : هؤلاء يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

هل فكرت في هذه العبارة النبوية ؟ في يوم ستدنو فيه الشمس من الرؤوس لا عمارات ولا أشجار ولا بيوت ، ولا مكيفات ، الشمس فوق الرؤوس ، تغلي الرؤوس ، لا عمارات ولا أشجار ولا بيوت ، ولا مكيفات ، الشمس فوق الرؤوس ، تغلي الرؤوس من حرارتها ، الزحام يكاد وحده أن يخنق الأنفاس ، فالبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل ، قامت عليه الساعة في أرض المحشر تقف كلها في أرض واحدة وجهنم تزفر وتزمجر ، قد أتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

والحديث رواه مسلم من حديث ابن مسعود في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ، ينادي الله جل وعلا على سبعة من البشر في أرض المحشر ليظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من هؤلاء ؟

« إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله » أسأل الله أن نكون منهم « وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » من منا يعجز عن هذه ؟ « وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ـ أي اجتمعا على الحب في الله وتفرقا على الحب في الله ـ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ـ

أي : للزنا ـ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »[1] .

اللهم ارزقنا عينا دامعة ، وقلبا خاشعا ، وعملا نافعًا متقبلا يا رب العالمين .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ـ أي تبتغي زيادتها ـ قَالَ : لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» إن فيه متأملاً متدبراً ، فمن أنت ليحبك الملك ، إن الله يخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه[2] .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ، ورواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه مالك في الموطأ بسند صحيح عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ـ رحمه الله ـ أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ ـ شاب صغير في حَلَقة بين الناس فيهم الكبار والصغار ، ولكنهم إذا اختلفوا في شيء سألوا هذا الشاب المبارك فإذا ما أفتاهم أخذوا بقوله وفتواه ـ فقال أبو إدريس : فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٢/ ٦٦٠) ، ومسلم في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/ ١٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحب في الله (٤/ ٢٥٦٧) .

يقول أبو إدريس : فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ ــ أي بكرت إلى المسجد ـ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ ـ سبقني ـ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ لله، فَقَالَ : آلله ؟ فَقُلْتُ : آلله ، فَقَالَ : آلله ؟ فَقُلْتُ : آلله ، فَقَالَ : آلله؟ ، فَقُلْتُ: آلله.

يقول أبو إدريس : فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ : أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

« وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ »[1] .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه ﷺ قال :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ : « أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »[2] .

سلم على أخيك بصدق وحرارة لا تسلم سلاما باهتا باردا ووجهك في اتجاه آخر، خذ يد أخيك بحب ، فإنك قد ترى الأخ يمد يده أو طرف أصابعه في يد أخيه ويلوي عنقه إلى ناحية أخرى لا تشعر بحرارة اللقاء ، ولا بإخلاص المصافحة لا تشعر بأن القلب قد صافح القلب ، ولا تحس بأن الروح قد سلمت وامتزجت بالروح .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ص ٩٥٢/ ١٦) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١/ ٥٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٠) .

والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام :

« النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا ، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »[1] .

قال الخطابي : فالخيِّر يحن إلى الأخيار ، والشرير يحن إلى الأشرار هذا هو معنى : ما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تنافر وتناكر من الأرواح اختلف ؛ لذا لا يحب إلا من هو على شاكلته من أهل الإيمان ، ولا يبغض المؤمن إلا من هو منافق خبيث القلب :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم:٩٦]

أي محبة في قلوب عباده المؤمنين وهذه لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض ، يعني لم يضع الله محبتك في قلوب المؤمنين الصادقين ، فالقلوب كلها بيد الله كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة (٤/ ١٦٠ بر وصلة) .

فِي الْأَرْضِ»[1].

اللهم سلم سلم يا أرحم الراحمين ، اللهم عاملنا بفضلك ورحمتك واستر علينا ذنوبنا وعيوبنا بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين .

إذا الخير لا يميل إلا إلى الأخيار ؛ ولذا لو سافر إنسان حتى إلى بلاد الكفر لو كان مؤمنا صادقاً ، فإن أول ما سيسأل عليه سيسأل عن المسجد أو عن المركز الإسلامي في هذه الولاية ، وسرعان ما يسرع إلى هؤلاء ، فتلتقى روحه بأرواح إخوانه .

أما الخبيث الذي ذهب للفسق والعربدة بمجرد أن يصل يسأل عن الخمارة عن أماكن الدعارة ، اللهم استرنا ولا تفضحنا .

فالخير يحن إلى الأخيار ، والخبيث يحن إلى الخبثاء الأشرار « فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا » أي من الأرواح « ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » .

أحاديث كثيرة في الحب في الله ، ولا زلنا مع الحق الأول فقط من حقوق الأخوة الصادقة في الله جل وعلا ، لكن أرجو أن ننتبه إلى أن المرء لن يحشر يوم القيامة إلا مع من أحب .

فَتِّش عن قلبك الآن هل تحب الممثلين والممثلات ؟ ستحشر معهم ، هل تحب الساقطين والساقطات واللاعبين واللاعبات ؟ستحشر معهم ، أو تحب الأطهار والأخيار والأبرار ابتداء من نبيك المختار وصحابته الأبرار ؟ ستحشر معهم .

ففي الصحيحين[1] من حديث أنس: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة (١٣/ ٧٤٨٥) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (٤/ ٢٦٣٧) .

رسول الله ، متى الساعة ؟ قال : « **وماذا أعددت لها ؟** » قال : ما أعددت لها كثير عدد إلا أني أحب الله ورسوله قال المصطفى ﷺ : « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » .

يقول أنس : فما فرحنا بشيء كفرحنا بقولة رسول الله ﷺ : « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » ثم قال أنس : وأنا أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو الله أن يحشرني معهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .

ونحن نحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وجميع أصحاب الحبيب النبي ﷺ ، ونتضرع إلى الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين .

فالمرء مع من أحب يوم القيامة . فتش عن قلبك الآن وأرجو أن تأخذ كلامي مأخذ الجد ، فأنتم تتابعون وتعلمون أن هناك من النساء من انتحرت من أجل العندليب الأسود .

ومن الرجال من يصرخون صرخة تذهب فيها الحياة ضائعة في استاد رياضي إذا منى فريقه بهزيمة نكراء .

نقشت المحبة على جدران القلوب ، والله جل وعلا يقول :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ [البقرة:١٦٥] .

اللهم املأ قلوبنا بحبك وحب نبيك وحب الأولياء الأصفياء برحمتك يا رب العالمين .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله (١٠/ ٦١٧١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب المرء مع من أحب (٤/ ٢٦٣٩) .

فنقب عن قلبك الآن أيها المسلم ، ونقبي عن قلبك أيتها المسلمة من تحبين ؟ هل تحب الله ورسوله والمؤمنين وتبغض الشرك والمشركين والمنافقين والمجرمين ؟

« الْحُبُّ فِي الله ، وَالْبُغْضُ فِي الله ، أَوْثَقُ عَرَى الْإِيمَانِ » وأول حق للأخوة هو الحب في الله والبغض في الله .

ومن السنة إذا أحب الرجل أخاه أن يخبره كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث المقداد بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال :

«مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ »[1] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث معاذ بن جبل أن النبي أخذه يوما من يده وقال : « يَا مُعَاذُ » .

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال المصطفى ﷺ : « وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ » .

فقال معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول ، ووالله إني لأحبك .

قال المصطفى ﷺ : « فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٢) ، وأبو داود في الأدب ، باب إخبار الرجل بمحبته إليه (٤/ ٥١٢٤) ، والترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء في إعلام الحب (٤/ ٢٣٩٢) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ح٢٠٠) ، وابن حبان في صحيحه (٢٥١٤/ إحسان) ، وسكت عليه الحاكم والذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩) .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة ، باب في الاستغفار (٢/ ١٥٢٢) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٣) ، وابن حبان في صحيحه (٢٣٤٥/ إحسان) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٤١) ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «أَعْلَمْتَهُ؟» ـ هل أخبرت أخاك أنك تحبه ـ قَالَ: لَا ، قَالَ : «أَعْلِمْهُ» (١) قَالَ فَلَحِقَهُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي الله ، فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ.

وامتثالاً لهذا الأمر النبوي الكريم ، فإني أشهد أنني أحبكم جميعاً في الله ، وأسأل الله أن يجمعنا مع المتحابين بجلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الحب في الله والبغض في الله ، ما أحوج الأمة إليه اليوم ، بل ما أحوج الإخوة الذين يعملون الآن للإسلام إليه اليوم ، أن تحب أخاك لله ، لا من أجل أنه ينتمي لجماعتك ، لا من أجل أنه يجلس معك بين يدي شيخك الذي تتلمذ على يديه . بل تحب أخاك لاتباعه، تحب أخاك لصدقه ؛ لأن قلبه يحترق على الأمة ، وعلى دين الله ، حتى ولو لم تعرفه حتى ولو كان في أقصى الشرق ، وفي أقصى الغرب تسمع أخا من إخوانك الدعاة ، حتى ولو لم تره عينك إن وجدت صدقه ، ولمست إخلاصه ، فيجب عليك أن تشهد الله على حبك له ، ليس بالضرورة أن يكون هذا الداعية هو شيخك الذي تتلقى العلم على يديه .

فما أحوجنا الآن إلى الحب في الله وإلى البغض في الله ، واعلموا بأنه لا يتم لواحد منا إيمان كامل إلا إن أحب في الله وأبغض في الله ، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والبراء من الشرك والمشركين أصل كبير من أصول عقيدة التوحيد ، غاب هذا الأصل ، مع غياب عقيدة التوحيد بشمولها وكمالها .

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب ، باب إخبار الرجل بمحبته إليه (٤/ ٥١٢٥) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

الحق الثاني من حق الأخ على أخيه : ألا يحمل الأخ لأخيه غلا في صدره ولا حقداً ، ولا حسداً ، لماذا ؟

المؤمن سليم الصدر ، المؤمن طاهر النفس ، زكي النفس ، تقي القلب ، نقي القلب ، المؤمن ينام على فراشه في آخر الليل ، وهو يشهد الله في عليائه أنه لا يحمل ذرة غل أو حقد أو حسد لمسلم على وجه الأرض ، والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أنس :

« لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا »[1] .

فالحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب ، يرى الأخ أخاه في نعمة فيحقد عليه ويحسده ، ونسى هذا الجاهل أنه ابتداء لم يرض عن الله الذي قسم الأرزاق ، فمن الذي وهب ؟ إنه الله ، من الذي أعطى هذا العلم ؟ وأعطى هذا المال ؟ وأعطى هذه الزوجة الصالحة ؟ وأعطى هذا الولد الطيب ؟ وأعطى هذا الحلم ؟ وأعطى هذا الفضل ؟ إنها أرزاق ، قسمها الرزاق ، فإن الذي يحسد إخوانه إنما هو في حقيقة الأمر معترض على الله جل جلاله ، فليتق الله وليتب إلى الله ، وليعد إلى الله سبحانه ، وليسأل الله الذي وهب أن يعطيه من عظيم فضله وعظيم عطائه ، كما أعطى إخوانه من عظيم فضله وواسع عطائه .

الحسد من خصال اليهود ، كل ينقب الآن في قلبه ، ابحث في قلبك يا من تقرأ لي الآن ، ويا من تقرأ لي بعد ذلك ، فأنا لم أخاطبكم أنتم فقط بل أخاطب ملايين الأمة ممن يقرؤون ، كل ينقب في قلبه هل برأ قلبك من الحقد ؟ هل طهر قلبك من الغل ؟ هل طهر قلبك من الحسد ؟ هل رددت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (١٠/ ٦٠٦٥) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (٤/ ٣٠ بر) .

مع هؤلاء الصادقين :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحشر:١٠]

ردد مع هؤلاء بصفاء وصدق وعمل :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحشر:٩، ١٠]

لماذا الحقد والحسد وصاحب الفضل هو الله ؟ والذي يقسم الأرزاق بعدله هو الله ، هل تشك في عدل الله ؟ سل من فضله الذي أعطى إخوانك أن يعطيك من فضله ، وهو الواسع العليم .

الرسول ﷺ وهو صاحب أسلم صدر على وجه الأرض ، وصاحب أطهر قلب كان يأمر أصحابه ألا يخبروه شيئا عن أصحابه حتى يخرج إلى الجميع ، وهو يحمل للجميع صدرا سليما وقلبا طاهرًا نقيا ، أخلاقيات لا توجد الآن إلا بين القلة القليلة من الموحدين الذين عرفوا قدر الأخوة الصادقة في الله .

الحق الثاني : طهارة القلب والنفس .

الحق الثالث : التورع في القول : من حق أخيك عليك إن لم تستطع أن

تنفعه بمالك ، فكف عنه لسانك ، وهذا أضعف الإيمان .

تورع في القول من حق أخيك عليك إن لم تستطع أن تنفعه بمالك ، فكف عنه لسانك ، وهذا أضعف الإيمان . تورع في القول ، فإن ترك الألسنة تلقى التهم جزافا دون بينة أو دليل يترك المجال فسيحا لكل من شاء أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ؛ فتصبح الجماعة وتمسي وإذا أعراضها مجرحة ، وسمعتها ملوثة ، وإذا كل فرد فيها متهم ، أو مهدد بالاتهام ، وهذه حالة من القلق والشك والريبة لا يمكن أن تطاق بحال من الأحوال .

كيف يعيش مسلم في هذه البيئة يخرج وهو متهم أو خائف من أن يتهم ؟ لأنه يرى إخوانه يراقبونه ويرصدونه ويقفون له في كل كلمة وعلى كل سلوك بالمرصاد ، يعيش حالة قلق واضطراب .

فتورع في القول عن إخوانك فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم قال الله جل وعلا :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور:١٩] .

قال الله جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٣- ٢٥] .

تورع عن إخوانك ، أمسك عليك لسانك ، تورع عن العلماء ، تورع عن الخوض في أعراض كواكب الأمة ، ومصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ،

تورع عن الخوض في أعراض الشيوخ ، تورع عن الخوض في أعراض الإخوة والأخوات ، اتق الله فوالله ما من كلمة يتلفظ بها لسانك إلا وهي مسطرة عليك عند الله لا يضل ربي ولا ينسى .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »[(١)] .

وفي الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى قَالَ :سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ : « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[(٢)] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري أنه ﷺ قال :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[(٣)] . والعياذ بالله .

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب والحديث رواه الطبراني وقال عنه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة : حديث صحيح بمجموع طرقه قال ﷺ :

« مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا رَدَغَةُ الْخَبَالِ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (١٠/ ٦٠١٨) ، ومسلم في كتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها (٣/ ١٤ لقطة) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب أي الإسلام افضل ؟ (١/ ١١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ، وأي أموره أفضل (١/ ٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (١١/ ٦٤٧٨) ، ومسلم في كتاب الزهد باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٤/ ٢٩٨٨) .

قَالَ: « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ وَلَيْسَ بِخَارِج »[١].

والله والله لو نحمل في قلوبنا إيماناً ، ذرة إيمان ونسمع حديثا من هذه الأحاديث ، للجم الإنسان لسانه بألف لجام قبل أن يتكلم كلمة ولكنه لا أقول ضعف الإيمان ، بل إنا لله وإنا إليه راجعون .

الحق الرابع من حقوق الأخوة : الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك : فمن حق الأخ على أخيه إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا : أن لا يبخل عليه ويجب على الأخ أن يحسن الظن بأخيه إن طلب منه أمراً من أمور الدنيا وعجز الأخ عن أن يساعده فيه ، يجب أن يحسن الظن بأخيه وألا يتهمه في أنه فرط وضيع ، هذه حياة الأخوة .

أما أن أكلفك بأمر وأنت تتمنى من كل قلبك أن تقضيه لي فذهبت إلى موطن عملك ومنصبك ، فعجزت عن أن تؤدي لي هذه الخدمة ، أبغضك ، أهجرك ، هذا هو حسن الظن بالإخوة ؟ التمس لأخيك الأعذار .

النبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة :

« مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[٢].

فيا أخي المسؤول ، يا من منَّ الله عليك بمنصب ، ويا من منَّ الله عليك بمال ، ويا من منَّ الله عليك بوجاهة أو جاه ، إن استطعت أن تنفع إخوانك ،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٣/ ٣٥٩٧) ، والحاكم (٢/ ٢٧) ، وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر (٤/ ٢٦٩٩) .

أن تنفع إخوانك افعل لا تبخل ، وبالمقابل يجب على الإخوة أن لا يكلفوا إخوانهم ما لا يطيقون ، فإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم ، وما أجمل أن يقول الأخ لأخيه : أخي في الله أسأل الله أن يجعلك مفتاح خير ، وهذه حاجتي إليك فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك هذه هي الأخوة .

الحق الخامس: أن تعين إخوانك في حوائجهم الدنيوية على قدر استطاعتك :

فإن الله جل وعلا يقول : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

وأنا لا أظن البتة أن يسمع مسلم يستطيع أن ينفع إخوانه هذا الحديث الواحد فقط ويتخلى بعد ذلك عن أن ينفعهم ولو بكلمة طيبة ولو بشفاعة مخلصة ، فإن المحروم من حرمه الله من هذا الفضل ، أسأل الله أن لا يحرمنا وإياكم من فضله .

الحق السادس من حقوق الإخوة : التناصح : المؤمنون نَصَحَة ، والمنافقون والمشركون غَشَشَة .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« **الدِّينَ النَّصِيحَةُ** » تصور يلخص النبي ﷺ الدين في هذه الكلمة : « **الدِّينَ النَّصِيحَةُ** » قُلْنا: لِمَنْ يَا رَسُولَ الله ؟ **قَالَ** : « **لله وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ** » [1] ، لكن أتمنى من الله أن يعي إخواني الضوابط الشرعية للنصيحة .

قال الشافعي : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه ، ومن نصح أخاه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة(١/ ٥٥) .

فيما بينه فقد ستره وزانه ، فقد يأتي أخ لينصحك فتشم من رائحة نصيحته الحقد والغل ولا تشعر أبدا بحب .

الناصح رقيق القلب ، الناصح الصادق مخلص القلب ، نقي السريرة ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فإن رأى أخاه في عيب ، وإن رأى أخاه على معصية ، وإن رأى أخاه على خطأ دنا منه ، وتمنى أن لو ستره بجوارحه ، لا بملابسه ، ثم قال له : حبيبي في الله هذه نصيحتي لك يكللها الحب والصدق والإخلاص والغيرة ، فأنا لا أحب أن يظهر خطؤك للآخرين وأبين له النصيحة بأدب ورحمة وتواضع .

أما أن يأتي أخ لينصحك أو أن يرسل إليك رسالة بحجة أنها نصيحة ، فترى التوبيخ والتقريع وسوء الأدب ويخرج هذا المسكين ، وهو يظن بين نفسه أنه ناصح أمين وهو خبيث القلب ، لم ينصح بل تقدم ليؤذي أخاه ، بل ويتهم أخاه ، بل والله ليسطر بعض التهم دون بينة أو دليل ، ويزعم أنه نصح فلاناً من الناس ، كذب ، النصيحة لها آداب ولها ضوابط ولها شروط ، فلتشعر أخاك وأنت تنصحه بحبك له بتواضعك بخفضك لجناح الذل له :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[الفتح:٢٩]

جلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك الإمام المجاهد التقي العابد الورع فاغتاب أحد المسلمين فقال له عبد الله بن المبارك : يا أخي هل غزوت الروم ؟ قال: لا ، فقال هل غزوت فارس ؟ قال : لا ، فقال عبد الله بن المبارك : سلم منك الروم وسلم منك فارس ، ولم يسلم منك أخوك .

يا لها من مصيبة ! ويا له من عار ! نجلس فقط ونتفنن ونتحذلق في

تصيد أخطاء بعضنا البعض ، ويجلس الأخ منتفخاً منتشيا ، وهو يتكلم عن أخيه ، كأنه يتكلم عن مشرك كأنه لا يتكلم عن أخ يربط بينه وبينه رباط الإسلام ورباط الحب في الله ، يتمنى أن لو ذبح أخاه وشفاه ، وينشر لحمه بين الناس .

أين الأخوة ؟ والله إن القلب ليتمزق ، وهذا الذي أحكي عنه بين الإخوة الذين يعملون على الساحة للإسلام فما ظنكم بما يحدث بين العوام بين المسلمين ؟ .

والله إننا لا نستحق تمكينًا ، والله لا نستحق نصرًا ، والله لا نستحق رفعة ولا عزة.

إن لله سننا ربانية في الكون ، لا تحابي هذه السنن أحدًا من الخلق بحال ، مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة إطلاقاً .

اليهود في العالم كله يشعر بعضهم ببعض ، ويأتي أصحاب الأموال من قلب نيويورك ليقيموا مستوطنات لإخوانهم من اليهود في القدس ، ويذهب أثرياء العرب إلى الشرق والغرب لينفق داعر على عاهرة في ليلة ما يزيد على عشرة آلاف دولار في ليلة ، وهذا رقم بسيط جداً أقول : إن لله سنناً ربانية في الكون لا تحابي هذه السنن أحداً من الخلق بحال ، مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠] .

الحق السابع: من الحقوق التي يجب أن نعيدها الآن في حياتنا إلى واقع

عملي بضوابطه الشرعية : «التناصح» أن تنصح أخاك بأدب وتواضع ، وحكمة ورحمة ، وأسجل عليكم يا طلاب العلم ، إذا كانت النصيحة لشيخ من شيوخكم أو لعالم من علمائكم ، إياك أن تنسى قدرك ، وإياك أن تغض الطرف عن فضل شيخك ، فليس هذا من الأدب ، ووالله لا بركة في عملك ، ولا فيما تعلمت إن كنت ممن يسيء الأدب لمن علمك عن الله ، وعن رسول الله .

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل ، فاعرف قدر شيوخك وكل يعرف قدر نفسه ، وإن بذلت نصيحة فابذل فهذا حق الدين وحق الأخوة ، أن تنصح أخاك لكن بضوابط النصيحة وشروطها ، فيا ليت أن تكون عالماً بضوابط النصيحة الشرعية ، سل عنها وتعلمها قبل أن تبذل النصيحة لأحد إخوانك فبدلاً من أن تنصحه ، تقع في فضيحته أسأل الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

الحق الثامن من حقوق الأخوة : التناصر :

« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ : « تَكُفُّهُ عَنْ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ » (١) .

انصر أخاك في كل الأحوال إن كان ظالما خذ بيد أخيك عن الظلم ، وإن كان مظلوماً وأنت تملك أن تنصره ، انصره ولو بكلمة وإن عجزت بقلبك ، وذلك أضعف الإيمان .

إن استطعت أن تنصر أخاك بيدك انصره بيدك ، وإن عجزت عن نصرته باليد انصره بلسانك ، وإن عجزت عن ذلك فبقلبك وذلك أضعف الإيمان .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٥/ ٢٤٤٤)، والترمذي في كتاب الفتن (٤/ ٢٢٥٥) .

مسلمة استغاثت في أقصى بلاد الروم ونـادت وقالـت : وا إسـلاماه وا معتصماه فنصرها المعتصم قال : لبيك لبيك أختاه .

لكـن أيـن التناصـر الآن بـين هـذه الملايـين ؟ وآخـر إحصـائية لتعـداد المسلمين في العالم مليار ومائتين وخمسين ـ يعني إحصائية كبيرة جـداً ـ ومـع ذلك يصرخ المسلم هنا ، أو تنتهك عرض الأخت هنالك وينـادي الجميـع ولكن من يجيب أين المعتصم ؟ فالتناصر من حقوق الأخـوة ومـن حقـوق الأخوة أن تنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً أن تنصر أخـاك ظالمـاً ، بكفـه عـن الظلم ، وأن تنصر أخاك مظلوماً بعونه وإعانته إن كنت تقدر على ذلك إما بيـدك ، فـإن عجـزت فبلسـانك ، فـإن عجـزت فبقلبـك وذلـك أضـعف الإيمان .

الحق التاسع: وأختم به الحقوق «الستر والتغافر» :

من أعظم حقوق الأخ على أخيه الستر والتغافر ، مـن حـق الأخ علـى أخيه أن يستر عليه ، فالأخ ليس ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً ، فـإن زل الأخ في هفوة فهو بشر استر عليه .

قال علماؤنا باتفاق : الناس صنفان وأرجو أن تعوا هـذا الكـلام جيـدًا الناس صنفان : صنف اشتهر بين الناس بالصلاح والبعـد عـن المعاصـي ، هـذا إن زل ووقـع وسـقط في هفـوة مـن الهفـوات لبشـريته وجـب علـى المسلمين أن يستروا عليه .

رجل مشهور بالصلاح والدين والأخلاق والعلم والفضل زل وهو بشر ليس ملكاً ولا نبياً ، لقد مضى زمن العصمة بموت المعصوم المصطفى ﷺ ، فإن زل أخوك استر عليه ولا تتبع عوراته .

الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حـديث أبـي بـرزة أنـه

ﷺ قال :

« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ » (١) .

اللهم سترنا ولا تفضحنا .

يأتي الأخ يتكلم عن أحد إخوانه كأنه مبرأ من كل ذنب ، كأنه مبرأ من كل عيب ، ونسي المسكين أن بيته من الزجاج ، وهو الذي يقذف الناس بالطوب والحجارة ، كل يتذكر ضعفه ونقصه وعيبه :

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء:٩٤] .

فإن رأيت أخا من إخوانك من أهل الفضل والصلاة زل استر عليه يجب عليك ذلك .

أما إن كان الرجل والعياذ بالله ممن يبارز الله بالمعاصي ، وممن يجهر بالمعصية وممن يتباهى بالمعصية ، فهذا هو الفاسق الفاجر الذي لا غيبة له .

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » .قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » (٢) .

والبهتان هو الظلم العظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في الغيبة (٤/ ٤٨٨٠) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٢١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٩٨٤) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة (٤/ ٢٥٨٩) .

هذه أخلاق نبينا ، وهذه سنة نبينا ، ومع ذلك كأن بيننا وبين هذه السنة العظيمة بعد المشرقين .

ستر المسلم والتغافر إن زل أخوك وجاء ليعتذر إليك ، اقبل عذره ، لا تتعنت فهذه أمراض العمل .

الآن إن زل الأخ في حق أخيه زلة ينسى الأخ كل أعمال هذا الأخ المسكين لمجرد أنه زل زلة ولا يريدُ أن يتغافر معه أبداً ، مع أن الله سبحانه يعاملنا يوم القيامة بالحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته على سيئاته ـ في كفته سيئات ولكن الحسنات إن رجحت نجا العباد يوم القيامة بالحسنات والسيئات ، ونحن لا نريد أن نعامل إخواننا بهذا .

قد يرى الأخ من إخواننا قد بذل وأعطى وإن زل زلة تنسف كل أعماله نسفاً ، أقول الآن ولابد أن يعي الإخوة ذلك عن إخواننا من أهل السنة والجماعة ، عن إخواننا الذين معنا على المنهج ، عن إخواننا الذين يدينون معنا دين الحق .

أنا أتكلم الآن عن إخوة معنا لنا على الطريق يدينون لله بدين الحق ، ومع ذلك إن زل هذا الأخ زلة نسف جهاده :

وعين الرضا من كل عين كليلة

كما أن عين الصدق تبدي المساويا

كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه [1]

وأخيرًا : الطريق إلى الأخوة :

وأنا أعتقد اعتقادًا جازمًا أن الطريق قد وضح في ثنايا المحاضرة ، لكنني أجمل هذا الطريق في خطوتين اثنتين لا ثالث لهما .

---

(١) هذا عجز بيت وصدره :

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

أما الخطوة الأولى : فهي العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .

نعود إلى هذه الأخلاقيات التي ذكرتها في ثنايا الدرس ، فتعود لنا الأخوة الحقيقية فتلتئم الصفوف ، وتضمد الجراح وتبقى الأمة على قلب رجل واحد ، أما وحال الأمة في هذا فوالله لا وحدة ولا ألفة ولا نصر ولا عزة ولا تمكين ، فهذه سنن ثابتة لله في كونه .

العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين أو إن شئت فقل : العودة الصادقة إلى أخلاق سيد النبيين .

فلقد لخصت عائشة أخلاق النبي ﷺ في كلمات قليلة فقالت : كان خلقه القرآن .

لقد كان محمد ﷺ قرآنا متحركًا في دنيا الناس صدقه ونبله وعفته ، وشرفه ، وحياءه ، وكرمه ، وبطولته ، وشجاعته ، وعزته ، ورجولته ، وسخاءه ، وعبادته ، وخشوعه ، وجهده ، وورعه وتقواه ، فعلم الناس يقيناً أن هذا المنهج ما أنزله الله إلا ليتحول في دنياهم إلى واقع عملي وإلى منهج حياة، فصدقوا هذا المنهج الرباني وحَوَّلوا بهذا المنهج ، وتحولوا بهذا المنهج من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الأمم .

يجب علينا بعد ذلك أن نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة ، والكلمة الرقيقة الرقراقة والرزق والحلم ، فهذا هو مقام دعوة الناس إلى الله في كل زمان ومكان . قال تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

حقوق يجب أن تعرف

حق الطريق



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الطريق

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الطريق** » .

حق الطريق حق كبير جليل قَلَّ من يكتب فيه من أهل العلم ، وقَلَّ من ينتبه إليه من المسلمين فضلاً عن العمل به إلا من رحم ربك جل وعلا وسوف أحصر هذا الحق الجليل الغريب في العناصر المحددة التالية :

أولاً : غض البصر .

ثانياً : كف الأذى .

ثالثاً : رد السلام .

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أولاً : غض البصر :

روى البخاري ومسلم من حديث أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِي الله عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ :

« إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا .

قَالَ : « فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟

قال : « غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ »[1] .

إن المجتمع الإسلامي الذي وضع القرآن الكريم قواعده المتينة الراسخة ، وأرسى لبناته على يد المصطفى ﷺ ، مجتمع فريد في كل شيء، مجتمع سليم العقيدة ، مجتمع صحيح العبادة، مجتمع نقي السريرة ، مجتمع طاهر اللسان ، مجتمع نظيف المشاعر والأخلاق ، مجتمع تصان فيه الحرمات ، مجتمع له أدب مع الله ، مجتمع له أدب مع نفسه ، مجتمع له أدب مع غيره ، مجتمع رباه الله جل وعلا على يدي من رباه الله على عينه ليربي به الدنيا ولم لا يكون المجتمع الإسلامي كذلك لم لا وقد حوطه النبي ﷺ بسياج أمين من الضمانات الوقائية التي تدفع المفاسد والشرور والفتن ، وتجلب المصالح والمنافع له في الدنيا والسعادة في الآخرة .

ما ترك النبي ﷺ شيئًا من الخير إلا ودل المجتمع الإسلامي عليه وقعَّده له وأصَّله ، وما ترك النبي ﷺ شرا للمجتمع الإسلامي في دينه ودنياه إلا وضَّحه النبي ﷺ وحذره منه فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

ومن هذه الضمانات الوقائية التي تجلب المصالح وتدفع المفاسد والشرور قوله ﷺ : « **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ** » لماذا ؟ لأن الطريق العام يختلط فيه الحابل بالنابل ، وأرجو ألا تنسوا أن في أول الوصية النبوية كانت لمجتمع الصحابة مجتمع الطهر والعفة .

فكيف لو رأى النبي ﷺ مجتمعات المسلمين الآن ؟

قلت يومًا : لو قدر الله تعالى أن يخرج رجل من السلف من قبره ؛ ليتجول في طرقات المسلمين والله ما عرف المسلمين قط وما عرف الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب أفنية الدور والجلوس فيها (٥/ ٢٤٦٥) ، ومسلم في اللباس والزينة ، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه (٣/ ٢١٢١) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب الجلوس في الطرقات (٤/ ٤٨١٥) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٦) .

قط ؛ لأن المجتمع الإسلامي قد انحرف انحرافاً مزرياً عن قيم وأخلاق الإسلام ، بل أقول باطمئنان كامل وثقة مطلقة : إن المجتمعات الإسلامية صارت تحاكي وتقلد تقليدًا أعمى المجتمعات الغربية التي لا دين لها ولا قيم ولا أخلاق .

الرسول ﷺ يحذر من الجلوس على الطرقات ، يحذر من ؟ يحذر الأطهار ، يحذر الأبرار ، يحذر الصحابة الأخيار ، الذين زكاهم العزيز الغفار وعدلهم النبي المختار يقول لهم : « **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ** » فيكف يكون قول النبي ﷺ لنا الآن .

ولماذا لا نجلس في الطرقات ؟ لأن الطريق العام يختلط فيه الحابل بالنابل فهو طريق للأشراف ، والسفهاء ، وهو طريق للعقلاء الملتزمين المتدينين ، وهو طريق في الوقت ذاته للتافهين والساقطين ممن لا يحملون هماً يؤرقهم ولا ديناً يحركهم ، فتراهم يجلسون على الطرقات من أجل النظر للمتبرجات المتحللات اللاتي خرجن من بيوتهن على أكمل زينة وفي أحلى صورة ، خرجن يتمايلن فتميل قلوب الرجال إليهن .

وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة :

« **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** » [1] .

والله إن القلب ليعتصر أسى وحزناً حينما أمر في بعض طرقات

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٣/ ٢١٢٨) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٤) .

المسلمين العامة في غدوي ورواحي فأرى المسلمين وما زالوا يجلسون على الطرقات ، ربما إلى الفجر ويجلسون على المقاهي على نواصي الشوارع ، ربما إلى بعد منتصف الليل .

سبحان الله ! أين الوقت الذي يضيعه هؤلاء بل يقتلونه قتلاً ، ربما يجلس أحدهم على قارعة الطريق فيسمع النداء : حي على الصلاة حي على الفلاح ، فلا يحترق قلبه ، ولا تتحرك جوارحه ، ميت القلب ، عديم المشاعر والإحساس ، يسمع النداء ولا يتحرك ، بارد المشاعر ، بارد الأحاسيس ، والمصيبة الكبرى أنه متصور أنه مؤمن كامل الإيمان ما دام يردد بلسانه كلمة: « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » .

كلا ليس الإيمان كلمة باردة باهتة ترددها الألسنة ، دخان يطير في الهواء ، ولكن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

فالطرقات العامة مليئة بالمنكرات ، مليئة بالمفاسد ، مليئة بالفتن ، فهو طريق للعزيزة الشريفة الفاضلة ، وطريق للمتبرجة المستهزئة المتحللة ، ويزداد الألم حينما أرى شبابنا ، حينما أرى شباب الأمة الذي كان من المفترض فيه أن يكون دعامة حقيقية لنصرة هذا الدين .

أراه يقضي الليل كله على الشوارع ونواصي الطرقات ، أراه جالساً على المقاهي ، فربما تشاركوني هذه النظرة ، فأنا أعتبرها الآن ظاهرة ألا وهي ظاهرة انتشار المقاهي بصورة ملفتة . والذي يدمي القلب أن الكثرة الكاثرة على المقاهي الآن من الشباب ، لا أريد أن أعجز ، فما عليك إلا أن تنطلق إلى شوارع المنصورة أو إلى شوارع أي مدينة من المدن أو أي قرية من القرى على مستوى الأمة .

لقد رأيت ذلك بعيني في كل بلاد المسلمين أرى انتشار المقاهي وأرى كمية مؤلمة من شبابنا يجلس على المقاهي ، لا همَّ له إلا أن يداعب صاحبة

العيون الخضراء ، وإلا أن يشرح مشاعر صاحبة العيون الزرقاء ، وإلا أن يتندر بكلمة على الملأ يمشي في الطريق ، أو لعليل نحيف قد أكل جسده المرض ، وأنا لا أنكر أن مؤامرة حقيرة خطيرة قد أوصلت شبابنا إلى ما وصل إليه الآن ، فالشاب الآن يقضي كل عمره في دراسة باردة لا تسمن ولا تغني من جوع باستثناء بعض الكليات العملية المعروفة ، وإلا فما هي الثمار المرجوة من وراء هذا التعليم الطويل الممل ؟ ثم يقضي بعد ذلك أحلى سنوات عمره لينتظر وظيفة يتيمة حقيرة لا تكاد أن تطعمه خبزاً جافًا .

أنا لا أنكر هذا الواقع ، ولا أهمله ، ولا أتجاهله ، مؤامرة تدور على الشباب لتجعله ركاماً من تراب ، مؤامرة تقول لكم : تعالوا إلى الشهوات في ظل الشراب ، مؤامرة يخيط خيوطها أعداء سوء في لؤم الذئاب .

تفرق شملهم إلا علينا فصرنا كالفريسة للكلاب

مؤامرة ، وفي الوقت ذاته لا أريد أن أعفي شبابنا من المسؤولية ، فوالله لو خرج الشاب يضرب في الأرض لرزقه الرزاق والله لرزقه الرزاق ، كيف يرزق ربنا الكفار ولا يرزق من وحد العزيز الغفار ؟

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

[الطلاق:٢، ٣]

إن لم تجد عملاً في قريتك فاذهب إلى غيرها إلى مدينة أخرى فاذهب إلى دولة أخرى .

المهم أن تسعى وأن تصدق النية ، وكن على يقين إن صدقت أن رب البرية سيرزقك فهو القائل :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ

كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود:٦] أصدقك أبداً إن زعمت أنك تحركت بصدق ولم ترزق أبداً ؛ لأن الله جل وعلا يقول :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود:٦] .

وعلى قدر همتك وجهدك وبذلك سيكون فضل الله عليك بموعود الله وموعود الصادق رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت:٦٩]

وقال النبي ﷺ : « **إِذَا قَامَتْ الْقِيَامَةَ وَفِي يَدَي أَحَدُكُمْ فَسِيلَة** ـ أي : نبتة صغيرة ـ **فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا** »[(١)] .

لا تقل : قامت القيامة انظر إلى الدعوة إلى العمل إلى الجهد ، فالقلب يتألم حينما أرى كثيرًا من شبابنا ينام في البيت إلى ما بعد الظهر ، ليقضي النهار كله في النوم ثم ليقضي الليل كله في السهر على الشوارع ، وعلى النواصي ، وعلى المقاهي ، وفي الطرقات ، ثم بعد ذلك ربما يعنف والده إن لم يوفر له مصروفًا يكفيه هو وأصحابه . مأساة بكل المقاييس .

من هنا حذر النبي ﷺ من الجلوس على الطرقات بما فيها من هذه الفتن قال : « **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ** » قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، وفي رواية مسلم : نَتَحَدَّثُ فِي مَا لَا بَأْسَ ، إِنَّمَا نَجْلِسُ لِنَتَذَاكَرَ وَنَتَحَدَّثَ ، يعني : لا نجلس لمعصية ، فبين النبي ﷺ لهم أن من

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب اصطناع المال (١٨١/ ٤٧٩) ، وأحمد في مسنده (٣/ ١٨٤) .

اضطر لحاجة أن يجلس على الطريق فعليه أن يؤدي للطريق حقه ، قَالُوا : وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ الله ؟ قال ﷺ : « غَضُّ الْبَصَرِ » أنا أسأل وأقول : هل من يجلس في الشوارع والطرقات على النواصي يغض بصره عن المسلمات ؟

أنا أسأل : هل يغض بصره ؟ أم تراه قد ضبط الكرسي إلى موطن الشارع على اتساعه ليرى هذه وتلك ، وليدقق النظر في هذه بعد تلك ، بل وربما يجرح مشاعر مسلمة عفيفة بكلمة نابية ، بل وربما ذئب ، قلب مسلمة بكلمات خبيثة ما سمعتها من زوج يشقى ويعمل فتظن المسكينة أن الحياة الزوجية ما هي إلا هذه الكلمات التي تسمعها الآن ولأول مرة ، فترجع إلى البيت ليتحول قلبها على زوجها المسكين المجتهد الصادق من أجل أن تذهب إلى هذا الشرير الخبيث المجرم الذي عكر قلبها على زوجها بكلمات خبيثة خطيرة هو ما يقول كلمة منها لزوجته في بيته ، لكنه خبث القلوب وبغض النفوس .

فأول حق للطريق هو غض البصر ، من يغض البصر عن الطريق العام إنما جلس على قارعة الطريق الأعلى أو على ناصية من نواصي الطريق من يغض البصر ؟

البصر نعمة ، من أعظم النعم ، ما أنعم الله بها علينا لنستخدمها في معصية لنطلق العنان لهذا البصر اليوم إلى ما حرم الله ، وإنما لتستخدم هذه النعمة في مرضاة الله وطاعة الله :

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت:٢٠] .

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ

آلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠، ١٩١] .

هذا البصر ستسأل عنه : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] .

فالعينان هما الحاستان المطلتان من هذا الهيكل الجسماني على هذا الكون الفسيح بما فيه من خير وشر وحسن وقبح ، وانتبه فقد ينظر الرجل أو الشاب على قارعة الطريق إلى امرأة متبرجة ، ويدقق النظر ويعاود النظر ثم يرجع إلى بيته فيرى قلبه متقلباً على امرأته ، حتى لو وقف في الصلاة بين يدي الله يرى صورة المرأة أمام عينه في بيت الله ، حتى لو فتح الشاب من أبنائنا كتابه للمذاكرة والدرس رأي صورة المرأة تقذف إليه وسط الصفحة ، فإن أغمض حتى عينيه يراها وهو مغمض لعينيه . انظروا إلى خطر البصر لماذا ؟ لأن البصر إن نظر ودقق تنطبع الصورة التي رأتها العين في القلب ، فلا تفارق الصورة القلب بعد ذلك إلا إذا شاء من بيده القلوب .

اسمع لحبيب القلوب محمد ﷺ الذي يقول كما في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان :

« تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا » [(١)] .

انتبه معي لهذه اللفتة القرآنية الرائعة فقل من انتبه إليها ، سترون

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (١/ ١٤٤) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٦) .

العجب العجاب ففي سورة النور في آية واحدة يجمع الله عز وجل فيها بين غض البصر وحفظ الفروج .

وكأن غض البصر وحفظ الفروج خطوتان متتاليتان كلتاهما قريب لا تنفصل إحداهما عن الأخرى ، قال تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١] .

انظر إلى هذه اللفتة القرآنية الباهرة : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠]

وفي الآية الثانية : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١] .

فحفظ البصر وغض البصر مقدمة حتمية طبيعية لحفظ الفرج ، أو حفظ الفرج نتيجة حتمية لحفظ البصر .

وفي صحيح مسلم قال المصطفى ﷺ :

« الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلَانِ يَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ وَالْفَمُ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقُبَلُ وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ » (١) .

فأول حق من حقوق الطريق ولا أريد أن أطيل النفس في كل حق غض البصر .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٤/ ٢١قدر) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج (١١/ ٦٢٤٣) ، ومسلم في القدر ، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٤/ ٢٦٥٧) عن أبي هريرة بنحوه .

الحق الثاني : كفَ الأذى :

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ » (١).

فمن الأذى أن تضع سيارتك في الطريق ؛ لتعطل سير المسلمين ، من الأذى أن تترك ماء بيتك سواء كان هذا الماء طاهراً أو نجساً ؛ ليتسرب إلى شوارع وطرقات المسلمين ليؤذي المارة .

من الأذى أن يميل غصن من أغصان شجرتك المزروعة أمام بيتك ؛ ليعطل سير المارة .

فكف الأذى سواء كان مادياً أو معنوياً من حق الطريق .

قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري :

« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » (٢).

فمن كف الأذى : أن يسلم المسلمون في طريقهم من أذاك المادي والمعنوي ، إن جلست على الطريق فلا تغمز ولا تلمز ولا تغتب أحداً ولا تجلس بالنميمة بين هذه المجموعة لتنتقل بكلامها إلى مجموعة أخرى .

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب أمور الإيمان (١/ ٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان ، وأفضلها وأدناها (١/ ٥٨إيمان) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب رد الإرجاء (٤/ ٤٦٧٦) ، والترمذي في الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (٥/ ٢٦١٤) ، والنسائي في الإيمان ، باب ذكر شعب الإيمان (٨/ ٥٠١٩) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في الإيمان (١/ ٥٠٧) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٤) .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/ ١١) ، ومسلم في الإيمان ، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١/ ٤٢٠) ، والترمذي في الإيمان ، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥/ ٢٦٢٨) ، والنسائي في الإيمان ، باب أي الإسلام أفضل (٨/ ٥٠١٤) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٣) .

إن ترك الألسنة تلقي التهم جزافاً ، وتؤذي المسلمين في كل وقت ومكان يترك المجال لكل من شاء أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ، ثم يمضي هو إلى بيته آمنًا مطمئنًا فتصبح الجماعة المسلمة وتمسي وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة .

وإذا كان فرد فيها مهدد بالاتهام وهذه حالة من القلق والشك والريبة لا يمكن أن تطاق بحالٍ من الأحوال فمن حق الطريق كف الأذى .

الحق الثالث : رد السلام :

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه الماتع «الجامع لأحكام القرآن الكريم» قال : لقد أجمعت الأمة بلا خلاف أن الابتداء بالسلام سنة ، وأن رد السلام فريضة ، الابتداء بالسلام سنة ، أما رد السلام ففرض ، فمن حق الطريق إن جلست أن ترد السلام .

ويتألم الإنسان إذا قال لمجموعة من الناس يجلسون على قرعة طريق من الطريق السلام عليكم ورحمة الله فترد المجموعة : مساء النور ، مساء الفل ، مساء الورد ، نحن لا نكره النور ولا نتأذى من الفل ، بل نعشق الورد ، لكن ما هكذا علمنا الصادق ﷺ .

فالنبي ﷺ علمنا كل شيء كيف نلقي السلام ؟ وكيف نرد السلام ؟

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عَشْرٌ» .

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله .

فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ : « عِشْرُونَ » .

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ : « ثَلَاثُونَ » [(١)] أي : ثلاثون حسنة .

هذا هو السلام الذي سنه لنا رسول السلام ، وعليك أن ترد بما ألقي عليك أو بأحسن . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦] .

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ :

« تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » [(٢)] .

يعني : على من عرفت من المسلمين ومن لم تعرف من المسلمين .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هرْيرة أن النبي ﷺ قال :

« لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » [(٣)] .

وفي مسند أحمد بسند صحيح من حديث عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود في الأدب ، باب كيف السلام ؟ (٤/ ٥١٩٥) ، والترمذي في كتاب الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام (٥/ ٢٦٨٩) ، والدارمي في كتاب الاستئذان ، باب في فضل التسليم ورده (٢/ ٢٦٤٠) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٣٩ ، ٤٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٩٣٣ إحسان) ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام (١/ ١٢) ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١/ ٣٩) ، وأبو داود في الأدب ، باب في إفشاء السلام (٤/ ٥١٩٤) ، والنسائي في الإيمان ، باب أي الإسلام خير (٨/ ٥٠١٥) ، وابن ماجه في الأطعمة ، باب إطعام الطعام (٢/ ٣٢٥٣) .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١/ ٥٤) ، وأبو داود في الأدب ، باب إفشاء السلام (٥/ ٢٦٨٨) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في إفشاء السلام (٢/ ٣٦٩٣) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٢) .

بِسَلَامٍ »[1] .

فرد السلام فرض فمن جلس على قارعة الطريق لحاجة أو لضرورة فيجب عليه أن يرد السلام إن سلم عليه سلم من المسلمين .

الحق الرابع والخامس معاً :

حق جليل كبير وقل من يؤدي هذا الحق من المسلمين إلا من رحم ربك لاسيما في هذه الأيام ألا وهو :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فهو القطب الأعظم في هذا الدين وهو أشرف المهام التي بعث الله بها النبيين والمرسلين .

إن أهمل عمله وطوى بساط علمه تعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الجهالة ، وفشت الضلالة وهلك العباد وخربت البلاد ، ولن يشعر الناس بذلك الفساد إلا في يوم التناد ، فهو شرط من شروط خيرية هذه الأمة ، قال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فمن يجلس على قارعة الطريق ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إن رأى المنكر بين يديه ؟

وقد استشرى المنكر إن لم تؤد هذه الحقوق ، فلا تجلس إن عجزت عن أداء حق الطريق فلا تجلس .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب (٤٢) (٤/ ٢٤٨٥) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في قيام الليل (١/ ١٣٣٤) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٥١) ، والحاكم في المستدرك ، كتاب البر والصلة (٤/ ١٦٠) ، وقال أبو عيسى : حديث صحيح ، وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والله ما استشرت المنكرات واستشرى الفساد إلا يوم أن صار المسلمون ينظرون إلى المنكرات فيهز أحدهم كتفيه ، ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد ، بل لقد ضاع الحياء أين حياء رجل مسلم يريد أن يزوج ابنه أو ابنته فيأتي براقصة عارية في طريق من الطرق العامة ؛ لتطيل هذه المجرمة الخبيثة في عرض لحمها الرخيص أمام الرجال والشباب طوال الليل ؟ ثم يقول: أنا حر ، وهذا بكل أسف لا ينكر عليه وإن سبَّبَ إزعاجاً للمرضى ، أما إن رفع الأذان خارج بيت من بيوت الله أو طالت المحاضرة فيشتكي الناس ويتأذى الناس .

صار سماع صوت الأذان مؤذياً لكثير من أصحاب القلوب المريضة أما مثل هذه الحفلات الماجنة قل من تجد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل لو تقدم رجل من أهل العلم ، ومن أهل الفضل في حفل فاسد منحط كهذا وأخذ بمكبر الصوت وأراد أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر سيؤخذ به بالنواصي والأقدام ، ليلقي به في غيابات السجون .

مأساة ! صرنا نرى المنكرات فيهز أحدنا كتفيه ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه ، فكثرت المنكرات وانتشر الفساد ، وكثرت المعاصي والذنوب مع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مسلم ومسلمة . لا عذر لأحد بين يدي الله إلا أن يأمر بالمعروف وإلا أن ينهي عن المنكر بغير منكر ، فأنا لا أريد أيضاً أن أحول المجتمع إلى فوضى وإنما بضوابط سأبينها الآن .

لكن لماذا ؟ قلت : لقد أجمع أهل العلم على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين .

لأن منا من يستطيع أن ينكر بيديه بالضوابط الشرعية التي سأبينها ومنا من يستطيع أن ينكر بلسانه ، ومنا من لا يستطيع أن ينكر بيديه

أو بلسانه ، لكن لا عذر له بين يدي الله إن لم ينكر بقلبه ، هـذا يملكـه كـل مسلم ومسلمة .

قال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (١) .

رأيت منكراً أو تستطيع أن تغيره بيـديك دون أن يترتـب علـى إنكـارك لهذا المنكر ما هو أنكر فغـير بيـديك ، قـال ابـن القـيم ـ رحمـه الله تعـالى ـ انظروا إلى هذه الضوابط حتى لا يفهم شبابنا هذا التأصيل على غـير مـراد رسول الله ﷺ .

قال ابن القيم : إن النبي ﷺ قد شرع لأمته إجابـة إنكـار المنكـر ليحصـل من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإن كان إنكار يستلزم ما هـو أنكـر فهـو أمر بمنكر وسعيٌ في معصية الله ورسوله ولقد كان النبي ﷺ يرى بمكة أكـبر المنكرات لا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله عليه مكـة وصـارت مكـة دار إسلام ، وعزم النبي ﷺ على هدم البيت الحرام ورده على قواعد إبراهيم لم يفعل النبي ﷺ ذلك مع قدرته على فعل ذلك ؛ لأن قريشـاً كانـت حديثـة عهد بكفر ، وقريبة عهد بإسلام .

إذاً لابد في الإنكار في اليد من الموازنة بين المصالح والمفاسد ، بين المنكر الأصلي وبين المنكر الذي قد يترتب على إنكارك للمنكر الأصلي .

يأتي مجموعة من الشباب على حفل راقص ماجن ويسألون : أفتنا أيهـا

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمـان (١/ ٤٩) ، وأبـو داود في الصلاة ، باب الخطبة يوم العيد (١/ ١١٤٠) ، والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليـد أو باللسـان أو بالقلـب (٤/ ٢١٧٢) ، والنسـائي في الإيمـان بـاب تفاضـل أهـل الإيمـان (٨/ ٥٠٢٤) ، وابن ماجـه في إقامـة الصـلاة والسـنة فيهـا، بـاب مـا جـاء في صـلاة العيـدين (١/ ١٢٧٥) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠) .

الشيخ : إننا نريد أن نذهب الليلة إلى هذا العرس لنقطع التيار الكهربائي عنه ثم نضرب كل من حضر ضربًا مبرحًا ، نريد أن نغير هذا المنكر .

والله إذا استطعنا أن نغير المنكر بالقنوات الرسمية فهذا أمر جميل ، لكن إن لم نستطع وتقدمنا لتغيير المنكر بهذه الصورة ، ونحن على يقين أنه سيترتب على هذا التغيير ما هو أنكر من المنكر في العرس ذاته ، فعلينا حين ذلك أن ننتقل من مرحلة الإنكار باليد إلى مرحلة الإنكار باللسان ، فمن لا يستطيع فبلسانه ومن منا يعجز أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، بكلمة طيبة بكلمة رقراقة لا يعجز أحد أبداً عن هذا فإن لم يستطع تغييره بلسانه فبقلبه .

ومن رحمة الله بنا أن النبي ﷺ قد سمى إنكار القلب للمنكر جهاداً ، وهذه رحمة ، ففي صحيح مسلم ، من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » (١) .

أود أن أنبه المسلمين والمسلمات إلى أن الإنكار بالقلب لابد له من شطرين :

الأول : أن يبغض قلبك هذا المنكر .

الثاني : أن تزول أنت بنفسك عن موطن المنكر الذي عجزت عن تغييره

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٥٠) ، وأحمد في مسنده (١/ ٤٥٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٠) .

بيدك أو بلسانك .

فأتألم هذا الألم حينما يأتي بعض الشباب إليَّ وهُمْ يشتكون إليَّ عرفاً فاسداً فاسقاً منحلاً فيقول لي أحدهم : يا شيخ لقد كان في بلدتنا بالأمس عرساً . أتى به صاحب العرس براقصة عارية أقول له : هل رأيت ؟ يقول : نعم مكثت طوال الليل لعلهم ينتهون قبل الفجر فلم ينته العرس .

بل وتزداد المأساة حينما يجلس المسلم والمسلمة أمام التلفاز ليعرض التليفزيون مشهداً من مشاهد الرقص الشرقي الفاضح ، وترى المسلم ينظر إلى هذه الراقصة ويقول : «أستغفر الله ، أستغفر الله» وهو يدقق النظر في المنكر .

أنت ما أنكرت لا بيدك ولا بلسانك ولا بقلبك هذه المأساة .

وأما بقلبك فإنكار المنكر بالقلب أن يبغض قلبك المنكر ، وأنت تزال بكليتك عن موطن المنكر إن لم تستطع تغييره بيديك أو بلسانك إن كنت قادراً على أن تترك مكان المنكر .

فقد يرد عليَّ أحد المسلمين ويقول : عرض فيلم فاضح في الأتوبيس عن طريق أشرطة الفيديو ، وأنا في سفر ولي مصلحة ، ولا أستطيع أن أنزل من السيارة ، لا حرج عليك في هذه الحالة ، المهم أن يعلم الله من قلبك أنك تبغض هذا المنكر وأن تغض الطرف عن هذا المنكر ، وأن تفتح كتاب الله تبارك وتعالى لتقرأ فيه لتحفظ بصرك وقلبك من هذه المناظر الفاضة :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

لكن هناك دعوى خطيرة يقول بعض الإخوة : وما يضرني أنا إن لم أر المنكرات قد استشرت واستفحلت ما دمت أنا ولله الحمد قد ابتعدت عن هذه المنكرات .

والجواب : قد يزعم بعض إخواننا أنه لا ضرر عليه ولا إثم ما دامت المنكرات بعيدة عنه ، ما دام لم يقع فيها هو بنفسه ، ولقد خشي الصديق ـ رضي الله عنه ـ من هذه الشبهة قديمًا فارتقى المنبر فبين الحق ، وقال بعدما حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس ، إنكم تقرؤون آية في كتاب الله وتضعونها في غير موضعها ألا وهي قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]

وقال الصديق : وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ الله أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » (١) .

وفي لفظ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ يُوشِكُ الله أَنْ يَعُمَّهُمْ جَمِيعًا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ » هذا هو الواقع .

وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ يَوماً من نَوْمِه أَوْ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ :

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي (٤/ ٤٣٣٨) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب « سورة المائدة » (٥/ ٣٠٥٧) ، وأحمد في مسنده (١/ ٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١) ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

« لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ».

وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ : زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟

قال : « نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» (١) .

وأنا أقسم بالله إن الخبث قد كثر ، فنحن جميعاً نركب سفينة واحدة ، يركبها الصالحون مع الطالحين ، فإن نجت السفينة ـ أي سفينة مجتمع نجي الطالحون مع الصالحين ؛ وإن هلكت السفينة هلك الصالحون مع الطالحين .

ففي صحيح البخاري من حديث النعمان بن بشير أن البشير النذير ﷺ قال :

« مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا » (٢) .

فيجب على أهل الإصلاح والصلاح أن يأخذوا على أيدي السفهاء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قصة ياجوج وماجوج (٦/ ٣٣٤٦) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم ياجوج وماجوج (٤/ ٢٢٨٠) ، والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في خروج ياجوج وماجوج (٤/ ٢١٨٧) ، وابن ماجه في الفتن ، باب ما يكون من الفتن (٢/ ٣٩٥٣) ، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٥/ ٢٤٩٣) ، والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب (٤/ ٢١٧٣) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٨) .

والصالحين . إن عجزت بيدك فبكلمة رقيقة رقراقة عذبة حلوة أو برسالة مهذبة أو بتليفون هاتف هادف المهم ألا تكون سلبياً ، فإن السلبية تخيم الآن على أسماع الأمة ويعلق كثير من الأخطاء على غيره ، على الحكام ، على العلماء ، على اليهود على غيرهم ، وينسي أحدنا أن ينظر إلى خطئه هو ، وإلى تقصيره هو ، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من هذا فقال :

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٦٥] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن المنكر بغير منكر حق من أعظم حقوق الطريق قال المصطفى ﷺ :

« إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ » .

قَالُوا : وَمَا حَقُّهُ ؟

قَالَ : « غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ » [1] .

---

(١) سبق تخريجه .

حقوق يجب أن تعرف

حق الزوج

على الزوجة



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الزوج على الزوجة

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السنة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الزوج على الزوجة** » .

الزواج مملكة إيمانية ، الزواج آية ربانية وسنة نبوية وفطرة إنسانية وضرورة اجتماعية ، وسكن للغريزة الجسدية ، والحياة الزوجية مملكة إيمانية . الزوج ملكها ، وربانها ، والمسيِّر لأمورها وشؤونها ، بما جعل الله له من قوامة في قوله تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء:٣٤] .

والزوجة هي الأخرى ملكة متوجة في هذه المملكة الكريمة فهي شريكة الحياة ، ورفيقة الدرب ، وقرة العين ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١] .

فمن الرعية في هذه المملكة الإيمانية ؟ الرعية بين هذين الملكين الكريمين هم ثمرة الفؤاد ، ولُب الكبد ، وزهرة الحياة الدنيا هم الأولاد قال تعالى :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦]

هذه المملكة إيمانية إن ظل سماءها منهج رب البرية ، وسيد البشرية وروي نباتها بماء الإخلاص ، والمودة ، والرحمة الندية ، آتت ثمارها كل صبح وعشية وأينعت أرضها كل زهرات الحب ، والوفاء ، والأخلاق العلية ، وإن ظهرت في أرض هذه المملكة يوماً ما نبتة شوك لخلاف أو لمشكلة أسرية ، فسرعان ما تذبل هذه الشوكة أو تموت ، فإنه لا يمكن بحال أن تنمو هذه الشوكة في مثل هذه الأرض الطاهرة الذكية ، فوالذي نفسي بيده إن سر الضنك الذي تحياه الآن كثير من الأسر المسلمة سببه البعد عن منهج الله ، والبعد عن شرع الحبيب رسول الله ﷺ ، مع التقليد الأعمى للشرق الملحد وللغرب الكافر ، فإن كثيراً من بيوت المسلمين الآن هزمت هزيمة نفسية نكراء فراح الولد يحاكي الرجل الغربي الكافر ، وراحت المسلمة تحاكي المرأة الغربية الكافرة التي لا تعرف ديناً ، ولا خلقاً ، ولا وازعاً من عفة وحياء ، وتحولت كثير من الأسر المسلمة الآن إلى دمي ممسوخة ، ممسوخة الهوية ، ممسوخة الاعتقاد، ممسوخة الأخلاق ، وإن ما نراه الآن في الجامعات والشوارع والطرقات من تبرج سافل ومن عرى يؤلم القلب ، ومن بناطيل تلبسها الفتيات بلا خجل أو حياء من أعظم الأدلة على خراب الأسر ، وعلى فساد البيوت فأنا لا أتصور أن بنتاً تخرج بهذا الزي الفاضح ، خرجت من بيت فيه رجل ، لا أتصور أن هذه الفتاة أو أن هذه المرأة التي خرجت بهذا الزي الفاضح خرجت من بيت فيه رجل .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

نعم أيها المسلمون أيتها المسلمات : إن سر الضنك الذي تحياه الآن كثير من البيوت المسلمة ، هو البعد عن منهج الله ، هو البعد عن شرع رسول

الله ، هو التقليد الأعمى للشرق الملحد والغرب الكافر ، إننا بكل أسف نبحث عن غاية كل شيء من حولنا خُلق من أجلنا .

تدبروا ، إننا بكل أسف نبحث عن غاية كل شيء من حولنا ، خُلق من أجلنا في الوقت الذي ننسى فيه أن نبحث عن الغاية التي خلقنا نحن من أجلها قال تعالى :

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٣] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

هذه هي الغاية ، هذه هي الغاية التي من أجلها خُلقت ، ومن أجلها يجب أن تقيم الأسرة المسلمة ، فإن الحكومة المسلمة لا تأتي من المريخ ، لا تأتي من باطن الأرض إنما تأتي كثمرة حقيقية صادقة للمجتمع ، واللبنة الأولى في هذا المجتمع الإسلامي هي الأسرة والخطوة الأولى في بناء الأسرة واختيار الزوجة الصالحة التقية النقية التي تعين زوجها على هذه الغاية العظيمة ، على أن تتحول الأسرة إلى لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي الصالح الذي يوحد الله جل وعلا ، ويسير على درب النبي ﷺ .

إن سفينة الحياة الزوجية لا يمكن أن تخوض بحر الحياة بهدوء واتزان واستمرار ، إلا إذا قادها زوج مؤمن تقي ، وتحكم معه في توجيه دفة السفينة إلى كل خير وفضيلة ، زوجة صالحة مؤمنة تقية زكية .

وهذا هو عنصرنا الثاني :

حق الزوج على زوجته :

إن حق الزوج على زوجته عظيم ، وقد تعمدت أن أبدأ بالحديث عن حق الزوج امتثالاً منا لهدي إسلامنا لا لتأصيل الغرب الذي يقدم الآن

المرأة على الرجل ، ظناً من هؤلاء أن المرأة لذلك قد كرمت .

لا والله ، بل إن الغرب هو أول من أساء للمرأة ، وإن الإسلام هو أول من كرم المرأة ، إن المرأة في بلاد الغرب يتلهى بها ويستمتع بها وهي شابة جميلة ، فإذا بلغت سنًا ما يرمي بها في إحدى دور العجائز والمسنين لا يلتفت إليها لا من المجتمع ، بل ولا من أولادها الذين يتركون البيت في سن مبكرة ، ولا يرجعون إلى الأم إلا فيما يسمونه عندهم باحتفالات أعياد الميلاد .

التقيت بامرأة أمريكية شرح الله صدرها للإسلام وكنيتها بأم عمر وزوجتها برجل مسلم مصري ، وبعد أيام أصرت المرأة أن أزورها في بيتها وفي بيت زوجها فقلت لها : يا أم عمر ، ما شعورك الآن بعد ما شرح الله صدرك للإسلام ؟ فقالت أم عمر الأمريكية التي ما عرفت الإسلام إلا من أسبوع واحد قالت : والله يا شيخ أتمنى الآن أن أصرخ بأعلى صوتي لأسمع كل امرأة أمريكية ، أنني أخيرًا وجدت ديناً يحفظ للمرأة كرامتها ، إنه الإسلام إنه دين محمد ﷺ ، وسأبين ذلك في اللقاء المقبل حينما أتحدث عن حق الزوجة على زوجها بإذن الله جل وعلا .

أبدأ بحق الزوج تأدبًا منا بأدب القرآن :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء:٣٤] .

وأرجو أن تنتبه معي أختي المسلمة الفاضلة :

الحق الأول : حسن الخلق :

نعم إن من أعظم حقوق الزوج على زوجته أن تعامله معاملة كريمة مؤدبة مهذبة طيبة ، فما أجمل حسن الخُلق ، وما أقبح البذاءة وطول اللسان ؟

حسن الخلق قد تكون الزوجة ذات نقص في الجمال أو في المال أو في العلم أو في الجسم ، لكنني أؤكد أن الزوجة المؤمنة الصالحة الذكية تستطيع أن تعوض كل ذلك بحسن خلقها بأدبها بكلمتها الحلوة العذبة الرقيقة ، فإن حسن الخلق ، وكظم الغيظ ، والكلمة الرقيقة ، والبعد عن كل ما يخدش الشرف والحياء لهو البلسم والدواء الذي يداوي كل جراح ، بل إن حسن الخلق هو السحر الحلال الذي تأسر به الزوجة قلب زوجها .

جميل ورب الكعبة أن نُذَكِّر بأن إسلامنا هو دين الخلق ، بل إن الغاية التي بعث النبي من أجلها بعد أن يعبد الناس الله هي : حسن الخلق .

قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » (١) .

ومن ثم زكى الله نبيه بحسن الخلق ، فقال جل وعلا لنبيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

أيتها الزوجة المسلمة ، تدبري قول النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وابن حبان من حديث أبي الدرداء أنه ﷺ قال :

« مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ » (٢) .

وأرجو ألا يظن واحد منا أن هذا الكلام للزوجة فحسب ، وسيسمع هو الآخر بعد ذلك إن شاء الله .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد ، وابن حبان ، والبزار ، والطبراني من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سئل النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨١) ، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٥١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٧٩٧٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٣٤٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٢٠٠٢) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٤/ ٤٧٩٩) ، وأحمد (٦/ ٤٤٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٥٧٢٢) .

عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تَقْوَى الله ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « الْفَمُ وَالْفَرْجُ » [١] اللسان والفرج ، اللسان مصيبة كبيرة إن لم يلجم بلجام الشرع والتقى ، والفرج إن تعدى الحلال وراح ليرتع في مستنقع الحرام الآثم العفن ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « الْفَمُ وَالْفَرْجُ » .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وابن حبان من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » [٢] .

تدبري أيتها الزوجة : إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم . ومن رقيق وجميل الأخلاق أن ترضى الزوجة بما قسم الله لها ، لا تُعَير زوجها بفقره أو بقلة شهاداته العلمية أو بقلة نسبه وحسبه ، بل يجب على الزوجة المسلمة الصابرة أن ترضى بما قدر لها ربها ، وبما قسم لها ربها جل جلاله ، فإن الله قد قسم الأرزاق بين العباد بعدله وحكمته ، وهو اللطيف الخبير : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤] .

فإن شعر الزوج الذي ربما يكون من متوسطي الحال في المال والجمال والشهادة العلمية والصحة ، قد يكون الزوج كذلك ، فإن رأي الزوج زوجته راضية قانعة بما قسم الله وبما قدر الله ، شعر الزوج بالسعادة والراحة والطمأنينة ، وحولت الزوجة برضاها الضيق إلى سعة ، والمرض إلى صحة ، والضعف إلى قوة وثقة .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٢٠٠٤) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب (٢/ ٤٢٤٦) ، وابن حبان (١٩٢٣) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٢٨) .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٤/ ٤٧٩٨) ، وابن حبان (١٩٢٧) .

وأرجو أن تتذكر الزوجة المسلمة قول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ـ أي عن كثرة المال ـ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ »[(١)] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ »[(٢)] .

أيتها الأخت المسلمة ، لا تنظري إلى أصحاب العمارات الشاهقة والمراكب الفاخرة ، والأساس الفخم الضخم ؛ لأن هذا سينغص عليك الحياة وسيدخلك دوامة الهموم ، أو المشاكل ، والأحزان ، والآلام التي لا تنتهي ، لا تعيري الزوج بهذا ، إن عجز عن أن يحقق لك كل ما تريدين ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . بل احمدي الله عز وجل أن رزقك بزوج في الوقت الذي تتمنى فيه أختك زوجاً ، احمدي الله عز وجل أن رزقك بالأولاد في الوقت الذي تتمنى فيه غيرك الأولاد ، احمدي الله عز وجل أن رزقك ببيت ولو كان متواضعاً فقيراً ، في الوقت الذي تتمنى فيه أختك الفقيرة عشة صغيرة ، تأوي إليها ممن شردوا من ديارهم وأوطانهم في الشيشان على يد الدب الروسي الغبي .

الآن وفي فلسطين على يد الأنجاس من اليهود وفي طاجيكستان وفي تركستان وفي الفلبين وفي كشمير وفي باكستان ، وفي كل مكان احمدي الله على ما أنت فيه من نعمة ، واعلمي بأن فضل الله عليك عظيم ، يقول تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب الغني غنى النفس (١١/ ٦٤٤٦) ، ومسلم في الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٢/ ١٠٥١) ، والترمذي في الزهد ، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس (٤/ ٢٣٧٣) ، وابن ماجه في الزهد ، باب القناعة (٢/ ٤١٣٧) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣) .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة (٢/ ١٠٥٤) ، والترمذي في الزهد ، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٤/ ٢٣٤٨) ، وابن ماجه في الزهد ، باب القناعة (٢/ ٤١٣٨) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨) .

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

أختاه ، هل فكرت في كل نعمة أنعم الله بها عليك ، هل شكرت الله على نعمة البصر ؟ هل شكرت الله على نعمة السمع ؟ هل شكرت الله على نعمة الأنف ؟ هل شكرت الله على نعمة اللسان ؟ هل شكرت الله على نعمة القلب الصحيح ؟ هل شكرت الله على نعمة الجوارح التي عافاها الله من المرض ؟ هل شكرت الله على التوحيد ؟ هل شكرت الله على الإيمان ؟ هل شكرت الله على الإسلام ؟ هل شكرت الله على انتسابك للنبي محمد عليه الصلاة والسلام ؟ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨] .

وتدبري قول النبي المختار كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة :

« انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ـ أي في الدنيا ـ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ » (١) .

لا تزدري نعمة الله ، وأنت يا أختاه لا تزدري نعمة الله عليك ، ارضي بما قسم الله لك ، لا تعكري صفو الزوج من آن لآخر ، فلانة أتى لها زوجها بكذا وكذا ما أسعدها ، ما أهنأها ، ثم تتضرع إلى الله ، أن يخرب بيوت من زوجوها إلى زوجها ، ثم تتسخط على قدر الله ، وتقول : إنه ليوم أسود يوم أن دخلت عليّ بيتي وزوجني أبي لك .

هذا تسخط على قدر الله بالغ ، فارضي بما قسم الله لك ، فما أجمل الرضا ! وما أحلى خلق الرضا ! .

ومن جميل حسن الخلق ، الوفاء ما أحلى الوفاء ! وما أطعمها والله من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه (١١/ ٦٤٩٠) ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٣/ ٨،٩) .

كلمة ، وما أرقها والله من حروف ، ما أجمل الوفاء ! وما أقبح اللؤم ! وما أقبح الإنكار والجحود ! إن الوفاء خلق رقيق .

أيتها الأخت المسلمة ، الأيام دول .

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

فكم من عزيز أصبح ذليلاً ؟ وكم من غني أصبح فقيرًا ؟ وكم من قوي أصبح ضعيفًا مريضًا ؟ فالزوجة الوفية التي تظهر أصل معدنها ، هي التي تحول بوفائها مرض زوجها إلى عافية وثقة ، وهي التي تحول بوفائها فقر زوجها إلى سعة ورخاء ، هي التي تحول بوفائها ، ضعف زوجها وذله إلى عز واستعلاء . استعلاء الإيمان ، واستعلاء الثقة بالله جل وعلا ، ما أحلى الوفاء ! وما أقبح اللؤم ! وما أقبح الإنكار ! وما أقبح الجحود حين يرى الزوج زوجته في لحظة من اللحظات تنسف كل ما قدمه من خير ، وعطاء، إن زل زلة ، الزوج ليس ملكاً ولا نبياً ، إنما هو بشر يخطئ ويصيب ، وأنا قدمت الخطأ ، يخطئ ويصيب ، فإن أخطأ الزوج فعلى الزوجة أن تغفر خطأه وأن تغفر زلته ، وأن ترحم ضعفه ، وأن لا تنسف بكلمة وبجرة قلم جهد الزوج ، وجهاده ، وعطاءه ، وبذله ، فإن هذا أمر يؤلم القلب حقاً ، بل إن الزوجة الوفية إن رأت زوجها قد تحول من الغنى إلى الفقر ومن العز إلى الذل ، ومن القوة إلى الضعف تستر عليه ، وتغفر ذنوبه وتستر عيوبه وهي تذكره دوماً بقول الله :

﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٧]

وتقرأ عليه دوماً قول الله : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

[الرحمن:٦٠]

فمن الأحاديث التي أتمنى على كل زوجة أن تتبعها قوله ﷺ :

«لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» (١) .

ما هذه البلاغة ؟! ما هذا الجمال الرائع ؟! والله لو لم أقل في هذا الموضوع إلا هذا الحديث لكفى: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» .

يا له من حق كفيل عظيم ، فالطاعة وأنا أؤكد أغلى ما تدخر وأثمن ما تملك هو زوجة صالحة مطيعة ، إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها لسفر حفظتك في عرضها ، ومالك أغلى ما تكنز ، ما قيمة المال إن كانت الزوجة والعياذ بالله مفرطة في الشرف ، ما قيمة المنصب إن سمع الزوج مهما كان منصبه أن امرأته فاسقة قذرة لا تصون عرضها ، ولا شرفها ، ولا كرامة زوجها ، ولا كرامة أهلها ما قيمة المال وما قيمة المنصب، وما قيمة الجاه ، وما قيمة الحسب والنسب إن فرطت المرأة في الشرف ؟! ثم ما قيمة الرجل مهما كان منصبه إن كان ديوثاً قذراً يقبل على زوجته الفحش والحرام ما قيمة هذه الرجولة ؟!

إنها رجولة في الوحل والطين لا يغار الرجل على أهله وأن يترك الرجل امرأته تكلم هذا بدون ضوابط وبدون أسباب ، وتدخل هذا البيت بدون ضوابط وبدون أسباب حتى ولو كان أخوك ابن أمك وأبيك لا يحل لأخيك أن يدخل بيتك ، بيت زوجتك في غيابك ، فوالله ما انحرفت البيوت إلا يوم أن تركنا رسول الله ، وشرع رسول الله ورحنا لنقلد الشرق الملحد القذر والغرب الكافر الضال .

سئل النبي عن الحمو أخو الزوج قال : « الْحَمْوُ الْمَوْتُ ، لَا يَخْلُوَنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (٣/ ١١٥٩) ، وابن ماجه في النكاح ، باب حق الزوج على المرأة (١/ ١٨٥٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١ ، ١٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٥٢٩٤) .

رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ، مَا اجْتَمَعَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَّا وَكَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » (١) .

لا تترك امرأتك هكذا تدخل من تشاء وتخرج من تشاء وتكلم من تشاء ، لا يا أخي أين الرجولة ؟ أين الغيرة ؟ أين الشهامة ؟ ثم أين الدين ؟ أين الإسلام ؟ أين الخلق ؟ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] .

فعلى الزوجة أن تطيع زوجها طاعة كاملة في غير معصية الله ورسوله قال المصطفى ﷺ المعلم والمربي في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان والبزار ، وغيرهم بسند صحيح من حديث أبي هريرة قال المصطفى ﷺ : « إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ » (٢) .

يا له من كرم وفضل ، ما أحلى كلام المصطفى ! والله إذا صلت المرأة خمسها لا تضيع الصلاة من أجل إعداد الطعام للزوج ، لا لا إن قال الزوج الطعام : قولي : الصلاة ، قولي : الصلاة « إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا » لا تضيعي الصلاة من أجل الطعام ، لا تضيعي الصلاة من أجل المسلسلات ، لا تضيعي الصلاة من أجل الأفلام ، لا تضيعي الصلاة من أجل الثرثرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، قومي للصلاة : « إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ » .

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ، والدخول على المغيبة (٩/ ٥٢٣٢) ، ومسلم في كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (٤/ ٢١٧٢) ، والترمذي في الرضاع ، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات (٣/ ١١٧١) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩١) ، والطبراني في الكبير (٤/ ٣٠٥ مجمع) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦١) .

ومن أعظم الحقوق التي يجب على الزوجة أن تطيع فيها الزوج في أي وقت يشاء ويريد ، حق الزوج في الفراش ، فإن الزوجة إن امتنعت عن زوجها إن دعاها لفراشه بغير سبب فقد ارتكبت كبيرة من الكبائر ، امتناع الزوجة عن فراش زوجها بغير سبب كبيرة من الكبائر ، كأن يدعو الرجل امرأته مثلاً لفراشه وهي حائض فتقول له : لا ، أما إن استمتع بامرأته بعيداً عن الجماع في الفرج ، فلا بأس ولا حرج ، كما كان يفعل المصطفى مع نسائه ﷺ ، فإن امتنعت المرأة عن الزوج لدلال أو للضغط عليه أو لوضع أنفه في التراب ، أو من أجل أن يأتي الزوج لها بما تشتهي ، وبما تريد بغير سبب شرعي فقد ارتكبت الزوجة كبيرة من الكبائر ماذا قال المصطفى ؟ والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا »[1] .أي زوجها ، وفي لفظ في الصحيحين : « إِلَّا بَاتَتْ تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ »[2] .

حق كبير قد يخرب البيوت بل وقد تكون المرأة سببا في خروج ، وهروب الزوج من البيت وخروجه إلى مستنقع الرذيلة الآثم العفن ، فإن الرجل لو اشتهى امرأة وعاد إلى امرأته في البيت كما علمنا نبينا وحبيبنا فجامع امرأته ذهب الذي كان يجده في قلبه فإن عندها ما عندها .

ومن أعظم حقوق الزوج بل ومن أعظم الطاعة ، إن غضب الزوج أن تحرص المرأة على إرضائه من حقه ، عليك يا أختاه إن غضب بسبب خطأ منك أن تبادري بالاعتذار والتأسف ، لا تتكبري .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (٩/ ٥١٩٣) نحوه، ومسلم في النكاح ، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها (٢/ ١٢١ نكاح) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (٩/ ٥١٩٤) ، ومسلم في النكاح ، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها (٢/ ١٢٢ نكاح) .

وأرجو أن تنتبه المسلمة إلى أسلوب الاعتذار ، فقد تعتذر المرأة بأسلوب فيه عجرفة وكبر فيرفض الزوج الاعتذار ثم تقول : اعتذرت إليه فرفض .

أنت ما اعتذرت ، بل ذهبت بكبر واستعلاء ، أما إن كان الخطأ من الزوج ومع ذلك فهو غاضب ، فاصبري حتى يهدأ وينتهي غضبه ، وفي وقت الهدوء يكون التفاهم سهلا جداً وميسوراً ، فإن عاد الزوج من عمله مغضبًا لسبب من الأسباب في عمله خصم منه يوم ، ضايقه رئيسه ، ضايقه زميله نمى عليه في العمل إلى آخر .

هذه المضايقات اليومية تقريبًا ، فإن عاد الزوج مغضبًا ، فاصبري عليه وأرجو أن تنتبه الزوجة الزكية أن لا تلح في طلب معرفة سبب الغضب (زعلان ليه ؟ فيه إيه؟ ، عملوا إيه؟ ، فصلوك ، رفدوك) .

هذا يؤلم قلب الزوج ويزيد الزوج غضبا على غضبه ، بل تعلمي أيتها المسلمة من أمك خديجة ـ رضوان الله على خديجة ـ يرجع إليها الحبيب الزوج الوفي « زَمْلُونِي زَمْلُونِي » والرسول يرتعد ما تكلمت كلمة زملته غطته ، وتركته حتى استراح فلما استيقظ وهدأ عنه الروع وذهب عنه الروع وهدأت نفسه ، هو بنفسه الذي قص عليها ما قد كان ، فقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبدًا ، هذه الزوجة الصابرة الذكية الألمعية التقية ، فالطاعة من أعظم حقوق الزوج .

ثالثا : الأنوثة ، والزينة ، والاهتمام بجمال ونظافة البيت :

من أعظم الحقوق أن يرى الرجل امرأته جميلة طيبة وأنا أحذر كل زوجة من الرائحة الكريهة من رائحة الفم ، من رائحة العرق ، من رائحة الثياب، أتكلم بكلام واضح وصريح فلا حرج في ديننا أبدا ، ولا تقل : لا حياء في الدين .

فإن الدين كله حياء لا حرج في الدين ، أحذر الزوجة من العرق ، من

رائحة الفم ، من رائحة الثياب ، فإنه يؤلم القلب أن ترى الزوجة المسلمة قبل خروجها للعمل أو للشارع أو للأسواق تتزين وتتجمل وتتعطر على مرأى ومسمع من زوجها ، ثم إذا جالست الزوج في البيت جلست معه بالثياب الذي عطرتها رائحة البصل والثوم فيتألم الرجل ثم تزعم الزوجة : لا لا أنا أثق في حب زوجي لي ، كلا إن الحب قد يزول بسببك أنت وأنت لا تشعرين ، الزوج بفطرته ينفر من الرائحة الكريهة .

وسنشير في مثل هذا للزوجة أيضاً بالنسبة للزوج ، فإن كثيرًا من الأزواج لا يراعون أيضا مثل هذا الحق ، كما سأفصل يرجع من العمل أو من الشارع أو من السفر بعرقه وبرائحته ، ثم يطلب الزوجة للفراش فتمتنع الزوجة والسبب منه هو ؟ !

لا يكلفك أن تدخل لتتزين بأجمل زينة ألا وهي زينة الماء ثم تقبل على امرأتك ، فإن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان يقول : إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي امرأتي .

الزينة وأطيب الطيب يا أختاه الماء وأجمل الزينة يا أختاه الكحل ، أطيب الطيب الماء ، لو وضعت المرأة عليها زجاجة من العطر ، دون أن تطيب نفسها بالماء فلا قيمة لهذا العطر ، فأطيب الطيب الماء ، وأزين الزينة وأجملها الكحل « **إن الله جميل يحب الجمال** » والحديث في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ** »[1] .

الأنوثة أن يشعر الرجل أنه مع امرأة تتفنن في جذب قلبه في إرضاء عينه، في إرضاء نفسه باللبس تارة وبتسريحة الشعر تارة ، وبكحلها بعينها تارة ، وبرائحتها الذكية تارة ، وبكلمتها الرقيقة الحلوة العزبة تارة ، إلى آخر هذا .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩١) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٣ ، ١٣٤) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٢٦) .

ثم فلتحرص المرأة على جمال البيت ، ونظافة البيت ، حرم عليك الإسلام أن تضعي العطر لغير الزوج ، فإن النبي ﷺ يقول كما في مسند أحمد بسند صحيح من حديث أبي موسى الأشعري :

« **أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ** ـ انتبه يا رجل ، انتبه أيها الرجل في البيت ، انتبهوا يا رجال ـ **أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ** ـ أي وضعت العطر ـ **ليجد الرجال منها ذلك** ـ يعني لغير الزوج للخروج لزملاء العمل في الوظيفة ـ **أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ** »[(١)] .

كلام المصطفى في هذا الحديث من باب قوله : «**الْعَيْنُ تَزْنِي وَزِنَاهَا النَّظَرُ ، وَالْأُذُنُ تَزْنِي وَزِنَاهَا السَّمْعُ ..** »[(٢)] وإلى آخر حديث النبي .

فأين الرجال وأين الآباء وأين الإخوة الأفاضل الكرام الذين يسمعون في بيوت الله عن الله وعن رسول الله ؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

رابعًا : من حق الزوج على زوجته أيضًا أن تكرم الزوجة أهل الزوج :

أمر مؤلم أن تكون الزوجة سببا لأن يعق زوجها أمه أو أباه إن دخل قالت : أمك فعلت ، أمك صنعت أعوذ بالله قال رسول الله ﷺ:

« **رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ** » قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : « **مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ** »[(٣)] .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤١٤ – ٤١٨) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٩٦) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب الجوارح دون الفرج (١١/ ٦٢٤٣) مختصراً ، ومسلم في القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٤/ ٢١ قدر) ، وأبو داود في النكاح ، باب ما يؤمر به من غض البصر (٢/ ٢١٥٢، ٢١٥٣ ،٢١٥٤) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ، فلم يدخل الجنة (٤/ ٢٥٥١) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٦) .

والحديث في صحيح مسلم .

وقال ﷺ « **الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله** »[1] . والحديث في الصحيحين من حديث أنس .

فهل تريد الزوجة المحبة لزوجها أن تؤدي بزوجها في هذه المهالك المحرقة القاتلة ، بأن تكون سبباً في قطيعة الرحم بين الزوج وبين أبيه ، بين الزوج وبين أمه ، بين الزوج وبين أهله .

روى الحاكم في المستدرك بسند حسن من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ انتبه مَنْ أعظم الناس حقا على المرأة ؟ قال المصطفى : « **زَوْجُهَا** » ، فقالت : فَمَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَى الرَّجُلَ ؟ قال المصطفى : « **أُمَّهُ** »[2] ولم يقل زوجته .

على شبابنا الذي يتزوج في بيت أسرته ، وتكون الزوجة في البيت وتحدث المشاكل كثيرًا بسبب هذا: يا أخي ، اعقد اتفاقية بينك وبين زوجتك قل لها : أنا لا أغضب أمي ، بل سأرضيها على الدوام ، فإن عدت من العمل فوجدت أمي تشكو لي فسامحيني ، سأرفع صوتي عليك ، وأرضي أمي بكلمات طيبة في حضورك ، واعلمي أن هذا من لساني ، أما أنت أيتها الزوجة ففي القلب لكن كوني عونا لي على طاعة الأم ، وعلى إرضائها . ثم اترك أمك بعدما استقرت نفسها واستراحت بكلمتك الطيبة أمام الزوجة ، اترك الأم وادخل إلى غرفتك واحتضن امرأتك ، وضم امرأتك إلى صدرك ، وأسمعها الكلمات الحانية الرقراقة الطيبة ، وأنت بذلك قد جمعت بين إرضاء الأم وإرضاء الزوجة في آن واحد .

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم ، وتحريم قطيعتها (٤/ ٢٥٥٥) ، وأحمد مسنده (٢/ ١٦٣) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٧٥) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

الأمر يحتاج إلى جهد جهيد لكنه يحتاج إلى صدق ، وإلى إخلاص في الحب من الزوج لزوجته ، ومن الزوجة لزوجها ، فمن الحقوق أن تحرص الزوجة على أن تكرم والد زوجها ووالدة زوجها وأهله في وجوده وحضوره .

لا تظن المسلمة أن إكرام الأهل : أن تفتح الباب في غياب الزوج لأخيه تارة ولعمه تارة وخاله تارة ، ولابن عمه ، ولابن خاله ، وتقول : يا شيخ أنت قلت : أكرموا الأهل . لا ، هذه معصية لكن في حضور الزوج فلتبالغ المرأة في أن تقدم وأن تكرم أهل الزوج .

ومن أعظم الحقوق التي يجب علىّ أن أذكر بها الزوجات المسلمات الآن :

حق الاهتمام بتربية الأولاد :

ماذا تقولون يا إخوة لو أن زوجة دخلت يومًا على زوجها ، وطلبت منه ورقة بيضاء ، وكتبت فيها بسم الله الرحمن الرحيم . إلى زوجي الفاضل رحمه الله وبعد :

فإني أقدم لك الليلة استقالتي من تربية الأولاد .

ماذا تقولون في هذه الزوجة ؟ ستتهم حتما بالجنون ، لكن صدقوني إذا قلت: إن استقالة جماعية تربوية قد وقعت الآن في كثير من بيوت المسلمين، استقالة كثير من الأمهات تربويا ، وانشغلت الأم بالوظيفة مع أنها لا تحتاج إلى الوظيفة ، أو انشغلت بالجلوس أمام التلفاز ، أو بالخروج إلى الجارات ، أو إلى الأسواق ، أو إلى البحث في الجرائد والمجلات عن أحدث الموضات ، والموديلات والبرفانات ، وتركت الأولاد ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فراح الأولاد يبحثون عن قوتهم التربوي في الإعلام الخبيث ، وأكرر للمرة الثالثة في الإعلام الخبيث الذي لا يرقب في المؤمنين إلاّ ولا ذمة ،

راح الأولاد يبحثون عن قوتهم التربوي في الإعلام الخبيث تارة ، وفي المدارس تارة ، وفي الشوراع والطرقات تارة ، وشعر الأولاد بالفعل باليتم التربوي .

فليس اليتيم من انتهى أبواه وخلفاه في هم الحياة ذليلا
إن اليتيم هو الذي ترى له أماً تخلت أو أباً مشغولا

شعر الأولاد باليتم التربوي ، فظنت الأم أن وظيفتها أن تحمل وأن تضع ، وأن تقدم الطعام والشراب للأولاد فحسب ، كلا بل إن مدرسة التربية الأولى بلا نزاع هي الأم ، ليس الأب ، هي الأم ، فإن الأم هي أول امرأة هي أول من يخط الصفحات البيضاء على قلب الطفل النقي ، وعلى عقله الصافي ، إن الأم على هذا البياض ، إما أن تخط الأم خيراً ، وإما أن تخط الأم شرًا تجني ثماره في الدنيا والآخرة ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [(١)] .

وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » [(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده (٥/ ٢٤٠٩) ، ومسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام (٣/ ١٨٢٩) ، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية (٣/ ٢٩٢٨) ، والترمذي في الجهاد ، باب ما جاء في الإمام (٤/ ١٧٠٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح (١٣/ ٧١٥١) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر (٣/ ١٤٢) .

وأخيراً : وصيتي الجامعة أختم بها ، إنها وصية بليغة لأم عاقلة ، بل إن شئت فقل : لأم مسلمة ، لامرأة تربت على القرآن والسنة ، إنها أمامة بنت الحارث التي خلت بابنتها أم إياس بنت عوف الشيباني ، خلت الأم بابنتها في ليلة زفافها لزوجها ، وقدمت لها هذه الوصية الجامعة التي أقدمها أنا بدوري لكل أخواتي المسلمات من المتزوجات ، واللائي لم يتزوجن بعد ليتربين على هذا المنهج .

قالت الأم لابنتها : أي بنية ، إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكير للغافل ومعونة للعاقل ، أي بنية لو أن امرأة استغنت عن زوجها لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عن زوجك ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنية إنك فارقت البيت الذي فيه خرجت ، والعش الذي فيه درجت ، إلى مكان لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبدًا ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالخضوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواطن عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن أوتار الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالرعاية لماله وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التدبير ، وفي العيال حسن التقدير .

وأما التاسعة والعاشرة : لا تعصي له أمراً ، ولا تفشي له سراً ، فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره .

يا له من جمال ، يا له من جمال ، إنها الأم التي تربت في مدرسة محمد بن

عبد الله ، إنها الأم التي لم تتربَّ على المجلات الماجنة الخليعة ، إنها الأم التي لم تتربَّ على الإعلام الخبيث الفاسد الماجن ، الذي يجتث الفضيلة من جذورها ويؤصل للرذيلة الآن تأصيلاً ، إنها الأم التي تربت على القرآن والسنة ، إنها الأم الفاضلة التي أكاد أجزم أنها ورب الكعبة بهذه الأخلاق من أهل الجنة ولم لا ؟

وفي الحديث الذي رواه النسائي بسند حُسّن بشواهده ، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، أن النبي ﷺ قال :

« نِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الوَدُودُ الوَلُود العَؤود »[1].

أي : التي تعود على زوجها بالنفع والخير ، والبركة ، الودود الولود العؤود ، التي إن غضب زوجها جاءت فوضعت يدها في يده وقالت : والله لا أذوق غمضا أي : نوما حتى ترضي .

إن أعداء الإسلام قد علموا مكانة المرأة ، وعلموا أنها من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي ، فراحوا يخططون لها بدقة ، ويضعون المؤامرات الخبيثة الحقيرة بعد المؤامرات لماذا ؟ لإنزالها من على عرش حيائها ، التي يوم أن استوت عليه هزت المهد بيمينها ، وزلزلت عروش الطواغيت والكفر وأنجبت للأمة الأبطال والعلماء ، فعز على الأعداء أن تجود المسلمة من جديد على أمتها بالعلماء العاملين ، وبالمجاهدين الصادقين ، وبالأمهات المؤمنات الربانيات الطاهرات العفيفات .

فراحوا يخططون لها ، ويدبرون لها ، ويثيرون الشبهات الحقيرة تلو الشبهات بأن الإسلام ظلم المرأة ، وأنها شق معطلة ، ورئة مهملة ، وبأن الزوج سجَّان قاهر ، وبأن البيت سجن مؤبد ، وبأن الأمومة تكاثر حيواني لا يليق بالمرأة إلى آخر هذه الدعاوى .

---

(١) اخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٥٣/ ١٤٤٩) ، وابن عساكر في تاريخه (٢/ ٥٦) .

والذي يؤلم القلب أن كثيرا ممن ينتسبن إلى الإسلام قد تـأثرن بهـا ، بـل وراح كثير من علمائنا ودعاتنا يردون عن هذه الشـبهات ، مـن منطلـق أن الإسلام بالفعل متهم في قفص الاتهام ، فجاءت ردودهم مريضة ، لا تتفق مع عظمة وقوة هذا الدين الذي علمنا فيه رب العالمين آمراً نبيه الأمين :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩] .

أختاه هذا هو ديننا ، وهذا هو إسلامنا ، والله الذي لا إله غيره أنصحك بهذه الحرارة لأنك جوهرة غالية ، ودرة ثمينة ، ولؤلؤة مكنونة ، أنت أمـي وأنت أختي وأنت زوجتي ، وأنت ابنتي ، وأنت خالتي ، وأنت عمتي ، قالوا بأنك نصف المجتمع ، كلا كلا بل أنا أقـول : إنـك مجتمـع بأسـره إن كنـت تشكلين نصف المجتمع فأنت تقدمين للمجتمع نصفه الآخر مـن الأبطـال ، والعلماء ، والربانيات الصالحات أنت مجتمع بأسره ، ما أمرك الإسـلام بمـا ذكرتك به الآن إلا لأنك في الإسلام غاليـة إلا لأنـك لؤلـؤة مكنونـة ، إلا لأنك قطعة ألماظ وقطعة ماس ، وجوهرة غالية .

وأنا لا أتصور أي عاقل من العقلاء يرزقه الله هذه الجوهرة ، ثـم يلقـي بهـا في أي بيـت في أي مكـان مـن أمـاكن البيـت ، أو في الشـوارع ، أو الطرقات ، كلا كلا ، ما أمرك الإسلام بما ذكرتك به إلا ليحفظ عرضـك ، ويصون شرفك ويصون كرامتك ، وإلا ليمهد لك الطريق إلى جنة عرضـها السماوات والأرض في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

أود أن أقف مرة أخرى مع وصية أمامة بنت الحـارث لابنتهـا أم إيـاس بنت عوف الشيباني ، تلك الوصية البليغة ، التي تحتاج إليها الآن كل زوجة ،

فالمرأة تقول: أي بنية ، إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ـ يعني من حيث البلاغة ـ يعني : لو أن الوصية لا تبذل إلا لمن قل أدبه ، ما وصيتك ؛ لأنك على قمة الأدب ، انظر إلى هذا الكلام كل كلمة في غاية البلاغة ، تقول لها : لو أن الوصية تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ـ يعني : لست محتاجة لوصية ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، فالسعيد من وعظ بغيره ، والعاقل من اتعظ بغيره واستفاد بالنصيحة ، والغافل يذكر والله عز وجل يقول :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

من الممكن أن يصبح الإنسان في غفلة ، من الممكن أن تصبح الزوجة في غفلة، فعندما تكون أمها عاقلة وفاضلة تذكرها بحقوق الزوج ، وبأخطائها إن أخطأت ، وأما لو كانت الأم والعياذ بالله طائشة ، فإنها تزيد البنت طيشا ، حتى ولو كانت البنت عاقلة ، قد تتأثر بالأم لكن انظر إلى الأم العاقلة تقول : إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لكِ ولكنها معونة وتذكير للغافل ، ومعونة للعاقل ، أي بنية لو أن امرأة استغنت عن زوجها لغنى أبويها ، ولشدة حاجتهما عليها لكنت أغنى الناس عن زوجك ، يعني إذا كنت متصورة أن الزواج لأجل ترك الأكل عند الوالد والوالدة وتذهبين للأكل عند الزوج ، أو الزواج لأجل أن الوالد والوالدة ليسوا محتاجين لك ، لا فنحن أشد الناس حاجة إليك ، لكن الزواج ليس لهذا ؛ ولأن الزواج حكمة وفطرة ، وغاية من أجل النساء خلق الله الرجال ، ومن أجل الرجال خلق الله النساء ، لو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ؛ لأن الوالد غنى والوالدة غنية ، أو لشدة حاجتهما أي : حاجة الوالد والوالدة إليها ، فأنت أغنى الناس عن الزوج ، لست أنت محتاجة

لمال الزوج ، لحنان الزوج الذي يعوضك عن حنان الوالدين .

ثم تقول لها : أي بنية إنك فارقت البيت الذي منه خرجتِ ، وتركت العش الذي فيه درجتِ ، إلى بيت قرين لم تألفيه ، وبيت لم تعرفيه ، (حياة جديدة ، فالزوج هذا أصبح بملكه عليك رقيبا) فكوني له أمة يكن لك عبدا (انظر المرأة ماذا تقول لابنتها ، مستحيل الرجل الأصيل سوف يجد الزوجة ما شاء الله أصيلة هكذا وخلوقة ومهذبة ومؤدبة، وهو يصبح لئيما، يعني نادرًا هذا شذوذ عن القاعدة ، إنما الأصل أن الزوجة إن كانت وفية وخلوقة تجبر زوجها على الأخلاق والأدب ، حتى يا أخي فيه زوجة ما شاء الله حتى لو أن الزوج أخطأ لا ترد أبدا ، مؤدبة متربية لا ترد ، إنما تترك) الزوج في وقت الانفعال لا ترد .

فعندما تكون الزوجة لئيمة والعياذ بالله ، وعندها لدد في الخصومة ، وعندها معاتبة ، وعندها مجادلة (يعني حياة والعياذ بالله نسأل الله السلامة ، يعني حياة متعبة لماذا فعلت كذا؟ لماذا تأخرت ؟)

فيه سؤال يبقى تشعر الزوجة فيه بحب الزوجة للزوج ، لكن فيه سؤال عندما تسأله هو هو نفس السؤال .

يعني ممكن الزوجة تقول لزوجها : أنت تأخرت ليه ؟ بطريقة تشككه في نفسه ، ونفس الكلمة تقولها زوجة أخرى بطريقة تجعله يسعد بنفسه ـ كلنا مجربين ـ تسأل بطريقة ظريفة جميلة تشعره أنها فعلاً حريصة على أنه يبقى معها ، وواحدة ثانية (ها ! كنت فين ، ماذا بك ، لماذا تتأخر كثيرًا هذه الأيام ؟ الزواج العرفي هذه الأيام كثير هل أنت فعلت شيئًا أم ماذا؟ ، أو تزوجت زوجة أخرى وتخشى القول ؟) .

اليوم الرجولة أصبحت عملة نادرة ، يتزوج في الخفاء لماذا يخاف ؟ لا أعرف ، اللهم ارزقنا الرجولة يا رب .

وصلى الله على نبينا محمد ، والسلام عليكم ورحمة الله .





حقوق يجب أن تعرف

حق الزوجة



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الزوجة

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الزوجة** » .

أولاً : العون على طاعة الله :

إن الإسلام العظيم يقيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من المشاعر النبيلة الراقية الطاهرة التي تنبني على السكن النفسي ، والبدني ، والمودة ، والرحمة ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم :٢١] .

فالزواج آية ربانية ، وسنة نبوية ، وفطرة إنسانية ، وضرورة اجتماعية ، ومن ثم فبيت الزوجية مملكة إيمانية ، الزوج هو ملكها الأول ، وربانها ، والمسيَّر لشؤونها وأمورها بما جعل الله له من قوامة ، فهو المسؤول الأول عن هذه المملكة في الدنيا والآخرة .

أما الزوجة فهي ملكة هذه المملكة بلا نزاع ، تربعت على عرش العفة والمروءة والفضل والحياء ، وذلك بما جعل الله لها في الإسلام من مكانة وما أعطاها من حقوق ، لو عرفتها كل مسلمة على ظهر الأرض ما رفعت رأسها من فوق التراب ، شكراً لله أن جعلها من أمة سيد الخلق محمد بن عبد الله ، ولأغلقت أذنيها أمام هذه الكلمات الحقيرة التي لا تظلها الخضراء ، والتي هي أوسع من أن تتسع لها الغبراء من أولئك الذين يدعون

أن المرأة المسلمة قد ظلمت في الإسلام ، لو عرفت المسلمة حقوقها ووقفت على مكانتها ، لسعدت سعادة غامرة أنها من خير أمة أخرجت للناس .

يا درة حفظت بالأمس غالية ... واليوم يبغونها للهو واللعب
يا حرة قد أرادوا جعلها أمة ... غريبة العقل غريبة النسب
هل يستوي من رسول الله قائده ... دومًا وآخر قائده أبو لهب
وأين من كانت الزهراء أسوتها ... ممن تخطت خطا حمالة الحطب
فلا تبالي بما يلقون من شبه ... وعندك الشرع إن تدعيه يستجب
سليه من أنا من أهلي من نسبي ... للغرب أم أنا للإسلام والعُرب
لمن ولائي لمن حبي لمن عملي ... لله أم لدعاة الإثم والكذب
هما سبيلان يا أختاه ما لهما ... من ثالث فاكسبي خيرًا أو اكتسبي
سبيل ربك، والقرآن منهجه ... نور من الله لم يحجب ولم يشب

فما أسعد المسلمة بهذا الإسلام ، وما أكرمها بهذه الحقوق الكبيرة التي كفلها لها دين النبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأول هذه الحقوق للزوجة المسلمة على الزوج المسلم : أن يكون الزوج المسلم عوناً لها على طاعة ربها جل جلاله .

فأنا أقسم بالله ، أن سر الضنك الذي تحياه الآن كثير من البيوت المسلمة هو البعد عن طاعة الله جل وعلا ، بيوت لا تسمع فيها القرآن ، بيوت لا تسمع فيها إلا مزمار الشيطان ، بيوت قلَّ ما تجد فيها زوجاً يحافظ على الصلاة ، ويأمر امرأته بالمحافظة على الصلاة ، فهو يقيم الدنيا ولا يقعدها إن تأخرت المرأة في إعداد طعامه ، ولا يفكر أن يسأل امرأته : هل صلت فرض الله أم لا ؟ ما جلس الزوج مرة مع امرأته ليفتحا كتاب الله جل

وعلا ؛ ليقرآ سويا كلمات من آيات ربهم جل وعلا .

ترى كثيرًا من الأزواج لا يفكر البتة في أن يأمر امرأته بالحجاب الشرعي ، وإنما تراه فخوراً سعيداً إذا خرجت معه امرأته بثياب متبرجة عارية ، بل لربما تزداد سعادته لدياثته إن رأى الرجال ينظرون إلى امرأته نظرة إعجاب ، فيرجع إلى امرأته وهو ينظر إليها نظرة مبتسمة ويقول لها : أرأيت ؟ أرأيت أعين الرجال وكأنها تريد أن تأكل منك شيئاً أو أن تلتهمك التهاما .

دياثة ! أين العون على طاعة الله ؟ فأول حق لامرأتك أن تعينها على طاعة ربها ، بكل أسف نحن نبحث عن الغاية التي خُلق كل شيء من حولنا من أجلها ، لماذا خلقت الشمس ؟ لماذا خُلق القمر ؟ لماذا خلقت الأرض ؟ لماذا خلق الشيطان ؟ لماذا ؟! ونسأل ، وننسى أن نسأل عن الغاية التي من أجلها خلقنا نحن .

الزواج ليس لمجرد المتعة الرخيصة كلا ، وبيت الزوجية ليس مرتعًا للطعام والشراب ونوم الزوجة كلا ؛ بل إن بيت الزوجية وسيلة لغاية ، بل إنك تنشئ أسرة مسلمة لغاية ، تلك الأسرة هي القلعة الأولى من قلاع الإسلام ، تلك الأسرة هي اللبنة الأولى في صرح الدولة الإسلامية .

فإن كان كثير من الأزواج يدخل بيته ليأكل ، ويشرب ، ويستمتع بامرأته فحسب ، هذا خائن ما أدى حق الله وما أدى حق امرأته ، لاسيما وامرأته لا تعرف شيئاً عن دينها ، بل وربما لو طلبت منه امرأته أن تخرج لبيت من بيوت الله لتسمع عن الله وعن رسول الله منعها ، لماذا ؟

لماذا تمنع المرأة إن خرجت لبيت الله لتتعلم أركان وأصول الدين ، لاسيما وأنت مقصر في تعليمها أركان وأصول الدين ؟ فأول حق للزوجة على الأزواج أن يكون الزوج عوناً للزوجة على طاعة الله .

أتألم غاية الألم حينما تتصل علىّ امرأة مسلمة أو ترسل إلىّ رسالة ؛ لتقول بأن زوجها يمنعها من الحجاب ، أعوذ بالله أي رجولة هذه ؟ تمنع امرأتك من الحجاب .

تتصل علىّ أخرى لتقول : إن زوجي مُصر على أن يذهب الأولاد إلى المصيف لماذا ؟ تصر الزوجة على أن تربي أولادها وبناتها تربية طيبة على القرآن والسنة ، على الفضيلة والشرف ، فيقول لها زوجها : دعيك من هذا التخلف ، هذا تأخر ، وتطرف ، ورجعية ، يريد أن يتحرر الأولاد يريد لهم أن يتربوا على المسلسلات ، والأفلام والتلفاز ، بل يقول زوج ورب الكعبة حينما ذكر لماذا أتيت بالدش فوق سطح دارك أما اكتفيت بالخبث الذي يبثه التلفاز كل صباح ومساء ، فأتيت بالدش لتفتح النار على بيتك وزوجتك وأولادك ، فيرد الزوج المتمسلم بهذه الكلمات ويقول : أريد أن يتعلم بناتي كل شيء وأن يقتنعن بكل شيء .

فكر منحرف وفهم مقلوب ، وموازين مختلة ، ماذا تصنع لو شبت النار في بيتك ؟ نار المعاصي نار الذنوب .

إننا يا إخوة نستمتع في كثير من بيوت المسلمين الآن ، نستمتع بأفلام الزنا يجلس الرجل ليستمتع طوال الليل بالزنا ، كيف تنصر أمة بهذه الحالة ؟ كيف يمكن لأمة تقضي الليل مع الزناة ، والزواني ، والداعرين ، والداعرات ؟

تتصل علىّ زوجة من محافظة أخرى والله وهي تبكي ، وتقول : فقدت نفسي ، وفقدت زوجي ؟ وفقدت أولادي لماذا تقول : من يوم ابتلى بيتنا بهذا الدش الملعون ، لم أعد أرى زوجي ، ها هو يقضي الليل كله أمام هذا الدش وتركني وترك الأولاد وترك البيت أين العون ؟

روى أبو داود وابن ماجه بسند صحيح أن النبي ﷺ قال :

« رَحِمَ الله رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ »(١) .

والموضوع الآن عن حق أختي المسلمة «حق الزوجة على الزوج» الذي أيقظ امرأته قبل أن ينزل لصلاة الفجر لتدرك الوتر أو لتصلي الفجر ، فإن عاد ووجدها نائمة ضاق صدره وتألم فؤداه : قومي للصلاة بعد أن ذكرها مرارًا وتكرارًا : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٣٢] .

فأنا أرى أن أول حق للزوجة المسلمة على زوجها المسلم أن يكون زوجها عوناً لها على طاعة ربها ، وإلا فورب الكعبة ستتعلق بك امرأتك ـ التي ما أمرتها بالصلاة ستتعلق بك زوجتك التي خرجت متبرجة ، ستتعلق بك زوجتك التي ما جلست معها لتقرئها القرآن ، ستتعلق برقبتك يوم القيامة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » ثم قال : « وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »(٢) .

قد يقول كثير من أحبابنا الكرام من الأزواج سامحك الله أيها الرجل، يا

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ، باب قيام الليل (٢/ ١٣٠٨) ، والنسائي في كتاب قيام الليل ، باب الترغيب في قيام الليل (٣/ ١٦٠٩) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (١/ ١٣٣٦) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده ، ولا يعمل إلا بإذنه (٥/ ٢٤٠٩) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل (٣/ ١٨٢٩) ، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية (٣/ ٢٩٢٨) ، والترمذي في كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الإمام (٤/ ١٧٠٥) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٥) .

أخي أنا لا أحسن أن أقرأ القرآن ولا أحسن أن أذكر زوجتي بقال الله ، قال رسول الله.

أقول لك : هيا مرحبًا بك أنت وامرأتك في بيوت الله لتتعلما سويًا عن الله وعن رسول الله من أهل العلم المتحققين بالعلم الشرعي الذين يقولون : قال الرب العلي قال الحبيب النبي .

ثانياً :حسن الخلق وإحسان العشرة :

حسن الخلق بلسم يداوي كل الجراح ، ودواء يستل كل داء بإذن رب الأرض والسماء ، ولم لا وصاحب الخلق العظيم محمد ﷺ يقول كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وابن حبان من حديث أبي الدرداء :

« مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيء » .

ويقول صاحب الخلق العظيم ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود ، وابن حبان من حديث عائشة :

« إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » [1] .

ويقول صاحب الخلق العظيم ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي ، وابن حبان من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟

فقال : « تَقوَى الله ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » ، وعن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال : « الْفَمُ وَالْفَرْجُ » [2] .

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق (٤/ ٤٧٩٨) ، وابن حبان (١/ ٣٥٠ إحسان)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ح ٥٢) عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٩٣٢) ، والمشكاة (٥٠٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٢٠٠٤) ، وابن ماجه

حسن الخلق ، قد يكون الزوج حسن الأخلاق بين إخوانه وزملائه في الوظيفة أو خارج البيت لكنه إن دخل بيته عبس بوجهه ، وتكلم بالقطارة ، تتوسل امرأته منه الكلمة الطيبة وتستجدي منه البسمة الحانية ، فإن ابتسم لها الزوج ابتسمت لها الدنيا ، وإن تكلم معها كلمة رقراقة سعدت سعادة غامرة لماذا ؟ لأنه غليظ القلب شديد الجفاء لا يجيد إلا السب واللعن والطعن بل والقذف بل والغمز بل واللمز ، هل هذه حياة ؟

كيف تطيق مسلمة مثل هذه الحياة ، هذا زوج ظالم لنفسه ولامرأته ، ومخالف لأمر ربه وأمر نبيه قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة:٢٢٩] .

وقال المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله :

« اتَّقُوا الله فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ الله ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله »[(١)] .

وقال ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»[(٢)] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد ، والترمذي من حديث أبي

في كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب (٢/ ٤٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٩٢٣/ إحسان).

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الوصية بالنساء (٩/ ٥١٨٦) ، ومسلم في الرضاع ، باب الوصية بالنساء (٢/ ٢٦ رضاع) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٢/ ١٢١٨) ، وأبو داود في كتاب الحج ، باب صفة حجة النبي ﷺ (٢/ ١٩٠٥) ، والترمذي في كتاب الرضاع ، باب في حق المرأة على زوجها (٣/ ١١٦٣) ، وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ (٢/ ٣٠٧٤) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٧٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٨) .

هريرة أنه ﷺ قال : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ »[(١)] .

هذا كلام ربكم ، وهذا كلام نبيكم ﷺ ، الرسول يأمرنا ـ معاشر الأزواج : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» .

مَن مِن الأزواج لا يقدر كلما دخل على امرأته أن يلقي عليها السلام؟ من منا لا يقدر على ذلك امتثالا لأمر الله وأمر رسول الله؟ قال جل وعلا : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور:٦١] .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا بُنَيَّ ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ »[(٢)] .

لماذا يضرب أحدنا الباب برجله ثم يدخل ، ولم يلق السلام ، سيقول لي الزوج : يا أخي أنا غاضب منها ، كيف ألقي السلام وأنا غاضب على زوجتي ؟ حتى وإن كنت غاضباً منها فيجب عليك أن تلقي السلام ؛ لأن رسول الله ﷺ هو الذي أمرك بذلك : « يَا بُنَيَّ ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ » .

جرب أمر النبي ﷺ والله مهما كان حجم الغضب إن دخلت ولو خرجت للصلاة ، وعدت إلى الدار فطرقت الباب ، نعم ! ذلك من السنة ثم قلت : السلام عليكم ورحمة الله ، هذا حق الله وهذا أمر أوجبه عليك

---

(١) أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٣/ ١١٦٢) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٧٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٣٢) ، والصحيحة (٢٨٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته (٥/ ٢٦٩٨) .

رسول الله ﷺ سيذوب الجليد ، قد لا يذوب مع أول سلام ولا مع السلام الثاني ، بل وربما مع السلام الثالث ، لكنك تنفذ أمراً أمرك به حبيبك ﷺ ، من منا من الأزواج لا يقدر إن دخل بيته أن يلقي امرأته بوجه طليق ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر أنه ﷺ قال : « **لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ المعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ** »(١) .

وأظن أن أولى الناس بطلاقة الوجه هي زوجتك ، هي شريكة حياتك ، هي رفيقة دربك ، هي قرة عينك ، ابتسم في وجه امرأتك ، لم هذا العبوس المستمر ؟ لا تدعي أنك تحمل هموم الأمة في قلبك وأنت بذلك لا تجد وقتًا للبسمة ، كلا ، فلست كرسول الله ﷺ صاحب الخلق صاحب البسمة المشرقة ، صاحب الكلمة الحلوة ، كان يحمل ﷺ هموم الأمة ، وهموم الدعوة ، وهموم الدين ومع ذلك لو نظرتم إلى رسول الله في بيته والله لتعجبنا أشد العجب .

في طريقه لغزوة عسكرية ويضرب القرعة بين النساء فتأخذ القرعة على عائشة ، ثم يأمر الجيش أن يسبق ليتخلف هو مع عائشة خلف الجيش ثم يداعبها مداعبة رقيقة ، وهو في طريقه لمعركة من معارك الإسلام ، ويقول لها : « **تُسَابِقِينِي يَا عَائِشَةَ؟** » لاحظ أن الذي يقول ذلك هو الرجل الكبير هو البشير النذير « **تُسَابِقِينِي يَا عَائِشَةَ؟** » فتسابقه فتسبق عائشة رسول الله ﷺ تقول : وفي مرة أخرى : وقعت القرعة علىّ فقال : « **تسابقيني يا عائشة ؟** » تقول : وكنت قد حملت اللحم ـ ثقل وزنها ـ فسبقني رسول الله ﷺ فقال لي : « **هَذِهِ بِتِلْكَ** »(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٤/ ٢٦٢٦) ، وأبو داود في كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤/ ٤٠٨٤) ، والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة (٤/ ١٨٣٣) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في السبق على الرجل (٣/ ٢٥٧٨) ، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤٦) .

خلق ، أدب ، تربية ، بل والله كانت إذا غضبت عائشة من رسول الله ﷺ ، لا تجد إلا المصطفى ﷺ لتحتمي به من أبي بكر ـ رضي الله عنه .

فلقد روى البخاري في صحيحه أنه قد وقع خلاف بين رسول الله ﷺ ، وعائشة في بيت المصطفى ﷺ .

يقع خلاف ، نعم ، لا تكن صاحب خيال لا حدود له ، ولا تظن أن بيت الزوجية لابد وأن يخلو من كل كدر ، لا ، لا ، وقعت خلافات في بيت رسول الله ﷺ ، واستدعى النبي أبا بكر ليحكم بينه وبين عائشة ، فقال النبي ﷺ لعائشة في حضرة الصديق : «**تَكَلَّمِي يَا عَائِشَةَ أَوْ أَتَكَلَّمُ أَنَا؟**» فقالت عائشة لرسول الله ﷺ : تَكَلَّمْ وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، يا إلهي ! فقام الصديق فلطم عائشة على وجهها حتى سال دمها وهو يقول : يَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا وَهَلْ يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَّا الْحَقَّ ؟! فقامت عائشة تحتمي بظهر النبي ﷺ والمصطفى ﷺ يقول للصديق : « **مَا لِهَذا دَعَوْنَاكَ ، وَمَا أَرَدْنَا مِنْكَ هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ** » إنه الخلق ﷺ .

فمن منا لا يقدر أن يلقي امرأته كلما دخل عليها بوجه طليق ، ومن منا لا يقدر أن يداعب امرأته من آن لآخر بكلمة طيبة جميلة رقيقة .

أنا أعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الزوجة المسلمة نهر من العطاء ، والحنان ، ولكنها تحتاج ، أو ولكن هذا النهر يحتاج إلى غواص ماهر ذكي ؛ ليستخرج من أعماقه كنوزه ، وجواهره ، ولآلئه ، ودرره بالكلمة الطيبة ، فالكلمة الطيبة صدقة . قال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : « **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب (١١/ ٦٥٤٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة (٢/ ٦٨) ، والنسائي في الزكاة ، باب القليل في الصدقة (٥/ ٢٥٥١) ، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٧) .

وأولى الناس بالكلمة الطيبة هي زوجتك ، هي امرأتك ، بل ربما تقيم الكلمة الطيبة امرأتك من فراش المرض لتخدمك بالكلمة الطيبة .

إنه السحر الحلال ، الكلام الطيب ، إنه السحر الحلال ، الذي تأسر به قلب الزوجة فحسن الخلق ، وإحسان العشرة من أوكد ، وأعظم حقوق الزوجة على زوجها ، لا أريد أن أطيل في كل حق وإلا فوالله إن كل حق يحتاج إلى لقاء .

الحق الثالث من حقوق الزوجة على زوجها :الإنفاق وعدم البخل :

قال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء:٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق:٧] .

الزوجة تبغض الزوج البخيل من كل قلبها ، ما قيمة العلم ؟ وما قيمة المنصب؟ وما قيمة الجاه ؟ إن كان الزوج بخيلاً فالإنفاق بلا تقتير ، والسخاء بلا إسراف من أوكد حقوق الزوجة على زوجها ، أنفق وستعجب أخي الزوج إذا علمت أن صدقتك ونفقتك على زوجتك مع أنها واجبة إلا أنك تُؤجر عليها من الله جل وعلا اسمع للنبي ﷺ .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« **دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ** » [(١)] .

مع أنها واجبة عليك .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك (٢/ ٩٩٥) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٦٧) .

وفي الصحيحين من حديث أبي مسعود البدري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ » (١) .

فنفقتك على أهلك على زوجتك على أولادك إن صححت النية فهي صدقة لك عند رب البرية جل جلاله .

وأود أن أحذر كل زوج من البخل ، فالبخل يملأ قلب الزوجة ببغض الزوج ، وإن كان ممن يقف بين يديه الرجال ، إن كان من أصحاب المناصب ، أو إن كان من أصحاب العلم ، أو إن كان من أصحاب الجاه مع أنه بخيل ، فالبخل لا يجعل له مكانة في قلب امرأته ، ولو كان ممن يقف الرجال بين يديه فأنفق على امرأتك بلا إسراف ، ولا تقتير بلا إفراط ولا تفريط قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٧] .

الحق الرابع : حق الفراش :

من أوكد حقوق الزوجة على زوجها أن يجامعها لا حرج في ذلك ، لا حرج أن أقول كلمة قالها من كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، لا تدعي الحياء الباهت ، والورع الكاذب ، وتقول : كان من الواجب على الشيخ أن لا يصرح بمثل هذه الكلمات ، فإن النساء يحضرن معنا ، نرفع رؤوسنا لتعانق رؤوسنا كواكب الجوزاء ، ونحن نردد ما ردده حبيب رب الأرض والسماء .

أقول : من أوكد حقوق الزوجة على زوجها أن يجامعها ، قال ابن حزم : فرض على الزوج ـ لاسيما ، ونحن نعيش الآن زمان الفتن فقد

---

(١) أخرجه البخاري في النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل (٩/ ٥٣٥١) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين (٢/ ١٠٠٢) ، والنسائي في الزكاة ، باب أي الصدقة أفضل (٥/ ٢٥٤٤) ، والترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في النفقة في الأهل (٤/ ١٩٦٥) .

يهجر الرجل امرأته أيامًا وشهورًا بلا عذر من مرض أو غيره ، يقول ابن حزم : فرض على الرجل أن يجامع امرأته في كل طهر مرة على الأقل إن كان يقدر على ذلك وإلا كان عاصيًا لله تعالى ؛ لقول الله عز وجل :

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

انظر للقرآن وجماله ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي من الحيض ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فأخذ ابن حزم من هذه الآية ؛ أنه فرض على الزوج أن يجامع امرأته في كل طهر مرة على الأقل ، ومنهم من قال بغير ذلك ، لكن الذي أود أن أؤكد عليه بلمسات حانية طاهرة : إن اللقاء بين الرجل وامرأته في الفراش ما هو إلا خلوة في لحظات كريمة طاهرة شريفة طيبة ، إن تم هذا اللقاء في ظلال الهدي النبوي الكريم كان من أعظم أسباب تعميق المودة ، والرحمة ، وكان سبباً رئيسياً من أسباب إذابة الجليد والبرود الذي ينتاب الحياة الزوجية من آن لآخر ، لاسيما إن طبَّق الزوج آداب النبي ﷺ في اللقاء مع امرأته .

فشتان شتان بين زوج مسلم زكي تحب زوجته مثل هذه اللحظات ، بل وتستعد لها ، بل وتنتظرها ، وبين زوج آخر تبغض زوجته مثل هذا اللقاء بغضاً شديداً لرائحة فم زوجها الكريهة ، فهو يقبل عليها بعد الدخان ليجامعها أو ليقبلها دون أن ينظف أو أن يطهر فمه ، وربما تبغض المرأة مثل هذا اللقاء لرائحة عرق الزوج الكريهة المنفرة ، لا حرج أن نصرح بمثل هذا .

قال ابن عباس رضوان الله عليه في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

قال : إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي زوجتي ، أنت لا تقبل أبداً أن تقبل زوجتك عليك في اللقاء دون أن تتزين ودون أن تتطيب ودون أن تتطهر بالماء ، فواجب عليك أن تقبل على امرأتك كذلك بعد أن تطيب فمك ، وبعد أن تطيب ريحك والعطر يا إخوة من ألطف وسائل المخابرة بين الرجل وامرأته ، تطيب وأجمل الطيب الماء من لم يجد عطراً فأطيب الطيب هو الماء ، فاغتسل واستعمل الفرشاة قبل أن تجامع امرأتك في الحلال الطيب ؛ لتسعد امرأتك بهذا اللقاء .

وأيضًا هناك امرأة تبغض هذا اللقاء بغضًا ؛ لأن زوجها يقع عليها بدون مقدمات فتظن المرأة أنها مقبلة على جولة من جولات المصارعة الحرة تستغيث الله عز وجل ؛ أن لا يكسر عظامها أو أن لا تحبس أنفاسها ، ما لهذا كان اللقاء أبدا فاللقاء أُنس اللقاء ، ود اللقاء إذابة للبرود والجليد الذي يتراكم من آن لآخر على بيوتنا ، وعلى أسرنا المسلمة ، ومن الآداب العظيمة التي يجب على كل زوج أن يتأدب بها أن يحفظ أسرار فراش امرأته .

يحرم عليك ، ثم يحرم عليك أن تجلس بين زملائك في الوظيفة أو في المكتب أو على المقهى ؛ لتفشي سر فراش امرأتك حرام ثم حرام .

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا** » (١) .

فاحفظ أسرار فراشك فضلاً عن أسرار امرأتك كلها لا تبح بسر ، فالبيوت كلها أسرار ، والبيوت عورات ، فكما ذكرت الزوجة المسلمة أن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة (٢/ ١٤٣٧) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب نقل الحديث (٤/ ٤٨٧٠) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٦٩) .

تكون وفية كريمة بحفظ أسرار الزوج حتى ولو وقع الطلاق حتى ولو وقع الفصال ، فلتستر المرأة أسرار زوجها ، ولتحفظ المرأة كرامة زوجها فواجب على الزوج أن يحفظ أسرار امرأته حتى في وقت الغضب لا ينفعل بكلمات ربما يندم عليها بعد ذلك أشد الندم ، ولا يهتك ستر بيته .

وما أجمل وأرق وأحلى أن أذكر بموقف لرجل ولزوج عاقل أراد أن يطلق امرأته فذهب إليه بعض المقربين منه وقالوا : لماذا تطلقها ما الذي يريبك منها ؟ فقال : العاقل يهتك ستر بيته فاستحيا القوم ، فلما طلقها ذهبوا إليه وقالوا : طلقتها لماذا طلقتها ؟ فقال : ما لي ولامرأة غيري ؟ وما لي ولامرأة غيري ؟ أصبحت أجنبية عني ، فلماذا الغيبة ؟ لماذا أجرحها ؟ لماذا أغتابها ؟ فحق الفراش من حقوق الزوجة على زوجها .

خامساً : الغيرة المحمودة :

لا يدخل الجنة ديوث ، قال ﷺ : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالدَّيُّوث ، وَرَجِلَةَ النِّسَاءِ** »(١)

أي المرأة المترجلة ، المرأة التي تسعد بأن تكون رجلاً بين الرجال تلك امرأة إن لم تتب إلى الكبير المتعال فرائحة الجنة عليها حرام ، فالمرأة مرأة ولا تكون امرأة إلا بأنوثتها ، وأدبها ، وحيائها لا يجوز لها أن تتشبه بالرجال .

ولا يجوز للرجل أن يتشبه بالنساء ، فالديوث هو الذي يقر الخبث في أهله لا تجري دماء الغيرة في عروقه بل هو ينام على سريره ويرى امرأته في الصباح الباكر قبل أن تخرج للوظيفة تقف أمام المرآة ساعات كاملة تضع المكياج الكامل ، وتلبس أجمل وأحلى وأرق ما عندها من الثياب وتضع

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٦) ، وفي شعب الإيمان (٧/ ١٠٧٩٩) ، وقال الحاكم : صحيح . ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠٦٣) .

أعظم البرفانات ، والعطور ، والزوج نائم ينظر إليها نظرة إعجاب ، خبث ، وخلل ، ومرض في القلب كيف تقبل يا رجل؟ أنا لم أخاطبك وأقول كيف تقبل يا مسلم فضلاً عن يا مؤمن فضلاً عن يا محسن إنما أقول : يا رجل .

كيف تقبل يا رجل أن تخرج امرأتك بهذه الصورة ؟ كيف؟ أقسم برب الكعبة ستسأل عن كل مرة خرجت فيها امرأتك بهذه الصورة المزرية التي لا ترضي ربًّا ، ولم يشرعها نبي فضلاً عن إمامهم ، وسيدهم وقدوتهم ونبيهم محمد ﷺ كيف ؟ هذه هي الدياثة ، وهذه سبب من أسباب حرمان الرجل من الجنة .

الرجل الذي يقر الخبث في أهله يترك امرأته تظهر شعرها ، وصدرها ، وعطرها ، ويراها بعينه تضاحك الرجال الأجانب وتماسك هذا ولا ترد يد هذا وهو صامت ، بارد القلب ، وبارد المشاعر ، بارد الأحاسيس ، أين الرجولة فضلاً عن الإسلام ؟ قال ﷺ ـ كما في الحديث الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث جابر بن عتيك ـ رضي الله عنه :

« مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ الله وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ الله ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا الله فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا الله فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ » [(١)] .

هذا هو المقياس الشرعي الدقيق المنضبط ما معنى ذلك ؟ الغيرة في ريبة هي الغيرة التي يحبها الله ويرضاها ، تلك الغيرة التي لها من الأسباب الواضحة البينة ما يعطي الحق للرجل ، أن يغار على امرأته فهو يراها تتزين لغيره ، فإن دخل البيت جالسته بثياب المطبخ وقد عطرتها أنفاس الثوم ، والبصل ، فإذا ما أرادت أن تقابل رجلاً من الأجانب تزينت وتعطرت وسرحت شعرها ، فلو غار الرجل على امرأته فهذه غيرة محمودة

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ، باب في الخيلاء في الحرب (٣/ ٢٦٥٩) ، والنسائي في الزكاة ، باب الاختيال في الصدقة (٥/ ٢٥٥٧) ، وابن ماجه في النكاح ، باب الغيرة (١/ ١٩٩٦) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٤٥ ، ٤٤٦) .

يحبها الله ورسوله ، أما الغيرة المذمومة فهي غيرة في غير ريبة ، امرأة فاضلة منتقبة طاهرة شريفة عفيفة أبية كريمة ، ثم يزعم الرجل الغيرة في غير مواطن الغيرة ، فتلك غيرة تفسد البيوت ، وتكدر صفو الحياة الزوجية ، فهذه يبغضها الله تبارك وتعالى ، ولم يشرعها رسوله ﷺ .

أما الحق السادس بإيجاز شديد فهو : إكرام أهل الزوجة :

ذكرت هنالك في حق الزوج أنه واجب على الزوجة أن تبالغ في إكرام أهل الزوج ، وأنا أخاطبك اليوم أيها الزوج الفاضل بأن من حق امرأتك عليك أن تبالغ في إكرام أهلها على قدر استطاعتك :

﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ [الأعراف:٤٢] .

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق:٧] .

لو غضبت من امرأتك ولو غضبت من أهل امرأتك وضاق صدرك بهم تمامًا ، وضقت بهم ذرعاً فليس من حقك أن تمنع امرأتك عن أن تذهب لأهلها ، لا تذهب أنت ربما تكون معذوراً لكن لا تمنع امرأتك فهذا من إكرامك لأهلها ، أما إن أتوك دارك أكرمهم إن لم تقدر بالنفقة ـ إن كنت فقيرًا ـ فبالكلمة الطيبة ، والابتسامة العريضة ، لا تكن عابس الوجه فأنت تغضب أشد الغضب إن جاءت أمك أو جاء أبوك أو جاء أحد أقاربك في وجودك وقصرت امرأتك في خدمة أهلك تغضب أشد الغضب ، قال ﷺ كما في الصحيحين :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » [(١)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ١٠،١٣)، ومسلم في الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (١/ ٤٥) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٥٩) (٤/ ٢٥١٥) . والنسائي في الإيمان ، باب علامة الإيمان (٨/ ٥٠٣١) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في الإيمان (١/ ٦٦) .

وأقرب الناس إليك هي امرأتك فكما تغضب في أن تكرم امرأتك أهلك فاحرص على أن تكرم امرأتك بإكرامك لأهلها على قدر قدرتك واستطاعتك ، ففي الصحيحين من حديث عائشة قالت : « مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ » .

ما شعرت عائشة بالغيرة إلا من خديجة ـ رضوان الله على خديجة وعائشة ـ تقول : « وما رأيتها قط » ما رأت عائشة خديجة ـ رضوان الله عليهما ـ لماذا إذاً الغيرة تقول : من كثرة ما كان النبي يذكرها ، ثم تقول : « إِنْ كُنَّا لَنَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَبْعَثُ رَسُولُ الله ﷺ بِأَعْضَائِهَا إِلَى صَدَائِقِ خَدِيجَةَ» (١) أي : في أصدقاء خديجة ليس عند أهلها ، عند صديقاتها ، عند أصدقائها في صدائق خديجة يقسم اللحم على من كانت تحبه خديجة ـ رضوان الله عليها ـ هذا هو الكرم ، وهذا هو الوفاء ، وما أحلى الوفاء ! وما أجمل الوفاء ! في عالم وزمان نزر فيه الوفاء .

أما الحق الأخير من حقوق الزوجة على زوجها : أن يتحمل الزوج مع امرأته مسؤولية تربية الأولاد :

فإن كثيرًا من الأزواج تخلوا عن هذه المسؤولية أعلم أنه قد انشغل بالعمل ، وأعلم أن الظروف الاقتصادية الطاحنة التي نحياها الآن قد شغلت كثيراً من الأزواج عن الزوجات ، والأولاد ، والبيوت .

لكن الذي أعيبه أن يرجع الرجل بعد وظيفته أو بعد عمله ، فإن وجد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن (٩/ ٥٢٢٩) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (٤/ ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ فضائل) ، والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن العهد (٤/ ٢٠١٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٧) .

رمقًا من الوقت ، قتل هـذا الرمـق قـتلاً بـالجلوس أمـام المباريـات تـارة ، أو أمام الأفلام أخرى أو أمام المسلسلات ، والمسرحيات تارة ثالثة .

هذا هو الذي أعيب عليـه أيهـا الأخ الكـريم : أيهـا الـزوج الفاضـل : اسمع مني هذه الكلمات وتدبرها بالله عليك !

أقول : إن وجود الرجل في بيته ، وجلوسه بين أولاده ، ولو كان صـامتاً لا يتكلم ، إن جلوس الرجل في بيته بين أولاده إلى جوار امرأتـه وأولاده ، ولو كان صامتاً لا يتكلم ، فيه من عمق التربية ما فيـه ، فكيـف لـو تكلـم فذكر بـالله ، فـذكر برسـول الله ، واسـتمع مشـاكل الأولاد ، واسـتمع إلى ابنتـك واسـتمع إلى ولـدك ، والرجـل يجـب عليـه أن يفـتح قلبـه لأولاده ولزوجته لتشكو له الزوجة من هذا الولد ، أو من البنت ليتفقا سويًا علـى حل المشكلات ، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته .

فإنه مما يدمي القلب أن استقالة تربوية جماعية ، قد وقعت الآن في كـثير من بيوت المسلمين . كيف؟ قلت قبل ذلك: ما تقولون في زوج عاد إلى بيته ، وسحب ورقة بيضاء كبيرة ، وكتب فيها هذه الكلمات : زوجـتي الفاضـلة سلام الله عليك وبعد .

فإني أُقدم لك اليوم استقالتي من تربيـة الأولاد .سـيتهم حتمًـا بـالجنون والتقصير ، مع أن نظرة فاحصة مدققة لكثير من بيوت المسلمين تؤكـد لنـا أن استقالة بهذا الشكل قد وقعت في كثير من البيوت ، فاستقال كـثير مـن الأزواج والآباء تربوياً ، استقال من تربيـة زوجتـه والنصـح لهـا وتعليمهـا وتذكيرها ، وبالتالي استقال من تربية أولاده فظن أن التربية هي المسـؤولية الأولى والأخيرة للزوجة وتخلى عن هذه الأمانة الكبيرة تمامًا .

ليس اليتيم مـن انتهى أبـواه وخلفـاه في هَـم الحيـاة ذلـيلا

إن اليتيم هو الذي ترى له أمـا تخلـت أو أبـا مشـغولا

هذه عجالة في حقوق الزوجة على زوجها ، وإلا فورب الكعبة لا زال هناك الكثير والكثير ، والله أسأل أن يعيننا جميعًا على أداء هذه الحقوق لزوجاتنا ، والوفاء بها إنه ولي ذلك والقادر عليه .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حقوق يجب أن تعرف

حق الأبناء



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق يجب أن تعرف

حق الأبناء

نعيش سويًا بحول الله ومدده مع حق جديد من حقوق هذه السلسلة المباركة الكريمة ، مع حق كبير رقيق رقراق وضاء إنه: « **حق الأبناء** » .

حق الأبناء ، هذا الموضوع من الأهمية والخطورة بمكان ، ورأيت أنه من الأدب وحسن الخلق ، في عرضنا لحق الأبناء على الوالدين أن أستهل هذا الحديث بمخاطبة إخواني وأخواتي الذين حرموا من نعمة الأولاد لأذكرهم بأن الله ـ عز وجل ـ هو الذي يملك الأمر كله ، وهو الحكيم الذي لا يخطئ ، العليم الذي لا يجهل ، الرحيم الذي لا يظلم يقول تعالى :

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٢٦] .

فاصبر أيها الأخ الكريم على ابتلاء الله عز وجل ، واعلم بأن الرضا بالقضاء هو من أعظم ثمار التوكل على الله تعالى ، وهو ركن من أركان الإيمان كما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيه أن جبريل سأل المصطفى ﷺ أخبرني عن الإيمان ؟

فقال الحبيب ﷺ :

« **أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » (١) .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب الإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (١/ ٨) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر (٤/ ٤٦٩٥) ، والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام (٥/ ٢٦١٠) ، والنسائي في الإيمان ، باب نعت الإسلام (٨/ ٥٠٠٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب الإيمان (١/ ٦٣) .

فاصبر على قدر الله وقضائه ، وكن على يقين مطلق بأن اختيار الله عز وجل لك هو الخير ، ولقد وعد الله الصابرين بخيري الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

بل ووعد الله الصابرين وعدًا عظيمًا فقال جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] .

فاصبر على اختيار الله وارض بما قسم الله ، وتذكر قول رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث صهيب : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »[1] .

وأرجو إن أخذتم بجميع الأسباب المادية عند الأطباء فأرجو أن لا ينسى الإخوة والأخوات سببين من أعظم أسباب الإنجاب يغفل عنهما كثير من الناس ألا وهما : الاستغفار ، والدعاء ، إن الاستغفار من أعظم أسباب الإنجاب والذرية ، تدبر قول رب البرية يقول تعالى :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٠-١٣] .

وما لكم لا توحدون الله حق توحيده ؟ ولا تعبدون الله حق عبادته ؟

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير (٤/ ٢٩٩٩) ، والدارمي في الرقائق ، باب المؤمن يؤجر في كل شيء (٢/ ٢٧٧٧) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤) .

ولا تقدرون الله حق قدره ؟ وهو القادر على كل شيء ، والمدبر لكل أمر .

يقول تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٣] .

ثم الدعاء قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[البقرة:١٨٦]

وأذكر بدعوة عظيمة كريمة في هذا الباب ألا وهي دعوة نبي الله زكريا ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ ذلكم النبي الكريم الذي اشتعل رأسه شيباً وبلغ من الكبر عتياً ، بل وكانت امرأته عاقراً ، ومع ذلك لجأ إلى ربه جل وعلا بهذا الدعاء الكريم : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ . انظر إلى الجواب فكان الجواب بفاء الترتيب والتعقيب فقال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

فلا تغفل أخي عن الاستغفار ، وعن الدعاء لرب الأرض والسماء ، وأسأل الله بأسمائه الحسنى ، وبصفاته العلا أن يرزق إخواننا وأخواتنا الذين حرموا من نعمة الأولاد ، وأن يجعل ذريتهم ذرية صالحة إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ولكن كما أن الابتلاء يكون بالحرمان فقد يكون الابتلاء بالعطاء والامتنان.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

[الأنبياء:٣٥]

وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز :

الأولاد إما نعمة وإما فتنة :

نعم إذا كان الأولاد من الصالحين كانوا من أعظم وأجل نعم رب العالمين على الوالدين قال سبحانه :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦] .

وقال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾

[آل عمران:١٤]

فالأولاد إن كانوا من الصالحين كانوا من أجل نعم الله على الوالدين تدبر في حياة الوالدين ، بل وبعد ممات الوالدين فإن ميزان الوالدين يثقل بعد موتهما ، وإن درجة الوالدين ترفع عند الله بعد موتهما ، وذلك باستغفار ولدهما ، ودعائه لهما: ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال :

« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » [(١)] .

فالولد الصالح نعمة لوالديه في حياة والديه وبعد ممات والديه سترى ميزانك يوم القيامة فيه من الأعمال ما لم تعمله أنت في دنياك ، فمن أين هذا من أين هذا الفضل ؟ ومن أين هذا الثواب ؟ إنه بسبب غرسك الطيب في الدنيا بسبب تربيتك الصالحة لأولاد صالحين ، تضرعوا إلى الله

---

(١) أخرجه مسلم في الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٤) ، وأبو داود في كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت (٣/ ٢٨٨٠) ، والترمذي في الأحكام ، باب في الوقف (٣/ ١٣٧٦) ، والنسائي في الوصايا ، فضل الصدقة عن الميت (٦/ ٣٦٥٣) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨) .

لك بالدعاء بعد موتك وأكثروا الاستغفار لك بعد موتك فيرفع ميزانك فترفع درجتك ويثقل ميزانك بفضل الله عز وجل ثم بفضل استغفار ودعاء أولادك إليك :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤] .

أما إن كان الأولاد أيها الأحبة : سببًا من أسباب انحراف الوالدين عن طاعة الله ، فقدم الوالدان حب الأولاد على حب الله ورسوله ، وقدم الوالدان حق الأولاد على حق الله ورسوله فحينئذ يكون الأولاد فتنة من أعظم الفتن على الوالدين في الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ وأرجوا أن تتدبر هذا النداء لأهل الإيمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤] .

كيف يكون الولد عدوًا ؟ تدبر قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني من حديث خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال :

« أَمَا إِنَّ الأَوْلادَ مَبْخَلَةٌ ، مَجْبَنَةٌ ، مَحْزَنَةٌ » [1] كيف ذلك .

إن الولد مبخلة : أي قد يصيب الولد والديه بالبخل الشديد لشدة حرصهما على توفير المال لولدهما فيبتلي الوالدان بالبخل من أجل الولد ، ويبتلي الوالدان بالجبن خوفاً على أن يتركا الولد ، ويبتلي الوالدان بالجهل

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب ، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات (٢/ ٣٦٦٦) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٧٣) .

فيفرق الوالدان في طلب العلم ، وفي السعي من أجل الولد ، ومحزنة فلا شك أن الوالدان قد يصاب كل واحد منهما بالحزن ، والألم الشديد إذا ابتلي الولد بما يؤلمه ، وبما يحزنه .

إن قدم الوالد حب الولد على حب الله ورسوله ؛ ولذلك في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا » .

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أنس أنه ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين » [(١)] .

فإن قدم الوالدان حب الأولاد على حب الله ورسوله وتعارض حق الله ورسوله مع حق الأولاد ، فقدم الوالدان حق الأولاد على حق الله ورسوله ، كان الأولاد في هذه الحالة فتنة من أعظم الفتن الذي يبتلي بها الوالدان في الدنيا والآخرة .

نعم : فالأولاد إما نعمة إن كانوا صالحين وإما فتنة إن كانوا فاسدين إن كانوا منحرفين عن منهج رب العالمين ، ومنهج سيد المرسلين وكانوا سبباً في انحراف الوالدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبهذا التأصيل المهم يتبين لنا أن الأولاد أمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة في أعماق الوالدين .

نسأل الله أن يعيننا جميعًا على هذه الأمانة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ١٥) ، ومسلم في الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين (١/ ٧٠) ، والنسائي في كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان (٨/ ٥٠٢٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (١/ ٦٧) .

وهذا هو عنصرنا الثالث والمهم :

حق الأولاد على الوالدين :

إن الولد أمانة عظيمة ، وجوهرة غالية خالية من كل نفس ، وصورة تلك الجوهرة القابلة لكل شيء ينقش عليها ، الولد مائل بفطرته إلى كل ما يمال به عليه فإن تعود الخير اعتاده ، وإن تعود الشر اعتاده ، إن تربى على الفضيلة اعتادها وأصبح عنصراً نافعاً لنفسه ولدينه ولمجتمعه وإن تربى على الرذيلة ، والشر أصبح عنصراً فاسداً لنفسه ولدينه ، ولمجتمعه ولذلك قال الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

[التحريم:٦]

وحمل النبي ﷺ الأمة أو الوالدين المسؤولية الكاملة في تربية الأولاد ، فقال ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[1] .

وتدبر هذا الحديث الذي لو وعيناه والله لانخلعت القلوب من شدة الوعيد فيه ، ففي الصحيحين من حديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده (٥/ ٢٤٠٩) ، ومسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل (٣/ ١٨٢٩) ، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما يلزم من حق الرعية (٣/ ٢٩٢٨) ، والترمذي في الجهاد ، باب ما جاء في الإمام (٤/ ١٧٠٥) .

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (١) .

ستسأل عن رعيتك إن كنت واليًا ، ستسأل عن الرعية إن كنت مسؤولاً في شركة ، ستسأل عن مرؤوسيك ، إن كنت رب أسرة ، والداً في بيت ستسأل عن رعيتك عن امرأتك وعن أولادك .

فتربية الأولاد مسؤولية كبيرة وأمانة عظيمة ستسأل عنها بين يدي الله جل وعلا، هي مسؤولية تضامنية مشتركة بين الوالدين معًا ، فإن تخلى الوالد عن هذه المسؤولية وظن أن وظيفته تتمثل في المأكل والمشرب والملبس والمسكن فحسب ، ثم تخلى عن الأبوة بمعناها التربوي الشامل ، تخلى عن أبوة التوجيه عن أبوة التربية عن أبوة النصح عن أبوة التعليم للعقيدة ، والعبادة والأخلاق ، وظن أن وظيفته في البيت أنه ممثل لوزارة المالية فقط يطعم الأولاد فحسب .

هل فكر والد منا أيها الفضلاء وهو يقدم ألوان الطعام وألوان الفواكه لأولاده، قد يدخل الواحد منا على أولاده وهو يحمل ألواناً من الفاكهة يطعم الأولاد ، فهل فكر والد منا أيها الفضلاء وهو يطعم أولاده الفاكهة أن يجلس معهم ؛ ليربط قلوبهم بخالق هذه الفاكهة ؛ ليقول : انظر أيها الولد إلى هذه الفاكهة انظر إلى هذه الحبات كيف رصت بهذا الإتقان وبهذا الجمال ، انظر إلى فاكهة المانجو انظر إلى فاكهة العنب انظر إلى فاكهة كذا ، وكذا انظر إلى هذا الطعام يا بني هذا البرتقال هذا الليمون وهذا البطيخ وهذا المانجو وهذا العنب ، كل هذه الفواكه التي اختلف طعمها واختلف لونها واختلف شكلها ، خرجت من أرض واحدة ، وسقيت بماء واحد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح (١٣/ ٧١٥٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب استحقاق الوالي (١/ ١٤٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤١) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٥) .

فمن الذي خلقها ؟ إنه الله عز وجل ؛ ليربط الوالد قلب ولده بالخالق ؛ ليربي الوالد ولده على عقيدة التوحيد من أول لحظة ليشعر الوالد ولده بالمنعم ، والمحسن سبحانه وتعالى .

قد نغفل عن دروس تربوية عظيمة لا تكلفنا شيئاً على الإطلاق ، فإن تخلى الوالد عن التربية وانشغل بالوظيفة ، بالأموال بالتجارات قد يكون الوالد معذورًا في انشغاله للظروف الاقتصادية الطاحنة التي يعيشها كثير من الآباء ، وأنا لا أجهل الواقع الذي نعيش فيه ونحياه ، لكن الذي يؤلم القلب ويتعب النفس أن للوالد رمق من الوقت وعاد إلى بيته يتفنن في قتل هذا الوقت قتلاً بالجلوس أمام المباريات والمسلسلات والأفلام ، مع أن جلوس الوالد وسط أولاده ولو لم يتكلم منهج تربوي فيه من عمق التربية ما فيه فكيف لو تكلم فذكر الأولاد بالله ، وذكر الأولاد بحديث رسول الله ، ونصح ووعظ ، وسأل عن الولد وسأل عن البنت فحل إشكالاً ورسم منهجا وبين طريقا وحل لغزا أشعر الوالد أولاده بالقرب ، والحنان ، والرحمة كيف لو فعل الوالد ذلك يا إخوة .

قد يتألم الإنسان إذا قلت لأحدكم الآن : ما تقولون في والد دخل يوماً إلى بيته وسحب ورقة بيضاء وخط فيها رسالة لامرأته لزوجته وقال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم .. إلى زوجتي الفاضلة : السلام عليكم ورحمة الله وبعد ، فإني أقدم لك اليوم استقالتي من تربية الأولاد ، فيتهم هذا الوالد فوراً بالجنون ، ثم ماذا تقولين في أم تقدم هي الأخرى مثل هذه الاستقالة لزوجها ، أقدم لك يا زوجي العزيز استقالتي من تربية الأولاد ، ستتهم بالجنون ، بل وربما ألقى زوجها عليها الطلاق .

إن هذه المسؤولية الضخمة ستسأل عنها بين يدي الله عز وجل ، ستسأل بين يدي الله عما استرعاك وتبدأ التربية لا بمجرد أن يوجد الولد الذي يعقل ، لا بل تبدأ التربية قبل الزواج .

وهل عندي ولد أربيه قبل الزواج ؟ أؤكد أن التربية الصحيحة تبدأ قبل الزواج ، وذلك باختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أرضًا طيبة لنفسك وغرسك ، تلك هي البداية المرأة التي ستعينك على تربية ولدك ، فالبيت قلعة من قلاع العقيدة وحصن من حصون الإسلام ، أنا أؤكد أن هذه القلعة ، وأن هذا الحصن إن كان مهددًا من الداخل فلم نستطع أن نقيم على الأرض للإسلام دولة ، من هنا تبدأ التربية من البيت وتدعوا لاختيار الزوجة الصالحة بإعداد الأرض التي ستلقي فيها البذر والنبت :

« تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » [(١)] .

وفي صحيح مسلم : «الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» [(٢)] .

خير متاع لك في الدنيا المرأة الصالحة ، الزوجة الطيبة التي تعلم مسؤولية التربية ، قد ينشغل الوالد بعمله فتبقى الأم في البيت مدرسة ؛ لتربي الأولاد ولتدفع الأولاد دفعًا إلى طاعة الله ، وحفظ كتاب الله وإلى الأخلاق الفاضلة ، ثم يحرص الوالدان على غرس العقيدة الصحيحة في قلوب الأولاد بمجرد النشأة ، قد يظن كثير من الآباء أن الولد لا زال صغيراً مع أن أولادنا على قدر كبير جدًا من الذكاء ، وإن أردت أن تتأكد من ذلك ففكر في أسئلة طفلك الصغير ربما يحرجك ولدك بالأسئلة ، إن الطفل ذكي ، قلبه طاهر نقي ذكي ينقش عليه كل شيء ونحن لا ندري قد يقوم ولدك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين (٩/ ٥٠٩٠) ، ومسلم في الرضاع ، باب استحباب نكاح ذات الدين (٢/ ١٤٦٦) ، وأبو داود في كتاب النكاح ، باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين (٢/ ٢٠٤٧) ، والنسائي في النكاح ، باب كراهية تزويج الزناة (٦/ ٣٢٣٠) ، وابن ماجه في النكاح ، باب تزويج ذات الدين (١/ ١٨٥٨) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم في الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٢/ ١٤٦٧) ، والنسائي في النكاح ، باب المرأة الصالحة (٦/ ٣٢٣٢) ، وابن ماجه في النكاح ، باب أفضل النساء (١/ ١٨٥٥) وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٠) .

ابن السنتين ليقلدك في الصلاة وأنت تصلي ، قد تقوم ابنتك بنت السنتين لتقلد أمها في الخمار وفي الحجاب وهي لا تعي ، فالطفل ذكي صاحب قلب طاهر نقي ، قابل لكل ما ينقش عليه من خير أو شر أو فضيلة أو رذيلة فلا ينبغي أن نقلل من شأن أطفالنا ومن شأن أولادنا .

فينبغي على الوالدين أن يبدآ بتعليم العقيدة الصحيحة في قلوب الأولاد منذ الصغر ، وهذا المنهج ليس بدعا إنما هو منهج الحبيب النبي ﷺ في التربية ، تدبر تربية النبي ﷺ وتوجيهه كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يومًا ـ أي على حمار أو دابة ـ فقال له النبي ﷺ :

« يَا غُلَامُ ـ انظر إلى التربية والتوجيه ـ يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ ـ عقيدة تأصيل للعقيدة ـ احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ » [(١)] .

انظر إلى التأصيل العقدي ، انظر إلى التوجيه التربوي للأبناء في سن مبكر لماذا؟ لأن الولد لو تربى على العقيدة الصحيحة عرف حلاوة الثقة في الله وذاق برد اليقين فيه وخرج واثقاً في الله معتزاً فيه وبنفسه ، فأسعد نفسه وأسعد أمته وأسعد مجتمعه ، افتحوا على أولادكم أول ما ينطقون بلا إله إلا الله ، بحب الله ، بحب رسول الله ﷺ بحب الدين ، بحب العقيدة ،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب حديث نافق حنظلة (٤/ ٢٥١٦) ، والحاكم في مستدركه (٣/ ٥٤١) ، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠٧، ٢٩٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٩٥٧) .

علمه المراقبة ـ مراقبة الله عز وجل في السر والعلن بأسلوب سهل جميل لا يحتاج ذلك إلى أسلوب معقد ، أو قد يظن بعض الآباء أن الأمر يحتاج إلى محاضرات ، كلا ، كلمات قليلة .

فمن أجمل ما قرأت كيف أن أولاد السلف تربوا على العقيدة منذ نعومة أظفارهم : مر عمر ابن الخطاب يومًا على مجموعة من الأولاد الصغار وهم يلعبون في إحدى طرقات المدينة ، فلما رأى الأولاد عمر بن الخطاب ، وكان عمر صاحب هيبة كما تعلمون ، وكيف لا والشيطان نفسه كان يهاب عمر ، فلما رأى الأولاد عمر بن الخطاب جروا ، هربوا إلا واحداً ثبت ولد صغير من الأولاد ، ولم يجر إنه عبد الله بن الزبير ـ رضوان الله عليهما ـ فسعد عمر بهذا الغلام وأقبل إليه وقال له : لِمَ لَمْ تهرب مع الأولاد فماذا قال الغلام؟ قال : ما كنت مذنباً لأهرب منك يا أمير المؤمنين ، وليس الطريق ضيقاً لأوسع لك أي عقيدة هذه ؟ وأي فهم ؟

وهذا عبد الله بن عمر ـ رضوان الله عليهما ـ يمر يومًا على راع صغير يرعى الأغنام ، فأراد عبد الله بن عمر أن يختبره وأن يذكره فقال له : يا غلام بع لي واحدة من هذه الأغنام ، فقال له : إنها ليست لي يا سيدي إنما أنا راعي فقط ، وإنما هي ملك لسيدي في المدينة ، فقال له ابن عمر ـ رضوان الله عليهما : قل لصاحب الغنم لقد أخذ الذئب واحدة وهو لا يراك ، فالتفت إليه الغلام وهو يقول : فإذا كان صاحب الغنم لا يراني فأين الله ؟! فبكى ابن عمر وانطلق وهو يردد قولة الغلام : فأين الله ، فأين الله ، فأين الله ؟! :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة:٧] .

نعم أيها الحبيب :

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

ومن أروع وأجلّ ما قرأت في أن أولاد السلف تربوا على العقيدة ، بل وأراد الطفل منهم أن يبذل دمه وروحه لدين الله وفداء لحبيبه ومصطفاه .

ففي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمِّ ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ ـ فماذا قال الغلام ؟ ـ قال : قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ الله ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا .

يقول عبد الرحمن بن عوف: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ قُلْتُ: فَقُلْتُ لَهُمَا أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ ، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ : «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا » قَالَا : لَا ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ : «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ» (١) .

والبطل الأول هو معاذ بن عفراء والبطل الثاني هو معاذ بن عمرو بن الجموح ـ رضي الله عنهما ـ وعن السواعد التي ربت وهذبت ، فيجب

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب من لم يخمس (٦/ ٣١٤١) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٣/ ١٧٥٢) ، وأحمد في مسنده (١/ ١٩٣) .

على الوالدين أن يبدآ بغرس العقيدة ثم ليحبب الوالدان الأولاد في القرآن ، وفي حفظ القرآن ، رحم الله الكتاتيب التي حفظنا فيها القرآن كله في سن مبكرة لم تبلغ العاشرة ، ورحم الله أهلها ، والقائمين عليها .

أين الكتاتيب ؟ أصبح الوالد الآن حريصًا على أن يربي ولده وأن يعلم أولاده اللغات ، وهذا أمر جميل أنا لا أقلل من شأنه أبداً ، بل أتمنى أن لو تعلم أبناؤنا اللغات ، لكن في الوقت ذاته لا ينبغي أن يتجاهل الوالد أن يعلم ولده قرآن رب الأرض والسموات ، وأن يحرص الوالد على ذلك فتعليم القرآن سر من أسرار تفوق الولد في الدنيا في كل مجال ، وأقول : إن لم تتعلق قلوب أبنائنا بالمساجد في المساجد ، فأين سيتربى الأولاد ؟ في النوادي أمام أشرطة الفيديو والإعلام المضلل .

افتحوا صدوركم وقلوبكم للأولاد في بيوت الله عز وجل ، وإن كان الولد مخطئا فليهذب ، وليرب ، وليؤدب ، وليعلم ، وعلى الوالد أن يحرص على اصطحاب ولده معه لبيت الله عز وجل ، وأن يفضي له النصيحة والتوجيه والتربية ، فوالله لقد كان المصطفى ﷺ مربيًا للأطفال في المساجد ويا له من مرب.

ففي صحيح مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ :صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ ـ أي على الأولاد وهم يلعبون ـ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ» (١) .

بل وارتقى النبي ﷺ المنبر يوماً فرأى الحسن والحسين يتعسران في المسجد ، فنزل من على المنبر وحمل الحسن والحسين وارتقى بهما على

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبي ﷺ (٤/ ٢٣٢٩) .

المنبر ، ثم التفت إلى الناس وقال :

« إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » (١) .

ولا أنسى رجلاً علمني وأنا في السعودية في القصيم دخل علىّ يومًا وقال : يا فلان ؟ قلت : نعم ، قال : ولدي حفظ سورة يوسف ، والرعد ، وإبراهيم من شريط لك وهو يحبك جداً ولم يرك ويريد أن يراك وسآتي به لأول مرة في الجمعة المقبلة وهذه هدية وأخرج لي هدية وقال : ضع هذه الهدية عندك في المسجد فإذا أتيت بولدي في الأسبوع المقبل ـ إن شاء الله تعالى ـ فقدم لولدي هذه الهدية على أنها منك ليزداد حبه لك وليزداد الأولاد تعلقاً بالمسجد .

انظر إلى الفهم الراقي قلت : لقد علمتني ليتعلق أبناؤنا بالمساجد :

« مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ » (٢) .

ففي المسجد سيتربى الولد على الفضيلة ، على حفظ القرآن ، على سماع كلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الخلق ، وإن أعظم وسيلة لتربية الولد ولتحبيبه في الصلوات ، وفي المساجد ـ أن يرى الولد والده إن سمع الأذان كأن حية قد لدغته قام وانتفض وأعطى للأذان مكانة وحرارة ، فيستشعر الولد أهمية ما سيقبل عليه والده فيقوم ويسارع إلى الوضوء ثم يتطيب ثم يقول لولده : يا فلان ، توضأ هيا بنا إلى المسجد ، ويأتي به إلى المسجد ليعلمه إن أتيت المسجد فلا تتحرك ، ولا تتكلم ، ولا تحدث صوتاً

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ، باب الإمام يقطع الخطبة (١/ ١١٠٩) ، والترمذي في المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (٥/ ٣٧٧٤) ، والنسائي في الجمعة ، باب نزول الإمام من على المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة (٣/ ١٤١٢)، وابن ماجه ، باب لبس الأحمر للرجال (٢/ ٣٦٠٠) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (١/ ٤٩٥) ، والحاكم في مستدركه (١/ ١٩٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٩٤) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٥٨٦٨) ، والمشكاة (٥٧٢) .

فأنت في بيت الله عز وجل ، فهل يا بني تستطيع أن ترفع صوتك أمام مدرسك في الفصل ؟ يقول : لا فأنت في بيت الله يعلم الوالد ولده كيف يتأدب بآداب المسجد بكلمات قليلة ، فإن القدوة في البيت من أعظم وسائل التربية ، لا يمكن أن يحب الولد الصلاة إلا إن رأى والده يحب الصلاة ، ولا يمكن أن تتربى البنت في البيت على الفضيلة إلا إذا رأت أمها تحب الفضيلة ، ومحال أن تعشق البنت الحجاب إن رأت أمها متهتكة متبرجة سافرة .

مشى الطاووس يومًا باختيال فقلده بمشيته بنوه

فقال علام تختالون ؟ قالوا: لقد بدأت ونحن مقلدوه

ينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان علمه أبوه

التربية بالقدوة ولكنني أود أن أطمئن القلوب الجريحة فقد يئن الآن كثير من آبائي ويقولون : يا أخي سامحك الله نحن نربي الأولاد في البيت تربية طيبة على القرآن وعلى السنة ، ولا يسمع الولد في البيت إلا الفضيلة والكلمة الطيبة ولا يرى من أمه إلا الخير ، ولا من أبيه إلا الفضل ، ومع ذلك قد يصدم الولد البيت ببعض الألفاظ وبعض التصرفات التي لا يمكن البتة أن يتربى عليها في البيت فمن أين ذلك ؟

وهذا هو عنصرنا الأخير:

إنها مسؤولية الجميع :

إنها مسؤولية الجميع ، نعم قد يتربى الولد في البيت على الفضيلة ، نعم على الفضيلة فهو لا يرى في البيت تلفازًا ولا يرى امرأة متبرجة عارية ، ولا يرى إلا والدًا فاضلاً مربيًا ومع ذلك قد يقول الولد كلمات تخلع القلب ، وقد يغفل الولد بعض التصرفات الخطيرة التي لم يدركها ، وذلك

لأن الأولاد ينشؤون الآن في بيئة متضاربة متناقضة فقد تبني وغيرك يهدم يتربى الولد في البيت على الفضيلة ، فإن خرج إلى المدرسة يسمع الرذيلة من بعض أصحابه من الشارع ، من الإعلام فالمسؤولية مشتركة فالمسؤولية على الجميع وأنا لا أتكلم عن ولدي فحسب ، بل أتكلم عن أولادنا جميعاً .

فأولادنا جميعًا مسؤوليتنا يجب أن أحافظ لك على ولدك ، ويجب أن تحافظ على ولد أخيك ، وهكذا ، فإنها مسؤولية على الجميع يتربى الولد على الفضيلة ، ثم يخرج إلى الشارع إلى رفقاء السوء فيسمع الكلمات الخبيثة وينظر إلى التلفاز ، فيرى الحركات المريبة ويسمع الكلمات التي تخدش الحياء فيحفظ الولد وتحفظ البنت ويقلد الولد تقليداً أعمى وهو لا يعي وهو لا يدرك ، ومحال أن يكتمل البنيان حتى وإن كنت تبني وغيرك يهدم كل يوم ما تبنيه .

فالمسؤولية مسؤولية الجميع ، تبدأ من البيت ، ثم بالمدرسة ثم بالإعلام ثم بالمسجد أو بالبيت ثم بالمدرسة ثم بالمسجد ، ثم بالإعلام ، المهم أن تؤدي كل مؤسسة من هذه المؤسسات دورها ووظيفتها ، وأن تكتمل الجهود كلها لتربية أولادنا تربية ترضي الله عز وجل ويسعد الأولاد بأنفسهم ويسعد بهم مجتمعهم وتسعد بهم أمتهم ؛ ليكونوا أعضاء صالحين في هذه الأمة ، وفي هذا المجتمع .

فالمدرسة عليها دور ، وأنا أتألم حينما أطالع المناهج التعليمية التي تدرس لأولادنا فإنها تحسن أن تعلم أبناءنا المعارف ، والمعاني ، والعلوم ، ولكنها لا تحسن أن تعلم عيونهم الدموع ولا قلوبهم الخشوع محال أن يتعرف الولد على دينه بشموله وكماله في المدرسة ، بل إن حصة الدين حصة ثانوية مهملة ، إن أراد المدرس أن ينكت مع الطلاب أو مع تلاميذه ، لا يكون إلا في حصة الدين بل وإن أراد الأولاد أن يكرمهم أستاذهم فليقل : حصة الدين ألعاب .

والدين هو المادة الوحيدة التي لا تضاف إلى مجموع الطالب فلا يهتم بها التلميذ ، ولا يهتم بها الطالب ، التاريخ الإسلامي يشوه ، وتربينا على تواريخ محرفة ومزورة فيخرج الولد مسكين لا يعرف الحق إلا من رحم ربك جل وعلا.

ومتى سيتعلم الولد في المدرسة الفضيلة وهو يلتصق بزميلته في الدراسة لصقًا سواء في المرحلة الإعدادية أو في الثانوية أو في الجامعة ؟! ثم يقال : افتحوا الباب على مصراعيه زميل يجلس بجوار زميلته لتخف حدة الكبت الجنسي عند الولد والبنت على السواء وهذا ورب الكعبة ضلال ووهم وإضلال ، كيف يقرب الولد من البنت في سن حرجة ويقال : إنه تخفيف لحدة الكبت الجنسي ، بل هو إشعال للغرائز الهاجعة وإثارة للشهوات الكامنة .

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

هذا محال ، محال أن تصب البنزين على نار مشتعلة ثم تقول للنار : انطفئي ، هذا وهم ، بل لابد أن تزداد اشتعالاً فكيف يتربى الولد على الفضيلة في هذا الاختلاط المدمر ، ثم ما الحرج في أن يفصل الولد عن البنت في فصول متقاربة على الأقل ، وذلك أضعف الإيمان ، لا نقول بإنشاء مدارس جديدة وإنما فصول في المدرسة ذاتها هذا فصل للبنين ، وهذا فصل للبنات ليتربى الولد على الخلق ولتتربى البنت على الفضيلة ، حتى يظل الحاجز النفسي من الحياء موجودًا بين الولد والبنت على السواء ، فالمدرسة لها دور كيف يكره الولد الدخان التدخين إن دخل عليه مدرسه الفصل وفي يده السيجارة ؟ كيف يفكر الطالب في الصلاة وهو في الجامعة إن سمع الأذان وأراد أن يخرج للصلاة فاستهزأ به أستاذه استهزاء أضحك المدرج عليه كله ؟ مسؤولية كبيرة .

ثم الإعلام وأنا أقرر بكل أمانة أدين بها لله أن الإعلام مسؤول

مسؤولية ضخمة في انحراف كثير من أبنائنا وشبابنا ، يؤصل الإعلام في قلوب أبنائنا وبناتنا الرذيلة وليست الفضيلة : في المسلسلات ، والأفلام التي تعزف على وتر الجنس والدعارة والعنف والجريمة والوحشية ، ويقلد الولد ويتشبع .

ثم لا أقلل أبدًا من دور المسجد وأعترف وأقر بأن المسجد مقصر في دوره ، وبأن المؤسسة الدعوية في بلاد المسلمين مقصرة في حق أبنائنا وأولادنا وبناتنا وشبابنا ، فقد يدخل الولد إلى المسجد في سن خطيرة ، في سن المراهقة ، في سن الجامعة فيدخل إلى المسجد فيرى شيخاً لا يعلم عن الواقع شيئًا ولا عن كلام الله ولا عن كلام رسول الله قبل الواقع أي شيء ، فيجلس الولد بين يدي الشيخ ليرى أن الشيخ في واد بعيد عن مشكلاته وحاجاته ، بل وربما يرى الولد الشيخ غليظاً شديداً عبوساً يعنفه ويوبخه .

وأنا لا أتصور أبدًا أن شابًا من شبابنا قد يأتي إلى شيخ ليقول له : يا شيخ يقول له : نعم فيقول له : ائذن لي بالزنا أعطني فتوى بجواز الزنا ، لا أتصور أن هذا الشاب قد يخرج من المسجد سليمًا معافى على أقل تقدير سيهان .

وكلكم يعلم أن شابًا جاء لأعظم مرب عرفته الدنيا للمصطفى ﷺ والحديث في مسند أحمد بسند صحيح ليقول له : يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا يستفتي المصطفى ﷺ جاء ليأخذ رخصة من النبي ﷺ في الزنا فيقول المصطفى ﷺ ـ والله ما وبخه ولا ضربه ولا شتمه ولا أهانه ولا أمر الصحابة أن يحملوه من يديه وقدميه ؛ ليرمي به في الشارع ـ وإنما قال له النبي ﷺ :

« ادْنُهْ » فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ـ فقال له المصطفى ﷺ : « أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ »

قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ .

قَالَ : « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ » .

قَالَ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ .

قَالَ: « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ » .

قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ .

قَالَ : « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ.

قَالَ : « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ » .

قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ .

قَالَ : « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ » .

قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ » [1] .

فخرج الشاب من عند رسول الله ﷺ ، ولا يوجد شيء على وجه الأرض أبغض إليه من الزنا .

تربية توجيه فالمسجد مقصر ، والدعاة مقصرون إلا من رحم ربك فيجب على المسجد هو الآخر أن يقوم بدوره ويجب على الدعاة أن يحترموا أنفسهم وأن يحترموا جماهير المسلمين وشباب المسلمين ممن يسعى إليهم من بقاع الأرض ؛ ليسمعوا عن الله وعن رسوله .

وأنا أؤكد أنه مهما كتب في الجرائد والمجلات والكتب ، فإن الأمة بجميع طوائفها تظل منصتة للكلمة الوقورة الصادقة الهادفة التي تقال على منبر

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٢٥٧) .

النبي ﷺ ، فإنها الكلمة الوحيدة التي تجد طريقها مباشرة إلى القلب والعقل ، ولم لا وهي كلمة الله وكلمة الحبيب رسول الله ﷺ .

بين الجوانح في الأعماق سكانها فكيف تنسى ومن في الناس ينساها

الأذن سامعة والروح خاشعة والعين دامعة والقلب يهواها

إنها كلمة الله ، إنها كلمة الصادق رسول الله ﷺ فينبغي على الدعاة أن يقدروا هذه المسؤولية حق قدرها ، وأن لا يكونوا بأطروحاتهم وموضوعاتهم في واد سحيق والأمة وشباب الأمة وأولاد الأمة في واد آخر ، فإن الداعية الأمين ـ أسأل الله أن نكون منهم ـ هو الذي يربط بين واقع أمته ويعالج ، واقع أمته ، ومشكلات شبابها وأولادها بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ إنها مسؤولية الجميع ثم الاستثناء لا ينقض أصل القاعدة .

ففي بيت من البيوت القائم فيه على التربية نبي إنه نبي الله نوح ، ومع ذلك خرج من هذا البيت ابن كافر حتى لا ييأس والد من الآباء الفضلاء ، أنت بذلت واستعنت بالله وقدمت لولدك ما استطعت ثم خرج الولد منحرفاً ، أنت أعذرت إلى الله عز وجل ، وأمر الهدى والتقى ليس بيدك :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢] .

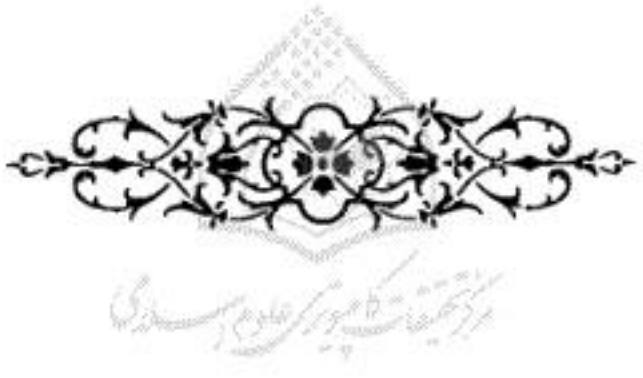
ففي بيت من البيوت يتولى التربية نبي كريم إنه نبي الله نوح ومع ذلك عجز هذا الوالد النبي أن يهدي ولده :

﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود:٤٢، ٤٣] .

ولما تضرع نوح لربه : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ

أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود:٤٥، ٤٦] . وفي قراءة : إنه عمل غير صالح انقطعت الآصرة بالكفر. وبيت آخر يتولى فيه التوجيه والتربية أخبث رجل على وجه الأرض : إنه فرعون الذي قال لقومه : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] . والذي قال لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨] .

ومع ذلك يتربى في هذا البيت نبي الله موسى ، ففي بيت نبي يكفر ابن للنبي ، وفي بيت شقي يخرج نبي بأمر الرب العلي . فقر عينًا ما عليك إلا أن تبذل قدر استطاعتك ، ودع النتائج إلى الله فكل شيء بقضاء وكل شيء بقدر .



الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
كلمة الناشر	٧
حق الحياء	٩
حق الصدق	٣٥
حق الصبر	٥٩
حق الأمل	٨٣
حق الأخ على أخيه	١٠٩
حق التقوى	١٣٥
حق الأجيال في التعرف على اليهود	١٥٩
حق اليتيم	١٨٥
حق القدس	٢٠٧
حق الفهم	٢٣٣
حق الرسول ﷺ	٢٥٧
حق الأمانة	٢٨٣
حق التعريف بالإسلام	٣٠٩
حق العباد على الله	٣٣٧

الموضـــوع	الصفحة

حق الله على العباد ٣٦١

حق الدعاء ٣٨٣

حق اليقين ٤٠٥

حق القرآن ٤٣١

حق شهر رمضان ٤٥٥

حق المسلم ٤٧٧

حق المستضعفين في أفغانستان وفلسطين ٥٠١

حق المصطفى ﷺ ٥٢٣

حق الوالدين ٥٤٣

حق الأخوة ٥٦٧

حق الطريق ٥٩٥

حق الزوج على الزوجة ٦١٧

حق الزوجة في الإسلام ٦٤٣

حق الأبناء ٦٦٥

الفهرس ٦٨٧